تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الثامن

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
6 - 33 - 5234 - 977

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

كافة حقوق الطبع محفوظة
لمؤسسة قرطبة
للطبع والنشر والتوزيع

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٢٠٥٥٦٨٨-٤٣٠٧٥٢٦ القاهرة

تفسير
القرآن العظيم

تفسير سورة يوسف عليه السلام

[وهي مكية][١]

روىٰ الثعلبي وغيره من طريق سلام بن سلم - ويقال : سليم - المدائني ، وهو متروك ، عن هارون بن كثير - وقد نص علىٰ جهالته أبو حاتم(١) - عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي أمامة ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **علموا أرقاءكم سورة يوسف ، فإنه أيما مسلم تلاها أو علّمها أهله أو ما ملكت يمينه ، هون اللّٰه عليه سكرات الموت ، وأعطاه من القوة أن لا يحسد مسلمًا** »(٢) .

وهذا من هذا الوجه لا يصح ؛ لضعف إسناده بالكلية ، وقد ساق له الحافظ ابن عساكر متابعًا ، من طريق القاسم بن الحكم ، عن هارون بن كثير به ، ومن طريق شبابة ، عن [مخلد بن عبد الواحد البصري][٢] ، عن علي بن زيد بن[٣] جدعان ، وعن عطاء بن أبي ميمونة ، عن زر بن حبيش ، عن أبي بن كعب ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فذكر نحوه ، وهو منكر من سائر طرقه .

وروىٰ البيهقي في الدلائل(٣) : أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يتلو هذه السورة أسلموا ؛ لموافقتها ما عندهم . وهو من رواية الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

---

(١) - « الجرح والتعديل » (٩/٩٤/ت ٣٩١).

(٢) - رواه الواحدي في الوسيط (٢/٥٩٩) من طريق أحمد بن يونس ، عن سلام بن سليم ، به . وقال ابن عدي في الكامل (٧/٢٥٨٨) : « هارون بن كثير شيخ ليس بمعروف ، روى عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي أمامة ، عن أبي بن كعب ، عن النبي ﷺ فضائل القرآن ، سورة سورة ، حدث بذلك عنه سلام الطويل بطوله : أخبرنا إبراهيم بن شريك الآمدي ، عن أحمد بن يونس عنه ، ورواه عن هارون بن كثير القاسم بن الحكم العُرَني بطوله ، سورة سورة ، ورواه عن هارون يوسف بن عطية الكوفي لا البصري بعضه ، وهارون غير معروف ، ولم يحدث به عن زيد بن أسلم غيره ، وهذا الحديث غير محفوظ عن زيد » .

(٣) - **إسناده ضعيف جدًا** والحديث في الدلائل (٦/٢٧٦) ، والكلبي متهم بالكذب ، ورمي بالرفض .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : محمد بن عبد الواحد النضري . وهو تحريف وتصحيف وما أثبتناه هو الصواب ، كما في الجرح والتعديل [٨/٣٤٨] ، والميزان [٥/٢٠٨] وغيرهما .

[٣] - في ز ، خ : « عن » .

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أوّل سورة البقرة .

وقوله : ﴿ **تلك آيات الكتاب** ﴾ أي : هذه آيات الكتاب : وهو القرآن المبين ، أي : الواضح الجلي ، الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ، ويفسرها ويبينها .

﴿ **إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون** ﴾ وذلك لأن[١] لغة العرب أفصح اللغات وأبينها ، وأوسعها ، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس ، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات ، على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض ، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان ، فكمل من كل الوجوه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن** ﴾ بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن .

وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات ما رواه ابن جرير(٤) : حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، حدثنا حَكّام الرازي ، عن أيوب ، عن عمرو - هو ابن قيس الملائي - عن ابن عباس قال : قالوا : يارسول الله ، لو قصصت علينا ؟ فنزلت ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ . ورواه من وجه آخر عن عمرو بن قيس مرسلًا . وقال أيضًا(٥) : حدثنا محمد ابن [سعيد العطار][٢] ، حدثنا عمرو بن محمد ، [أنبأنا خلّاد][٣] الصفار ، عن عمرو

(٤) - **إسناده ضعيف جدًا** ، والحديث في التفسير (١٢/ ١٥٠) وأيوب هو ابن سَيّار الزُّهري المدني ، ضعفه غير واحد ، وتركه النسائي ، وقال البخاري : « منكر الحديث » انظر « لسان الميزان » (١/ت١٤٩٥) .

(٥) - **إسناده حسن** ، والحديث في التفسير (١٢/ ١٥٠-١٥١) وإسناده متصل ، ورجاله ثقات غير خلاد وهو ابن عيسى ، ويقال : ابن مسلم - الصفار ، وثقه ابن معين في رواية ، وفي أخرى قال : ليس به بأس . وذكره ابن حبان في « الثقات ٦/ ٢٦٨» وقال أبو حاتم في « الجرح والتعديل » (٣/ ٢٦٧) : حديثه متقارب، وقال الذهبي في « المغني ت ١٩٢٦» : « ثقة مشهور ، حسن الحديث » وفي « التقريب » : لا بأس به . =

[١] - في خ : « لأنه » .

[٢] - في ز ، خ : « سعد القطان » .

[٣] - في خ : « أبا خالد » .

بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه[١] قال : أنزل علىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، القرآن ، قال : فتلا[٢] عليهم زمانًا ، فقالوا : يا رسول اللَّه ، لو قصصت علينا ؟ فأنزل اللَّه عز جل : ﴿ **الر * تلك آيات الكتاب المبين** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لعلكم تعقلون** ﴾ الآية ، ثم تلاه[٣] عليهم زمانًا ، فقالوا : يا رسول اللَّه ، لو حدثتنا ؟ فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **اللَّه نزل أحسن الحديث** ﴾ الآية ، وذكر الحديث .

ورواه الحاكم من حديث إسحاق بن راهويه ، عن عمرو بن محمد القرشي العنقزيّ به .

وروىٰ ابن جرير(٦) بسنده عن المسعودي ، عن عون بن عبد اللَّه قال : مل أصحاب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ملة ؛ فقالوا : يا رسول اللَّه ، حدثنا . فأنزل اللَّه : ﴿ **اللَّه نزل أحسن الحديث** ﴾ ثم ملوا ملة أخرىٰ ، فقالوا : يا رسول اللَّه ! حدثنا فوق الحديث ودون القرآن - يعنون القصص - فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **الر * تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ الآية ، فأرادوا[٤] الحديث ، فدلهم علىٰ أحسن الحديث ، وأرادوا[٥] القصص ، فدلهم علىٰ أحسن القصص .

ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة علىٰ مدح القرآن ، وأنه[٦] كافٍ عن كل ما سواه من الكتب - ما رواه[٧] الإمام أحمد(٧) :

= وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (كما في المطالب حديث ٤٠١٣ ط /قرطبة) ومن طريقه الواحدي في « أسباب النزول » (ص١٨٢،٢٤٨،٢٧٢) وابن مردويه - كما في هامش « المطالب العالية » (٣/ ٣٦٥٢) - وصححه ابن حبان (٦٢٠٩/١٤ - إحسان) ، (١٧٤٦/٥- موارد) والحاكم (٣٤٥/٢) ووافقه الذهبي ، واختاره الضياء في « المختارة » (١٠٦٩/٣) ، وأخرجه البزار في مسنده (١١٥٣/٣) وأبو يعلى في مسنده (٧٤٠/٢) وفي « المعجم » (١٤٩) وأبو حاتم في « التفسير » (١١٣٢٣/٧) من طرق عن عمرو بن محمد به ، وقال الحافظ في « المطالب » : « حديث حسن » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥/٤) : إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٦) - **مرسل** والحديث في التفسير (١٥٠/١٢) وأخرجه ابن أبي حاتم في « التفسير » (١١٣٢٥/٧) من طريق المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن بنحوه مرسلًا .

(٧) - **حسن** والحديث في المسند (٣٨٧/٣) ، ونقله « المصنف » - كما هنا - في « البداية والنهاية » (٢/ ١٥٨-١٥٩) وقال : « تفرد به أحمد وإسناده على شرط مسلم » قلت : لكن مجالد بن سعيد =

[١] - في ز ، خ : « سعد » .
[٢] - في الطبري : « فتلاه » .
[٣] - في خ : « تلا » .
[٤] - في ز ، خ : « فأورد » .
[٥] - في ز ، خ : « وأورد » .
[٦] - في ز ، خ : « فإنه » .
[٧] - في ز ، خ : « قال » .

حدثنا سُرَيْج[١] بن النعمان ، نا هشيم ، أنبأنا مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله : أن عمر بن الخطاب أتىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه علىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال[٢] : فغضب ، وقال : « **أمتهوكون[٣] فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه ، أو بباطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده ، لو أن موسىٰ كان حيًّا لما[٤] وسعه إلا أن يتبعني** » .

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا عبد الرزاق ، أنا سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني مررت بأخ لي من قريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة ، ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال عبد الله بن ثابت : فقلت له : ألا ترىٰ ما بوجه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولًا . قال : فسُرِّيَ عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وقال : « **والذي نفس محمد بيده ، لو أصبح فيكم موسىٰ ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم[٥] ، إنكم حظي من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين** » .

= ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره . ومن طريقه أخرجه أحمد أيضًا (١٤٦٧٣) (٣٣٨/٣) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٢٨/٦) ، والدارمي (٤٤١) ، والبزار (١٢٤ - كشف) ، وأبو يعلى (٤/ ٢١٣٥) ، والبيهقي في « الكبرى » (٢/١٠-١١) وفي « الشعب » (١٧٩/١) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (٥٠/١) وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٤٩٧/٢) ، والبغوي في « شرح السنة » (١٢٦/١) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٧٨/١-١٧٩) وقال : « ..... فيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى ابن سعيد وغيرهما » وببعض ألفاظ الحديث عنون البخاري به بابًا في « الصحيح » داخل كتاب الاعتصام ، فقال : باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء** » وقال ابن حجر في « الفتح » (٣٣٤/١٣) : « هذه الترجمة لفظ حديث أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والبزار .... ورجاله موثقون إلا أن في مجالد ضعفًا » قلت : لكن للحديث شواهد تقويه ، فانظر ما بعده ، وانظر أيضًا « الإرواء » للألباني (١٥٨٩/٦) .

(٨) - **إسناده ضعيف لضعف جابر الجعفي** ، رواه في المسند (١٥٩٠٨) (٤٧٠/٣) ، (١٨٣٨٨) (٤/ ٢٦٥) ، والحديث في « المصنف » لعبد الرزاق (١٠١٦٤/٦) (٣١٣/١٠) ومن طريقه أخرجه أيضًا ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٤٩٥) وأخرجه ابن الضريس في « فضائل القرآن » (٩٠) من=

---

[١] - في خ : « شريح » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - التهوّك : كالتهوّر ؛ وهو الوقوع في الأمر بغير روية . والمتهوك : الذي يقع في كل أمر . وقيل : هو التحيّر . النهاية [٢٨٢/٥] .
[٤] - في ت : « ما » .
[٥] - في ز : «أضللتم» .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٩) : حدثنا عبد الغفار بن عبد اللَّه بن الزبير ، حدثنا علي ابن مُسهر ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن خليفة بن قيس ، عن خالد بن عُرفطة قال : كنت جالسًا عند عمر ، إذ أُتي برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس ، فقال له عمر : أنت فلان بن فلان العبدي ؟ قال : نعم . قال : وأنت النازل بالسوس ؟ قال : نعم . فضربه بقناة معه ، قال : فقال الرجل : مالي يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : اجلس ، فجلس . فقرأ عليه ﴿ **بسم اللَّه الرحمن الرحيم * الر تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيًّا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **لمن الغافلين** ﴾ فقرأها عليه ثلاثًا ، وضربه ثلاثًا ، فقال له الرجل : مالي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أنت الذي نسخت كتاب دانيال ؟ قال : مرني بأمرك أتبعه . قال : انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض ، ثم لا تَقرأه ، ولا تُقرئه أحدًا من الناس ، فلئن بلغني عنك أنك قرأته ، أو أقرأته أحدًا من الناس لأنهكنك عقوبة . ثم قال له : اجلس . فجلس بين يديه ، فقال : انطلقتُ أنا ، فانتسخت كتابًا من أهل الكتاب ، ثم جئت به في أديم ، فقال لي رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما هذا في يدك يا عمر ؟** » . قال : قلت : يا رسول اللَّه ، كتاب نسخته لنزداد به علمًا إلى علمنا . فغضب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، حتىٰ احمرت وجنتاه ، ثم نودي بالصلاة جامعة ، فقالت الأنصار : أغضب نبيكم ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ السلاح السلاح . فجاءوا حتىٰ أحدقوا بمنبر رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : « **يا أيها الناس ، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه ، واختصر لي اختصارًا ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا**[١] ، **ولا يغرنكم المتهوكون** » . قال عمر : فقمت

= طريق سفيان به ، والبزار (١٢٥-كشف) من طريق الجعفي عن عبد الله بن ثابت به مختصرًا ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٧٨/١) وقال : « رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه جابرًا الجعفي وهو ضعيف » وبه أيضًا ضعف إسناده الحافظ في « الفتح » (٣٣٤/١٣) .

(٩) - **إسناده ضعيف جدًا** ولم أقف عليه في المطبوع من « المسند » لأبي يعلى ، ومن طريقه اختاره الضياء في « المختارة » (١١٥/١) ، وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٢٤/٧) والعقيلي في « الضعفاء » (٢١/٢) وعلقه الذهبي في « الميزان » (١٨٩/٢) من طريق علي بن مسهر به مختصرًا . ووهم فيه الضياء : فقال عقبه : « عبد الرحمن بن إسحاق أخرج له مسلم وابن حبان » قلت : وليس كما قال ، فإن الذي هنا هو عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي الكوفي أبو شيبة ضعفه غير واحد من الأئمة ، كما أشار إلى ذلك المصنف . وأما الذي أخرج له مسلم فهو عبد الرحمن بن إسحاق بن عبد الله بن الحارث المدني وهو صدوق . ووثقه غير واحد ، والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (١٧٨/١، ١٨٧) وقال : رواه أبو يعلى وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعفه أحمد وجماعة » ثم إن الحديث مُعل أيضًا بخليفة بن قيس ، فقد ذكره البخاري في « التاريخ الكبير » (١٩٢/٣) وقال : « يعد في الكوفيين ، لم يصح حديثه » وزاد في « الضعفاء الصغير » (ص٨٤) : « وفي حديثه نظر » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥/٤) إلى ابن المنذر ونصر المقدسي في « الحجة » .

[١] - في خ : « تهتوكوا » .

فقلت : رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبك رسولًا . ثم نزل رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم .

وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره مختصرًا : من حديث عبد الرحمن بن إسحاق [به . وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وعبد الرحمن بن إسحاق][١] هو أبو شيبة الواسطي ، وقد ضعفوه وشيخه ، قال البخاري : [لا يصح][٢] حديثه .

قلت : وقد رُوي له شاهد من وجه آخر ؛ فقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي(١٠) : أخبرني الحسن بن سفيان ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي ، حدثني عمرو بن الحارث ، حدثنا[٣] عبد الله بن سالم الأشعري ، عن الزبيدي ، حدثنا سليم بن عامر ، أن جبير بن نفير حدثهم : أن رجلين كانا بحمص في خلافة عمر ، رضي الله عنه ، فأرسل إليهما فيمن أرسل من أهل حمص ، وكانا قد اكتتبا من اليهود تلاصفتين[٤] ، فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين ويقولون : إن رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة ، وإن نهانا عنها رفضناها ، فلما قدما عليه قالا : إنا بأرض أهل الكتابين ، وإنا نسمع منهم كلامًا تقشعر منه جلودنا أفنأخذ منه أو نترك ؟ فقال : لعلكما كتبتما منه شيئًا . فقالا : لا . قال : سأحدثكما : انطلقت في حياة النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حتىٰ أتيت خيبر ، فوجدت يهوديًا يقول قولًا أعجبني ، فقلت : هل أنت مكتبي ما[٥] تقول ؟ قال : نعم . فأتيت بأديم ، فأخذ يملي عليَّ حتىٰ كتبت في الأكرع ، فلما رجعت قلت : يا نبي[٦] الله ... وأخبرته ، قال : « **ائتني به** » . فانطلقت أرغب عن المشي رجاء أن أكون أتيت[٧] رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ببعض ما يحب ، فلما أتيت به قال : « **اجلس اقرأ علي** » . فقرأت ساعة ، ثم نظرت إلىٰ وجهه ؛ فإذا هو

(١٠) - **إسناد ضعيف** ، وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٣٥/٥-١٣٦) من طريق إسحاق بن إبراهيم به ورجاله ثقات غير إسحاق هذا ؛ قال فيه ابن معين : لا بأس به ، وقال أبو حاتم : شيخ ، وقال النسائي : إسحاق ليس بثقة إذا روى عن عمرو بن الحارث وهذه الرواية منها ، وقال أبو داود : ليس هو بشيء ، انظر : « تهذيب الكمال » وهامشه (٢/ت٣٣٠) وقال الحافظ في « التقريب » : صدوق يهم كثيرًا ، وأطلق محمد بن عوف أنه يكذب .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - كذا في : ز ، خ . وفي ت : صلاصفتين . وأغلب الظن أنه تحريف . ولعل الصواب : ملء صفنين ، كما هو في الحلية لأبي نعيم . والصفن : الخريطة تكون للراعي ، فيها طعامه وزناده وما يحتاج إليه .
[٥] - في خ : مما
[٦] - في خ : « رسول » .
[٧] - في ت : « جئت » .

يتلون ، فتحيرت من الفرق[١] فما استطعت أن[٢] أجيز منه حرفًا ، فلما رأىٰ الذي بي دفعه[٣] ، ثم جعل يتبعه رسمًا رسمًا ، فيمحوه بريقه ، وهو يقول : « **لا تتبعوا هؤلاء ؛ فإنهم قد هوكوا[٤] وتهوكوا** » . حتىٰ محا آخره حرفًا حرفًا ، قال عمر رضي الله عنه : فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئًا جعلتكما نكالًا لهذه الأمّة . قالا : والله ما نكتب منه شيئًا أبدًا . فخرجا بصفنيهما[٥] فحفرا لها ، فلم يألوا أن يعمقا ودفناها ، فكان آخر العهد منها .

وكذا روىٰ الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن ثابت الأنصاري ، عن عمر بن الخطاب بنحوه ، وروىٰ أبو داود في المراسيل(١١) : من حديث أبي قلابة ، عن عمر نحوه والله أعلم .

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

يقول تعالىٰ : اذكر لقومك يا محمد في قصصك عليهم من[٦] قصة يوسف ؛ إذ قال لأبيه ، وأبوه هو يعقوب [بن إسحاق بن إبراهيم ، عليهم الصلاة والسلام][٧] ، كما قال الإمام أحمد(١٢) :

ثنا عبد الصمد ، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن ابن عمر : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** » .

انفرد بإخراجه البخاري ، فرواه عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الصمد ، به(١٣) .

(١١) - **إسناده منقطع بين أبي قلابة وعمر** ، والحديث في المراسيل برقم (٤٥٥) ثنا محمد بن عبيد ، ثنا حماد عن أيوب عن أبي قلابة ، به .

(١٢) - **صحيح** ، المسند (٢/٩٦) وأخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت** ﴾ (٣٣٨٢) ، وباب : قول الله تعالى : ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ (٣٣٩٠) من طريقين عن عبد الصمد ، به ، وانظر ما بعده .

(١٣) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ....** ﴾ (٤٦٨٨) .

[١] - الفرق : الخوف .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في خ : « دفعته » .
[٤] - في خ : « هولوا » .
[٥] - في ت : « بصلاصفتيهما » .
[٦] - في خ : « في » .
[٧] - في خ : « عليه السلام » .

وقال البخاري أيضًا(١٤) :

ثنا محمد ، أنا عبدة ، عن عبيد الله ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : سئل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أي الناس أكرم ؟ قال : « **أكرمهم عند الله أتقاهم** » . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : « **فأكرم الناس : يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله** » . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : « **فعن معادن العرب تسألوني ؟** » قالوا : نعم . قال : « **فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا** » . ثم قال : تابعه أبو[١] أسامة عن عبيد الله .

وقال ابن عباس(١٥) : رؤيا الأنبياء وحي .

وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام : أنّ الأحد عشر كوكبًا عبارة عن إخوته ، وكانوا أحد عشر رجلًا سواه[٢] ، والشمس والقمر عبارة عن [أبيه وأمه] . روي هذا عن ابن عباس(١٦) ، والضحاك ، وقتادة ، وسفيان الثوري ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ،

---

(١٤) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ (٤٦٨٩) وأخرجه أيضًا : كتاب الأنبياء ، (٣٣٧٤ ، ٣٣٨٣) ، والنسائي في « التفسير » (١١٢٥٠/٦) ، وأخرجه البخاري كتاب : الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلا** ﴾ (٣٣٥٣) وفي « المناقب » (٣٤٩٠) ومسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل يوسف عليه السلام (١٦٨) (٢٣٧٨) ، والنسائي (١١٢٤٩/٦) وأحمد (٤٣١/٢) من طريق عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه ، به .

(١٥) - **حسن** ، أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٢٨/٧) ، وابن جرير (١٥١/١٢) ، والطبراني في « الكبير » (١٢٣٠٢/١٢) والحاكم (٤٣١/٢) من طريق سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عنه به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وإسناده حسن على شرط مسلم فحسب فإن سماكًا هذا صدوق ، وإنما روى له البخاري تعليقًا ، وقد صححه الحاكم على شرط مسلم في موضع آخر (٣٩٦/٤) . وأخرجه البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : « التخفيف في الوضوء » (١٣٨) ، كتاب الأذان ، باب : « وضوء الصبيان » (١٥٩) بسنده عن عبيد بن عمير من قوله ، وقال الحافظ في « الفتح » (٢٣٩/١) : « قوله : « رؤيا الأنبياء وحي » رواه مسلم مرفوعًا وسيأتي في التوحيد - (٧٥١٧) - من رواية شريك عن أنس » . ولم أقف عليه في مسلم بهذا اللفظ ، ولعل الحافظ أراد معناه ، والله أعلم - فانظر (١٢٥) (٧٣٨) من صحيح مسلم ، وأثر ابن عباس زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه ويأتي من طريق آخر عنه مرفوعًا (سورة الصافات / آية/ رقم ١٠٢) ، وعزاه الحافظ في « المطالب العالية » (٢٨٢٤/٣) إلى أحمد بن منيع وقال محققه : قال البوصيري : « رواته ثقات » .

(١٦) - أخرجه ابن المنذر - كما في « الدر المنثور » (٦/٤) .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة ، وقيل : ثمانين سنة ، وذلك حين رفع أبويه علىٰ العرش وهو سريره ، وإخوته بين يديه ﴿ **وخرّوا له سجدًا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًّا** ﴾ .

وقد جاء في حديث تسمية هذه الأحد عشر كوكبًا ، فقال الإمام أبو جعفر بن جرير(١٧) :

حدثني علي بن سعيد الكندي ، ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي ، عن عبد الرحمن بن سابط ، [عن جابر][١] قال : أتىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، رجل من يهود يقال له : بستانة اليهودي ، فقال له : يامحمد ، أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ما أسماؤها ؟ قال : فسكت النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ساعة فلم يجبه بشيء ، ونزل عليه جبريل – عليه السلام – فأخبره بأسمائها ، قال : فبعث رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إليه فقال : « **هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها** ؟ » فقال : نعم . قال : « **جربان**[٢] ، **والطارق ، والذيّال ، وذو الكنفات**[٣] ، **وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفليق**[٤] ، **والمصبح ، والضروح ، وذو الفرغ ، والضياء ، والنور** » . فقال اليهودي : إي واللَّه إنها لأسماؤها .

ورواه البيهقي في الدلائل من حديث سعيد بن منصور عن الحكم بن ظهير . وقد روى هذا الحديث الحافظان أبو يعلىٰ الموصلي ، وأبو بكر البزار في مسنديهما ، وابن أبي حاتم في

(١٧) – **إسناده ضعيف جدًا** تفسير ابن جرير(١٥١/١٢) وأخرجه سعيد بن منصور – كما في « الدر المنثور » (٦/٤) – ومن طريقه العقيلي في « الضعفاء » (٢٥٩/١) ، والبيهقي في « الدلائل » (٢٧٧/٦) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٤٥/١-١٤٦) وأخرجه أبو يعلى – كما في « المطالب العالية » (٨/ ٤٠١٥) طبعة قرطبة – وعنه ابن حبان في « المجروحين » (٢٥٠/١-٢٥١) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في « التفسير » (١١٣٣٢/٧) ، والبزار (٢٢٢٠/٣ – كشف) (١٤٧٣/٢ – مختصر الزوائد لابن حجر) كلهم من طريق الحكم بن ظهير به ، وقال العقيلي : « لا يصح » ، وقال ابن حبان : « لا أصل له من حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٢/٧) وقال : « رواه البزار وفيه الحكم بن ظهير وهو متروك » قلت : لكن أخرجه الحاكم (٣٩٦/٤) من طريق أسباط بن نصر عن السدي به وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » وسكت عنه الذهبي ، وفي إسناده جهالة ، وللحديث علة أخرى وهي عدم سماع عبد الرحمن بن سابط من جابر كما قال غير واحد ، ولكن أثبت ابن أبي حاتم له السماع من جابر فالله أعلم ، وأعله أيضًا ابن الجوزي بـ « السدي » ظنًّا منه أنه محمد ابن مروان وليس كذلك وإنما هو إسماعيل بن عبدالرحمن وهذا صدوق ، وذاك كذاب والأخير في طبقة نازلة عن الأول (انظر « تهذيب الكمال » (٧/ت١٤٣٠) ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وأبي نعيم في « الدلائل » .

[١] – سقط من ز .
[٢] – في ز ، خ : « حرثان » .
[٣] – في خ : « الكتفان » .
[٤] – في ت : « الفيلق » .

تفسيره ؛ أمّا أبو يعلىٰ فرواه عن أربعة من شيوخه(١٨) عن الحكم بن ظهير به ، وزاد : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لما رآها يوسف قصها علىٰ أبيه يعقوب ، فقال له أبوه : هذا أمر متشتت يجمعه اللّه من بعد** » قال : « **والشمس أبوه ، والقمر أمّه** » .

تفرد به الحكم بن ظهير الفزاري ، وقد ضعفه الأئمة ، وتركه الأكثرون ، وقال الجوزجاني ساقط ، وهو صاحب حديث حُسْنِ يوسف .

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قول[١] يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأىٰ من هذه الرؤيا ، التي تعبيرها خضوع إخوته له ، وتعظيمهم إياه تعظيمًا زائدًا ، بحيث يخرّون له ساجدين إجلالًا واحترامًا وإكرامًا ، فخشي يعقوب - عليه السلام - أن يحدّث بهذا المنام أحدًا من إخوته فيحسدوه[٢] علىٰ ذلك ، فيبغوا[٣] له الغوائل حسدًا منهم له ؛ ولهذا قال له : ﴿ **لا تقصص رؤياك علىٰ إخوتك فيكيدوا لك كيدًا** ﴾ أي : يحتالوا لك حيلة يردونك فيها ؛ ولهذا ثبتت السنة عن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، أنه قال(١٩) : « **إذا رأىٰ أحدكم ما يحب فليحدّث به ، وإذا رأىٰ ما يكره فليتحوّل إلىٰ جنبه الآخر ، وليتفل عن يساره ثلاثًا ، وليستعذ باللّه من شرها ، ولا يحدّث بها أحدًا ، فإنها لن تضره** » . وفي الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد ، وبعض أهل السنن(٢٠) : من رواية

(١٨) - وهم : زكريا بن يحيى ، وأحمد بن إبراهيم الموصلي ، ومحمد بن حاتم المؤدب ، والمعلى بن مهدي - كما في « المطالب العالية » ، (٤٠١٥/٨ - طبعة قرطبة) .

(١٩) - وهذه الرواية ملفقة من ثلاثة أحاديث ، الأول : حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٦٩٨٥) ، والترمذي (٣٤٤٩) ، والنسائي في « الكبرى » (٧٦٥٢/٤) ، وأحمد (١١٠٦٨) (٨/٣) ، والثاني : حديث جابر بن عبد الله عند مسلم (٥) (٢٢٦٢) ، وأبي داود (٥٠٢٢) ، والنسائي (٧٦٥٣/٣) ، (٦/ ١٠٧٤٨) وابن ماجة (٣٩٠٨) وأحمد (١٤٨٢٣) (٣٥٠/٣) ، والثالث : حديث أبي قتادة عند البخاري (٣٢٩٢) ومسلم (٢٢٦١) ، وأبي داود (٥٠٢١) ، والترمذي (٢٢٧٨) ، والنسائي (١٠٧٣٢/٦- ١٠٧٣٧) ، وابن ماجة (٣٩٠٩) ، وأحمد (٢٢٦٢٧) (٢٩٦/٥) .

(٢٠) - كذا جعله « المصنف » من مسند معاوية بن حيدة ، وأخرجه أحمد (١٠/٤، ١٢، ١٣) ، وعنه - أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : « ما جاء في الرؤيا » (٥٠٢٠) - والترمذي ، كتاب : الرؤيا ، باب : « ما جاء في تعبير الرؤيا » (٢٢٧٩، ٢٢٨٠) وابن ماجه ، كتاب : تعبير الرؤيا ، باب : « الرؤيا إذا =

[١] - في خ : « قيل » .

[٢] - في ز ، خ : « فيحسدونه » .

[٣] - في ز ، خ : « فيبغون » .

معاوية بن حَيْدَةَ القشيري أنه قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **الرؤيا علىٰ رجل طائر ما لم تعبر ، فإذا عُبرت وقعت** » . ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتىٰ توجد وتظهر ، كما ورد في حديث(٢١) : « **استعينوا علىٰ قضاء الحوائج بكتمانها ، فإن كل ذي نعمة محسود** » .

وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قول يعقوب لولده يوسف : إنه كما اختارك ربك ، وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك ﴿ **كذلك يجتبيك ربك** ﴾ أي : يختارك ويصطفيك لنبوّته ﴿ **ويعلمك من تأويل الأحاديث** ﴾ قال مجاهد وغير واحد : يعني تعبير الرؤيا .

﴿ **ويتم نعمته عليك** ﴾ أي : بإرسالك والإيحاء إليك . ولهذا قال : ﴿ **كما أتمها علىٰ أبويك من قبل إبراهيم** ﴾ وهو الخليل ﴿ **وإسحاق** ﴾ ولده ، وهو الذبيح في قول ، وليس

= عبرت وقعت ... » (٣٩١٤) والدارمي (٢١٥٤) وغيرهم من حديث أبي رزين العقيلي – وكذا أورده « المصنف » في كتابه « جامع المسانيد » (٣ / ورقة ٧٣) ولم يذكر هذا الحديث في مسند معاوية بن حيدة انظر (٣ / ورقة ١٧٠) – وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

وصححه ابن حبان (٦٠٥٠،٦٠٤٩/١٣) ، والحاكم (٣٩٠/٤) ووافقه الذهبي ، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٤٣٢/١٢) إذ إن في إسناده وكيع بن حدس – ويقال : عدس – لم يوثقه غير ابن حبان (٤٩٦/٥) وقال عنه في مشاهير علماء الأمصار » (٩٧٣) : « من الأثبات » وصحح له أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره الحديث المتقدم في (سورة هود/رقم٢١) وجهله ابن القطان ، وقال الذهبي : لا يعرف ، وفي « التقريب » : مقبول ، والحديث سيذكره المصنف هنا برقم (٧٢) منسوبًا إلى معاوية بن حيدة أيضًا فالله أعلم .

(٢١) – رُوى هذا الحديث من طرق عن سعيد بن سلام العطار ، عن ثور بن يزيد الشامي ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ بن جبل به مرفوعًا ، ولا يصح شيء منها ، رواه العقيلي في الضعفاء (١٠٩/٢) ، وابن عدي في الكامل (١٠٤/٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٩٦/٦) ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٦٥) ، وقال أبو حاتم في العلل (٢٥٥/٢) بعد إيراده من حديث خالد بن معدان ، عن النبي بمعناه : حديث منكر ، وقال : هذا الحديث لا يعرف له أصل » . ورُوي أيضًا من حديث علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وأبي بردة مرسلًا ، وأسانيدها ضعيفة جدًا ، لكنه ورد من حديث أبي هريرة بإسناد جوّده الألباني في « الصحيحة » (١٤٥٣/٣) ، فانظر تخريج الحديث ثمة .

بالرجيح ﴿ إنّ ربك عليم حكيم ﴾ أي : هو أعلم حيث يجعل رسالته كما قال في الآية الأخرى .

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠ ﴾

يقول تعالىٰ : لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات ، أي : عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك المستخبرين عنه ، فإنه خبر عجيب يستحق أن يستخبر عنه ﴿ **إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلىٰ أبينا منا** ﴾ أي : حلفوا فيما يظنون : والله ، ليوسف وأخوه - يعنون بنيامين ، وكان شقيقه لأمه - ﴿ **أحب إلىٰ أبينا منا ونحن عصبة** ﴾ أي : جماعة فكيف أَحَبَّ ذينك الاثنين أكثر من الجماعة ﴿ **إنّ أبانا لفي ضلال مبين** ﴾ يعنون في تقديمهما علينا ، ومحبته إياهما أكثر منا .

واعلم أنه لم يقم دليل علىٰ نبوة إخوة يوسف ، وظاهر هذا السياق يدل علىٰ خلاف ذلك ، ومن الناس من يزعم أنهم[١] أوحي إليهم بعد ذلك ، وفي هذا نظر ، ويحتاج مدعي ذلك إلىٰ دليل ، ولم يذكروا سوىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلىٰ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط** ﴾ وهذا فيه احتمال ؛ لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم : الأسباط ، كما يقال للعرب قبائل ، وللعجم شعوب ، يذكر تعالىٰ أنه أوحىٰ إلىٰ الأنبياء من أسباط بني إسرائيل ، فذكرهم إجمالاً ؛ لأنهم كثيرون ، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف ، ولم يقم دليل علىٰ أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم ، والله أعلم .

﴿ **اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم** ﴾ يقولون : هذا الذي يزاحمكم في محبة أبيكم لكم اعدموه من وجه أبيكم ؛ ليخلو لكم وحدكم ، إما بأن تقتلوه ، أو تلقوه في أرض من الأراضي تستريحوا منه ، وتختلوا[٢] أنتم بأبيكم وتكونوا من بعد إعدامه قومًا صالحين ، فأضمروا التوبة قبل الذنب ﴿ **قال قائل منهم** ﴾ قال قتادة ،

[١] - في ت : « أنه » . [٢] - في خ : «تخلوا» .

ومحمد بن إسحاق : وكان أكبرهم واسمه روبيل .

وقال السدي : الذي قال ذلك يهوذا . وقال مجاهد : هو شمعون .

﴿ **لا تقتلوا يوسف** ﴾ أي : لا تصلوا في عداوته وبغضه إلىٰ قتله ، ولم يكن لهم سبيل إلىٰ قتله ؛ لأن اللّٰه تعالىٰ كان يريد منه أمرًا لابد من إمضائه وإتمامه : من الإيحاء إليه بالنبوة ، ومن التمكين[١] له ببلاد مصر والحكم بها ، **فصرفهم** اللّٰه عنه بمقالة روبيل فيه ، وإشارته عليهم بأن يلقوه في غيابة الجب وهو أسفله . **قال قتادة** : وهي بئر بيت المقدس .

﴿ **يلتقطه بعض السيارة** ﴾ أي : المارة من المسافرين ، فتستريحوا منه بهذا ، ولا حاجة إلىٰ قتله .

﴿ **إن كنتم فاعلين** ﴾ أي : إن كنتم عازمين علىٰ ما تقولون .

قال محمد بن إسحاق بن يسار : لقد اجتمعوا علىٰ أمر عظيم من قطيعة الرحم ، وعقوق الوالد ، وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذي لا ذنب له ، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل ، وخطره عند اللّٰه ، مع حق الوالد علىٰ ولده ؛ ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه ، علىٰ كبر سنه ، ورقة[٢] عظمه ، مع مكانه من اللّٰه فيمن أحبه طفلًا صغيرًا ، وبين ابنه[٣] علىٰ ضعف قوته وصغر سنه ، وحاجته إلىٰ لطف والده وسكونه إليه ، يغفر اللّٰه لهم وهو أرحم الراحمين ، فقد احتملوا أمرًا عظيمًا .

رواه ابن أبي حاتم(٢٢) من طريق سلمة بن الفضل عنه .

قَالُوا يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾

لما تواطئوا علىٰ أخذه وطرحه في البئر كما أشار به عليهم أخوهم روبيل ، جاءوا أباهم يعقوب ، عليه السلام ، فقالوا : ﴿ **يا أبانا ما لك لا تأمنا علىٰ يوسف وإنا له لناصحون** ﴾ وهذه توطئة وسلف ودعوىٰ وهم يريدون خلاف ذلك ؛ لما له في قلوبهم من الحسد لحب أبيه له ﴿ **أرسله معنا** ﴾ أي : ابعثه معنا ﴿ **غدًا نرتع ونلعب** ﴾[٤] وقرأ بعضهم بالياء

(٢٢) - في « التفسير » (١١٣٦٠/٧) ثنا محمد بن العباس ، ثنا عبد الرحمن بن سلمة ثنا سلمة بن الفضل به ، وسلمة بن الفضل صدوق كثير الخطأ - كما في « التقريب » .

[١] - في ر : التمكن

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ر ، خ « أبيه »

[٤] - هذه قراءة أبي عمرو وابن عامر

﴿ **يرتع ويلعب** ﴾[١] .

قال ابن عباس(٢٣) : يسعىٰ وينشط . وكذا قال قتادة ، والضحاك[٢] ، والسدي ، وغيرهم .

﴿ **وإنا له لحافظون** ﴾ يقولون : ونحن نحفظه ، ونحوطه من أجلك .

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نبيه يعقوب أنه قال لبنيه في جواب ما سألوا من إرسال يوسف معهم إلىٰ الرعي في الصحراء : ﴿ **إني ليحزنني أن تذهبوا به** ﴾ أي : يشق عليَّ مفارقته مدة ذهابكم به إلىٰ أن يرجع ، وذلك لفرط محبته له ، لما يتوسم فيه من الخير العظيم ، وشمائل النبوة ، والكمال في الخَلق والخُلق ، صلوات اللَّه وسلامه عليه .

وقوله : ﴿ **وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون** ﴾ يقول : وأخشىٰ أن تشتغلوا عنه برميكم ورعيتكم ، فيأتيه ذئب ، فيأكله وأنتم لا تشعرون ، فأخذوا من فمه هذه الكلمة وجعلوها عذرهم فيما فعلوه ، وقالوا مجيبين له[٣] عنها في الساعة الراهنة ﴿ **لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذًا لخاسرون** ﴾ يقولون : لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا ونحن جماعة ، إنا إذًا لهالكون عاجزون .

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالىٰ : فلما ذهبت به إخوته من عند أبيه بعد مراجعتهم له في ذلك ﴿ **وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب** ﴾ هذا فيه تعظيم لما فعلوه ، أنهم اتفقوا كلهم علىٰ إلقائه في

---

(٢٣) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٥٨/١٢) من طريق عطية العوفي عنه به ، وعطية ضعيف ، وله إسناد آخر عنده لكنه منقطع ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٣/٤) إلىٰ ابن أبي حاتم .

---

[١] - وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .

أسفل ذلك الجب ، وقد أخذوه من عند أبيه فيما يظهرونه له ، إكرامًا له ، وبسطًا ، وشرحًا لصدره ، وإدخالًا للسرور عليه ، فيقال : إن يعقوب[١] - عليه السلام - لما بعثه معهم ضمه إليه وقبله ودعا له .

[وذكر السدي و][٢] غيره : أنه[٣] لم يكن بين إكرامهم له ، وبين إظهار الأذىٰ له إلا أن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه ، ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه ، والفعل من ضرب ونحوه ، ثم جاءوا به إلىٰ ذلك الجب الذي اتفقوا علىٰ رميه فيه ، فربطوه بحبل ودلوه فيه ، فجعل[٤] إذا لجأ إلىٰ واحد منهم لطمه وشتمه ، وإذا تشبث بحافات البئر ضربوا علىٰ يديه ، ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة ، [فسقط في الماء][٥] فغمره ، فصعد إلىٰ صخرة تكون في وسطه يقال لها : الراغوفة فقام فوقها .

وقوله : ﴿ **وأوحينا إليه لتنبئنّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون** ﴾ يقول تعالىٰ ذاكرًا لطفه ورحمته وعائدته ، وإنزاله اليسر في حال العسر : إنه أوحىٰ إلىٰ يوسف في ذلك الحال الضيق ؛ تطييبًا لقلبه وتثبيتًا له : إنك لا تحزن مما أنت فيه ، فإن لك من ذلك فرجًا ومخرجًا حسنًا ، وسينصرك اللّٰه عليهم ويعليك ويرفع درجتك ، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع .

وقوله ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ قال [مجاهد و][٦] قتادة : ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ بإيحاء اللّٰه إليه .

وقال ابن عباس : ستنبئنهم[٧] بصنيعهم هذا في حقك ، وهم لا يعرفونك ، ولا يستشعرون بك .

كما قال ابن جرير(٢٤) : حدثني الحارث ، ثنا عبد العزيز ، ثنا صدقة بن عبادة الأسدي ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما دخل إخوة يوسف [علىٰ يوسف][٨] فعرفهم وهم له منكرون ، قال : جيء بالصواع فوضعه علىٰ يده ، ثم نقره فطن ، فقال : إنه

(٢٤) - التفسير (١٦٢/١٢) ، وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٢٩/٧) من طريق يونس بن محمد ، ثنا صدقة به ، وصدقة وأبوه ذكرهما البخاري في « التاريخ الكبير » (٢٩٧/٤) (٩٦/٦) وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٤٣٣/٤) (٩٦/٦) ، ولم يذكرا فيهما جرحًا ولا تعديلًا .

[١] - في ز ، خ : يوسف .
[٢] - في ز ، وخ : قال .
[٣] - في خ : « إنه » .
[٤] - في خ : فكان .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في خ : ستنبئهم .
[٨] - في ت : عليه .

ليخبرني هذا الجام[١] أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له : يوسف ، يدنيه دونكم ، وأنكم انطلقتم به فألقيتموه في غيابة الجب . قال : ثم نقره فطن ، قال : فأتيتم أباكم ، فقلتم : إن الذئب أكله ، وجئتم علىٰ قميصه بدم كذب . قال : فقال بعضهم لبعض إن هذا الجام ليخبره بخبركم .

قال ابن عباس [رضي الله عنهما] فلا[٢] نرىٰ هذه الآية نزلت إلا فيهم ﴿ **لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون** ﴾ .

وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الذي اعتمده إخوة يوسف بعد ما ألقوه في غيابة الجب : أنهم[٣] رجعوا إلىٰ أبيهم في ظلمة الليل يبكون ، ويظهرون الأسف والجزع علىٰ يوسف ، ويتغممون لأبيهم ، وقالوا معتذرين عما وقع فيما زعموا : ﴿ **إنا ذهبنا نستبق** ﴾ أي : نترامىٰ ﴿ **وتركنا يوسف عند متاعنا** ﴾ أي : ثيابنا وأمتعتنا ﴿ **فأكله الذئب** ﴾ وهو الذي كان قد جزع منه وحذر عليه .

وقولهم : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين** ﴾ تلطف عظيم في تقرير ما يحاولونه ، يقولون : ونحن نعلم أنك لا تصدقنا والحالة هذه لو كنا عندك صادقين ، فكيف وأنت تتهمنا في ذلك ؛ لأنك خشيت أن يأكله الذئب فأكله الذئب ، فأنت معذور في تكذيبك لنا ؛ لغرابة ما وقع ، وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا .

﴿ **وجاءوا علىٰ قميصه بدم كذب** ﴾ أي : مكذوب مفترىٰ ، وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالئوا عليه من المكيدة ، وهو أنهم عمدوا إلىٰ سَخْلَة[٤] فيما ذكره مجاهد ، والسدي وغير واحد - فذبحوها ، ولطخوا ثوب يوسف بدمها ، موهمين أن هذا قميصه

---

[١] - الجام : إناء للشراب أو الطعام يصنع من الفضة ونحوها .

[٢] - في خ : « لا » .

[٣] - في ز ، خ : « ثم » .

[٤] - السخلة : الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد .

الذي أكله فيه الذئب ، وقد أصابه من دمه ، ولكنهم نسوا أن يخرقوه ؛ فلهذا لم يرج هذا الصنيع علىٰ نبي اللّٰه يعقوب ، بل قال لهم معرضًا عن كلامهم إلىٰ ما وقع في نفسه من تمالئهم عليه ﴿ **بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل** ﴾ أي : فسأصبر صبرًا جميلًا علىٰ هذا الأمر الذي اتفقتم عليه ، حتىٰ يفرجه اللّٰه بعونه ولطفه ﴿ **واللّٰه المستعان علىٰ ما تصفون** ﴾ أي : علىٰ ما تذكرون من الكذب والمحال .

وقال الثوري(٢٥) ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **وجاءوا علىٰ قميصه بدم كذب** ﴾ قال[١] : لو أكله السبع لخرق القميص . وكذا قال الشعبي ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد .

وقال مجاهد : الصبر الجميل الذي لا جزع فيه .

وروىٰ هشيم(٢٦) ، عن عبد الرحمن بن يحيىٰ(٢٧) ، عن حبان بن أبي جبلة قال : سُئل رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عن قوله : ﴿ **فصبر جميل** ﴾ فقال : « **صبر لا شكوىٰ فيه** » . وهذا مرسل .

وقال عبد الرزاق(٢٨) : قال الثوري عن بعض أصحابه : أنه قال : ثلاث من الصبر ؛ أن لا تحدّث بوجعك ، ولا بمصيبتك ، ولا تزكي نفسك .

وذكر البخاري(٢٩) هاهنا حديث عائشة ، رضي الله عنها ، في الإفك ، حتىٰ ذكر قولها : واللّٰه ، لا أجد لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسف ﴿ **فصبر جميل واللّٰه المستعان علىٰ ما تصفون** ﴾ .

---

(٢٥) - **إسناده حسن** أخرجه ابن جرير (١٢/١٦٤) ، وابن أبي حاتم (٧/١١٣٩٠) ، والفريابي ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ - كما في « الدر المنثور » (٤/١٦) .

(٢٦) - **مرسل** أخرجه ابن جرير (١٢/١٦٦) ، وابن أبي حاتم (٧/١١٣٩٧) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٧) إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب الصبر » وابن المنذر .

(٢٧) - كذا قال هشيم ، وصوابه يحيى بن عبد الرحمن أبو شيبة المصري ، قال البخاري وغيره : كان هشيم يغلط يقول : عبد الرحمن بن يحيى . (انظر تهذيب الكمال » (٣١/ت٦٨٧١) .

(٢٨) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣١٩) ، ومن طريقه ابن جرير (١٢/١٦٦) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٧) إلى ابن المنذر .

(٢٩) - كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **قال بل سَوَّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل** ﴾ (٤٦٩٠،٤٦٩١) . وانظر (سورة النور آية الإفك) .

---

[١] - في ز ، خ : « فقال » .

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما جرىٰ ليوسف - عليه السلام - حين ألقاه إخوته ، وتركوه في ذلك الجب فريدًا وحيدًا ، فمكث في البئر ثلاثة أيام ؛ فيما قاله أبو بكر بن عياش(٣٠) .

وقال محمد بن إسحاق(٣١) : لما ألقاه إخوته جلسوا حول البئر يومهم ذلك ، ينظرون ماذا[١] يصنع وما يصنع به ، فساق الله له سيارة فنزلوا قريبًا من تلك البئر ، وأرسلوا واردهم ، وهو الذي يتطلب لهم الماء ، فلما جاء ذلك البئر وأدلىٰ دلوه فيها ، تشبث يوسف ، عليه السلام ، فيها ، فأخرجه واستبشر به وقال : ﴿ يا بُشْرَاي[٢] هذا غلام ﴾ .

وقرأ بعض القراء : ﴿ يا بشرىٰ[٣] ﴾ ، فزعم السدي : أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذي أدلىٰ دلوه ، مُعْلِمًا له أنه أصاب غلامًا ، وهذا القول من السدي غريب ؛ لأنه لم يُسبق إلىٰ تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس(٣٢) ، والله أعلم . وإنما معنىٰ القراءة علىٰ هذا النحو يرجع إلىٰ القراءة الأخرىٰ ، ويكون قد أضاف البشرىٰ إلىٰ نفسه ، وحذف ياء الإضافة وهو يريدها[٤] ، كما تقول العرب : يا نفس اصبري ، ويا غلام أقبل ، بحذف[٥] حرف الإضافة ، ويجوز الكسر حينئذ والرفع ، وهذا منه ، وتفسرها القراءة الأخرىٰ (يا بشراي) والله أعلم .

وقوله ﴿ وأسروه بضاعة ﴾ أي : وأسره الواردون من بقية السيارة ، وقالوا : اشتريناه وتبضعناه من أصحاب الماء ، مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبره ، قاله مجاهد ، والسدي ، وابن جرير ؛ هذا قول .

---

(٣٠) - أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٦٥/٧) وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (١٥/٤) .
(٣١) - أخرجه ابن أبي حاتم (١١٤٠٣/٧) .
(٣٢) - أخرجه ابن جرير عنه (١٦٩/١٢) بإسناد ضعيف .

---

[١] - في خ : « ما » .
[٢] - كذا قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر .
[٣] - وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي .
[٤] - في خ : « يؤيدها » . [٥] - في خ : « لحذف » .

وقال العوفي عن ابن عباس(٣٣) قوله : ﴿ وأسروه بضاعة ﴾ يعني إخوة يوسف أسروا شأنه ، وكتموا أن يكون أخاهم ، وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته ، واختار البيع ، فذكره إخوته لوارد القوم ، فنادىٰ أصحابه ﴿ يا بشرى هذا غلام ﴾ يباع ، فباعه إخوته .

وقوله : ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾ أي : عليم[١] بما يفعله إخوة يوسف ومشتروه ، وهو قادر علىٰ تغيير ذلك ودفعه ، ولكن له حكمة وقدر سابق ، فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاه ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ .

وفي هذا تعريض لرسوله محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وإعلام له بأني عالم بأذىٰ قومك لك ، وأنا قادر علىٰ الإنكار عليهم ، ولكني سأملي لهم ، ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم ، كما جعلت ليوسف الحكم ، والعاقبة علىٰ إخوته .

وقوله ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ﴾ يقول تعالى : وباعه إخوته بثمن قليل ؛ قاله مجاهد ، وعكرمة .

والبخس : هو النقص ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ فلا يخاف بخسًا ولا رهقًا ﴾ أي : اعتاض عنه إخوته بثمن دُونٍ قليل ، وكانوا مع ذلك فيه من الزاهدين ، أي : ليس لهم رغبة فيه بل لو سألوه بلا شيء لأجابوا[٢] .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك : إن الضمير في قوله ﴿ وشروه ﴾ عائد علىٰ إخوة يوسف . وقال قتادة : بل هو عائد علىٰ السيارة .

[والأول أقوىٰ ؛ لأن قوله ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ إنما أراد إخوته لا أولئك السيارة ، لأن السيارة][٣] استبشروا به وأسروه بضاعة ، ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه ، فترجح من هذا أن الضمير في ﴿ شروه ﴾ إنما هو لإخوته .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ بخس ﴾ الحرام ، وقيل : الظلم ، وهذا وإن كان كذلك ، لكن ليس هو المراد هنا ؛ لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد : أن ثمنه حرام علىٰ كل حال وعلىٰ كل أحد ؛ لأنه نبي ابن نبي ابن نبي ابن خليل الرحمن ، فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، وإنما المراد هنا بالبخس الناقص ، أو الزيوف ، أو كلاهما ، أي : إنهم إخوته وقد

---

(٣٣) - انظر السابق .

---

[١] - في خ : « يعلم » .

[٢] - في خ : « جابوا » .

[٣] - سقط من : خ .

باعوه ومع هذا بأنقص الأثمان ؛ ولهذا قال : ﴿ **دراهم معدودة** ﴾ فعن ابن مسعود رضي الله عنه(٣٤) : باعوه بعشرين درهمًا .

وكذا قال ابن عباس(٣٥) ، ونوف البكالي ، والسدي ، وقتادة ، وعطية العوفي ، وزاد : اقتسموها درهمين درهمين . وقال مجاهد : اثنان وعشرون درهما . وقال محمد بن إسحاق وعكرمة : أربعون درهما .

وقال الضحاك في قوله : ﴿ **وكانوا فيه من الزاهدين** ﴾ وذلك أنهم لم يعلموا نبوته ومنزلته عند الله عز وجل .

وقال مجاهد : لما باعوه جعلوا يتبعونهم ، ويقولون لهم : استوثقوا منه لا يأبق ، حتىٰ وقفوه بمصر فقال : من يبتاعني وليبشر ؟ فاشتراه الملك وكان مسلمًا .

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالىٰ بألطافه بيوسف عليه السلام : أنه[١] قيض له الذي اشتراه من مصر ، حتىٰ اعتنىٰ به وأكرمه ، وأوصىٰ أهله به ، وتوسم فيه الخير والفلاح[٢] ، فقال لامرأته : ﴿ **أكرمي مثواه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا** ﴾ وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير ، بها . [قال][٣]العوفي ، عن ابن عباس(٣٦) : وكان اسمه قطفير .

(٣٤) - **إسناده منقطع** أخرجه ابن جرير (١٧٢/١٢) من طريق أبي عبيدة عنه به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٢/٧) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه » ومع هذا فقد صححه الحاكم (٥٧٢/٢) ووافقه الذهبي ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٨/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٣٥) - أخرجه ابن جرير (١٧٣/١٢) وابن أبي حاتم (١١٤٢٤/٧) من طريقين عنه به ، والأول إسناده منقطع ، والثاني في إسناده مسلم بن كيسان الملائي وهو ضعيف ، وزاد نسبته السيوطي (١٩/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣٦) - **إسناده ضعيف لضعف العوفي** ، أخرجه ابن جرير (١٧٤/١٢-١٧٥) وابن أبي حاتم (٧/ ١١٤٣٣) .

[١] - في خ : « أن » .

[٢] - في خ : « الصلاح » .

[٣] - ما بين المعكوفين بياض في ز .

وقال محمد بن إسحاق : اسمه أطفير[١] بن روحيب وهو العزيز ، وكان علىٰ خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق . قال : واسم امرأته راعيل بنت رعائيل[٢] .

وقال غيره : اسمها زَلِيخا .

وقال محمد بن إسحاق أيضًا(٣٧) ، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : كان الذي باعه بمصر مالك بن ذعر بن بُوَيْب[٣] بن عفقان بن مديان بن إبراهيم . فاللَّه أعلم .

وقال أبو إسحاق : عن أبي عبيدة ، عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال(٣٨) : أفرس الناس ثلاثة ؛ عزيز مصر حين قال لامرأته : ﴿ أكرمي مثواه ﴾ ، والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى : ﴿ يا أبت استأجره ﴾ الآية ، وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنهما .

يقول تعالىٰ : وكما أنقذنا يوسف من إخوته ﴿ كذلك مكنا ليوسف في الأرض ﴾ يعني : بلاد مصر ﴿ ولنعلمه من تأويل الأحاديث ﴾ قال مجاهد والسدي : هو تعبير الرؤيا ﴿ واللَّه غالب علىٰ أمره ﴾ أي : إذا أراد شيئًا فلا يرد ، ولا يمانع ، ولا يخالف ، بل هو الغالب[٤] لما سواه .

قال سعيد بن جبير في قوله : ﴿ واللَّه غالب علىٰ أمره ﴾ أي : فعال لما يشاء .

---

(٣٧) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٧٥) .

(٣٨) - **صحيح بطرقه** ، أخرجه ابن جرير (١٢/١٧٦) وابن أبي حاتم (٧/١١٤٣٨) واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٧/٢٥٢٥) وصححه الحاكم (٣/٩٠) ووافقه الذهبي ، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه ، لكن أخرجه الطبراني في « الكبير » (٩/٨٨٢٩) من طريق محمد بن كثير ، ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، به ، وتابع محمدَ بنَ كثير ، وكيعٌ عن سفيان ، به ، أخرجه ابن جرير (١٢/١٧٥) وصححه الحاكم (٢/٣٤٥-٣٤٦) من هذا الطريق على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وأخرجه سعيد بن منصور ، ومن طريقه الطبراني (٨٨٣٠) ثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق ثنا ناس من أصحاب عبد الله فذكره ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٧١) وقال : « رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح إن كان محمد بن كثير هو العبدي ، وإن كان هو الثقفي فقد وثق على ضعف كثير فيه » - وعلى كل فهو متابع كما تقدم - والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٩) إلى ابن سعد وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

---

[١] - في ز : أظفير .

[٢] - في ز : رعاييل .

[٣] - في خ : « قريب » .

[٤] - في خ : « غالب » .

وقوله : ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يقول : لا يدرون حكمته في خلقه ، وتلطفه [وفعله][١] لما يريده[٢] .

وقوله : ﴿ ولما بلغ ﴾ أي : يوسف - عليه السلام - ﴿ أشده ﴾ أي : استكمل عقله[٣] ، وتم خلقه ﴿ آتيناه حكمًا وعلمًا ﴾ يعني : النبوة ، أنه حباه بها بين أولئك الأقوام ﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾ أي : إنه كان محسنًا في عمله عاملًا بطاعة الله [٤] تعالىٰ ، وقد اختلف في مقدار المدة التي بلغ فيها أشده ؛ فقال ابن عباس(٣٩) ومجاهد وقتادة : ثلاث وثلاثون سنة[٥] ، وعن ابن عباس(٤٠) : بضع وثلاثون ، وقال الضحاك : عشرون ، وقال الحسن : أربعون سنة ، وقال عكرمة : خمس وعشرون سنة ، وقال السدي : ثلاثون سنة ، وقال سعيد بن جبير : [ثماني عشرة][٦] سنة ، وقال الإمام مالك وربيعة بن زيد بن أسلم والشعبي : الأَشُدّ : الحلم ، وقيل غير ذلك والله أعلم .

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

يخبر تعالىٰ عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر ، وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه ، فراودته[٧] عن نفسه ، أي : حاولته علىٰ نفسه ودعته إليها ، وذلك أنها أحبته حبًّا شديدًا ؛ لجماله وحسنه وبهائه ، فحملها ذلك علىٰ أن تجملت له ، وغلقت عليه الأبواب ، ودعته إلىٰ نفسها ﴿ وقالت هيت لك ﴾ فامتنع من ذلك أشد الامتناع و﴿ قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي ﴾ وكانوا يطلقون الرب علىٰ السيد والكبير ، أي : إن بعلك ربي

(٣٩) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن أبي حاتم (١١٤٤٣/٧) من طريق عبد الله بن إدريس - وهو ثقة فقيه عابد كما في « التقريب - عن عبد الله بن عثمان - وهو صدوق - عن مجاهد عنه ، به ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦٨٢٩/٧) من طريق صدقة بن يزيد عن عبد الله بن عثمان عن سعيد بن جبير عنه به ، وصدقة بن يزيد ، قال أحمد : حديثه ضعيف « الجرح والتعديل » (٤/ت١٨٩٣) ، وزاد نسبته السيوطي (٢٠/٤) إلى سعيد بن منصور وابن جرير - انظر ما بعده - وابن الأنباري في « كتاب الأضداد » ، وابن مردويه .

(٤٠) - **في سنده انقطاع** ، وأخرجه ابن جرير (١٧٧/١٢) ، وانظر ما قبله .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ت : « يريد » .
[٣] - في ز: خلقه .
[٤] - في خ : « ربه » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ت : « ثمانية عشر » .
[٧] - سقط من : خ .

أحسن مثواي ، أي : منزلي ، وأحسن إلي ؛ فلا أقابله بالفاحشة في أهله ﴿ **إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ قال ذلك مجاهد ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم .

وقد اختلف القراء في قراءة ﴿ **هيت لك** ﴾ فقرأه كثيرون : بفتح الهاء ، وإسكان الياء ، وفتح التاء[١] ، وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : معناه أنها تدعوه إلىٰ نفسها .

وقال علي بن أبي طلحة ، والعوفي ، عن ابن عباس ﴿ **هيت لك** ﴾ تقول : هلم لك .

وكذا قال زر بن حبيش ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة . قال عمرو بن [عبيد][٢] ، عن الحسن : وهي كلمة بالسريانية أي : عليك . وقال السدي ﴿ **هيت لك** ﴾ أي : هلم لك ، وهي بالقبطية . وقال مجاهد : هي لغة غريبة تدعوه بها . وقال البخاري(٤١) : وقال عكرمة : ﴿ **هيت لك** ﴾ أي : هلم لك بالحورانية .

هكذا ذكره معلقًا ، وقد أسنده الإمام أبو جعفر بن جرير(٤٢) : حدثني أحمد بن سهيل[٣] الواسطي ، حدثنا قرة بن عيسى ، حدثنا النضر بن عربي الجزري ، عن عكرمة مولىٰ ابن عباس في قوله ﴿ **هيت لك** ﴾ قال : هلم لك ؛ قال : هي بالحورانية .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : وكان الكسائي يحكي[٤] هذه القراءة ، يعني ﴿ **هيت لك** ﴾ ويقول : هي لغة لأهل حوران وقعت إلىٰ أهل الحجاز ، ومعناها : تعال . وقال أبو عبيد[٥] : سألت شيخًا عالمًا من أهل حوران فذكر أنها لغتهم يعرفها .

---

(٤١) - كتاب : « التفسير » ، باب : « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك » وانظر ما بعده .

(٤٢) - **حسن** ، والحديث في التفسير (١٢/١٧٩) وتصحف هناك - « النضر بن عربي » إلى « النضر بن علي » ، وصوبه العلامة محمود شاكر في طبعته (١٦/١٨٩٧٢) وأفاد بأنه لم يجد في الرواة من يسمى بـ « قرة بن عيسى » ولكن الذي يروي عن « النضر بن عربي » هو : « بشر بن عبيس بن مرحوم العطار » وهو مترجم في « التهذيب » . وشيخ ابن جرير ذكره ابن حبان في « الثقات » (٥١/٨) ، وقال أبو أحمد الحاكم : « في حديثه بعض المناكير » « انظر لسان الميزان » (١/ت٥٩٤) وقد أخرجه عبد بن حميد - كما في « تغليق التعليق » لابن حجر (٢٢٩/٤) - ثنا جعفر بن عون عن النضر بن عربي به وهذا إسناد حسن ، النضر بن عربي وثقه يحيى بن معين وأبو زرعة وابن نمير ، وجعفر بن عون ، صدوق - كما في « التقريب » .

---

[١] - وهي قراءة عاصم ، وأبي عمرو ، وحمزة ، والكسائي .

[٢] - في ز ، خ : « عتبة » .

[٣] - في ز ، خ : « سهل » .

[٤] - في ز : يحب .

[٥] - في خ : « عبيدة » .

واستشهد الإمام ابن جرير علىٰ هذه القراءة بقول[١] الشاعر لعلي بن أبي طالب – رضي اللَّه عنه – :

أبلغ أمير المؤمنيـ ـن أخا[٢] العراق إذا أتيتا
أنَّ العراق وأهله عُنُقٌ[٣] إليك فهيت هيتا

يقول : فتعال واقترب .

وقرأ ذلك آخرون : (هِئْتُ لك)[٤] بكسر الهاء ، والهمزة ، وضم التاء ، بمعنىٰ : تهيأت لك ، من قول القائل : هئت للأمر أهيء هيئةً ، وممن روي عنه هذه القراءة ؛ ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو وائل ، وعكرمة ، وقتادة ، وكلهم يفسرها بمعنىٰ : تهيأت لك .

قال ابن جرير : وكان أبو عمرو ، والكسائي ينكران هذه القراءة .

وقرأ عبد اللَّه بن إسحاق : (هَيتِ) بفتح الهاء وكسر التاء ، وهي غريبة .

وقرأ آخرون منهم عامة أهل المدينة : (هَيتُ) بفتح الهاء وضم التاء ، وأنشد قول الشاعر :

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داعٍ من العشيرة هَيتُ

قال عبد الرزاق(٤٣) : أنبأنا الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي وائل قال : قال ابن مسعود : قد سمعت القَرَأَة فسمعتهم متقاربين : فاقرءوا كما عُلِّمتم ، وإياكم والتنطع[٥] والاختلاف ، وإنما هو كقول أحدكم : هلم وتعال . ثم قرأ عبد اللَّه ﴿ **هَيْتَ لك** ﴾ فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، إن ناسًا يقرءونها (هَيْتُ) . فقال عبد اللَّه : إنِّي أقرؤها كما عُلِّمت أحبُّ إلي .

---

(٤٣) – **صحيح** ، رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٢٠) ومن طريقه ابن جرير (١٦/١٨٩٩٨–شاكر) وابن أبي حاتم (٧/١١٤٦٥) ، وأخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ...** ﴾ (٤٦٩٢) وأبو داود ، كتاب : الحروف والقراءات ، (٤٠٠٤،٤٠٠٥) ، من طرق عن سليمان الأعمش به مختصرًا .

---

[١] – في ز ، خ : « قول » .
[٢] – في ز ، خ : « إذا » .
[٣] – في ز : عتق .
[٤] – وهي قراءة لابن عامر .
[٥] – في خ : « التمطع والتنطع » .

وقال ابن جرير(٤٤) : حدثنا ابن وكيع ، قال حدثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن أبي وائل قال : قال عبد الله ﴿ هَيْتَ لك ﴾ فقال له مسروق : إن ناسًا يقرءونها (هَيْتُ لَكَ) . فقال : دعوني ، فإني أقرأ كما أقرئت أحبُّ إليّ .

وقال أيضًا(٤٥) : حدثني المثنى ؛ قال : حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال : حدثنا شعبة [عن الأعمش][١] ، عن شقيق ، عن ابن مسعود ؛ قال : ﴿ هَيْتَ لك ﴾ بنصب الهاء والتاء وبلا همز .

وقرأ[٢] آخرون : (هِيتُ لك) بكسر الهاء ، وإسكان الياء ، وضم التاء .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : هيت لا تثنى ، ولا تجمع ، ولا تؤنث ، بل يخاطب الجميع بلفظ واحد ، فيقال : هيت لكَ ، وهيت لكِ ، وهيت لكما ، وهيت لكم ، وهيت لهن .

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾

اختلفت[٣] أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام ؛ وقد رُوي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطائفة من السلف في ذلك ما ذكره[٤] ابن جرير ، وغيره والله أعلم .

[وقال بعضهم][٥] : المراد بهمه بها هَمُّ خطرات وحديث النفس ، حكاه البغوي(٤٦)

---

(٤٤) - **إسناده ضعيف** لضعف سفيان بن وكيع ، وهو حديث صحيح . التفسير (١٦/١٩٠٠٠) ، وانظر ما قبله ، وما بعده .

(٤٥) - **صحيح** ، التفسير (١٦/١٩٠٠١) ، وأخرجه الحاكم (٢/٣٤٦) من طريق إبراهيم بن الحسين ، ثنا آدم بن أبي إياس به ، وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، وانظر ما قبله .

(٤٦) - وأخرجه أيضًا في « شرح السنة » (١٤/٤١٤٨) ، وأحمد (٢/٣١٥) ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب : « إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب » (٢٠٥) (١٢٩) ، وابن حبان (٢/٣٧٩) وابن مندة في « الإيمان » (٣٧٦) من طريق عبد الرزاق بهذا الإسناد ، وسياقه مغاير في بعض الأحرف للسياق الذي أورده المصنف ، وأقرب منه لسياق المصنف ما أخرجه أحمد (٢/٢٤٢) والبخاري ، كتاب التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ (٧٥٠١) ، ومسلم (١٢٨) =

---

[١] - ما بين المعكوفين زيادة من ابن جرير و« المستدرك » وشعبة لا يروي عن شقيق مباشرة .

[٢] - في خ : وقال .

[٣] - في ز ، خ : « اختلف » .

[٤] - في ت : «رواه » .

[٥] - في ت : « وقيل » .

عن بعض أهل التحقيق ، ثم أورد البغوي هاهنا حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، رضي اللّٰه عنه ، قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يقول اللّٰه تعالى : إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها ، وإن هم بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة ، فإنما تركها من جرائي ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها** » .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة هذا منها .

وقيل : هم بضربها . وقيل : تمناها زوجة . وقيل : هم بها لولا أن رأى برهان ربه ، أي : فلم يهم بها ، وفي هذا القول نظر من حيث العربية ؛ ذكره[١] ابن جرير وغيره .

وأما البرهان الذي رآه ففيه أقوال أيضًا ؛ فعن ابن عباس(٤٧) ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن سيرين ، والحسن ، وقتادة ، وأبي صالح ، والضحاك ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم : رأىٰ صورة أبيه يعقوب [عليه السلام] عاضًا علىٰ أصبعه بفمه . وقيل عنه في رواية : فضرب في صدر يوسف .

وقال العوفي(٤٨) ، عن ابن عباس : رأىٰ[٢] خيال الملك - يعني : سيده ، وكذا قال محمد بن إسحاق فيما حكاه عن بعضهم : إنما هو خيال أطفير[٣] سيده حين دنا من الباب .

وقال ابن جرير(٤٩) : حدثنا أبو كريب ؛ قال : حدثنا وكيع ، عن أبي مودود ، قال : سمعت من محمد بن كعب القرظي قال : رفع يوسف رأسه إلىٰ سقف البيت ، فإذا كتاب

= والترمذي كتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الأنعام » (٣٠٧٥) ، والنسائي في « التفسير » (٦/ ١١١٨١) لكن من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، به . وانظر ما تقدم (سورة البقرة/آية ٢٨٤) .

(٤٧) - **صحيح** ، أخرجه عبد الرزاق وابن جرير (١٦/٤١، ٤٢/ شاكر) وابن أبي حاتم (٧/ ١١٤٧٧، ١١٤٧٨، ١١٤٧٩) ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين (٢/٣٤٦) ووافقه الذهبي ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٢٢) إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٤٨) - **إسناده ضعيف لضعف العوفي** ، وأخرجه ابن جرير (١٦/١٩٠٨٩) .

(٤٩) - **إسناده صحيح** ، التفسير (١٦/١٩٠٨٤) وأبو مودود اسمه عبد العزيز بن أبي سليمان الهُذَليُّ ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو داود ، وابن المديني ، وابن نمير مطلقًا ، وقصر به الحافظ ابن حجر عن مرتبته ، فقال في « التقريب » : مقبول . وانظر ما بعده .

---

[١] - في ت : « حكاه » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « أظفير » .

في حائط البيت : ﴿ **لا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة [ ][١]وساء سبيلًا** ﴾ . وكذا رواه أبو معشر المدني(٥٠) عن محمد بن كعب .

وقال عبد الله بن وهب(٥١) : أخبرني نافع بن يزيد[٢] ، عن أبي صخر ، قال : سمعت القرظي يقول في البرهان الذي رأه[٣] يوسف : ثلاث آيات من كتاب الله ﴿ **إن عليكم لحافظين** ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ **وما تكون في شأن** ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ **أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت** ﴾ .

قال نافع : سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي ، وزاد آية رابعة : ﴿ **ولا تقربوا الزنا** ﴾ . وقال الأوزاعي : رأى آية من كتاب الله في الجدار تنهاه عن ذلك .

قال ابن جرير : والصواب أن يقال : إنه رأى من آيات الله ما زجره عما كان هم به ، وجائز أن يكون صورة يعقوب ، وجائز أن يكون صورة الملك ، وجائز أن يكون ما رآه مكتوبًا من الزجر عن ذلك ، ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك ، فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالى .

قال : وقوله : ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء** ﴾ أي : كما أريناه برهانًا صرفه عما كان فيه ، كذلك نقيه السوء والفحشاء في جميع أموره .

﴿ **إنه من عبادنا المخلصين** ﴾ أي : من المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار ، صلوات الله وسلامه عليه .

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ

(٥٠) - **إسناده ضعيف : لضعف أبي معشر** ، أخرجه ابن جرير (١٩٠٨٦/١٦) ، وابن أبي حاتم (١١٤٨٧/٧) ، وأبو معشر المدني هو نجيح بن عبد الرحمن السِّندي ، ضعيف ، والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٤/٤) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٥١) - أخرجه ابن جرير (١٩٠٨٧/١٦) ، وابن أبي حاتم (١١٤٨٩/٧) وأبو صخر هو حميد بن يزيد المدني صدوق يهم ، كما في « التقريب » .

[١] - في ز ، خ : ومقتًا . وهو سهو من الناسخ . [٢] - في ز ، خ : « سريد » .

[٣] - في ز ، خ : « رآى » .

فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ عن حالهما حين خرجا يستبقان إلىٰ الباب ، يوسف هارب ، والمرأة تطلبه ليرجع إلىٰ البيت ، فلحقته في أثناء ذلك ، فأمسكت بقميصه [من ورائه][١] ، فقدته قدًّا فظيعًا يقال : إنه سقط عنه ، واستمر يوسف هاربًا ذاهبًا وهي في إثره ، فألفيا سيدها وهو زوجها عند الباب ، فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها ، وقالت لزوجها متنصلة وقاذفة يوسف بدائها : ﴿ **ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا** ﴾ أي : فاحشة ﴿ **إلا أن يسجن** ﴾ أي : يحبس ﴿ **أو عذاب أليم** ﴾ أي : يضرب ضربًا شديدًا موجعًا ، فعند ذلك انتصر يوسف ، عليه السلام ، بالحق ، وتبرأ مما رمته به من الخيانة ، و﴿ **قال** ﴾ بارًّا صادقًا : ﴿ **هي راودتني عن نفسي** ﴾ وذكر أنها اتبعته تجذبه إليها حتىٰ قدت قميصه ﴿ **وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل** ﴾ أي : من قدامه ﴿ **فصدقت** ﴾ أي : في قولها إنه [أرادها][٢] [على][٣] نفسها ؛ لأنه يكون لما دعاها وأبت عليه ، دفعته في صدره فقدت قميصه ، فيصح ما قالت ﴿ **وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين** ﴾ وذلك يكون كما وقع ، لما هرب منها ، وتطلبته أمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها ، فقدت قميصه من ورائه .

وقد اختلفوا في هذا الشاهد : هل هو صغير أو كبير ؟ علىٰ قولين لعلماء السلف ؛ فقال عبد الرزاق(٥٢) :

أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ **وشهد شاهد من أهلها** ﴾

(٥٢) - **إسناده ضعيف** ، تفسير عبد الرزاق (٣٢٢/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٩١٢١/١٦) ، وابن أبي حاتم (١١٥٠٤/٧) ، وأخرجه ابن جرير (١٩١١٩/١٦، ١٩١٢٢) من طريقين عن إسرائيل ، به ، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٦/٤) إلى الفريابي وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « راودها » . [٣] - في ت : عن .

قال : ذو لحية .

وقال الثوري[٥٣] ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس : كان من خاصة الملك .

وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم : إنه كان رجلًا .

وقال زيد بن أسلم ، والسدي : كان ابن عمها .

وقال ابن عباس[٥٤] : كان من خاصة الملك .

وقد ذكر ابن إسحاق : أن زليخا كانت بنت أخت الملك الريان بن الوليد .

وقال العوفي[٥٥] : عن ابن عباس في قوله ﴿ **وشهد شاهد من أهلها** ﴾ قال : كان صبيًّا في المهد .

وكذا روي عن أبي هريرة[٥٦] ، وهلال بن يساف ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، والضحاك بن مزاحم : أنه كان صبيًّا في الدار ، واختاره ابن جرير .

وقد ورد فيه حديث مرفوع ؛ فقال ابن جرير[٥٧] : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد - هو ابن سلمة - أخبرني عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ،

---

(٥٣) - **إسناده ضعيف لضعف جابر وهو الجعفي** ، وأخرجه ابن جرير (١٩١١٢/١٦) ، وابن أبي حاتم (٧/ ١١٥٠٩) من طرق عن الثوري به ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٦/٤) إلى الفريابي وأبي الشيخ .

(٥٤) - انظر السابق .

(٥٥) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٩١١٠/١٦) ، والعوفي ضعيف ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ١١٥٠٣) من طريق آخر عن ابن عباس ، وضعفه ابن حجر في « الفتح » (٤٨٠/٦) إذ إن في إسناده أبا سعد البقال واسمه سعيد بن المَرْزُبان ، وهو ضعيف مدلس ، وعزاه السيوطي (٢٥/٤) إلى أبي الشيخ ، وانظر الآتي برقم (٦١ ، ٦٢) .

(٥٦) - **إسناده ضعيف جدًّا** ، أخرجه ابن جرير (١٩١٠٠/٦) عن أبي هريرة موقوفًا ، وفي إسناده أبو بكر الهذلي ، أخباري متروك الحديث ، وله طريق آخر مرفوع عند الحاكم (٥٩٥/٢) وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، لكن لفظه باطل ، كما حققه الألباني في « الضعيفة » (٨٨٠/٢) وانظر ما تقدم (سورة آل عمران/ آية ٤٦) .

(٥٧) - التفسير (١٩١٠٨/١٦) وأخرجه أحمد (٣٠٩/١) - عقب طريق أبي عمر الضرير الآتية في التخريج رقم (٥٨) الموقوفة وقال فذكر نحوه موقوفًا . والبزار (١/رقم٥٤) والحاكم (٤٩٦/٢-٤٩٧) - ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (١٦٣٦/٢) - ومن طريق آخر في « دلائل النبوة » (٣٨٩/٢)=

عن ابن عباس ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **تكلم أربعة وهم صغار** ...» ، فذكر فيهم شاهد يوسف .

ورواه غيره(٥٨) عن حماد بن سلمة ، عن عطاء ، عن سعيد [بن جبير][١]، عن ابن عباس أنه قال : « **تكلم أربعة وهم صغار ؛ ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسىٰ بن مريم** » .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : كان من أمر الله تعالىٰ ولم يكن إنسيًّا . وهذا قول غريب .

وقوله ﴿ **فلما رأىٰ قميصه قدّ من دبر** ﴾ أي : لما تحقق زوجها صدق يوسف ، وكذبها فيما قذفته ورمته به ﴿ **قال إنه من كيدكن** ﴾ أي : إن هذا البهت واللطخ الذي لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن ﴿ **إن كيدكن عظيم** ﴾ .

ثم قال آمرًا ليوسف عليه السلام بكتمان ما وقع : ﴿ **يوسف أعرض عن هذا** ﴾ أي : اضرب عن هذا الأمر صفحًا ، أي : فلا تذكره لأحد ﴿ **واستغفري لذنبك** ﴾ يقول لامرأته وقد كان لين العريكة سهلًا ، أو أنه عذرها ؛ لأنها رأت مالا صبر لها عنه ، فقال لها :

= كلهم من طريق عفان بن مسلم به مرفوعًا وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، كذا قالا ، وخالف عفان جمع من الثقات فأوقفوه على ابن عباس ، فانظر ما بعده .

(٥٨) - أخرجه أحمد (٣٠٩/١ - ٣١٠) ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (١٢٢٨٠/١١) عن أبي عمر الضرير ، وأخرجه الطبراني أيضًا (١٢٢٧٩) ومن طريقه اختاره الضياء في « المختارة » (٢٨٩/١٠، ٢٩٠) من طريق أبي عمر الضرير ، وآدم بن أبي إياس وأبي نصر التمار ، وأخرجه أحمد (٣٠١/١) ، وأبو يعلى (٢٥١٧/٤) - ومن طريقه الضياء (٢٨٨) وابن حبان (٢٩٠٤/٧) والبيهقي في « الدلائل » (٣٨٩/٢) من طريق هدبة بن خالد ، ونسي هدبة أن يسمي أحد الأربعة وهو « صاحب يوسف » .

وأخرجه أحمد ، وابن حبان (٢٩٠٣) من طريق حسن بن موسى ويزيد بن هارون - ضمن حديث طويل دون قول ابن عباس - كلهم (أبو عمر الضرير ، وآدم ، وأبو نصر ، وهدبة ، وحسن ، ويزيد) عن حماد بن سلمة ، به موقوفًا ، ومثل هذا له حكم الرفع ، وقد ذكره الهيثمي في « المجمع » (٧٠/١) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط - لم أقف عليه في المطبوع من الأوسط (*) - وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط » قلت : وقد روى عنه حماد بن سلمة قبل الاختلاط ؛ كما قال ابن معين وأبو داود والطحاوي وغيرهم ، انظر « الكواكب النيرات » لابن الكيال (٣٩) و « تهذيب التهذيب » (١٠٣/٣) والحديث صححه ابن حبان والحاكم والضياء - كما تقدم - وصححه أيضًا السيوطي كما=

---

[١] - سقط من ز ، خ .

(*) وعلى هامش (م) من نسخ « المعجم » حسنه الحافظ شمس الدين السخاوي وقال : « الذي في الأوسط الذي قبله .

﴿ **استغفري لذنبك** ﴾ أي : الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ، ثم قذفه بما هو بريء منه ، استغفري من[١] هذا الذى وقع منك ﴿ **إنك كنت من الخاطئين** ﴾ .

۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا
حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ
لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ
فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ
ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا
يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾
فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

يخبر تعالىٰ أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة ، وهي مصر ، حتىٰ تحدث [به الناس][٢] ﴿ **وقال نسوة في المدينة** ﴾ مثل نساء الكبراء والأمراء ، ينكرن علىٰ امرأة العزيز وهو الوزير ، ويعبن ذلك عليها ﴿ **امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه** ﴾ أي : تحاول غلامها عن نفسه ، وتدعوه إلىٰ نفسها ﴿ **قد شغفها حبًا** ﴾ أي : قد وصل حبه إلىٰ شغاف قلبها وهو غلافه .

قال الضحاك(٥٩) ، عن ابن عباس : الشغف الحب القاتل ، والشعف دون ذلك ، والشغاف حجاب القلب .

﴿ **إنا لنراها في ضلال مبين** ﴾ أي : في صنيعها هذا من حبها فتاها ، ومراودتها إياه عن

= في « الدر المنثور » (٢٧٧/٤) وزاد نسبته إلىٰ : « النسائي وابن مردويه ، وصححه أيضًا العلامة أحمد شاكر في « المسند » وأعاده المصنف - مطولًا - (الإسراء/ آية ١) وقال : « إسناده لا بأس به ، ولم يخرجوه » .

(٥٩) - أخرجه ابن أبي حاتم (١١٥٢٣/٧) وفي إسناده بشر بن عمارة الخثعمي ، ضعيف ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٧/٤) إلى أبي الشيخ

---

[١] - سقط من : ت . [٢] - في خ : « الناس به » .

نفسه .

﴿ **فلما سمعت بمكرهن** ﴾ قال بعضهم : بقولهن ، وقال محمد بن إسحاق : بل بلغهن حُسْنُ يوسف فأحببن أن يرينه ، فقلن ذلك ليتوصلن إلىٰ رؤيته ومشاهدته ، فعند ذلك ﴿ **أرسلت إليهن** ﴾ أي[١] : دعتهن إلىٰ منزلها لتضيفهن ﴿ **وأعتدت لهن متكأ** ﴾ . قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، والحسن ، والسدي ، وغيرهم : هو المجلس المعد ، فيه مفارش ومخاد وطعام ، فيه ما يقطع بالسكاكين من أترج ونحوه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وآتت كل واحدة منهن سكينًا** ﴾ وكان هذا مكيدة منها ، ومقابلة لهن في احتيالهن علىٰ رؤيته ﴿ **وقالت اخرج عليهن** ﴾ وذلك أنها كانت قد خبأته في مكان آخر ﴿ **فلما** ﴾ خرج و ﴿ **رأينه أكبرنه** ﴾ أي : أَعْظَمْنَ شأنه ، وأجللن قدره ، وجعلن يقطعن أيديهن دهشًا برؤيته ، وهن يظنن أنهن يقطعن الأترج بالسكاكين ، والمراد : أنهن حززن أيديهن بها ؛ قاله غير واحد .

وعن مجاهد وقتادة : قطعن أيديهن حتىٰ ألقينها ، فاللَّه أعلم .

وقد ذُكر عن زيد بن أسلم أنها قالت لهن بعد ما أكلن وطابت أنفسهن ، ثم وضعت بين أيديهن أترجًا وآتت كل واحدة منهن سكينًا : هل لكن في النظر إلىٰ يوسف ؟ قلن : نعم . فبعثت إليه تأمره أن اخرج إليهن ، فلما رأينه جعلن يقطعن أيديهن ، ثم أمرته أن يرجع ليرينه مقبلًا ومدبرًا ، فرجع وهن يحززن في أيديهن ، فلما أحسسن بالألم جعلن يولولن ، فقالت[٢] : أنتن من نظرة واحدة فعلتن هذا ، فكيف أُلَامُ أنا ؟ ﴿ **فقلن حاش للَّه ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم** ﴾ ثم قلن لها : وما نرىٰ عليك من لوم بعد هذا الذي رأينا . لأنهن لم يرين في البشر شبهه[٣] ولا قريبًا منه ، فإنه ، عليه السلام ، كان قد أعطي شطر الحسن ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح في حديث الإِسراء(٦٠) : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، مر بيوسف ، عليه السلام ، في السماء الثالثة قال : « **فإذا هو قد أعطي شطر الحسن** » .

وقال حماد بن سلمة(٦١) ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أعطي يوسف وأمه شطر الحسن** » .

---

(٦٠) - **صحيح** ، وسيأتي في (الإسراء/ آية ١) . وانظر ما بعده .

(٦١) - أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٧/كتاب الفضائل ، باب (١٣) حديث ٤) ، وابن جرير (١٦/١٩٢٢٨) ، وابن عدي في « الكامل » (٥/٢٠٢١) ، والحاكم (٢/٥٧٠) ، والذهبي في =

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - في خ : « فقال » .

[٣] - في خ : شبيهه .

وقال سفيان الثوري(٦٢) ، [عن أبي إسحاق][١] ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : أعطي يوسف وأمه ثلث الحسن .

وقال أبو إسحاق أيضًا(٦٣) : عن أبي الأحوص ، عن عبد اللّٰه قال : كان وجه يوسف مثل البرق ، وكانت المرأة إذا أتته لحاجة غطىٰ وجهه مخافة أن تفتتن به .

ورواه الحسن البصري مرسلًا عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أنه قال(٦٤) : « **أعطي يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا ، وأعطي الناس الثلثين** » . أو قال : « **أعطي يوسف ، وأمه الثلثين ، والناس الثلث** » .

= « الميزان » (ت/عفان ٥٦٧٨) معلقًا ، وابن عساكر في « التاريخ » (١/٢١٨/١٩) من طريق عفان بن مسلم ثنا حماد ابن سلمة به مرفوعًا ، وسمى بعضهم أمه فقال : « يعني سارة » ، وأخرجه أحمد (٢٨٦/٣) ثنا عفان به دون ذكر « أمه » وقال ابن عدي : هذا الحديث ما أعلم رفعه أحد غير عفان وغيره أوقفه عن حماد بن سلمة ، وعفان أشهر وأوثق وأصدق من أن يقال فيه شيء مما ينسب إلى الضعف ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، والموقوف المشار إليه أخرجه ابن أبي حاتم (١١٥٥٩/٧) وأبو يعلى في بعض نسخه - كما أشار إلى ذلك محققه لكنه أثبت المرفوع - (٣٣٧٣/٦) من طريق سليمان بن المغيرة وشيبان عن حماد به ، وليس فيه ذكر « أمه » ، وبدون هذه الزيادة أخرجه مسلم : كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات .. (٢٥٩) (١٦٢) ، وأحمد (١٢٥٢٦) (١٤٨/٣) من طريقين عن حماد بن سلمة به مرفوعًا - ضمن حديث طويل .

(٦٢) - أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٧/ك الفضائل ، ب (١٣) ح ٥) ، وابن جرير (١٦/ ١٩٢٢٤،١٩٢٢٧) ، والطبراني في « الكبير » (٨٥٥٦/٩) من طرق عن سفيان الثوري به ، وأخرجه ابن جرير (١٩٢٢٥،١٩٢٢٦) من طريق شعبة عن أبي إسحاق به نحوه وأخرجه الطبراني (٨٥٥٥) من طريق شعبة هذه لكن بلفظ : « أعطي يوسف وأمه ثلثي الحسن » وانظر ما بعده .

(٦٣) - أخرجه ابن أبي حاتم (١١٥٦١/٧) ، والطبراني (٨٥٥٧/٩) من طريق زهير ثنا أبو إسحاق به ، وزاد في أوله « **أعطي يوسف وأمه ثلثي** - عند ابن أبي حاتم **ثلث - الحسن** » - وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٠٦/٨) : وقال : « رواه الطبراني موقوفًا ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني أيضًا - السابق - فقال : « **أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن** » والظاهر أنه وهم والله أعلم » . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠/٤) إلى ابن سعد والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٦٤) - **منكر** ، أخرجه ابن جرير (١٩٢٢٩/١٦) ثنا ابن حميد قال : ثنا حَكّام ، عن أبي معاذ عن يونس عنه به ، ومع إرساله ففيه علل أخرى ؛ قال الألباني في « الصحيحة » (١٤٨١/٣) : « هو منكر باطل بهذا اللفظ ، لمخالفته للحديث الصحيح - المتقدم (٦٢) - ولأن إسناده واهٍ جدًّا ، فإنه مع إرساله ، فيه أبو معاذ واسمه سليمان بن أرقم وهو متروك ، وابن حميد اسمه محمد الرازي ضعيف » وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠/٤) إلى أبي الشيخ .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

وقال سفيان(٦٥) ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشي قال : قسم الحسن نصفين ؛ فأعطي يوسف وأمه سارة نصف الحسن ، والنصف الآخر بين سائر الخلق .

وقال الإمام أبو القاسم السهيلي : معناه أن يوسف ، عليه السلام ، كان على النصف من حسن آدم ، عليه السلام ، فإن الله خلق آدم بيده علىٰ أكمل صورة وأحسنها ، ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله ، وكان يوسف قد أعطي شطر حسنه .

فلهذا قال هؤلاء النسوة عند رؤيته : ﴿ **حاش لله** ﴾ قال مجاهد وغير واحد : معاذ الله! ﴿ **ما هذا بشرًا** ﴾ ، وقرأ بعضهم (**ما هذا بِشِرَىٰ**) . أي : بمشترىٰ بشراء[١] ﴿ **إن هذا إلا ملك كريم * قالت فذلكن الذي لمتنني فيه** ﴾ تقول هذا معتذرة إليهن بأن هذا حقيق بأن[٢] يحب لجماله وكماله .

﴿ **ولقد راودته عن نفسه فاستعصم** ﴾ أي : فامتنع ، قال بعضهم : لما رأين جماله الظاهر[٣] أخبرتهن بصفاته الحسنة التي تخفى عنهن ، وهي العفة مع هذا الجمال ، ثم قالت تتوعده : ﴿ **ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونًا من الصاغرين** ﴾ فعند ذلك استعاذ يوسف ، عليه السلام ، من شرهن وكيدهن ، وقال : ﴿ **رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه** ﴾ أي : من الفاحشة ﴿ **وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن** ﴾ أي : إن وكلتني إلىٰ نفسي فليس لي منها[٤] قدرة ، ولا أملك لها ضرًا ، ولانفعًا ، إلا بحولك ، وقوتك ، أنت المستعان ، وعليك التكلان ، فلا تكلني إلىٰ نفسي .

﴿ **أصب إليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم** ﴾ وذلك أن يوسف ، عليه السلام ، عصمه الله عصمة عظيمة وحماه ، فامتنع منها أشد الامتناع ، واختار السجن علىٰ ذلك ، وهذا في غاية مقامات الكمال : أنه مع شبابه وجماله وكماله ، تدعوه سيدته ، وهي امرأة عزيز مصر ، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة ، ويمتنع من ذلك ، ويختار السجن علىٰ ذلك ؛ خوفًا من الله

(٦٥) - **إسناده صحيح موقوف** ، أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٧/ك الفضائل، ب (١٣) ح ٢) ، وابن أبي حاتم (١١٥٦٠/٧) ، وابن جرير (١٩٢٣٠/١٦) من طريقين عن سفيان به ، وتابعه جرير عن منصور به ، أخرجه ابن جرير أيضًا (١٩٢٣٢/١٦) وربيعة الجرشي مختلف في اسم أبيه ، وفي صحبته ، فقيل هو ابن عمرو ، وقيل : ابن الغاز ، قال ابن عساكر : الأول أصح ، ذكره ابن سعد فيمن نزل الشام من الصحابة ، وقال أبو حاتم : ليس له صحبة ، وقال الدارقطني : في صحبته نظر . انظر « الإصابة » (٣/ ت١٩٠٦) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : أن .
[٣] - في ز : الطاهر .
[٤] - في خ : « من نفسي » .

ورجاء[١] ثوابه .

ولهذا ثبت في الصحيحين(٦٦) أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ؛ إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا[٢] عليه ، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه** » .

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٣٥)

يقول تعالى : ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه إلىٰ حين ، أي : إلىٰ مدة ، وذلك بعد ما عرفوا براءته ، وظهرت الآيات وهي الأدلة علىٰ صدقه في عفته ونزاهته ، وكأنهم ، والله أعلم ، إنما سجنوه لما شاع الحديث ؛ إيهامًا أنه راودها عن نفسها ، وأنهم سجنوه علىٰ ذلك ، ولهذا لما طلبه[٣] الملك الكبير في آخر المدة امتنع من الخروج حتىٰ تتبين براءته مما نسب إليه من الخيانة ، فلما تقرّر ذلك خرج وهو نقي العرض ، صلوات الله عليه وسلامه .

وذكر السدي : أنهم إنما سجنوه ؛ لئلا يشيع ما كان منها في حقه ، ويبرئ عرضه فيفضحها .

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٦)

قال قتادة : كان أحدهما ساقي الملك ، والآخر خبازه . قال محمد بن إسحاق : كان اسم الذي علىٰ الشراب : بنوا ، والآخر : مجلث .

(٦٦) - أخرجه البخاري ، كتاب الأذان ، باب : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد (٦٦٠) ، ومسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : فضل إخفاء الصدقة (٩١) (١٠٣١) من حديث أبي هريرة ، وسياق المصنف مغاير للفظه عندهما في بعض الأحرف ، وقد تقدم بسياق آخر (البقرة/ آية ٢٧١) .

[١] - في ز ، خ : « رجاء » . [٢] - في ت : « وتفرقا » .
[٣] - في خ : « طلب » .

قال السدي : وكان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالآ علىٰ سمه في طعامه وشرابه .

وكان يوسف ، عليه السلام ، قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة ، وصدق الحديث وحسن السمت ، وكثرة العبادة ، صلوات اللّٰه عليه وسلامه ، ومعرفة التعبير ، والإحسان إلىٰ أهل السجن ، وعيادة مرضاهم ، والقيام بحقوقهم ، ولما دخل هذان الفتيان إلىٰ السجن تآلفا به ، وأحباه حبًّا شديدًا ، وقالا له(٦٧) : واللّٰه ، لقد أحببناك حبًّا زائدًا . فقال[١] : بارك اللّٰه فيكما ، إنه ما أحبني أحد إلا دخل عليَّ من محبته ضرر ؛ أحبتني عمتي ، فدخل عليَّ الضرر بسببها ؛ وأحبني أبي فأوذيت بسببه ، وأحبتني امرأة العزيز فكذلك ، فقالا : واللّٰه ، ما نستطيع إلا ذلك ، ثم إنهما رأيا منامًا ؛ فرأى الساقي أنه يعصر خمرًا ، يعني : [ ][٢] عنبًا ، وكذلك هي في قراءة عبد اللّٰه بن مسعود : (إني أراني أعصر عنبًا) ورواه ابن أبي حاتم(٦٨) : عن أحمد بن سنان ، عن يزيد بن هارون ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن زيد ابن وهب ، عن ابن مسعود : أنه قرأها : (أعصر عنبًا) .

وقال الضحاك في قوله ﴿ **إني أراني أعصر خمرًا** ﴾ يعني : عنبًا ؛ قال : وأهل عمان يسمون العنب خمرًا .

وقال عكرمة : [قال له : إني][٣] رأيت - فيما يرى النائم - أني غرست حبلة من عنب ، فنبتت فخرج فيها عناقيد فعصرتهنّ ، ثم سقيتهن[٤] الملك . فقال : تمكث في السجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتسقيه خمرًا .

وقال الآخر وهو الخباز : ﴿ **إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله** ﴾ الآية .

---

(٦٧) - أخرجه ابن أبي حاتم (١١٥٩٨/٧) ، وابن جرير (١٩٢٧٢/١٦) بسندهما عن مجاهد موقوفًا .

(٦٨) - التفسير (١١٥٩٩/٧) وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٣٨٢/١٢) . وشريك هو ابن عبد اللّٰه القاضي « صدوق يخطئ كثيرًا » ، وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٢٧٤/١-٢٧٥) وابن جرير (١٩٢٧٣/١٦) من طريق وكيع عن أبي سلمة الصائغ عن إبراهيم بن بشير الأنصاري عن محمد بن الحنفية قال : في قراءة ابن مسعود « إني أراني أعصر عنبًا » . وأبو سلمة الصائغ ترجم له البخاري في « التاريخ » (٢٩٨/٣) ، وابن أبي حاتم (٤٨٥/٣) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وإبراهيم بن بشير الأنصاري لم يوثقه غير ابن حبان (٩/٦) ، والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٤/٤) إلى ابن المنذر ، وابن الأنباري ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

---

[١] - في خ : قال .

[٢] - ما بين المعكوفين في ت : خمرًا .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ : « سقيت » .

والمشهور عند الأكثرين ما ذكرناه : أنهما رأيا منامًا ، وطلبا تعبيره .

وقال ابن جرير(٦٩) : حدثنا ابن وكيع وابن حميد ؛ قالا : حدثنا جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله [بن مسعود] ؛ قال : ما رأى صاحبا يوسف شيئًا إنما كانا تحالما ليجربا عليه .

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

يخبرهما يوسف ، عليه السلام ، أنهما مهما رأيا في منامهما من حلم ، فإنه[١] عارف بتفسيره ، ويخبرهما بتأويله قبل وقوعه ؛ ولهذا قال : ﴿ **لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله** ﴾ .

قال مجاهد : يقول ﴿ **لا يأتيكما طعام ترزقانه** ﴾ [في نومكما][٢] ﴿ **إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما** ﴾ وكذا قال السدي ، وقال ابن أبي حاتم رحمه الله (٧٠) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا محمد بن يزيد شيخ له ، [عن رشدين][٣] عن الحسن بن ثوبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما أدري لعل يوسف

(٦٩) - **صحيح** ، التفسير (١٩٢٩٨/١٦) ورواه أيضًا (١٩٢٩٦) من طريق سفيان عن عمارة به ، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي ، لم يسمع من ابن مسعود ، إلا أن الأعمش قال : قلت لإبراهيم : أسند لي عن ابن مسعود ، فقال إبراهيم : إذا حدثتكم عن رجل عن عبد الله فهو الذي سمعت ، وإذا قلت : قال عبد الله فهو عن غير واحد عن عبد الله « التهذيب » (١٥٥/١) ، وقد وصله محمد بن فضيل عن عمارة عن إبراهيم عن علقمة - وهو ابن قيس النخعي - عن عبد الله به نحوه ، أخرجه ابن جرير (١٩٢٩٧) ، وابن أبي حاتم (١١٦٣٢/٧) ، وله طريق آخر عن ابن مسعود عند ابن أبي حاتم (١١٦٣١) لكنه من رواية أبي عبيدة عنه وهو لم يسمع منه ، وزاد نسبته السيوطي (٣٦/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٧٠) - **إسناده ضعيف** ، التفسير (١١٦٠٧/٧) ، ومحمد بن يزيد لم أجد له ترجمة ، وشيخه رشدين بن سعد ، ضعيف ، ولذلك استغربه المصنف .

[١] - في خ : « كأنه » . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - زيادة من المطبوع وهو من الرواة عن الحسن بن ثوبان انظر « تهذيب الكمال » [١٢٠٨/٦] .

- عليه السلام - كان يعتاف(٧١) وهو كذلك ؛ لأني أجد في كتاب الله حين قال للرجلين : ﴿ **لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله** ﴾ قال : إذا جاء الطعام حلوًا ، أو مرًا اعتاف عند ذلك . ثم[١] قال ابن عباس : إنما عُلِّمَ فَعَلِمَ . وهذا أثر غريب .

ثم قال : وهذا إنما هو من تعليم الله إياي ؛ لأني اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر ، فلا يرجون ثوابًا ، ولا عقابًا في المعاد ﴿ **واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب** ﴾ الآية ، يقول : هجرت طريق الكفر والشرك ، وسلكت طريق هؤلاء المرسلين[٢] ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهكذا[٣] يكون حال من سلك طريق الهدىٰ ، واتبع طريق[٤] المرسلين ، وأعرض عن طريق الظالمين ، [فإن الله][٥] يهدي قلبه ، ويعلمه ما لم يكن يعلم ، ويجعله إمامًا يقتدىٰ به في الخير ، وداعيًا إلىٰ سبيل الرشاد .

﴿ **ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلىٰ الناس** ﴾ هذا التوحيد : وهو الإقرار بأنه لا إله إلا الله [٦] وحده لا شريك له ﴿ **من فضل الله علينا** ﴾ أي : أوحاه إلينا ، وأمرنا به ﴿ **وعلىٰ الناس** ﴾ إذ جعلنا دعاة لهم إلىٰ ذلك ﴿ **ولكنّ أكثر الناس لا يشكرون** ﴾ أي : لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم ، بل ﴿ **بدّلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٧٢) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أنه كان يجعل الجد أبًا ، ويقول : والله ، لمن شاء لاعنّاه عند الحجر ، ما ذكر الله جدًّا ولا جدة ، قال الله تعالىٰ - يعني[٧] إخبارًا عن يوسف - : ﴿ **واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب** ﴾ .

يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا

---

(٧١) - اعتاف : مارس العِيافَة ، والعيافة تطلق على الظّنّ والحدس ، وليس المراد أن يوسف كان يتعاطى العيافة كما كان يتعاطاها أهل الجاهلية ، وإنما هو كما يقال للذي يصيب بظنه : ما هو إلّا كاهن ، وللبليغ : ما هو إلا ساحر . وانظر النهاية لابن الأثير (٣/٣٣٠) .

(٧٢) - **إسناده ضعيف** ، التفسير (١١٦١٢/٧) وحجاج هو ابن أرطاة وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس ، ولم يصرح بالتحديث .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « المسلمين » .

[٣] - في خ : « وهذا » .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في خ : « فإنه » .

[٦] - في خ : « هو » .

[٧] - سقط من : ت .

﴿ تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

ثم إنّ يوسف ، عليه السلام ، أقبل على الفتيين بالمخاطبة ، والدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدها قومهما ، فقال : ﴿ **أأرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهار** ﴾ أي[١] : الذي وَلِيَ كل شيء بعز[٢] جلاله وعظمة سلطانه .

ثم بيّن لهما أن التي يعبدونها ، ويسمونها آلهة إنما هو جهل منهم ، وتسمية من تلقاء أنفسهم تلقاها خلفهم عن سلفهم ، وليس لذلك مستند من عند الله ؛ ولهذا قال : ﴿ **ما أنزل الله بها من سلطان** ﴾ أي : حجة ولا برهان .

ثم أخبرهم أنّ الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله ، وقد أمر عباده قاطبة : أن لا يعبدوا إلا إياه ، ثم قال تعالى : ﴿ **ذلك الدين القيم** ﴾ أي : هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم ، الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان ، الذي يحبه ويرضاه ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ أي : فلهذا كان أكثرهم مشركين ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ .

وقد قال ابن جرير : إنما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلى هذا ؛ لأنه عرف أنها ضارة لأحدهما ، فأحب أن يشغلهما بغير ذلك ؛ لئلا يعاودوه فيها ، فعاودوه فأعاد عليهم الموعظة .

وفي هذا الذي قاله نظر ؛ لأنه قد وعدهما أوّلًا بتعبيرها ، ولكن جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وصلة ، وسببًا إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام ، لما رأى في سجيتهما من قبول الخير والإقبال عليه[٣] والإنصات إليه ؛ ولهذا لما فرغ من دعوتهما شرع في تعبير رؤياهما من غير تكرار سؤال فقال :

﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : لعز .
[٣] - في ز ، خ : « له » .

يقول لهما : ﴿ **يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا** ﴾ وهو الذي رأىٰ أنه يعصر خمرًا ، ولكنه لم يعينه ؛ لئلا يحزن ذاك ، ولهذا أبهمه في قوله ﴿ **وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه** ﴾ وهو في نفس الأمر الذي رأىٰ أنه يحمل فوق رأسه خبزًا .

ثم أعلمهما أن هذا قد فرغ منه وهو واقع لا محالة ؛ لأن الرؤيا علىٰ رجل طائر ما لم تعبر ، فإذا عبرت وقعت ، وقال الثوري(٧٣) ، عن عمارة بن القعقاع عن [إبراهيم عن][١] عبد الله ؛ قال : لما قالا ما قالا وأخبرهما ، قالا : ما رأينا شيئًا . فقال : ﴿ **قضي الأمر الذي فيه تستفتيان** ﴾ .

ورواه محمد بن فضيل(٧٤) ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ، به .

وكذا فسره مجاهد ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم ، وحاصله : أن من تحلم بباطل وفسره فإنه يلزم بتأويله ، والله تعالىٰ أعلم ، وقد ورد في الحديث الشريف[٢] الذي رواه الإمام أحمد : عن معاوية بن حيدة(٧٥) ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **الرؤيا علىٰ رجل طائر ما لم تعبر ، فإذا عبرت وقعت** » .

وفي مسند أبي يعلى(٧٦) : من طريق يزيد الرقاشي ، عن أنس مرفوعًا : « **الرؤيا لأول عابر** » .

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

لما ظن يوسف ، عليه السلام ، [نجاة أحدهما ، وهو الساقي][٣] ، قال له يوسف خفية

---

(٧٣) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٢٢٥،١٩٢٢٦) وانظر ما تقدم برقم (٧٢) .

وإبراهيم لم يسمع من عبد الله ، وقد ورد موصولًا عند الحاكم (٢/٣٤٦) فأخرجه من طريق سفيان به ، غير أنه أدخل بين إبراهيم وعبد الله الأسود وهو ابن يزيد النخعي ، وقال الحاكم : « حديث صحيح » وسقط من تلخيص الذهبي .

(٧٤) - انظر ما تقدم برقم (٧٢) .

(٧٥) - تقدم تخريجه (٢٠) .

(٧٦) - **إسناده ضعيف ، لضعف يزيد الرقاشي** ، (٧/٤١٣١) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف =

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في خ : أن الساقي ناج .

عن الآخر - والله أعلم - لئلا يشعره أنه المصلوب قال له - : ﴿ **اذكرني عند ربك** ﴾ يقول : اذكر قضيتي[١] عند ربك وهو الملك ، فنسي ذلك الموصَىٰ أن يذكر مولاه الملك[٢] بذلك ، وكان من جملة مكايد الشيطان ؛ لئلا يطلع نبي الله من السجن .

هذا هو الصواب أن الضمير في قوله ﴿ **فأنساه الشيطان ذكر ربه** ﴾ عائد علىٰ الناجي ، كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد ، ويقال : إن الضمير عائد علىٰ يوسف ، عليه السلام ، رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا وعكرمة وغيرهم ، وأسند ابن جرير هاهنا حديثًا فقال(٧٧) :

حدثنا ابن وكيع ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو لم يقل** - يعني يوسف - **الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله** » .

= (٧/ك : الإيمان والرؤيا ، ب (١١)ح٣) وابن ماجة ، كتاب : تعبير الرؤيا ، باب : « علام تعبر به الرؤيا » (٣٩١٥) من طريق يزيد الرقاشي به ، وقال البوصيري في « الزوائد » : « في إسناده يزيد بن أبان الرقاشي ، وهو ضعيف » وقال ابن حجر في « الفتح » (٤٣٢/١٢) : « وهو حديث ضعيف ، فيه يزيد الرقاشي » .

(٧٧) - **ضعيف جدًا** ، التفسير (١٩٣١٥/١٦) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١١٦٤٠/١١) من طريق إسحاق بن راهويه ، أنا عمرو بن محمد به ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٤٣/٧) : « فيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي وهو متروك » ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٣/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٦/ ١٩٣١٢) عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة به مرسلًا - ويذكره المصنف هنا برقم (٨٨) لكن بلفظ آخر - وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٧/٤) إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب العقوبات » وابن مردويه . ولفظ الحديث ورد أيضًا من حديث أبي هريرة ، فقال ابن حبان (٦٢٠٦/١٤) : أخبرنا الفضل بن الحباب الجُمحيّ ثنا مسدد بن مسرهد ، حدثنا خالد بن عبد الله ، ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عنه مرفوعًا : « **رحم الله يوسف ، لولا الكلمة التي قالها - اذكرني عند ربك - ما لبث في السجن ما لبث** ... » لكن قال المصنف في « البداية والنهاية » (٢٣٩/١) : « حديث منكر من هذا الوجه ، ومحمد بن عمرو بن علقمة له أشياء ينفرد بها ، وفيها نكارة ، وهذه اللفظة من أنكرها وأشدها ، والذي في الصحيحين - (انظر ما تقدم ، سورة هود/ آية ٨٠/رقم ٦٢) - يشهد بغلطها والله أعلم » . قال الألباني في « الصحيحة » (١٨٦٧/٤/ ٤٨٤) : « ويحتمل عندي أن تكون النكارة من شيخ ابن حبان : الفضل بن الحباب ، فإن فيه بعض الكلام ... » قلت : قد تابعه أبو حاتم الرازي - وهو من هو في الحفظ والإتقان - ثنا مسدد به بهذه الزيادة ، رواه عنه ابنه في « التفسير » (١١٦٣٤/٧) وعليه فقد عادت النكارة والانفراد إلى محمد بن عمرو - كما قال المصنف ولم تنسب إلى خالد بن عبد الله الواسطي ، لأنه ثقة ثبت ، والله تعالى أعلم .

---

[١] - في خ : قصتي .
[٢] - سقط من ز .

وهذا الحديث ضعيف جدًّا ؛ لأن سفيان بن وكيع ضعيف ، وإبراهيم بن يزيد هو الخُوْزي أضعف منه أيضًا ، وقد روي عن الحسن[٧٨] وقتادة[٧٩] مرسلًا عن كل منهما ، وهذه المرسلات هاهنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن ، والله أعلم .

وأما البضع : فقال مجاهد وقتادة : هو ما بين الثلاث إلىٰ التسع . وقال وهب بن منبه : مكث أيوب في البلاء سبعًا ، ويوسف في السجن سبعًا ، وعذاب بختنصر سبعًا .

وقال الضحاك[٨٠] ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ﴿ **فلبث في السجن بضع سنين** ﴾ قال : ثنتا عشرة سنة . وقال الضحاك : أربع عشرة سنة .

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالىٰ أنها كانت سببًا لخروج يوسف ، عليه السلام ، من السجن معززًا مكرمًا ، وذلك أن الملك رأىٰ هذه الرؤيا فهالته ، وتعجب من

---

(٧٨) - أخرجه أحمد في « الزهد » (ص ١٥٣) ، وابن جرير (١٩٣١٣/١٦،١٩٣١٤) ، وابن أبي حاتم (١١٦٣٥/٧) ، وابن المنذر وأبو الشيخ - كما في « الدر المنثور » (٣٧/٤) .

(٧٩) - أخرجه ابن جرير (١٩٣١٧/١٦) ، وأبو الشيخ - كما في « الدر المنثور » (٣٧/٤) .

(٨٠) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٤٥/٧) وفي إسناده بشر بن عمارة : « ضعيف » .

أمرها وما يكون تفسيرها ، فجمع الكهنة والحزاة[١] وكبار دولته وأمراءه ، وقص[٢] عليهم ما رأىٰ ، وسألهم عن تأويلها فلم يعرفوا ذلك ، واعتذروا إليه [بأن هذا][٣] ﴿ **أضغاث أحلام** ﴾ أي : أخلاط اقتضت[٤] رؤياك هذه ﴿ **وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين** ﴾ أي : ولو[٥] كانت رؤيا صحيحة من أخلاط ، لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها ، فعند ذلك تذكر [ذلك][٦] الذي نجا من ذينك الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف ، وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف من ذكر أمره للملك ، فعند ذلك تذكر بعد أمة ، أي : مدة ، وقرأ بعضهم : (بعد أَمَهٍ) أي : بعد نسيان ، فقال [لهم أي][٧] : للملك والذين جمعهم لذلك : ﴿ **أنا أنبئكم بتأويله** ﴾ أي : بتأويل هذا المنام ﴿ **فأرسلون** ﴾ أي : فابعثون إلىٰ يوسف الصديق إلىٰ السجن ، ومعنىٰ الكلام : فبعثوه[٨] فجاءه فقال : ﴿ **يوسف أيها الصديق أفتنا** ﴾ وذكر المنام الذي رآه الملك ، فعند ذلك ذكر له يوسف ، عليه السلام ، تعبيرها ، من غير تعنيف [لذلك الفتىٰ][٩] في نسيانه ما وصاه به ، ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك ، بل قال : ﴿ **تزرعون سبع سنين دأبًا** ﴾ أي : يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ، ففسر البقر بالسنين ، لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر ، ثم أرشدهم إلىٰ ما يعتمدونه في تلك السنين ، فقال : ﴿ **فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلًا مما تأكلون** ﴾ أي : مهما استغللتم[١٠] في هذه السبع السنين الخصب ، فاخزنوه في سنبله ؛ ليكون أبقىٰ له وأبعد عن إسراع الفساد إليه ، إلا المقدار الذي تأكلونه ، وليكن قليلًا قليلًا لا تسرفوا فيه ؛ لتنتفعوا في السبع الشداد ، وهن السبع السنين المحل التي تعقب هذه السبع المتواليات[١١] ، وهن البقرات العجاف اللاتي يأكلن السمان ، لأن سني[١٢] الجدب يؤكل فيها ما جمعوه في سني[١٣] الخصب وهن السنبلات اليابسات .

وأخبرهم أنهن لا ينبتن شيئًا ، وما بذروه فلا يرجعون منه إلي شيء ، ولهذا قال : ﴿ **يأكلن ما قدمتم لهن إلّا قليلًا مما تحصنون** ﴾ .

---

[١] - جمع حازٍ ، اسم فاعل من حزا يحزو حزوًا : إذا تكهن ، أو قدر .

[٢] - في خ : فقضى .

[٣] - في خ : بأنها .

[٤] - في خ : اقتضته .

[٥] - في خ : لو .

[٦] - سقط من خ .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ز : فبعثوا .

[٩] - في خ : للفتىٰ .

[١٠] - في ز : استغليتم .

[١١] - في ز : متواليات

[١٢] - في ز ، خ : « سنين » .

[١٣] - في خ : « سنين » .

ثم بشرهم بعد الجدب العام المتوالي : بأنه[١] يعقبهم بعد ذلك عام فيه يغاث الناس ، أي : يأتيهم الغيث وهو المطر ، وتغل البلاد ، ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم من زيت ونحوه وسكر ونحوه ، حتى قال بعضهم : يدخل فيه حلب اللبن أيضًا .

قال علي بن أبي طلحة(٨١) ، عن ابن عباس : ﴿ **وفيه يعصرون** ﴾ يحلبون .

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى إخبارًا عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه التي كان رآها بما أعجبه وأينقه[٢] فعرف فضل يوسف - عليه السلام - وعلمه وحسن أخلاقه على من ببلده من رعاياه فقال ﴿ **ائتوني به** ﴾ أي : أخرجوه من السجن وأحضروه ، فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته ، ونزاهة عرضه مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز ، وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلمًا وعدوانًا ، فقال ﴿ **ارجع الى ربك** ﴾ الآية

وقد وردت السنة بمدحه على ذلك والتنبيه على فضله وشرفه وعلو[٣] قدره وصبره ،

(٨١) - أخرجه ابن جرير (١٩٣٩١/١٦) ، وابن أبي حاتم (١١٦٨٢/٧) ، من طريقين عن الفرج بن فضالة عن علي بن أبي طلحة به ، والفرج بن فضالة « ضعيف » ، وأخرجه ابن جرير (١٩٣٩٠) من طريق الحسين ابن داود - الملقب بـ « سنيد » - حدثني فضالة عن علي بن أبي طلحة به ، كذا وقع في نسخة شاكر وفي نسخة الحلبي (٢٣٣/١٢) : فضالة ، ولم أجد في شيوخ سنيد من اسمه فضالة ، لكن من شيوخه « فرج بن فضالة » فلعل فيه سقطًا قديمًا والله تعالى أعلم ، و « سنيد » هذا ضعفه غير واحد من الأئمة .

[١] - في ز : بأنهم .
[٢] - أي : أعجبه .
[٣] - في ز ، خ : « علي »

صلوات اللّه وسلامه عليه ، ففي المسند والصحيحين(٨٢) من حديث الزهري ، عن سعيد وأبي سلمة ، عن أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ، قال : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : **« نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ الآية ويرحم اللّه لوطًا لقد كان يأوي إلىٰ ركن شديد ، ولو لبثتُ في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي »**

[وقال الإمام أحمد أيضًا][١](٨٣) حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، في قوله : **﴿ فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ﴾** فقال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : **« لو كنت أنا لأسرعتُ الإجابة وما ابتغيتُ العذر »**

وقال عبد الرزاق(٨٤) أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار [عن عكرمة][٢] ؛ قال : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : **« لقد عجبتُ من يوسف وصبره وكرمه واللّه يغفر له - حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ، ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتىٰ أشترط أن يخرجوني ، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه - واللّه يغفر له - حين أتاه الرسول ، ولو كنتُ مكانه لبادرتهم الباب ، ولكنه أراد أن يكون له العذر »** . هذا حديث مرسل .

وقوله تعالىٰ : **﴿ قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ﴾** إخبارٌ عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز فقال مخاطبًا لهن كلهن وهو يريد امرأة وزيره [ ][٣] العزيز : **﴿ ما خطبكن ﴾** أي : شأنكن وخبركن **﴿ إذ راودتن يوسف عن**

---

(٨٢) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (٣٢٦/٢) ، والبخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قول اللّه عز وجل **﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه ﴾** (٣٣٧٢) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : « زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة (٢٣٨) (١٥١) ، وابن ماجه ، كتاب ، الفتن ، باب : « الصبر على البلاء » (٤٠٢٦) ، وقد تقدم الحديث (البقرة/ آية ٢٦٠) .

(٨٣) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد (٣٤٦/٢، ٣٨٩) وابن جرير (١٩٤٠١/١٦) من طريق عفان به ، وابن أبي حاتم (١١٦٨٥/٧) ، من طريق موسى بن إسماعيل ثنا حماد به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٣/٧) وقال : « رواه أحمد ، وفيه محمد بن عمرو وهو حسن الحديث » . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤٢/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ والحاكم وصححه - والذي في الحاكم (٣٤٦/٢-٣٤٧) ليس بهذا اللفظ .

(٨٤) - **مرسل** ، أخرجه عبد الرزاق (٣٢٣/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٩٤٠٣/١٦) ، وأخرجه =

---

[١] - في ت : وفي لفظ لأحمد .

[٢] - سقط من ز . [٣] - في ت : وهو .

نفسه ﴾ يعني يوم الضيافة ﴿ **قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء** ﴾ أي : قالت النسوة جوابًا للملك : حاش لله ! أن يكون يوسف متهما ، والله ما علمنا عليه من سوء . فعند ذلك ﴿ **قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : تقول[١] [الآن تبين الحق] وظهر وبرز .

﴿ **أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين** ﴾ أي : في قوله : ﴿ **هي راودتني عن نفسي** ﴾ ﴿ **ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب** ﴾ تقول : إنما اعترفت بهذا علىٰ نفسي ليعلم [ ][٢] زوجي أني لم أخنه بالغيب[٣] في نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر ، وإنما راودتُ هذا الشاب مراودة فامتنع ، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة ﴿ **وأن الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرئ نفسي** ﴾ تقول المرأة : ولست أبرئ نفسي ؛ فإن النفس تتحدث وتتمنىٰ ولهذا راودته [لأنها أمارة][٤] بالسوء إلا ما رحم ربي ، أي : إلا من عصمه الله تعالىٰ ﴿ **إن ربي غفور رحيم** ﴾ .

وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام ، وقد حكاه الماوردي في تفسيره وانتدب لنصره الإمام العلامة[٥] أبو العباس بن تيمية ، رحمه الله ، فأفرده بتصنيف علىٰ حدة .

وقد قيل : إن ذلك من كلام يوسف ، عليه السلام ، من قوله : ﴿ **ذلك ليعلم أني لم أخنه** ﴾ [في زوجته][٦] ﴿ **بالغيب** ﴾ الآيتين ، أي إنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي وليعلم العزيز ﴿ **أني لم أخنه** ﴾ في زوجته ﴿ **بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين** ﴾ الآية ، وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواه .

قال[٧] ابن جرير(٨٥) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن

= ابن أبي حاتم (١١٦٨٦/٧) ثنا أبي ، ثنا محمد بن أبي عمر العدني ، ثنا سفيان به ، وذكره ابن حجر في « الفتح » (٣٨٢/١٢) وقال : « هذا مرسل » وزاد نسبته السيوطي (٤٠/٤) إلى ابن المنذر ، وصححه موصولاً الشيخ الألباني في الصحيحة (١٩٤٥/٤) من حديث ابن عباس ، وانظر ما تقدم برقم (٨١) .

(٨٥) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٩٤٢٨/١٦) ، وأخرجه (١٩٤٢٩) ثنا ابن وكيع ثنا أبي به ، وأخرجه أيضًا (١٩٤٣٠) وابن أبي حاتم (١١٦٩٣/٧) من طريقين عن إسرائيل به ، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة ، وأخرجه الحاكم (٣٤٦/٢) والبيهقي في « الشعب » (٧٢٩٠/٥) ، وفي « الزهد » (٣٦١) من طريق إسرائيل عن خصيف عن عكرمة به نحوه ، وخصيف هو ابن عبد الرحمن الجزري =

[١] - في ز : يقول .
[٢] - في ز : ذلك .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ت : « لأن النفس لأمارة » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - ساقطة من : خ .
[٧] - في ز ، خ : « وقال » .

عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما جمع الملك النسوة ، فسألهن : هل راودتن يوسف عن نفسه ؟ ﴿ قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ﴾ الآية ، قال يوسف : ﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾ الآية قال[١] : فقال له جبري عليه السلام : ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال : ﴿ وما أبرئ نفسي ﴾ الآية .

وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي الهذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدي ، والقول الأول أقوىٰ وأظهر ؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ، ولم يكن يوسف ، عليه السلام ، عندهم ، بل بعد ذلك أحضره الملك .

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن الملك حين تحقق براءة يوسف ، عليه السلام ، ونزاهة عرضه مما نسب إليه قال : ﴿ ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴾ أي : أجعله من أخصائي[٢] وأهل مشورتي ﴿ فلما كلمه ﴾ أي : خاطبه الملك وعرفه ، ورأىٰ فضله وبراعته ، وعلم ما هو عليه من خُلُق وخَلْق وكمال ، قال له الملك : ﴿ إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ أي : إنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة ، فقال يوسف عليه السلام : ﴿ اجعلني علىٰ خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ مدح نفسه ، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة ، وذكر أنه ﴿ حفيظ ﴾ أي : خازن أمين ﴿ عليم ﴾ ذو علم وبصر بما يتولاه .

وقال شيبة بن نعامة : حفيظ لما استودعتني ، عليم بِسني[٣] الجدب . رواه ابن أبي حاتم(٨٦) .

وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه ، ولما [في ذلك][٤] من المصالح للناس ، وإنما سأل[٥]

= صدوق سيئ الحفظ . وزاد نسبته السيوطي (٤٢/٤) إلى الفريابي وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٨٦) - التفسير (١١٧١٧/٧) ثنا علي بن الحسين ، ثنا محمد بن أبي حماد ، ثنا إبراهيم بن مختار عنه به ، وأخرجه ابن جرير (١٩٤٥٧/١٦) ثنا ابن حميد ثنا إبراهيم بن المختار به ، وإبراهيم بن المختار ، صدوق ضعيف الحفظ - كما في « التقريب » وصاحب القول شيبة بن نعامة ، ضعفه يحيى بن معين وابن الجارود وقال البزار : كانت عنده أخبار ، وهو لين الحديث ، انظر « لسان الميزان » (٣٧٦٦/٢) .

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في ت : « خاصتي » .

[٣] - في ز ، خ : « سنين » .

[٤] - في ت : « فيه » .

[٥] - في خ : سأله .

أن يجعل[١] على خزائن الأرض : وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات ، لما يستقبلونه[٢] من السنين التي أخبرهم بشأنها ، ليتصرف[٣] لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد ، فأجيب إلى ذلك رغبة فيه وتكرمة له ، ولهذا[٤] قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

يقول تعالى : ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض** ﴾ أي : أرض مصر ﴿ **يتبوأ منها حيث يشاء** ﴾ . قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يتصرف فيها كيف يشاء .

وقال ابن جرير : يتخذ منها منزلًا حيث شاء[٥] بعد الضيق والحبس والإسار ﴿ **نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين** ﴾ أي : وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز ، فلهذا أعقبه الله عز وجل السلامة والنصر والتأييد ﴿ **ولا نضيع أجر المحسنين * ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ يخبر تعالى : أن ما ادخره الله تعالي لنبيه يوسف ، عليه السلام ، في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا ، كقوله[٦] في حق سليمان ، عليه السلام : ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب * وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾ .

والغرض : أن يوسف ، عليه السلام ، ولَّاه ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر ، مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته ، وأسلم الملك على يدي يوسف ، عليه السلام ؛ قاله مجاهد .

وقال محمد بن إسحاق(٨٧) : لما قال يوسف للملك : ﴿ **اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم** ﴾ قال الملك : قد فعلتُ ، فولاه فيما ذكروا عمل أطفير ، وعزل[٧] أطفير عما كان عليه ، يقول الله عز وجل : ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين** ﴾ قال : فذكر لي - والله أعلم - :

---

(٨٧) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٤٥٩) وابن أبي حاتم (٧/١١٧٢٣) من كلام ابن إسحاق .

---

[١] - في خ : يجعله .
[٢] - في خ : « يستقبلوه » .
[٣] - في خ : فيتصرف .
[٤] - في خ : « ولذلك » .
[٥] - في خ : يشاء .
[٦] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٧] - في خ : « عمل » .

أن أطفير هلك في تلك الليالي ، وأن الملك الريان بن الوليد زوّج يوسف امرأة أطفير راعيلَ ، وأنها حين دخلت عليه قال لها : أليس هذا خيرًا مما كنت تريدين ؟ قال : فيزعمون أنها قالت : أيها الصديق ، لا تلمني ، فإني كنت امرأة كما ترىٰ حسناء جميلة ، ناعمة في ملك ودنيا ، وكان صاحبي لا يأتي النساء ، وكنتَ كما جعلك اللّٰه في حسنك وهيئتك[١] علىٰ ما رأيت . فيزعمون أنه وجدها عذراء فأصابها ، فولدت له رجلين ؛ أفرائيم ابن يوسف وميشا بن يوسف ، وولد لأفرائيم نون والد يوشع بن نون ، ورحمة امرأة أيوب عليه السلام .

وقال الفضيل بن عياض : وقفت امرأة العزيز علىٰ ظهر الطريق حتىٰ مر يوسف فقالت : الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكًا بطاعته ، والملوك عبيدًا بمعصيته .

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

ذكر السدي ومحمد بن إسحاق وغيرهما من المفسرين : أن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر ، أن يوسف ، عليه السلام ، لما باشر الوزارة بمصر ، ومضت السبع سنين المخصبة ، ثم تلتها [سنينُ الجدب][٢] ، وعم القحط بلاد مصر بكمالها ، ووصل إلىٰ بلاد كنعان ، وهي التي فيها يعقوب ، عليه السلام ، وأولاده ، وحينئذٍ احتاط يوسف ، عليه السلام ، للناس في غلاتهم ، وجمعها أحسن جمع ، فحصل من ذلك مبلغ عظيم ، وأهراء[٣] متعددة هائلة ، وورد عليه الناس من سائر الأقاليم والمعاملات ، يمتارون لأنفسهم وعيالهم ، فكان لا يعطي الرجل أكثر من حمل بعير في السنة ، وكان ، عليه السلام ، لا يشبع نفسه ، ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار ، حتىٰ يتكفىٰ الناس بما في أيديهم مدّة السبع سنين ، وكان رحمة من اللّٰه علىٰ أهل مصر .

---

[١] - في ز : وهيبتك .

[٢] - في ت : « السبع سنين المجدبة » . [٣] - في خ : « وأهدا » .

وما ذكره بعض المفسرين من أنه باعهم في السنة الأولىٰ بالأموال ، وفي الثانية بالمتاع ، وفي الثالثة بكذا ، وفي الرابعة بكذا ، حتىٰ [باعهم بأنفسهم وأولادهم][١] بعد ما تملك عليهم جميع ما يملكون ، ثم أعتقهم وردّ عليهم أموالهم كلها - اللَّه أعلم بصحة ذلك ، وهو من الإِسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب .

والغرض : أنه كان في جملة من ورد للميرة إخوة يوسف عن أمر أبيهم لهم في ذلك ، فإنه بلغهم أن عزيز مصر يعطي الناس الطعام بثمنه ، فأخذوا معهم بضاعة يعتاضون بها طعامًا ، وركبوا عشرة نفر ، واحتبس يعقوب ، عليه السلام ، عنده ابنه بنيامين شقيق يوس عليه السلام ، وكان أحب ولده إليه بعد يوسف ، فلما [دخلوا علىٰ يوسف][٢]وهو جالس في أبهته ورياسته وسيادته ، عرفهم حين نظر إليهم ﴿ **وهم له منكرون** ﴾ أي : لا يعرفونه ؛ لأنهم فارقوه وهو صغير حدث ، وباعوه للسيارة ولم يدروا أين يذهبون به ، ولا كانوا يستشعرون في أنفسهم أن يصير إلىٰ ما صار إليه ، فلهذا لم يعرفوه ، وأما هو فعرفهم .

فذكر السدي وغيره : أنه شرع يخاطبهم فقال لهم كالمنكر عليهم : ما أقدمكم بلادي ؟ فقالوا : أيها العزيز ، إنا قدمنا للميرة . قال : فلعلكم عيون ؟ قالوا : معاذ اللَّه ! قال : فمن أين أنتم ؟ قالوا : من بلاد كنعان ، وأبونا يعقوب نبي اللَّه . قال : وله أولاد غيركم ؟ قالوا : نعم ، كنا اثني[٣] عشر ، فذهب أصغرنا هلك في البرية ، وكان أحبنا إلىٰ أبيه ، وبقي شقيقه فاحتبسه أبوه ليتسلىٰ به عنه . فأمر بإنزالهم وإكرامهم .

﴿ **ولما جهزهم بجهازهم** ﴾ أي : وفَّاهم كيلهم ، وحمل لهم أحمالهم ، قال : ائتوني بأخيكم هذا الذي ذكرتم ؛ لأعلم صدقكم فيما ذكرتم ﴿ **ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين** ﴾ يرغبهم في الرجوع إليه ، ثم رهبهم فقال : ﴿ **فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي** ﴾ الآية ، أي : إن لم تقدموا به معكم في المرة الثانية فليس لكم عندي ميرة ﴿ **ولا تقربون * قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون** ﴾ أي : سنحرص علىٰ مجيئه إليك بكل ممكن ، ولا نبقي مجهودًا لتعلم صدقنا فيما قلناه .

وذكر السدي أنه أخذ منهم رهائن حتىٰ يقدموا به معهم ، وفي هذا نظر ؛ لأنه أحسن إليهم ورغبهم كثيرًا ، وهذا لحرصه علىٰ رجوعهم .

﴿ **وقال لفتيته[٤]** ﴾ أي : لغلمانه[٥] ﴿ **اجعلوا بضاعتهم** ﴾ أي : التي قدموا بها

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - في خ : « فلما دخلوا عليه » .

[٣] - في خ : « اثنا » .

[٤] - كذا في ز ، خ . وهي قراءة نافع وأبي عمرو وعبد الله بن كثير وابن عامر .

[٥] - في ت : « غلمانه » .

ليمتاروا عوضًا عنها ﴿ في رحالهم ﴾ أي : في أمتعتهم من حيث لا يشعرون ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ بها .

قيل : خشي يوسف ، عليه السلام ، أن لا يكون عندهم بضاعة أخرىٰ يرجعون للميرة بها ، وقيل : تذمم أن يأخذ من أبيه وإخوته عوضًا عن الطعام .

وقيل : أراد أن يردهم إذا وجدوها في متاعهم تحرجًا وتورعًا ؛ لأنه يعلم [ذلك منهم] ، والله أعلم .

فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

يخبر تعالىٰ عنهم أنهم لما[١] رجعوا إلىٰ أبيهم ﴿ قالوا يا أبانا منع منا الكيل ﴾ يعنون بعد هذه المرة إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين ، ﴿ فأرسله معنا نكتل ﴾ قرأ بعضهم بالياء[٢] أي : يكتل هو ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ أي : لا تخف عليه فإنه سيرجع إليك ، وهذا كما قالوا له في يوسف : ﴿ أرسله معنا غدًا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ﴾ ، ولهذا قال لهم : ﴿ هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم علىٰ أخيه من قبل ﴾ أي : هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل ، تغيبونه عني وتحولون بيني وبينه ؟ ﴿ فالله خير حفظا ﴾[٣] وقرأ بعضهم : ﴿ حافظًا ﴾[٤] ، ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ أي : هو أرحم الراحمين بي ، وسيرحم كبري وضعفي ووجدي بولدي ، وأرجو من الله أن يرده عليَّ ، ويجمع شملي به ، إنه أرحم الراحمين .

وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ

---

[١] - زيادة من ز .

[٢] - وهم حمزة والكسائي .

[٣] - كذا ، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر .

[٤] - وهي قراءة حفص عن عاصم وحمزة والكسائي .

كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

يقول تعالىٰ : ولما فتح إخوة يوسف متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم ، وهي التي كان أمر يوسف فتيانه بوضعها في رحالهم ، فلما وجدوها في متاعهم ﴿ **قالوا يا أبانا ما نبغي** ﴾ أي : ماذا نريد ﴿ **هذه بضاعتنا ردت إلينا** ﴾ كما قال قتادة : ما نبغي وراء هذا : إن بضاعتنا ردت إلينا وقد أوفي لنا الكيل .

﴿ **ونمير أهلنا** ﴾ أي : إذا أرسلت أخانا معنا نأتي بالميرة إلىٰ أهلنا ﴿ **ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير** ﴾ وذلك أن يوسف ، عليه السلام ، كان يعطي كل رجل حمل بعير ، وقال مجاهد : حمل حمار ، وقد يسمىٰ في بعض اللغات بعيرًا كذا قال .

﴿ **ذلك كيل يسير** ﴾ هذا من تمام الكلام وتحسينه ، أي : إن هذا يسير في مقابلة أخذ أخيهم ، ما يعدل هذا [هذا][1] ﴿ **قال لن أرسله معكم حتىٰ تؤتوني موثقًا من اللّه** ﴾ أي : تحلفون بالعهود والمواثيق ﴿ **لتأتنني به إلا أن يحاط بكم** ﴾ إلا أن تغلبوا كلكم ولا تقدرون علىٰ تخليصه[2] ﴿ **فلما آتوه موثقهم** ﴾ أكده عليهم فقال : ﴿ **اللّه علىٰ ما نقول وكيل** ﴾ .

قال ابن إسحاق : وإنما فعل ذلك لأنه لم يجد بدًّا من بعثهم لأجل الميرة التي لا غنىٰ لهم[3] عنها فبعثه معهم .

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن يعقوب ، عليه السلام ، : أنه أمر بنيه لما جهزهم مع أخيهم بنيامين

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز ، خ : « تحصيله » .
[٣] - في ز : بهم .

إلىٰ مصرَ أن لا يدخلوا كلهم من باب واحد ، وليدخلوا من أبواب متفرقة ، فإنه كما قال ابن عباس(٨٨) ومحمد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي [وغير واحد][١] : إنه خشي عليهم العين ، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء ، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم ، فإن العين حق تستنزل الفارس عن فرسه .

وروىٰ ابن أبي حاتم(٨٩) : عن إبراهيم النخعي في الآية في قوله : ﴿ **وادخلوا من أبواب متفرقة** ﴾ قال : علم أنه سيلقىٰ إخوته في بعض تلك الأبواب .

وقوله : ﴿ **وما أغني عنكم من اللَّه من شيء** ﴾ أي : إن هذا الاحتراز لا يردّ قضاء اللَّه وقدره ، فإن اللَّه إذا أراد شيئًا لا يخالف ولا يمانع ﴿ **إن الحكم إلا للَّه عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون * ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من اللَّه من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها** ﴾ قالوا : هي دفع إصابة العين لهم ﴿ **وإنه لذو علم لما علمناه** ﴾ .

قال قتادة والثوري : لذو [عمل بعلمه][٢] .

وقال ابن جرير : لذو علم لتعليمنا إياه ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ .

وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

يخبر تعالىٰ عن إخوة يوسف لما قدموا علىٰ يوسف ، ومعهم أخوه شقيقه بنيامين ، فأدخلهم[٣] دار كرامته ، ومنزل ضيافته ، وأفاض عليهم الصلة والألطاف والإحسان ، واختلىٰ بأخيه فأطلعه علىٰ شأنه ، وما جرىٰ له وعرفه أنه أخوه ، وقال له : لا تبتئس أي : لا تأسف علىٰ ما صنعوا بي ، وأمره بكتمان ذلك عنهم ، وأن لا يطلعهم علىٰ ما أطلعه عليه من أنه أخوه ، وتواطأ معه أنه سيحتال علىٰ أن يبقيه عنده معززًا مكرّمًا معظمًا .

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ

(٨٨) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٤٩٠) من طريق عطية العوفي عنه ، وعطية ضعيف .

(٨٩) - (١١٧٦٩/٧) وفي إسناده يحيى بن عبد الحميد الحماني ، اتهم بسرقة الحديث .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ت : علم يعلمه .

[٣] - في خ : وأدخلهم .

﴿ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾

لما جهزهم وحمّل لهم أبعرتهم طعامًا ، أمر بعض فتيانه أن يضع السقاية : وهي إناء من فضة في قول الأكثرين ، وقيل : من ذهب - قاله ابن زيد - كان يشرب فيه ، ويكيل للناس به من عزة الطعام إذ ذاك ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد .

وقال شعبة(٩٠) ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **صواع الملك** ﴾ قال : كان من فضة يشربون فيه وكان مثل المكوك ، وكان للعباس مثله في الجاهلية . فوضعها في متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد ، ثم نادىٰ مناد بينهم : ﴿ **أيتها العير إنكم لسارقون** ﴾ فالتفتوا إلىٰ المنادي ، وقالوا : ﴿ **ماذا تفقدون * قالوا نفقد صواع الملك** ﴾ أي : صاعه الذي يكيل به ﴿ **ولمن جاء به حمل بعير** ﴾ وهذا من باب الجعالة ﴿ **وأنا به زعيم** ﴾ وهذا من باب الضمان والكفالة .

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾

لما اتهمهم[١] أولئك الفتيان بالسرقة ، قال لهم إخوة يوسف : ﴿ **تالله لقد علمتم ما جئنا**

(٩٠) - **إسناده صحيح**، أخرجه أحمد - كما في « الفتح » لابن حجر (٣٥٩/٨) - ومن طريقه اختاره الضياء في « المختارة » (٩٣/١٠) من طريق محمد بن جعفر ثنا شعبة ، به ، وأخرجه ابن جرير (١٦/ ١٩٥٢٥،١٩٥٢٦،١٩٥٣٢) ، وابن أبي حاتم (١١٨٠٠/٧) من طرق عن شعبة به ، وعزاه الحافظ ابن حجر إلى ابن منده في « غرائب شعبة » وابن مردويه وابن أبي شيبة ، وقال : « إسناده صحيح » ، وزاد نسبته السيوطي (٥٠/٤) إلى ابن المنذر وابن الأنباري وأبي الشيخ .

[١] - في ز : اتهم .

لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ﴾ أي : لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمونا ؛ لأنهم شاهدوا منهم سيرة حسنة - أنَّا ما جئنا للفساد[١] في الأرض ﴿ **وما كنا سارقين** ﴾ .

أي : ليست سجايانا تقتضي هذه الصفة ، فقالت[٢] لهم الفتيان : ﴿ **فما جزاؤه** ﴾ أي : السارق إن كان فيكم ﴿ **إن كنتم كاذبين** ﴾ أي : أيُّ شيء يكون عقوبته إن وجدنا [فيكم][٣] من أخذه ؟ ﴿ **قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين** ﴾ .

وهكذا كانت شريعة إبراهيم عليه السلام : أن السارق يدفع إلىٰ المسروق منه ، وهذا هو الذي أراد يوسف ، عليه السلام ، ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ، أي : فتشها قبله تورية ﴿ **ثم استخرجها من وعاء أخيه** ﴾ فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم ، وإلزامًا لهم بما يعتقدونه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **كذلك كدنا ليوسف** ﴾ وهذا من الكيد المحبوب المراد ، الذي يحبه اللَّه ويرضاه ، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة .

وقوله : ﴿ **ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك** ﴾ أي : لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر ، قاله الضحاك وغيره ، وإنما قيض اللَّه له أن التزم له إخوته بما التزموه ، وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم ، ولهذا مدحه اللَّه تعالىٰ فقال : ﴿ **نرفع درجات من نشاء** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يرفع اللَّه الذين آمنوا منكم** ﴾ الآية .

﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾ قال الحسن البصري : ليس عالم إلا فوقه عالم حتىٰ ينتهي إلىٰ اللَّه عز وجل . وكذا روىٰ عبد الرزاق(٩١) : عن سفيان الثوري ، عن عبد الأعلىٰ الثعلبي ، عن سعيد بن جبير قال : كنا عند ابن عباس فتحدث[٤] بحديث عجيب ، فتعجب رجل فقال : الحمد لله ! فوق كل ذي علم عليم . فقال ابن عباس : بئس ما قلت ! اللَّه العليم وهو فوق كل عالم . وكذا روىٰ سماك(٩٢) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس

---

(٩١) - **إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى وهو ابن عامر** ، التفسير (٣٢٦/٣ ، ٣٢٧) ومن طريقه ابن جرير (١٩٥٨٤/١٦) ، وابن أبي حاتم (١١٨٢٩/٧) ، وأخرجه ابن جرير (١٩٥٨٢،١٩٥٨٣) من طريقين عن سفيان به ، وأخرجه سعيد بن منصور - ومن طريقه ابن جرير (١٩٥٨٦) - عن أبي الأحوص عن عبد الأعلى به ، وأخرجه ابن جرير (١٩٥٨٧) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٢٣٦/١) من طريق إسرائيل عن عبد الأعلى به ، وعبد الأعلى هو ابن عامر الثعلبي ، ضعيف ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٢/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ ، وانظر ما بعده .

(٩٢) - أخرجه ابن جرير (١٩٥٨٥/١٦ شاكر) (٢٧/١٢ - حلبي) ووقع هناك « إسرائيل عن سالم =

---

[١] - في ت : « لنفسد » .
[٢] - في خ : فقال .
[٣] - في ز ، خ : « فيه » .
[٤] - في خ : فحدث .

﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾ قال : يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم . وهكذا قال عكرمة .

وقال قتادة : وفوق كل ذي علم عليم حتىٰ ينتهي العلم إلىٰ الله ، منه بُدئ وتعلمت العلماء وإليه يعود ، وفي قراءه عبد الله : (وفوق كل عالم عليم) .

قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧

وقال إخوة يوسف لما رأوا الصواع قد أخرج من متاع بنيامين : ﴿ **إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل** ﴾ يتنصلون إلىٰ العزيز من التشبه به ، ويذكرون أن هذا فعل كما فعل أخ له من قبل ، يعنون به يوسف ، عليه السلام .

قال سعيد بن جبير ، عن قتادة : كان يوسف قد سرق صنمًا لجده أبي أمه فكسره .

وقال محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد قال(٩٣) : كان أول ما دخل علىٰ يوسف من البلاء - فيما بلغني - : أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها[١] مِنْطَقَةُ[٢] إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكبر ، وكان[٣] من اختبأها[٤] ممن وليها كان له سلمًا لا ينازع فيه يصنع فيه ما شاء[٥] ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد حضنته عمته ، فكان منها[٦] وإليها فلم[٧] يُحب أحد شيئًا من الأشياء حبها إيّاه ، حتىٰ إذا[٨] ترعرع وبلغ سنوات ، [وقعت][٩] نفس يعقوب ، عليه السلام ، فأتاها فقال : يا أخية ، سلمي إليَّ يوسف ؛ فوالله ، ما أقدر علىٰ أن يغيب عنى ساعة .

= عن عكرمة » والظاهر أنه تحريف - والله أعلم - فقد أخرجه ابن أبي حاتم (١١٨٣٠/٧) وعلقه النحاس في « معاني القرآن الكريم » (٤٤٩/٣) والقرطبي في « الجامع لأحكام القرآن » (٢٣٨/٩) من طريق « إسرائيل عن سماك به » ثم إن إسرائيل كثير الرواية عن سماك بن حرب ، وقد روى أيضًا عن سالم بن عجلان الأفطس ، لكن لم نقف على من ذكر أن سالمًا هذا يروى عن عكرمة ، والله أعلم .

(٩٣) - أخرجه ابن جرير (١٩٦٠٥/١٦) وابن أبي حاتم (١١٨٣٧/٧) .

[١] - في خ : « لها » .
[٢] - المنطقة شيء يشد به الوسط .
[٣] - في خ : « فكان » .
[٤] - في ابن جرير وابن أبي حاتم : اختانها ، وهى بمعنى سرقها .
[٥] - في خ : يشاء .
[٦] - في ز ، خ : « معها » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في خ : تاقت إليه .

قالت : فوالله ما أنا بتاركته . ثم قالت : فدعه عندي أيامًا أنظر إليه وأسكن عنه ، لعل ذلك يسليني عنه . أو كما قالت ، فلما خرج من عندها يعقوب ، عمدت إلىٰ منطقة إسحاق فحزمتها علىٰ يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : فقدت منطقة إسحاق ، عليه السلام ، فانظروا من أخذها ومن أصابها ؟ والتمست[١] ، ثم قالت : كشفوا أهل البيت ، فكشفوهم فوجدوها مع يوسف ، فقالت : والله إنه[٢] لي لسلم أصنع فيه ما شئت ، فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ، ما أستطيع غير ذلك ، فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتىٰ ماتت . قال : فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه ﴿ **إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فأسرها يوسف في نفسه** ﴾ يعني الكلمة التي بعدها ، وهي قوله : ﴿ **أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون** ﴾ أي : تذكرون ، قال هذا في نفسه ولم يبده لهم ، وهذا من باب الإضمار قبل الذكر ، وهو كثير كقول الشاعر :

جزىٰ بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل[٣] كما يُجزىٰ سنمّار[٤]

وله شواهد كثيرة من[٥] القرآن والحديث واللغة ؛ في منثورها وأخبارها وأشعارها ، قال العوفي ، عن ابن عباس ﴿ **فأسرها يوسف في نفسه** ﴾ قال : أسر في نفسه ﴿ **أنتم شر مكانًا والله أعلم بما تصفون** ﴾ .

قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾

لما تعين أخذ بنيامين ، وتقرر تركه عند يوسف بمقتضىٰ اعترافهم - شرعوا يترققون له ويعطفونه عليهم فقالوا : ﴿ **يا أيها العزيز إن له أبا شيخًا كبيرًا** ﴾ يعنون : وهو يحبه حبًّا شديدًا ، ويتسلىٰ به عن ولده الذي فقده ﴿ **فخذ أحدنا مكانه** ﴾ أي : بدله يكون عندك عوضًا عنه ﴿ **إنا نراك من المحسنين** ﴾ أي : من[٦] العادلين المنصفين القابلين للخير ﴿ **قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده** ﴾ أي : كما قلتم واعترفتم ﴿ **إنا إذا لظالمون** ﴾ أي : إن أخذنا بريئًا بسقيم .

---

[١] - في ت : « فالتمست » .

[٢] - في خ : « إني » . ، وفي ز : إن .

[٣] - في ز ، خ : « ظن » .

[٤] - في خ : « سمارة » .

[٥] - في ت : « في » .

[٦] - سقط من خ .

فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ
أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ
حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ
فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ
حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا
لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾

يخبر تعالىٰ عن إخوة يوسف : أنهم لما يئسوا من تخليص أخيهم بنيامين ، الذي قد التزموا لأبيهم برده إليه وعاهدوه علىٰ ذلك ، فامتنع عليهم ذلك ﴿ **خلصوا** ﴾ أي : انفردوا عن الناس ﴿ **نجيًا** ﴾[١] يتناجون فيما بينهم .

﴿ **قال كبيرهم** ﴾ وهو روبيل ، وقيل : يهوذا ، وهو الذي أشار عليهم بإلقائه في البئر عندما هموا بقتله ، قال لهم : ﴿ **ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من اللَّه** ﴾ لتردنه إليه ، فقد رأيتم كيف تعذر عليكم ذلك مع ماتقدم لكم من إضاعة يوسف عنه ﴿ **فلن أبرح الأرض** ﴾ أي : لن أفارق هذه البلدة ﴿ **حتىٰ يأذن لي أبي** ﴾ في الرجوع إليه راضيًا عني ﴿ **أو يحكم اللَّه لي** ﴾ قيل : بالسيف ، وقيل : بأن يمكنني من أخذ أخي ﴿ **وهو خير**[٢] **الحاكمين** ﴾ .

ثم أمرهم أن يخبروا أباهم بصورة ما وقع ، حتىٰ يكون عذرًا لهم[٣] عنده ، ويتنصلوا إليه ويبرءوا مما وقع بقولهم [ ][٤] : ﴿ **وما كنا للغيب حافظين** ﴾ قال قتادة وعكرمة : ما نعلم[٥] أن ابنك يسرق[٦] .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما علمنا في الغيب أنه يسرق له شيئًا ، إنما سألنا : ما جزاء السارق ؟ ﴿ **واسأل القرية التى كنا فيها** ﴾ قيل : المراد مصر ، قاله قتادة ، وقيل : غيرها ﴿ **والعير التىٰ أقبلنا فيها** ﴾ أي : التىٰ رافقناها[٧] عن صدقنا وأمانتنا وحفظنا وحراستنا

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « أحكم » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : وقوله .
[٥] - في ت : « علمنا » .
[٦] - في ت : « سرق » .
[٧] - في ز ، خ : « وافقناها » .

﴿ **وإنا لصادقون** ﴾ فيما أخبرناك به من أنه سرق وأخذوه بسرقته .

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

قال لهم كما قال لهم حين جاءوا علىٰ قميص يوسف بدم كذب : ﴿ **بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق : لما جاءوا يعقوب وأخبروه بما جرىٰ اتهمهم ، وظن[١] أنها كفعلتهم بيوسف ، قال : ﴿ **بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل** ﴾ .

[وقال بعض الناس : لما كان صنيعهم هذا مرتبًا علىٰ فعلهم الأول ، سحب حكم الأول عليه ، وصح قوله : ﴿ **بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل** ﴾][٢] .

ثم ترجى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة : يوسف ، وأخاه[٣] بنيامين ، وروبيل الذي أقام بديار مصر ينتظر أمر الله فيه ، إما أن يرضىٰ عنه أبوه فيأمره بالرجوع إليه ، وإما أن يأخذ أخاه خفية ، ولهذا قال : ﴿ **عسىٰ الله أن يأتيني بهم جميعًا إنه هو العليم الحكيم**[٤] ﴾ أي : العليم بحالي ﴿ **الحكيم** ﴾ في أفعاله وقضائه وقدره .

﴿ **وتولىٰ عنهم وقال يا أسفىٰ علىٰ يوسف** ﴾ أي : أعرض عن بنيه ، وقال متذكرًا حزن يوسف القديم الأول[٥] ﴿ **يا أسفىٰ علىٰ يوسف** ﴾ جدد له حزن الابنين الحزن الدفين .

قال عبد الرزاق(٩٤) : أنا الثوريٰ ، عن سفيان العصفري[٦] ، عن سعيد بن جبير أنه قال :

---

(٩٤) - **إسناده صحيح** ، التفسير (٣٢٧/٢) ، ومن طريقه ابن جرير (١٩٦٥٨/١٦) وأخرجه وكيع =

---

[١] - في ت : « فظن » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « وأخوه » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في خ : « الصفري » .

لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع ، ألا تسمعون إلىٰ قول يعقوب عليه السلام : ﴿ **يا أسفىٰ علىٰ يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** ﴾ أي : ساكت لا يشكو أمره إلىٰ مخلوق . قاله قتادة وغيره .

وقال الضحاك : ﴿ **فهو كظيم** ﴾ كميد حزين .

وقال ابن أبي حاتم(٩٥) : حدثنا أبي [ثنا أبو سلمة][١] ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس : أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن داود ، عليه السلام ، قال : يا رب ، إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق ويعقوب فاجعلني لهم رابعًا ، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه : أن يا داود ، إن إبراهيم ألقي في النار بسببي فصبر ، وتلك بلية لم تنلك ، وإن إسحاق بذل مهجة دمه بسببي فصبر ، وتلك بلية لم تنلك ، وإن يعقوب أخذت منه حبيبه فابيضت عيناه من الحزن فصبر ، وتلك بلية لم تنلك** » وهذا مرسل[٢] وفيه نكارة ؛ فإن الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح ، ولكن علي بن زيد[٣] بن جدعان له مناكير وغرائب كثيرة ، والله أعلم .

وأقرب ما في هذا أن الأحنف بن قيس ، رحمه الله ، حكاه عن بعض بني إسرائيل ككعب ووهب ونحوهما والله أعلم ، فإن [بني إسرائيل][٤] ينقلون أن يعقوب كتب إلىٰ يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة ، يتلطف له في رد ابنه ، ويذكر له أنهم أهل بيت مصابون بالبلاء ، فإبراهيم ابتلي بالنار ، وإسحاق بالذبح ، ويعقوب بفراق يوسف ، في حديث طويل لا يصح والله أعلم ، فعند ذلك رق له بنوه ، وقالوا له علىٰ سبيل الرفق به والشفقة عليه : ﴿ **تالله تفتأ تذكر يوسف** ﴾ أي : لا تفارق تذكر يوسف ﴿ **حتىٰ تكون حرضًا** ﴾ أي : ضعيف الجسم ضعيف القوّة ﴿ **أو تكون من الهالكين** ﴾ يقولون : إن استمرّ بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف .

﴿ **قال إنما أشكو بثي وحزني إلىٰ الله** ﴾ أي : أجابهم عما قالوا بقوله : ﴿ **إنما أشكو**

= كما في « الدر المنثور » (٢٨٦/١) - ومن طريقه ابن أبي حاتم (١١٨١/٧) عن سفيان الثوري به ، وأخرجه البيهقي في « الشعب » (٩٦٩١/٧) من طريق أبي عامر عن الثوري ، به ، وسفيان العصفري هو ابن زياد - ويقال ابن دينار - أبو الورقاء ، ثقة . والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨٦/١) ، (٥٧/٤) - إلى ابن المنذر وعبد بن حميد .

(٩٥) - **مرسل وفيه نكارة** والحديث في التفسير (١١٨٨٢/٧) ، وقد روي موصولًا من حديث العباس بن عبد المطلب لكن إسناده ضعيف جدًّا ويأتي تخريجه (الصافات/ آية١١٣) .

[١] - ما بين المعكوفين زيادة من « التفسير » .

[٢] - في خ : « منكر » .

[٣] - في خ : « يزيد » .

[٤] - في خ : « الإسرائيلين » .

بثي وحزني ﴾ أي : همي وما أنا فيه ﴿ **إلىٰ الله** ﴾ وحده ﴿ **وأعلم من الله ما لا تعلمون** ﴾ أي : أرجو منه كل خير .

وعن ابن عباس(٩٦) : ﴿ **وأعلم من الله ما لا تعلمون** ﴾ أعلم أن رؤيا يوسف صادقة ، وأني سوف أسجد له .

وقال ابن أبي حاتم(٩٧) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا يحيىٰ بن عبد الملك بن أبي غنية[١] ، عن حفص بن عمر بن أبي الزبير ، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كان ليعقوب النبي ، عليه السلام ، أخ مؤاخ له ، فقال له ذات يوم : ما الذي أذهب بصرك وقوّس ظهرك ؟ قال : أمّا[٢] الذي أذهب بصري فالبكاء[٣] علىٰ يوسف ، وأما الذي قوّس[٤] ظهري فالحزن علىٰ بنيامين . فأتاه جبريل ، عليه السلام ، فقال : [يا يعقوب][٥] ، إن الله يقرئك السلام ، ويقول لك : أما تستحي أن تشكوني إلىٰ غيري ؟ فقال يعقوب : ﴿ إنما أشكو بثي وحزني إلىٰ الله ﴾ . فقال جبريل ، عليه السلام ، الله أعلم بما تشكو** » .

---

(٩٦) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٩٧١٥/١٦) وابن أبي حاتم (١١٩٠٨/٧) من طريق عطية العوفي عنه ، به .

(٩٧) - (١١٩٠١/٧) وأخرجه الحاكم (٣٤٨/٢) وعنه البيهقي في « الشعب » (٣٤٠٣/٣) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ثنا يحيى بن عبد الملك عن حفص بن عمر بن أبي الزبير به ، وقال : هكذا في سماعي بخط يد « حفص بن عمر بن الزبير » ، وأظن الزبير وهمًا من الراوي ، فإنه حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ابن أخي أنس بن مالك ، فإن كان كذلك فالحديث صحيح . وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦١٠٥/٦) ، وفي « الصغير » (٣٣/٢) ثنا محمد بن أحمد الباهلي عن وهب بن بقية نا يحيى بن عبد الملك عن حصين بن عمر ، عن أبي الزبير - كذا وقع - به ، وقد ذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٣/٧) وقال : « رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي البصري وهو ضعيف جدًّا وذكر الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » (٢٨٩٠/٢) ، حفص بن عمر بن أبي الزبير هذا وقال : « ضعفه الأزدي ، فلعله عن أبي الزبير ، أو كأنه حفص بن عمر بن كيسان بن أبي يزيد ، عن ابن الزبير لا عن أبي الزبير ، ولا يعرف من ذا ... » وأخرجه إسحاق بن راهويه في تفسيره ومن طريقه الحاكم وعن الحاكم البيهقي (٣٤٠٤) من طريق زافر بن سليمان عن يحيى بن عبد الملك عن أنس به هكذا منقطعًا ورواه البيهقي أيضًا (٣٤٠٥) عن يحيى بن عبد الملك عن رجاء - هكذا وهو خطأ ، وصوابه أبو رجاء الهروي انظر « تهذيب الكمال » (٣١/ت٦٨٧٥) - عن أنس به ، وهذا منقطع أيضًا بين أبي رجاء وأنس ، ثم إن الحديث في متنه نكارة كما قال المصنف .

---

[١] - في خ : « بحينة » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : البكاء .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « ليعقوب » .

وهذا حديث غريب فيه نكارة .

﴿ يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن يعقوب عليه السلام : أنه ندب بنيه علىٰ الذهاب في الأرض يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين .

والتحسس يكون في الخير ، والتجسس يستعمل[١] في الشر .

ونهضهم وبشرهم ، وأمرهم أن لا ييأسوا من روح اللَّه ، أي : لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من اللَّه فيما يرومونه و[يقصدون له][٢] ، فإنه لا يقطع الرجاء ويقطع الإِياس من روح[٣] اللَّه إلا القوم الكافرون .

وقوله ﴿ **فلما دخلوا عليه** ﴾ تقدير الكلام : فذهبوا فدخلوا مصر ودخلوا علىٰ يوسف ﴿ **قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر** ﴾ يعنون من الجدب والقحط وقلة الطعام ﴿ **وجئنا ببضاعة مزجاة** ﴾ أي : ومعنا ثمن الطعام الذي نمتاره وهو ثمن قليل ، قاله مجاهد والحسن وغير واحد .

وقال ابن عباس(٩٨) : الرديء الذي لا ينفق مثل خَلَقِ[٤] الغِرَارة[٥] والحبل والشيء .

وفي رواية عنه : الدراهم الرديئة التي لا تجوز إلا بنقصان . وكذا قال قتادة والسدي.

وقال سعيد بن جبير : هي الدراهم الفسول . وقال أبو صالح : هو الصنوبر وحبة الخضراء . وقال الضحاك : كاسدة لا تنفق . وقال أبو صالح : جاءوا بحب البطم الأخضر

(٩٨) - ورد من طرق عن ابن عباس : انظر تفسير ابن جرير (١٦/١٩٧٤١:١٩٧٤٧) ، وابن أبي حاتم (٧/١٩٩١٩،١٩٩٢٢) و « الدر المنثور » (٤/٦٧) .

[١] - في خ : يكون .
[٢] - في خ : يقصدونه .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز: حلق .
[٥] - الخلق البالي . والغِرارة : وعاء من الخيش ونحوه ، يوضع فيه القمح ونحوه .

والصنوبر .

وأصل الإزجاء : الدفع لضعف الشيء ، كما قال حاتم الطائي :

لِيَبْكِ عَلَىٰ مِلْحَانَ ضَيْفٌ مُدَفَّعُ وَأَرْمَلَةٌ تُزْجِي مَعَ اللَّيْلِ أَرْمَلَا

وقال أعشىٰ بني ثعلبة :

الواهبُ المِئَةِ الهِجانِ وعَبْدِها عُوذا تُزَجِّي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا

وقوله إخبارًا عنهم ﴿ **فأوف لنا الكيل** ﴾ أي : أعطنا بهذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك ، وقرأ ابن مسعود(٩٩) : فأوقر[١] ركابنا وتصدق علينا .

وقال[٢] ابن جريج : ﴿ **وتصدق علينا** ﴾ برد أخينا إلينا .

وقال سعيد بن جبير والسدي : ﴿ **وتصدق علينا** ﴾ يقولون : تصدق علينا بقبض هذه البضاعة المزجاة وتجوز[٣] فيها .

وسئل سفيان بن عيينة : هل حرِّمت الصدقة علىٰ أحد من الأنبياء قبل النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؟ فقال : ألم تسمع قوله : ﴿ **فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن اللَّه يجزي المتصدقين** ﴾ ؟

رواه ابن جرير(١٠٠) : عن الحارث ، عن القاسم عنه .

وقال ابن جرير(١٠١) حدثني الحارث ، حدثنا القاسم ، حدثنا مروان بن معاوية ، عن عثمان بن الأسود قال : سمعت مجاهدًا وسئل هل يكره أن يقول الرجل في دعائه : اللهم تصدق عليَّ ؟ قال[٤] : نعم ، إنما الصدقة لمن يبتغي الثواب .

قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ

---

(٩٩) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٧٥٤،١٩٧٥٦) .

(١٠٠) - التفسير (١٦/١٩٧٨٦) .

(١٠١) - التفسير (١٦/١٩٧٨٨) وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٦٣) إلى أبي عبيد وابن المنذر .

---

[١] - في خ : « فأوقد » .
[٢] - في خ : « قال » .
[٣] - في خ : « ويجوز » .
[٤] - في خ : « فقال » .

﴿وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا[١] عن يوسف عليه السلام : أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق ، وقلة الطعام وعموم الجدب ، وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه ، مع ما هو[٢] فيه من الملك والتصرف والسعة ، فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ، ورحمة وشفقة علىٰ أبيه وإخوته ، وبدره البكاء فتعرف إليهم ، فيقال[٣] : إنه رفع التاج عن جبهته وكان فيها شامة ، وقال : ﴿ **هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون** ﴾ يعني : كيف فرّقوا بينه وبين أخيه[٤] ﴿ **إذ أنتم جاهلون** ﴾ أي : إنما حملكم[٥] علىٰ هذا الجهل بمقدار هذا الذي ارتكبتموه ، كما قال بعض السلف(١٠٢) : كل من عصىٰ اللّٰه فهو جاهل ، وقرأ : ﴿ **ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة** ﴾ الآية[٦] .

والظاهر - واللّٰه أعلم - : أنّ يوسف ، عليه السلام ، إنما تعرف إليهم بنفسه بإذن اللّٰه تعالىٰ له في ذلك ، كما أنه إنما أخفىٰ منهم نفسه في المرّتين الأوليين بأمر اللّٰه تعالىٰ له في ذلك واللّٰه أعلم ، ولكن لما ضاق الحال واشتد الأمر ، فرّج اللّٰه تعالىٰ من ذلك الضيق ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإن مع العسر يسرًا * إنّ مع العسر يسرًا** ﴾ فعند ذلك قالوا : ﴿ **أئنك لأنت يوسف** ﴾ .

وقرأ أبي بن كعب : ﴿ **أو أنت[٧] يوسف** ﴾ ، وقرأ ابن محيصن : ﴿ **إنك [لأنت][٨] يوسف** ﴾ والقراءة المشهورة هي الأولىٰ ؛ لأن الاستفهام يدل علىٰ الاستعظام ، أي أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يتردّدون إليه من سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه ، وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه ، فلهذا قالوا علىٰ سبيل الاستفهام : ﴿ **أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف**

(١٠٢) - تقدم ذلك عن مجاهد وغير واحد (سورة النساء/آية١٧) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في خ : « وقال » .
[٤] - في ز ، خ : « بنيه » .
[٥] - في خ : « حملهم » .
[٦] - في خ : إلى قوله : ﴿ **إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾ .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - في خ : « أنت » .

وهذا أخي ﴾ .

وقوله[١] : ﴿ **قد منّ اللّه علينا** ﴾ أي : بجمعه بيننا بعد التفرقة وبعد المدة ﴿ **إنه من يتق ويصبر فإن اللّه لا يضيع أجر المحسنين * قالوا تاللّه لقد آثرك اللّه علينا** ﴾ الآية[٢] ، يقولون معترفين له بالفضل والأثرة عليهم في الخلق والخُلق ، والسعة والملك والتصرف ، والنبوّة أيضًا علىٰ قول من لم يجعلهم أنبياء ، وأقرّوا له بأنهم أساءوا إليه وأخطئوا في حقه .

﴿ **قال لا تثريب عليكم اليوم** ﴾ يقول : لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم[٣] ، ولا أعيد عليكم[٤] ذنبكم في حقي بعد اليوم .

ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فقال : ﴿ **يغفر اللّه لكم وهو أرحم الراحمين** ﴾ .

قال السدي : اعتذروا إلىٰ يوسف ، فقال : ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم** ﴾ يقول : لا أذكر لكم ذنبكم .

وقال ابن إسحاق والثوري : ﴿ **لا تثريب عليكم** ﴾ أي : لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم ﴿ **يغفر اللّه لكم** ﴾ أي : يستر اللّه عليكم فيما فعلتم ﴿ **وهو أرحم الراحمين** ﴾ .

اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ
لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

يقول : اذهبوا بهذا القميص ﴿ **فألقوه علىٰ وجه أبي يأت بصيرًا** ﴾ وكان قد عمي من كثرة البكاء ﴿ **وأتوني بأهلكم أجمعين** ﴾ أي : بجميع بني يعقوب .

﴿ **ولما فصلت العير** ﴾ أي : خرجت من مصر ﴿ **قال أبوهم** ﴾ يعني يعقوب ، عليه السلام ، لمن بقي عنده من بنيه ﴿ **إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون** ﴾ تنسبوني إلىٰ الفند والكبر .

قال عبد الرزاق(١٠٣) : أنبأنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد اللّه بن أبي الهذيل قال :

(١٠٣) - **إسناده صحيح** ، التفسير (٣٢٩/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٩٨١٢/١٦) ، وأخرجه =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .

سمعت ابن عباس يقول : ﴿ ولما فصلت العير ﴾ قال : لما خرجت العير هاجت ريح ، فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف ، فقال : ﴿ إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ﴾ قال : فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام .

وكذا رواه سفيان الثوري وشعبة وغيرهما عن أبي سنان به ، وقال الحسن وابن جريج : كان بينهما ثمانون فرسخًا ، وكان بينه وبينه منذ افترقا ثمانون سنة .

وقوله : ﴿ لولا أن تفندون ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وسعيد بن جبير : تسفهون .

وقال مجاهد أيضا والحسن : تهرّمون .

وقولهم : ﴿ إنك لفي ضلالك القديم ﴾ قال ابن عباس(١٠٤) : لفي خطئك القديم .

وقال قتادة : أي من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه ، قالوا لوالدهم كلمة غليظة ، لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ، ولا لنبي الله صلىٰ الله عليه وسلم . وكذا قال السدي وغيره .

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

قال ابن عباس(١٠٥) والضحاك : ﴿ البشير ﴾ البريد .

وقال مجاهد والسدي : كان يهوذا بن يعقوب .

= ابن جرير أيضًا (١٩٨٠٢،١٩٨٠٣) ، وابن أبي حاتم (١١٩٥٩/٧) من طريقين عن إسرائيل به ، وأخرجه ابن جرير (١٩٨٠٤،١٩٨١١) وابن أبي حاتم (١١٩٦١/٧: ١١٩٦٤) من طرق عن أبي سنان به ، وأبو سنان هو ضرار بن مرة الشيباني الأكبر ، ثقة ثبت ، وعبد الله بن أبي الهذيل ثقة ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٦٦/٤) إلى الفريابي وأحمد في « الزهد » وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(١٠٤) - أخرجه ابن جرير (١٩٨٤٩) ، وابن أبي حاتم (١١٩٧٠/٧) من طريق علي بن أبي طلحة عنه ، به .

(١٠٥) - أخرجه ابن جرير (١٩٨٥٧/١٦) وابن أبي حاتم (١١٩٧٧/٧) من طريق العوفي عنه ، به .

قال السدي : إنما جاء به لأنه هو الذي جاء بالقميص وهو ملطخ بدم كذب ، فأراد أن يغسل ذاك بهذا ، فجاء بالقميص فألقاه علىٰ وجه أبيه فرجع بصيرًا .

وقال لبنيه عند ذلك : ﴿ **ألم أقل لكم إني أعلم من اللّٰه ما لا تعلمون** ﴾ أي : أعلم أن اللّٰه سيرده إليّ ، وقلت لكم : ﴿ **إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون** ﴾ فعند ذلك قالوا لأبيهم مترفقين له : ﴿ **يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين * قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ أي : من تاب إليه تاب عليه .

قال ابن مسعود وإبراهيم التيمي وعمرو بن قيس وابن جريج وغيرهم : أرجأهم إلىٰ وقت السحر .

وقال ابن جرير(١٠٦) : حدثني أبو السائب ، حدثنا ابن إدريس ، سمعت عبد الرحمن بن إسحاق يذكر ، عن محارب بن دثار قال : كان [عمٌّ لي] يأتي المسجد فسمع إنسانا يقول : اللهم دعوتني فأجبت ، وأمرتني فأطعت ، وهذا سَحَرٌ فاغفر لي . قال : فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد اللّٰه بن مسعود ، فسأل عبد اللّٰه عن ذلك فقال : إن يعقوب أخر بنيه إلىٰ السحر بقوله : ﴿ **سوف أستغفر لكم ربي** ﴾ .

وقد ورد في حديث[١] أن ذلك كان ليلة جمعة[٢] ، كما قال ابن جرير أيضًا(١٠٧) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، أنبأنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **سوف أستغفر لكم ربي** ﴾ يقول : « **حتىٰ تأتي ليلة الجمعة وهو قول أخي**

---

(١٠٦) - **إسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن إسحاق** ، والحديث في التفسير (١٩٨٧٠/١٦) وأخرجه أيضًا (١٩٨٧١) وابن أبي حاتم (١١٩٨٣/٧) وسنيد - كما في تفسير القرطبي (٢٦٣/٩) من طرق عن عبد الرحمن بن إسحاق به ، وعبد الرحمن بن إسحاق هو ابن سعد أبو شيبة الواسطي ، « ضعيف » ، وعزاه السيوطي (٦٨/٤) إلى أبي عبيد وسعيد بن منصور وابن المنذر والطبراني .

(١٠٧) - **منكر** ، والحديث في التفسير (١٩٨٧٥/١٦) وأخرجه أيضًا (١٩٨٧٦) ، والترمذي ، كتاب : الدعوات ، باب : في دعاء الحفظ (٤٥٦٥) ، والحاكم (٣١٦/١-٣١٧) من طريق سليمان بن عبد الرحمن به مطولًا ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . فتعقبه الذهبي قائلًا : هذا حديث منكر شاذ ، أخاف أن يكون موضوعًا ، وقد حيرني والله جودة سنده ... » وقد زالت هذه الحيرة من عنده فقال في « السير » (٩/ ت٦٠/ص٢١٨) : « هذا عندي موضوع والسّلام ، ولعل الآفة دخلت على سليمان ابن بنت شُرَحبيل فيه ، فإنه منكر الحديث ، وإن كان حافظًا ، فلو كان قال فيه : عن ابن جريج ، لراج ، ولكن صرح بالتحديث ، فقويت الريبة ... » وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢٠٣٦/١١) ومن طريقه ابن الجوزي =

---

[١] - في ت : « الحديث » . [٢] - في خ : الجمعة .

يعقوب لبنيه » .

وهذا غريب من هذا الوجه ، وفي رفعه[١] نظر ، والله أعلم .

فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

يخبر تعالىٰ عن ورود يعقوب ، عليه السلام ، علىٰ يوسف ، عليه السلام ، وقدومه ببلاد[٢] مصر لما كان يوسف قد تقدم [إلى إخوته][٣] أن يأتوه بأهلهم أجمعين ، فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين ديار[٤] مصر ، فلما أخبر يوسف ، عليه السلام ، باقترابهم خرج لتلقيهم[٥] ، وأمر الملك[٦] أمراءه وأكابر الناس بالخروج [مع يوسف][٧] لتلقي نبي الله يعقوب ، عليه السلام ، ويقال : إن الملك خرج أيضًا لتلقيه وهو الأشبه .

وقد أشكل قوله : ﴿ **آوىٰ إليه أبويه وقال ادخلوا مصر** ﴾ علىٰ كثير من المفسرين ؛

= في « الموضوعات » (١٣٨/٢) عن هشام بن عمار ، ثنا محمد بن إبراهيم القرشي ، ثنا أبو صالح ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به ، وقال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح ، ومحمد بن إبراهيم مجروح ، وأبو صالح لا نعلمه إلا إسحاق بن نجيح وهو متروك » ، وقد أخرجه الدارقطني في « الأفراد » ومن طريقه ابن الجوزي (١٣٨/٣-١٣٩) - ثنا محمد بن الحسن بن محمد المقري النقاش ثنا الفضل بن محمد العطار ثنا هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكر الحديث ؛ قال ابن الجوزي عقب هذا الإسناد : « أنا لا أتهم به إلا النقاش ، شيخ الدارقطني ، قال طلحة بن محمد بن جعفر : كان النقاش يكذب ، وقال البرقاني : كل حديثه منكر ، وقال الخطيب : أحاديثه مناكير بأسانيد مشهورة . وانظر « تنزيه الشريعة » للكناني (رقم ٩١) .

---

[١] - في ز : وجهه .
[٢] - في خ : بلاد
[٣] - في خ : لإخوته .
[٤] - في خ : بلاد .
[٥] - في خ : « ليلقهم » .
[٦] - في ز : بها .
[٧] - سقط من ز .

فقال بعضهم : هذا[١] من المقدم والمؤخر ، ومعنىٰ الكلام : وقال ادخلوا مصر إن شاء اللّٰه آمنين وآوىٰ إليه أبويه ورفعهما علىٰ العرش .

وقد رد[٢] ابن جرير هذا وأجاد في ذلك ، ثم اختار ماحكاه عن السدي : أن يوسف آوىٰ إليه أبويه لما تلقاهما ، ثم لما وصلوا باب البلد قال : ﴿ **ادخلوا مصر إن شاء اللّٰه آمنين** ﴾ .

وفي هذا نظر أيضًا ؛ لأن الإيواء إنما يكون في المنزل ، كقوله : ﴿ **آوىٰ إليه أخاه** ﴾ وفي الحديث : « **من آوىٰ محدثا** »(١٠٨) ، وما المانع أن يكون قال لهم بعد ما دخلوا عليه وآواهم إليه : ادخلوا مصر ، وضمنه اسكنوا مصر إن شاء اللّٰه آمنين ، أي : مما كنتم فيه من الجهد والقحط ؟ ويقال - واللّٰه أعلم - : إن اللّٰه تعالىٰ رفع عن أهل مصر بقية السنين المجدبة ببركة قدوم يعقوب عليهم ، كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، علىٰ أهل مكة حين قال(١٠٩) : « **اللهم[٣] ، أعني عليهم بسبع كسبع يوسف** » ثم لما تضرعوا إليه واستشفعوا لديه وأرسلوا أبا سفيان في ذلك فدعا لهم ، فرفع عنهم بقية ذلك ببركة دعائه عليه السلام .

وقوله : ﴿ **آوىٰ إليه أبويه** ﴾ قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنما كان أباه وخالته ، وكانت أمه قد ماتت قديمًا .

وقال محمد بن إسحاق وابن جرير : كان أبوه وأمه يعيشان .

قال ابن جرير : ولم يقم دليل علىٰ موت أمه ، وظاهر القرآن يدل علىٰ حياتها .

وهذا الذي نصره هو المتصور الذي يدل عليه السياق .

---

(١٠٨) - **صحيح** ، جزء من حديث أخرجه مسلم ، كتاب : الأضاحي ، باب : « تحريم الذبح لغير الله تعالى ، ولعن فاعله (١٩٧٨) ، والنسائي ، كتاب : « الأضاحي ، باب : من ذبح لغير الله عز وجل (٧/ ٢٣٢) ، وأحمد (١/١١٨،١٥٢) من حديث علي بن أبي طالب .

(١٠٩) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : « سورة الروم » (٤٧٧٤) - وانظر أطرافه عند رقم (١٠٠٧) ومسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : « الدخان » (٣٩) (٢٧٩٨) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الدخان (٣٢٥١) ، والنسائي في التفسير من الكبرى (٦/١١٢٠٢،١١٤٨١،١١٤٨٣) ، وأحمد (١/٣٨٠،٤٣١،٤٤١) من حديث عبد الله بن مسعود .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في خ : وقد روى .

[٣] - سقط من : خ .

وقوله : ﴿ **ورفع**[١] **أبويه علىٰ العرش** ﴾ قال ابن عباس(١١٠) ومجاهد وغير واحد : يعني السرير . أي : أجلسهما معه علىٰ سريره .

﴿ **وخروا له سجدًا** ﴾ أي : سجد له أبواه[٢] وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلًا ﴿ **وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل** ﴾ أي : التي كان قصها علىٰ أبيه [من قبل][٣] ﴿ **إني رأيت أحد عشر كوكبًا** ﴾ الآية .

وقد كان هذا سائغًا في شرائعهم : إذا سلموا علىٰ الكبير يسجدون له ، ولم يزل هذا جائزًا من لدن آدم إلىٰ شريعة عيسىٰ ، عليه السلام ، فحرم هذا في هذه الملة ، وجعل السجود مختصًا بجناب الرب سبحانه وتعالىٰ .

هذا مضمون قول قتادة وغيره .

وفي الحديث(١١١) : أن معاذًا قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم ، فلما رجع سجد لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **ما هذا يامعاذ ؟** » فقال : إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم ، وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله . فقال : « **لو كنت آمرًا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة**[٤] **أن تسجد لزوجها ؛** [**من عظم**][٥] **حقه عليها** » .

وفي حديث آخر(١١٢) : أن سلمان لقي النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في بعض طرق المدينة ، وكان سلمان حديث عهد[٦] بالإسلام . فسجد للنبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **لا تسجد لي يا سلمان ، واسجد للحي الذي لا يموت** » .

والغرض : أن هذا كان جائزًا في شريعتهم ، ولهذا خروا له سجدًا ، فعندها قال يوسف : ﴿ **يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا** ﴾ أي : هذا ما آل إليه الأمر ،

(١١٠) - أخرجه ابن جرير (١٩٨٩٥/١٦) وابن أبي حاتم (١١٩٩٢/٧) من طريقين عنه ، وفي كل منهما ضعف .

(١١١) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد (١٩٤٦١) (٣٨١/٤) ، وابن ماجة ، كتاب : النكاح ، باب : حق الزوج على المرأة (١٨٥٣) والبيهقي في « الكبرى » (٢٩٢/٧) وصححه ابن حبان (٤١٧١/٩) من حديث عبد الله بن أبي أوفى وإسناده حسن ، وفي الباب عن عدد من الصحابة ، انظر في ذلك « الإرواء » للألباني (١٩٩٨/٧) .

(١١٢) - سيأتي تخريجه - إن شاء الله - في سورة الفرقان .

[١] - في خ : « ورفع على » .

[٢] - في ز ، خ : « أبوه » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ز ، خ : « الزوجة » .

[٥] - في ت : « لعظم » .

[٦] - في خ : « السن » .

فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله** ﴾ أي : يوم القيامة يأتيهم ماوعدوا به[١] من خير وشر .

وقوله : ﴿ **قد جعلها ربي حقًا** ﴾ أي : صحيحة صدقًا ، يذكر نعم اللَّه عليه ﴿ **وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو** ﴾ أي : البادية .

قال ابن جريج[٢] وغيره : كانوا من أهل بادية وماشية . وقال : كانوا يسكنون بالعربات من أرض فلسطين من غور الشام . قال : وبعض يقول : كانوا بالأولاج من ناحية شعب أسفل من حِسْمَىٰ ، وكانوا أصحاب بادية وشاء وإبل .

﴿ **من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء** ﴾ أي : إذا أراد أمرًا قيض له أسبابًا وقدره ويسره ﴿ **إنه هو العليم** ﴾ بمصالح[٣] عباده ﴿ **الحكيم** ﴾ في أقواله وأفعاله وقضائه وقدره وما يختاره ويريده .

قال أبو عثمان النهدي(١١٣) ، عن سلمان : كان[٤] بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

قال عبد اللَّه بن شداد : [وإليها ينتهي][٥] أقصىٰ الرؤيا . رواه ابن جرير(١١٤) .

وقال أيضًا(١١٥) : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، حدثنا هشام ، عن الحسن ؛ قال : [كان منذ] فارق يوسف يعقوب إلىٰ أن التقيا ثمانون سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ، ودموعه تجري علىٰ خديه ، وما علىٰ وجه الأرض يومئذٍ عبد أحب إلىٰ اللَّه من

---

(١١٣) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٩٠٧:١٩٩٠٩،١٩٩١٧،١٩٩٢٠) وابن أبي حاتم (١١٩٩٨/٧) والحاكم (٣٩٦/٤) والبيهقي في « الشعب » (٤٧٨٠/٤) من طرق عن سليمان التيمي عن أبي عثمان به ، وسكت عنه الحاكم ، وقال الذهبي : « على شرط البخاري ومسلم » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٧١/٤) ، إلى الفريابي وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في « كتاب العقوبات » وابن المنذر وأبي الشيخ .

(١١٤) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٩٩١٠،١٩٩١٦،١٩٩٢١) ، والبيهقي في « الشعب » (٤/٤٧٨١) من طريق سفيان بن عيينة عن أبي سنان عنه به ، وزاد نسبته السيوطي (٧١/٤) إلى ابن أبي شيبة وأبي الشيخ .

(١١٥) - (١٦/١٩٩٢٢) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ت : « جرير » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز ، خ : « وإليه تنتهي » .

يعقوب .

وقال هشيم(١١٦) ، عن يونس ، عن الحسن ، ثلاث وثمانون سنة .

وقال مبارك بن فضالة(١١٧) ، عن الحسن : ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة[١] ، فمات وله عشرون ومائة سنة ، وقال قتادة : كان بينهما خمس وثلاثون سنة .

وقال محمد بن إسحاق : ذُكر - والله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثماني عشرة سنة .

قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب ، عليه السلام ، بقي مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ثم قبضه الله إليه .

وقال أبو إسحاق السبيعي(١١٨) ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون إنسانًا وخرجوا منها وهم ستمائة ألف وسبعون ألفًا .

وقال أبو إسحاق ، عن مسروق : دخلوا وهم ثلاثمائة وتسعون من[٢] بين رجل وامرأة . فالله أعلم .

وقال موسىٰ بن عبيدة(١١٩) ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد : اجتمع آل يعقوب إلىٰ يوسف بمصر وهم ستة وثمانون إنسانًا صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، وخرجوا منها[٣] وهم ستمائة ألف ونيف .

---

(١١٦) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٩٢٦) .

(١١٧) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٩٢٨) حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز قال : حدثنا مبارك بن فضالة به ، وأخرجه أحمد في « الزهد » (ص١٠٣) وابن أبي حاتم (١٢٠١/٧) من طريق ابن علية عن يونس عن الحسن به ، لكن وقع عند أحمد « ... ثم جمع له شمله فعاش ثلاثًا وخمسين سنة » وأخرجه مختصرًا الحاكم (٥٧١/٢) من طريق حماد بن سلمة عن يونس عن عبيد عنه به ، وعزاه السيوطي (٧٢/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن عبد الحكم في « فتوح مصر » وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(١١٨) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٩٣٦،١٩٩٣٧) من طريق إسرائيل والمسعودي عن أبي إسحاق به ، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله ، وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٩٥٧/٧) من طريق زهير بن واقد ، ثنا أبو إسحاق ، عن عبد الله به هكذا منقطعًا ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (الشعراء/ آية ٥٤/ ١٥٧/٥) إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر .

(١١٩) - **إسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة** ، أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٩٣٥) ثنا ابن وكيع =

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ساقطة من : « ت » .

[٣] - سقط من : خ .

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾

هذا دعاء من يوسف الصديق ، دعا به ربه عز وجل لما تمت [النعمة][١] عليه ، باجتماعه بأبويه وإخوته ، وما مَنَّ الله [به عليه] ١٠ من النبوة والملك ، سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة ، وأن يتوفاه مسلمًا حين يتوفاه ، قاله الضحاك ، وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوته[٢] من النبيين والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف ، عليه السلام ، قاله عند احتضاره ، كما ثبت في الصحيحين(١٢٠) : عن عائشة ، رضي الله عنها : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول : « **اللهم في الرفيق الأعلى [اللهم في الرفيق الأعلى ! اللهم في الرفيق الأعلى !**][٣] » .

ويحتمل أنه سأل الوفاة علىٰ الإسلام واللحاق بالصالحين إذا حان أجله وانقضىٰ عمره ، لا أنه سأله ذلك منجزًا ، كما يقول الداعي لغيره : أماتك الله علىٰ الإسلام ! ويقول الداعي : اللهم أحينا[٤] مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين !

ويحتمل أنه سأل ذلك منجزًا ، وكان ذلك سائغًا في ملتهم ، كما قال قتادة قوله(١٢١) : ﴿ **توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين** ﴾ ، لما جمع الله شمله وأقر عينه ، وهو يومئذٍ مغموس

= قال : ثنا زيد بن الحباب ، وعمرو بن محمد عن موسى بن عبيدة به ، وموسى بن عبيدة هو الرَّبذي ، ضعيف .

(١٢٠) – أخرجه البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : مرض النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ووفاته (٤٤٣٧) – وانظر أطرافه (٨٩٠) ، ومسلم ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : في فضل عائشة – رضي الله عنها – (٢٤٤٤) وغيرهما .

(١٢١) – أخرجه ابن جرير (١٩٩٤٢/١٦) ثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عنه به ، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠١١/٧) من طريق أبي الجماهر ثنا سعيد بن بشير به مختصرًا ، وسعيد بن بشير ضعفه الجمهور ، لكن أخرجه ابن جرير (١٩٩٤٣) من طريق آخر صحيح ، دون قول ابن عباس .

[١] – في ت : « نعمة الله » .

[٢] – في ت : « إخوانه » .

[٣] – ما بين المعكوفتين في ت : « ثلاثا » .

[٤] – في ز ، خ : « أمتنا » .

في نبت الدنيا وملكها وغضارتها ، واشتاق إلىٰ الصالحين قبله ، وكان ابن عباس يقول : ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف ، عليه السلام .

وكذا ذكر ابن جرير والسدي عن ابن عباس : أنه أول نبي دعا بذلك ، وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة علىٰ الإسلام ، كما أن نوحًا أول من قال : ﴿ **رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنًا** ﴾ .

ويحتمل أنه أول من سأل إنجاز ذلك ، وهو ظاهر سياق قول قتادة ، ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا .

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله(١٢٢) : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان ولابد متمنيًا الموت فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي** » .

[وأخرجاه في الصحيحين ، وعندهما(١٢٣) : « **لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، إمّا محسنًا فيزداد ، وإمّا مسيئًا فلعله يستعتب ، ولكن ليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**][١] » .

وقال الإمام أحمد(١٢٤) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معان بن رفاعة ، حدثني علي بن

(١٢٢) - المسند (٣/١٠١) وأخرجه البخاري ، كتاب : الدعوات ، باب : الدعاء بالموت والحياة (٦٣٥١) ، ومسلم كتاب : الذكر والدعاء ...، باب : كراهة تمني الموت لضر نزل به (١٠) (٢٦٨٠) ، والترمذي ، كتاب : الجنائز باب : ما جاء في النهي عن التمنى للموت (٩٧١) والنسائي ، كتاب الجنائز ، باب : تمني الموت (٤/٣) ، من طرق عن إسماعيل بن إبراهيم به ، وأخرجه أحمد (١٤٠٣٢) (٣/٢٨١) وأبو داود ، كتاب : الجنائز ، باب : في كراهية تمني الموت (٣١٠٨) والنسائي في « الكبرى » (٦/١٠٨٩٨) وابن ماجة : كتاب : الزهد ، باب : « ذكر الموت والاستعداد له » (٤٢٦٥) من طريقين عن عبد العزيز ، به .

(١٢٣) - لم أقف عليه بهذا اللفظ من حديث أنس ، وإنما أخرجه البخاري ، كتاب : المرضى ، باب : تمني المريض الموت (٥٦٧٣) ، وكتاب : الفتن ، باب : ما يكره من التمني (٧٢٣٥) ، والنسائي (٤/٢) ، وأحمد (٢/٣٠٩،٥١٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ « لا يتمنى - وفي رواية يتمنين - أحدكم الموت ، إما محسنًا فلعله أن يزداد ، وإما مسيئًا فلعله يستعتب » وهو عند مسلم (١٣) (٢٦٨٢) بمعناه ، وانظر الحديث الآتي برقم (١٢٩) وراجع تعليق العلامة أحمد شاكر على هذا الحديث في « المسند » (٧٥٦٨) .

(١٢٤) - **إسناده ضعيف** ، المسند (٢٢٣٩٣) (٥/٢٦٧) وذكره « المصنف » بنفس الإسناد في =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

يزيد ، عن القاسم أبي عبد الرحمن ، عن أبي أمامة قال : جلسنا إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فذكرنا ورققنا ، فبكىٰ سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء ، وقال : يا ليتني مِت ! فقال النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا سعد ، أعندي تتمنىٰ الموت ؟** » فردد ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : « **يا سعد ، إن كنت خلقت للجنة ، [فما طال من]**[١] **عمرك ، و**[٢] **حسن من**[٣] **عملك ، فهو خير لك** » .

وقال الإمام أحمد(١٢٥) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو يونس - هو سليم ابن جبير - عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أنه قال : « **لا يتمنى أحدكم الموت ، ولا يدعو به من قبل أن يأتيه ، إلا أن يكون قد وثق بعمله ، فإنه إن مات أحدكم انقطع عنه عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره**[٤] **إلا خيرًا** » . تفرد[٥] به أحمد .

وهذا فيما إذا كان الضر خاصًا به ، وأما إذا كان فتنة في الدين ، فيجوز سؤال الموت ، كما قال اللَّه تعالىٰ إخبارًا عن السحرة ، لما أرادهم فرعون عن دينهم وتهددهم بالقتل : ﴿ **قالوا ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين** ﴾ ، وقالت مريم لما جاءها المخاض ، وهو الطلق ، إلىٰ جذع النخلة : ﴿ **يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ لما تَعْلَمُ من أن الناس يقذفونها بالفاحشة ؛ لأنها لم تكن ذات زوج ، وقد حملت وولدت وقد قالوا : ﴿ **يا مريم لقد جئت شيئًا فريًّا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمّك بغيًّا** ﴾ فجعل اللَّه لها من ذلك الحال فرجًا ومخرجًا ، وأنطق الصبي في المهد بأنه عبد اللَّه ورسوله ، فكان آية عظيمة ومعجزة باهرة صلوات اللَّه وسلامه عليه .

= « البداية والنهاية » (٨٢/٨) وتحرف هناك معان إلى معاذ ومن طريق أحمد أخرجه ابن عساكر في « التاريخ » (١٦١/٧- مخطوط) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٧٨٧٠/٨) ثنا أحمد بن عبد الوهاب ثنا أبو المغيرة بهذا الإسناد ، وعلقه الذهبي في « الميزان » (٤/ت٦٨١٧) من طريق هشام بن عمار ثنا عمرو بن واقد عن علي بن يزيد به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٠٦/١٠) وقال : « رواه أحمد والطبراني وزاد .... وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف » قلت : ومعان بن رفاعة ، لين الحديث كثير الإرسال - كما في التقريب ، ولين إسناده الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٣٠/١٠) .

(١٢٥) - **حديث صحيح** ، المسند (٨٥٩٢) (٣٥٠/٢) وقول المصنف : « تفرد به أحمد » يعني بهذا الإسناد ، وإلا فقد أخرجه مسلم في صحيحه كتاب : الذكر والدعاء .... ، باب : كراهة تمني الموت لضر نزل به (١٣) (٢٦٨٢) ثنا محمد بن رافع ، ثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال : =

---

[١] - في ز : فأطال .

[٢] - في ز : أو .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز ، خ : « عمله » .

[٥] - في خ : « انفرد » .

وفي حديث معاذ الذي رواه الإمام أحمد والترمذي في قصة المنام والدعاء الذي فيه(١٢٦) : « **وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون** » .

وقال الإمام أحمد(١٢٧) : حدثنا أبو سلمة ، أنا عبد العزيز بن محمد ، عن عمرو ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد : أن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **اثنتان يكرههما ابن آدم ؛ يكره الموت ، والموت خير للمؤمن [من الفتنة]**[١] ، **ويكره قلة المال ، وقلة المال أقل للحساب** » .

فعند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت ، ولهذا قال علي بن أبي طالب ، رضي اللّٰه عنه ، في آخر خلافته ، لما رأىٰ أن[٢] الأمور لا تجتمع له ، ولا يزداد الأمر إلا شدة ، فقال(١٢٨) : اللهم خذني إليك فقد سئمتهم وسئموني .

وقال البخاري رحمه اللّٰه لما وقعت له تلك المحن ، وجرىٰ له مع أمير خراسان [ما جرىٰ][٣] ، قال : اللهم توفني إليك .

وفي الحديث(١٢٩) : « **إن الرجل ليمر بالقبر** - أي في زمان الدجال - **فيقول يا ليتني مكانك !** » لما يرىٰ من الفتن والزلازل والبلابل ، والأمور الهائلة التي هي فتنة لكل مفتون .

قال أبو جعفر بن جرير : وذكر أن بني يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا استغفر لهم[٤]

= هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكر الحديث ، وانظر الحديث المتقدم . ويأتي عند المصنف (سورة المؤمنون آية ٩٥) .

(١٢٦) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (٢٢٠٨) (٥/٢٤٣) والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة « ص » (٣٢٣٣) وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث ، فقال : « هذا الحديث حسن صحيح .... » .

(١٢٧) - **صحيح** ، المسند (٢٣٧٣٥،٢٣٧٣٧) (٥/٤٢٧،٤٢٨) وأخرجه أيضًا (٢٣٧٣٦) (٥/٢٣٧) والبغوي في « شرح السنة » (١٤/٤٠٦٦) من طريقين عن إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » في موضعين الأول : (٢/٣٢٤) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، والثاني : (١٠/٢٦٠) وقال : « رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح » وجوَّد إسناده الألباني في « الصحيحة » (٢/٨١٣) .

(١٢٨) - أورد المصنف نحو ذلك عنه في كتابه « البداية والنهاية » (٨/١٣) .

(١٢٩) - أخرجه مالك في « الموطأ » كتاب : الجنائز ح ٥٣، ومن طريقه أحمد (٢/٢٣٦) والبخاري كتاب : الفتن ، باب : لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور (٧١١٥) ، ومسلم ، كتاب : =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

أبوهم ، فتاب الله[١] عليهم وعفا عنهم وغفر لهم ذنوبهم .

(ذكر من قال ذلك)

حدثنا القاسم(١٣٠) ، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج ، عن صالح المري ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ؛ قال : إن اللّٰه تبارك وتعالىٰ لما جمع ليعقوب شمله [وأقر عينه][٢] ، خلا ولده نجيًّا ، فقال بعضهم لبعض : ألستم قد علمتم ما صنعتم ، وما لقي منكم الشيخ وما لقي منكم يوسف ؟ قالوا : بلىٰ . قال : فيغركم عفوهما عنكم فكيف لكم بربكم ؟ فاستقام أمرهم علىٰ أن أتوا الشيخ ، فجلسوا بين يديه ويوسف إلىٰ جنب أبيه قاعدًا ، قالوا : يا أبانا ، إنا أتيناك [في أمر][٣] لم نأتك في[٤] مثله قط ، ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط ، حتىٰ حركوه ، والأنبياء عليهم السلام أرحم البرية ، فقال : مالكم يا بني ؟ قالوا : ألست قد علمت ما كان منا إليك ، وما كان منا إلىٰ أخينا يوسف ؟ قال : بلىٰ . قالوا : أفلستما قد عفوتما لنا[٥] ؟ قالا : بلىٰ . قالوا : فإن عفوكما لا يغني [عنا][٦] شيئًا إن كان اللّٰه لم يعف عنا . قال : فما تريدون يا بني ؟ قالوا : نريد أن تدعو اللّٰه لنا[٧] ، فإذا جاءك الوحي من اللّٰه بأنه قد عفا عما صنعنا[٨] قرّت أعيننا ، واطمأنت قلوبنا ، وإلا فلا قرة عين في الدنيا لنا أبدًا . قال : فقام الشيخ فاستقبل القبلة ، وقام يوسف خلف أبيه ، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين . قال : فدعا وأمّن يوسف ، فلم يجب فيهم عشرين سنة . قال صالح المري : يخيفهم . قال : حتىٰ إذا كان علىٰ رأس العشرين ، نزل جبريل ، عليه السلام ، علىٰ يعقوب فقال : إن اللّٰه تعالىٰ قد بعثني إليك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك ، و[أنه][٩] قد عفا عما صنعوا ، وأنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك علىٰ النبوة .

هذا الأثر موقوف عن أنس ، ويزيد الرقاشي وصالح المري ضعيفان جدًّا .

= الفتن وأشراط الساعة (٥٣) (١٥٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ : « **لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتني مكانه** » وبلفظ آخر بنحو السابق أخرجه مسلم (٥٤) (١٥٧) ، وابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب : شدة الزمان (٤٠٣٧) .

(١٣٠) - **إسناده ضعيف جدًّا ؛ لضعف يزيد الرقاشي وصالح المري** ، التفسير (١٦/٢٨١/رقم ١٩٩٤٨) .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في ز ، خ : « بعينيه » .

[٣] - في ت : « لأمر » .

[٤] - في خ : « أمر » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « عما صنعنا » .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - سقط من : ت .

[٩] - في ت : « أن الله تعالى » .

وذكر السدي : أن يعقوب ، عليه السلام ، لما حضره الموت أوصىٰ إلىٰ يوسف بأن يدفن عند إبراهيم وإسحاق ، فلما مات صبره وأرسله إلىٰ الشام فدفن عندهما ، عليهم[١] السلام .

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

يُقَرِّرُ تعالىٰ لمحمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لما قص عليه نبأ إخوة يوسف ، وكيف رفعه الله عليهم ، وجعل له العاقبة والنصر والملك والحكم ، مع ما أرادوا به من السوء والهلاك والإعدام - : هذا وأمثاله يا محمد من أخبار الغيوب السابقة ﴿ **نوحيه إليك** ﴾ ونعلمك به يا محمد ؛ لما فيه من العبرة لك ، والاتعاظ لمن خالفك ﴿ **وما كنت لديهم** ﴾ حاضرًا عندهم ولا مشاهدًا لهم ﴿ **إذ أجمعوا أمرهم** ﴾ أي : علىٰ إلقائه في الجب ﴿ **وهم يمكرون** ﴾ به ، ولكنا أعلمناك به وحيًا إليك ، وإنزالًا عليك ، [كما قال تعالى][٢]: ﴿ **وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلىٰ موسىٰ الأمر** ﴾ الآية [إلىٰ أن قال][٣] : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ الآية ، وقال : ﴿ **وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا** ﴾ الآية .

وقال : ﴿ **ما كان لي من علم بالملأ الأعلىٰ إذ يختصمون * إن يوحىٰ إليَّ إلا أنما أنا نذير مبين** ﴾ .

[يقرر تعالىٰ أنه][٤] رسوله ، وإنه قد أطلعه علىٰ أنباء ما قد سبق ، مما فيه عبرة للناس ، ونجاة لهم في دينهم ودنياهم ومع هذا ما آمن أكثر الناس ؛ ولهذا قال : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ ، وقال : ﴿ **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾ ، [كقوله : ﴿ **إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين** ﴾][٥] إلىٰ غير ذلك من الآيات .

وقوله : ﴿ **وما تسألهم عليه من أجر** ﴾ أي : وما تسألهم يا محمد علىٰ هذا النصح والدعاء إلىٰ الخير والرشد من أجر[٦] ، أي من جعالة ولا أجرة [على ذلك ، بل تفعله ابتغاء

---

[١] - في ت : « عليه » .
[٢] - في ت : « كقوله » .
[٣] - في ت : « إلى قوله » .
[٤] - في ت : « يقول تعالى إنه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في خ : « خير » .

وجه الله ونصحًا لخلقه][١] .

﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ أي : يتذكرون به ويهتدون ، وينجون به في الدنيا والآخرة .

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

يخبر تعالىٰ عن غفلة[٢] أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ودلائل توحيده ، بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت ، وسيارات وأفلاك دائرات ، والجميع مسخرات وكم في الأرض من قطع متجاورات ، وحدائق وجنات ، وجبال راسيات ، وبحار زاخرات ، وأمواج متلاطمات ، وقفار شاسعات ، وكم من أحياء وأموات ، وحيوانات ونبات ، وثمرات متشابهة ومختلفات ، في الطعوم والروائح والألوان والصفات ، فسبحان الواحد الأحد ، خالق أنواع المخلوقات ، المتفرد[٣] بالدوام والبقاء والصمدية ، ذي الأسماء والصفات .

وقوله : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ قال ابن عباس(١٣١) : من إيمانهم أنهم[٤] إذا قيل لهم : من خلق السموات ؟ ومن خلق الأرض ؟ ومن خلق الجبال ؟ قالوا : الله ، وهم يشركون[٥] به .

وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وهكذا[٦] في الصحيحين(١٣٢) : أن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك

---

(١٣١) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٩٩٥٤) ثنا ابن وكيع ، ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عنه به ، وعطاء بن السائب مختلط ، وسفيان بن وكيع ضعيف ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ١٢٠٣٤) من طريق سماك ، عن عكرمة بنحوه ، ورواية سماك ، عن عكرمة مضطربة .

(١٣٢) - لم أقف عليه في صحيح البخاري وانظر ما بعده .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في خ : « المنفرد » .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ت : « مشركون » .
[٦] - في ت : « و » .

لك إلا شريكًا هو لك ، تملكه وما ملك . وفي [صحيح مسلم](١٣٣)[١] : أنهم كانوا إذا قالوا : لبيك لا شريك لك ، يقول[٢] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **قد قد** » . أي : حسب ، حسب ، لا تزيدوا علىٰ هذا .

وقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ وهذا هو الشرك الأعظم الذي[٣] يعبد مع اللَّه غيره ، كما في الصحيحين(١٣٤) عن ابن مسعود : قلت : يا رسول اللَّه ، أي الذنب أعظم ؟ قال : « **أن تجعل للَّه ندًّا وهو خلقك** » .

وقال الحسن البصري في قوله : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم باللَّه إلا وهم مشركون** ﴾ قال : ذلك المنافق يعمل ، إذا عمل ، رياء الناس وهو مشرك بعمله ذلك ، يعني قوله تعالىٰ : ﴿ **إن المنافقين يخادعون اللَّه وهو خادعهم وإذا قاموا إلىٰ الصلاة قاموا كسالىٰ يراءون الناس ولا يذكرون اللَّه إلا قليلًا** ﴾ [وَثَمّ شرك][٤] خفي ، لا يشعر به غالبًا فاعله ، كما روىٰ حماد ابن سلمة(١٣٥) ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن عروة قال : دخل حذيفة[٥] علىٰ مريض ، فرأىٰ في عضده سيرًا فقطعه - أو انتزعه - ثم قال : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم باللَّه إلا وهم مشركون** ﴾ .

وفي الحديث : « **من حلف بغير اللَّه فقد كفر أو أشرك** » . رواه الترمذي(١٣٦) وحسنه من رواية ابن عمر .

---

(١٣٣) - صحيح مسلم كتاب : الحج ، باب : « التلبية وصفتها ووقتها » (٢٢) (١١٨٥) .

(١٣٤) - **صحيح** ، تقدم (سورة البقرة/ آية ٢٢) .

(١٣٥) - **صحيح** ، أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠٤٠/٧) ثنا محمد بن الحسين بن إبراهيم بن إشكاب ، ثنا يونس بن محمد ثنا حماد بن سلمة به ، غير أنه تصحف عنده عروة إلى عزرة ، وإسناده رجاله ثقات ، غير أني لم أجد من صرح بسماع عروة من حذيفة ، وقد سمع عروة من عدد كبير من الصحابة ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٥/كتاب الطب/ باب (٧) رقم (٨،٧)) بإسناد صحيح من طريقين عن حذيفة بنحوه .

(١٣٦) - **صحيح** ، الجامع للترمذي كتاب : النذور والأيمان ، باب : ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (١٥٣٥) ، وأخرجه أبو داود كتاب : الأيمان والنذور ، باب : في كراهية الحلف بالآباء (٣٢٥١) ، وأحمد (١٢٥،٨٦،٦٩،٣٤/٢) وقال الترمذي « هذا حديث حسن » ، وصححه ابن حبان (٤٣٥٨/١٠) والحاكم (٥٢،١٨/١) ، (٢٩٧/٤) ، ووافقه الذهبي ، وصححه أيضًا الألباني في « الإرواء » (٨/ ٢٥٦١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « الصحيح » .

[٢] - في ت : « قال » .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « شرك » .

[٥] - في خ : « عروة » .

وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود وغيره : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال(١٣٧) : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **إن الرقىٰ والتمائم والتِّوَلَةَ شرك** »[١] .

وفي لفظ لهما(١٣٨) : « **الطيرة[٢] شرك** » ، وما منا إلا[٣] ، ولكن الله يذهبه بالتوكل .

ورواه الإمام أحمد بأبسط من هذا فقال(١٣٩) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن يحيىٰ [بن] الجزار ، عن ابن أخي زينب ، [عن زينب][٤] امرأة عبد الله بن مسعود ؛ قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهىٰ إلىٰ الباب تنحنح وبزق ؛ كراهية أن يهجم منا علىٰ شيء يكرهه ، قالت : وإنه جاء ذات يوم فتنحنح ، وعندي عجوز

---

(١٣٧) - **صحيح** ، يأتي تخريجه برقم (١٤٣) .

(١٣٨) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (٣٨٩/١،٤٣٨،٤٤٠) ، وأبو داود ، كتاب الطب ، باب : في الطيرة (٣٩١٠) ، والترمذي كتاب : السير ، باب : ما جاء في الطيرة (١٦١٤) ، وابن ماجه ، كتاب : الطب ، باب : من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة (٣٥٣٨) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٩٠٩) ، وغيرهم من حديث ابن مسعود ، وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » ، وصححه ابن حبان (١٣/ ٦١٢٢) ، والحاكم (١٧/١-١٨،١٨) ووافقه الذهبي ، لكن قال الترمذي : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث : « وما منا » قال سليمان : هذا عندي قول عبد الله ابن مسعود وما منا » . وكذا قال الحافظ الهيثمي في « موارد الظمآن » (١٤٢٧/٤) والحافظ ابن حجر في « الفتح » (٢١٣/١٠) لكن رد ذلك ابن القطان بأن كل كلام مسوق في سياق ، لا يقبل دعوى درجه إلا بحجة ، انظر « الصحيحة » للألباني (٤٢٩/١) .

(١٣٩) - **صحيح** ، (٣٦١٥/شاكر) (٣٨١/١) وأخرجه أبو داود ، كتاب : الطب ، باب : في تعليق التمائم (٣٨٨٣) ، ومن طريقه البيهقي في « الكبرى » (٣٥٠/٩) - مختصرًا ، والبغوي في « شرح السنة » (٣٢٤٠/١٢) من طريقين عن أبي معاوية به ، وأخرجه ابن ماجه ، كتاب : الطب ، باب : تعليق التمائم (٣٥٣٠) ، وأبو يعلى (٥٢٠٨/٩) من طريق الأعمش به مطولًا ومختصرًا ، إلا أنهما قالا « عن ابن أخت زينب » وأفاد المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣٠٩/٤) : أن في بعض نسخ ابن ماجه « عن ابن أخي زينب » ثم قال : « وهو على كلا التقديرين مجهول » لكن قال عنه الحافظ في « التقريب » : « كأنه صحابي ، ولم أره مسمى » وقد تابعه عبد الله بن عتبة بن مسعود عند الحاكم (٤١٧/٤-٤١٨) =

---

[١] - التمائم جمع تميمة ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتّقون بها العين - في زعمهم - فأبطلها الإسلام . وأما التولة : فهي ما يُحَبّب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره . النهاية [١٩٧/١ ، ٢٠٠].

[٢] - الطيرة : هو التشاؤم بالشيء ، وأصله : التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما . وجعلها شركًا لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعًا أو يدفع عنهم ضرًا .

[٣] - كذا بدون ذكر المستثنى ، والمعنى : إلا وقد يعتريه التطير وتسبق إلى قلبه الكراهة . فحذف اختصارًا واعتمادًا على فهم السامع . النهاية [١٥٢/٣] .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

ترقيني من الحُمرة[١] . فأدخلتها تحت السرير ، قالت : فدخل فجلس إلىٰ جنبي ، فرأىٰ في عنقي خيطًا ، قال[٢] : ما هذا الخيط ؟ قالت : قلت : خيط[٣] رقيَ لي فيه . قالت[٤] فأخذه فقطعه ، ثم قال : إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك ، سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك** » . قالت : فقلت له : لم تقول هذا وقد كانت عيني تقذف ، فكنت أختلف إلىٰ فلان اليهودي يرقيها ، وكان إذا رقاها سكنت ؟ قال : إنما ذلك عمل الشيطان ؛ كان ينخسها بيده ، فإذا رقيتها كف عنها ، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **أذهب الباس ، رب الناس ، اشف أنت الشافي**[٥] ، **لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا** » .

وفي حديث آخر رواه الإمام أحمد(١٤٠) عن وكيع ، ثنا ابن أبي ليلىٰ ، عن عيسىٰ بن عبد الرحمن قال : دخلنا[٦] علىٰ عبد الله بن عكيم وهو مريض نعوده ، فقيل له : لو تعلقت شيئًا ؟ فقال : أتعلق شيئًا وقد قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **من تعلق**

= وقال : « صحيح الإسناد على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي ، وصححه أيضًا (٢١٧/٤) من طريق آخر عن ابن مسعود ، ووافقه الذهبي وأقرهما الألباني في « الصحيحة » (٣٣١/١) ، وأخرجه ابن حبان (١٣/ ٦٠٩٠) والطبراني في « الكبير » (١٠٥٠٣/١٠) من طريق فضيل بن عمرو عن يحيى بن الجزار قال : دخل عبد الله على امرأة ... فذكر الحديث ، هكذا منقطعًا بين يحيى بن الجزار وابن مسعود ، وله طرق أخرى عن عبد الله عند ابن أبي شيبة في « المصنف » (٤٢٧/٥) والطبراني (٨٨٦٣/٩) والحاكم (٤/ ٢١٦-٢١٧) .

(١٤٠) - **حسن** ، المسند (١٨٨٣٥) (٣١٠/٤) ومن طريق وكيع أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٥/ ك : الطب ، باب : تعليق التمائم والرقى (٧) رقم ٢) والبيهقي في « الكبرى » (٣٥١/٩) ، وأخرجه أحمد (١٨٨٤٠) (٣١١/٤) والترمذي ، كتاب : الطب ، باب : ما جاء في كراهية التعليق (٢٠٧٣) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٥٧٦/٥) والحاكم (٢١٧/٤) من طرق عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى به ، وسكت عنه الحاكم والذهبي ، وقال الترمذي : « عبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ، صلى الله عليه وسلم ... » قلت : ومحمد بن عبد الرحمن ، سيئ الحفظ جدًّا ، ولذا علقه البغوي في « شرح السنة » (١٦٠/١٢) بصيغة التمريض ، فقال : « ويروى عن عبد الله بن عكيم ... » لكن للحديث شاهد مرسل بإسناد صحيح عن الحسن البصري عند ابن وهب في « الجامع » (ص١١٣) ، وبهذا المرسل حسن الألباني الحديث في « غاية المرام » (رقم ٢٩٧) وقد روي هذا المرسل متصلًا - وهو الآتي .

---

[١] - الحُمْرة : مرض جلدي مُعْدٍ ، يحمرُّ فيه موضع الإصابة ، تصحبه حُمَّىٰ عالية . المعجم الوسيط [١/ ٢٠٣] .

[٢] - في ت : « فقال » .

[٣] - في خ : « هذا » .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ت : « الشاف » .

[٦] - في ت : « دخلت » .

شيئًا وُكِلَ إليه » . ورواه النسائي(١٤١) عن أبي هريرة .

وفي مسند الإمام أحمد(١٤٢) : [عن][١] عقبة بن عامر قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من علق تميمة فقد أشرك** » . وفي رواية(١٤٣) : « **من علق تميمة فلا أتم اللَّه له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع اللَّه له** » .

وعن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، قال : سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **قال[٢] اللَّه : أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك ، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه** » رواه مسلم(١٤٤) .

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال : سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **إذا جمع اللَّه الأوّلين والآخرين ليوم لا ريب فيه ، ينادي مناد : من كان أشرك في عمل**

(١٤١) - **إسناده ضعيف منقطع** ، سنن النسائي الصغرى كتاب : تحريم الدم ، باب : « الحكم في السحرة » (١١٢/٧) ثنا عمرو بن علي ، ثنا أبو داود ، ثنا عباد بن ميسرة المنْقَرِيُّ ، عن الحسن ، عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ : « **من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئًا وكل إليه** » والحسن لم يسمع من أبي هريرة عند الجمهور - كما قال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣٢/٤) ، وعباد بن ميسرة لين الحديث عابد ، وقد استنكر له الحافظ ابن عدي هذا الحديث ، فأورده في « الكامل » (١٦٤٨/٤) ، وانظر ما قبله .

(١٤٢) - **صحيح** ، المسند (١٧٤٦٩) (١٥٦/٤) ، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة (٥٣٨ زوائده) والطبراني في « الكبير » (٨٨٥/١٧) من طريق عبد العزيز بن مسلم - تحرف في « الصحيحة » للألباني (٤٩٢/١) إلى عبد العزيز بن منصور - ثنا يزيد بن أبي منصور عن دخين الحجري عن عقبة به وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠٦/٥) وقال : « رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات » ، وقال الألباني « إسناد صحيح رجاله ثقات .... » وأخرجه الحاكم (٢١٩/٤) من طريق آخر عن عقبة وسكت عنه هو والذهبي ، وانظر ما بعده .

(١٤٣) - أخرجه أحمد (١٧٤٥١) (١٥٤/٤) وأبو يعلى (١٧٥٩/٣) والروياني في مسنده (١/رقم٢١٧) والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٣٢٥/٤) والطبراني في « الكبير » (٨٢٠/١٧) والحاكم (٤/ ٢١٦،٤١٧) من طريق حيوة بن شريح ، عن خالد بن عبيد عن مشرح عن عقبة به ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠٦/٥) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات ، وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣٠٦/٤) : رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد جيد والحاكم وقال : صحيح الإسناد . قلت : خالد بن عبيد لم يوثقه غير ابن حبان (٢٦٢/٦) وأورده ابن أبي حاتم في كتابه (٣٤٢/٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

(١٤٤) - صحيح مسلم كتاب : الزهد والرقائق ، باب : من أشرك في عمله غير الله (٤٦) (٢٩٨٥) ، وأخرجه أيضًا أحمد (٣٠١/٢، ٤٣٥) ، وابن ماجه ، كتاب : الزهد ، باب : الرياء والسمعة (٤٢٠٢) .

[١] - في ت : « من حديث » . [٢] - سقط من : ت .

عمله لله ، فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أغنىٰ الشركاء عن الشرك » . رواه الإمام أحمد[١٤٥] .

وقال الإمام أحمد[١٤٦] : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن يزيد - يعني ابن الهاد - عن عمرو ، عن محمود بن لبيد : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** » . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « **الرياء ، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزىٰ الناس بأعمالهم : اذهبوا إلي الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟** » .

وقد رواه إسماعيل بن جعفر[١٤٧] ، عن عمرو بن أبي عمرو مولىٰ المطلب ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، به .

---

(١٤٥) - **حسن** ، المسند (١٥٨٨١) (٣/٤٦٦) (١٧٩٤٣) (٤/٢١٥) ، وسيذكره المصنف بإسناد أحمد في (سورة الكهف آية١١٠) ورواه أيضًا الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الكهف (٣١٥٢) ، وابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : « الرياء والسمعة » (٤٢٠٣) ، والبخاري في « الكنى » من التاريخ الكبير (٨/٣٦) ، والدولابي في « الكنى » (١/٣٥) ، والطبراني في « الكبير » (٢٢/٧٧٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥/٦٨١٧) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٣٣/ت٧٣٨٣) كلهم من طريق محمد بن بكر نا عبد الحميد بن جعفر ، أخبرني أبي عن زياد بن ميناء عن أبي سعيد - وقيل أبي سعد - ابن أبي فضالة ، به وقال الترمذي : « هذا حديث غريب - وفي بعض النسخ : حسن غريب - لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر » قلت : تابعه فرات بن خالد عند البخاري ، ونقل ابن حجر في « الإصابة » (٤/٨٦) عن علي بن المديني قال : « سنده صالح » ، وصححه ابن حبان (٢/٤٠٤) (١٦/ ٧٣٤٥) .

(١٤٦) - **إسناده جيد** ، المسند (٢٣٧٤٢) (٥/٤٢٨) وسيعيده المصنف (سورة الكهف/آية١١٠) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١/١٠٧) وقال : « رجاله رجال الصحيح » وجود إسناده المنذري في « الترغيب والترهيب » (١/٦٨) وقال الألباني في « الصحيحة » (٢/٩٥١) ، « إسناده جيد ، رجاله كلهم ثقات ، رجال الشيخين غير محمود بن لبيد ، فإنه من رجال مسلم وحده قال الحافظ : وهو صحابي صغير ، وجل روايته عن « الصحابة » وانظر ما بعده .

(١٤٧) - **كسابقه** ، أخرجه البغوي في « شرح السنة » (١٤/٤١٣٥) من طريق علي بن حجر نا إسماعيل بن جعفر به ، وأخرجه أحمد (٢٣٧٤٣،٢٣٧٤٨) (٥/٤٢٨،٤٢٩) والبيهقي في « الشعب » (٥/٦٨٣١) من طرق عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، به ، وعبد الرحمن بن أبي الزناد صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد ، وهو متابع كما ترى ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٤/٤٣٠١) من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج به نحوه ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٢٥) : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن شبيب بن خالد وهو ثقة » كذا قال : وابن شبيب هذا ضعفه غير واحد وقال ابن حجر في « اللسان » أخباري علامة لكنه واهٍ .

وقال الإمام أحمد(١٤٨) : حدثنا حسن ، أنبأنا ابن لهيعة ، أنبأنا ابن هبيرة ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **من ردّته الطيرة عن[١] حاجةٍ فقد أشرك** » . قالوا : يا رسول الله ما كفارة ذلك ؟ قال : « **أن يقول أحدهم : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرُك** » .

وقال الإمام أحمد(١٤٩) : حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي ، عن أبي علي - رجل من بني كاهل - قال[٢] : خطبنا أبو موسى الأشعري فقال : يا[٣] أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل . فقام عبد الله بن حَزْن وقيس بن المضارب فقالا : والله ، لتخرجن مما قلت ، أو لنأتين عمر مأذونًا لنا أو غير مأذون . قال : بل أخرج مما قلت ، خطبنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم فقال : « **يا[٤] أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل** » . فقال له من شاء[٥] الله أن يقول : فكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : قولوا : « **اللهم ، إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه** » .

وقد روي من وجه آخر ، وفيه أن السائل في ذلك هو الصديق ، كما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي(١٥٠) : من حديث عبد العزيز بن مسلم ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي

(١٤٨) - **صحيح** ، المسند (٧٠٤٥) (٢/٢٢٠) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠٨/٥) وقال : « رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات » قلت : لكن رواه عبد الله بن وهب في « الجامع » (ص١١٠) - ومن طريقه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٨٧) - عن ابن لهيعة به ، وحديث ابن لهيعة يصحح إذا كان من رواية أحد العبادلة عنه ، ولذلك أورده الألباني في « الصحيحة » (١٠٦٥/٣) .

(١٤٩) - المسند (١٩٦٦١) (٤٠٣/٤) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » كتاب : الدعاء ، باب : في التعوذ من الشرك ، ما يقوله الرجل حين يبرأ منه (٨٨/٧)) ، والبخاري في « الكنى » من « التاريخ الكبير » (٥٨/٨) ، والطبراني في « الأوسط » (٣٤٧٩/٤) من طريق عبد الله بن نمير بهذا الإسناد ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٢٢٦/٣-٢٢٧) : « رواه أحمد ..... ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان « الثقات » (٥٦٢/٥) » وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٧٦/١) : « رواه أحمد والطبراني ورواته إلى أبي علي محتج بهم في الصحيح ، أبو علي وثقه ابن حبان ، ولم أر أحدًا جرحه » . ويشهد له ما بعده .

(١٥٠) - **إسناده ضعيف** ، « مسند أبي يعلى » (٦٠،٦١) حدثنا موسى بن محمد بن حيّان ، حدثنا روح ابن أسلم وفهد ، قالا : حدثنا عبد العزيز بن مسلم به ، وأخرجه أيضًا (٥٨) ، والمروزي في « مسند أبي بكر » (٥٣:٥٥) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٨١) . من طريق ابن جريج في قوله تعالى :=

[١] - في خ : « من » .
[٢] - في خ : « قالوا » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « يشأ » .

محمد ، عن معقل بن يسار قال : شهدت النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أو قال : حدّثني أبو بكر الصديق ، عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أنه - قال : « **الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل** » . فقال أبو بكر : وهل الشرك إلا من دعا مع اللّٰه إلهًا آخر ؟ فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **الشرك فيكم أخفىٰ من دبيب النمل** » . ثم قال : « **ألا أدلك علىٰ ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره ؟ قل : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك مما لا أعلم** » .

وقد رواه الحافظ أبو القاسم البغوي(١٥١) : عن شيبان بن فروخ[١] ، عن يحيىٰ بن كثير ، عن الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي بكر الصديق ، قال : رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **الشرك أخفىٰ في أمتي من دبيب النمل علىٰ الصفا** » قال : فقال أبو بكر : يا رسول اللّٰه ، فكيف النجاة والمخرج من ذلك ؟ فقال : « **ألا أخبرك بشيء إذا قلته برئت من قليله وكثيره وصغيره وكبيره ؟** » قال : بلىٰ يا رسول اللّٰه . قال : « **قل : اللهم ، إني أعوذ بك أن أشرك بكَ وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم** » .

قال الدارقطني : يحيىٰ [بن كثير][٢] هذا يقال له : أبو النضر ، متروك الحديث .

وقد روىٰ الإمام أحمد وأبو داود والترمذى - وصححه - والنسائي(١٥٢) : من حديث يعلىٰ بن عطاء ، سمعت عمرو بن عاصم ، سمعت أبا هريرة قال : قال أبو بكر الصديق :

= ﴿ **أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه** ﴾ أخبرني ليث بن أبي سليم عن أبي محمد عن حذيفة عن أبي بكر به نحوه ، وليث بن أبي سليم ، صدوق اختلط بأخرة ولم يتميز حديثه فترك ، وشيخه أبو محمد ، مجهول ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٧/١٠) وقال : « رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبي سليم عن أبي محمد عن حذيفة ، وليث مدلس وأبو محمد إن كان هو الذي روى عن ابن مسعود أو الذي روى عن عثمان بن عفان فقد وثقه ابن حبان « الثقات » (٥٨٦/٥) وإن كان غيرهما فلم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » وانظر ما بعده .

(١٥١) - **إسناده ضعيف جدًا** ، ومن طريق شيبان بن فروخ به ، أخرجه ابن حبان في « المجروحين » (٣/ ١٣٠) وابن عدي في « الكامل » (٢٦٩٥/٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١١٢/٧) قال الدارقطني في « العلل » (١٩٣/١) : « ولا يصح عن إسماعيل ، ولا عن الثوري ، ويحيى بن كثير هذا متروك الحديث » وأخرجه أبو يعلى (٥٩) عن شيخه عمرو بن الحصين من حديث معقل بن يسار ، لكن شيخه هذا متروك ، كما قال الهيثمي في « المجمع » (٢٢٧/١٠) وانظر السابق .

(١٥٢) - **صحيح** ، أخرجه بهذا اللفظ أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : ما يقول إذا أصبح (٥٠٦٧) ، والنسائي في « الكبرى » (٧٦٩٩/٤) ، (١٠٤٠٢/٦) والبخاري في « خلق أفعال العباد » (١٤٠،١٤١) وفي « الأدب المفرد » (١٢٠٣) ، وأبو يعلى في « المسند » (٧٧) ، وصححه الحاكم (٥١٣/١) =

[١] - في خ : « فرح » .

[٢] - في ت : «ابن أبي كثير» . وهو خطأ .

يا رسول الله ، علمني شيئًا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعي . قال : « **قل : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، وشر الشيطان وشركه** » .

وزاد الإمام أحمد في رواية له(١٥٣) : من حديث ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن أبي بكر الصديق قال : أمرني رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن أقول ... فذكر هذا[١] الدعاء وزاد في آخره : « **وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم** » .

وقوله : ﴿ **أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله** ﴾ الآية ، أي : أفأمن هؤلاء المشركون بالله[٢] أن يأتيهم أمر يغشاهم من حيث لا يشعرون ، كقوله تعالى : ﴿ **أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم** ﴾ ، و[قال تعالى][٣] : ﴿ **أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتًا وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون * أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾ .

قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

يقول تعالى [لعبده ورسوله][٤] ، صلى الله عليه وسلم ، إلى الثقلين ؛ الجن والإنس ، آمرًا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله ، أي طريقه[٥] ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة

= ووافقه الذهبي ، كلهم من طريق هشيم ، أنبأنا يعلى بن عطاء به ، وأخرجه الدارمي (٢٦٩٢) وأحمد (١/ ٩) من طريق سعيد بن عامر وبهز بن أسد ، عن شعبة ، عن يعلى بن عطاء به بهذا اللفظ ، لكن رواه غيرهم عن شعبة بلفظ : « **قل اللهم عالم الغيب والشهادة ، فاطر السماوات والأرض ....** » أخرجه أحمد (١/ ٩ ، ١٠) (٢/٢٩٧) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (١٢٠٢) ، وفي « خلق أفعال العباد » (١٣٨،١٣٩،٥٨٣) والطيالسي (ص٤) - ومن طريقه الترمذي (٣٣٨٩) - والنسائي في « الكبرى » (٤/٧٧١٥) (٦/٩٨٣٩) وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » ، وصححه ابن حبان (٣/ ٩٦٢) .

(١٥٣) - **صحيح** ، المسند (٨١) (١/١٤) ومجاهد لم يسمع من أبي بكر ، وليث بن أبي سليم ضعيف ، لكن يشهد لهذه الزيادة حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد (٦٨٥١) (٢/١٩٦) والترمذي =

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من ز ، خ . [٣] - في ت : « وقوله » .

[٤] - في ت : « لرسوله » . [٥] - في ت : « طريقته » .

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلىٰ الله بها علىٰ بصيرة من ذلك ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه يدعو إلىٰ ما دعا إليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ بصيرة ويقين وبرهان ؛ شرعي وعقلي .

وقوله : ﴿ **وسبحان الله** ﴾ أي : وأنزه الله وأجله وأعظمه وأقدسه عن أن يكون له شريك أو نظير ، أو عديل أو نديد ، أو ولد أو والد ، أو صاحبة [أو وزير][1] أو مشير ، تبارك وتقدس وتنزه ، وتعالىٰ عن ذلك كله علوا كبيرًا[2] ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا** ﴾ .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء ، وهذا قول جمهور العلماء ، كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة : أنّ الله تعالىٰ لم يوح إلىٰ امرأة من بنات بني آدم وحي تشريع .

وزعم بعضهم : أن سارة امرأة الخليل ، وأمّ موسىٰ ، ومريم [بنت عمران][3] أمّ عيسىٰ نبيات ، واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، وبقوله : ﴿ **وأوحينا إلىٰ أمّ موسىٰ أن أرضعيه** ﴾ الآية ، وبأن الملك جاء إلىٰ مريم وبشرها بعيسىٰ ، عليه السلام ، وبقوله تعالىٰ : ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك علىٰ نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين** ﴾ .

وهذا القدر حاصل لهنّ ، ولكن لا يلزم من هذا أن يكن نبيات بذلك ، فإن أراد القائل بنبوّتهن هذا القدر من التشريف ، فهذا لا شك فيه ، ويبقىٰ الكلام[4] معه في أن هذا هل

= (٣٥٢٦) وقال : « حديث حسن غريب » وشاهد آخر من حديث أبي مالك الأشعري عند أبي داود (٥٠٨٣) ، والطبراني في « الكبير » (٣/٣٤٥٠) إلا أن فيه انقطاعًا ، وانظر « الصحيحة » للألباني (٦/٢٧٦٣) .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في خ : « كثيرًا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ . [٤] - سقط من ز ، خ .

يكفي في الانتظام في سلك النبوّة بمجرّده أم لا ؟ الذي عليه أهل السنة والجماعة ، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري : عنهم أنه ليس في النساء نبية وإنما فيهنّ صدّيقات ، كما قال تعالىٰ مخبرًا عن أشرفهنّ مريم بنت عمران حيث قال تعالىٰ : ﴿ **ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمّه صدّيقة كانا يأكلان الطعام** ﴾ فوصفها في أشرف مقاماتها بالصدّيقية ، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإِعظام ، فهي صدّيقة بنص القرآن .

وقال الضحاك(١٥٤) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا [نوحي إليهم من أهل القرى]** ﴾ ، أي : ليسوا من أهل السماء كما قلتم . وهذا القول من ابن عباس يعتضد بقوله تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** ﴾ الآية ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين * ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل ما كنت بدعًا من الرسل** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **من أهل القرى** ﴾ المراد بالقرىٰ : المدن ، لا أنهم من أهل البوادي ، الذين هم [ ][١] أجفىٰ الناس طباعًا وأخلاقًا وهذا هو المعهود المعروف : أن أهل المدن أرق طباعًا وألطف من أهل سوادهم ، وأهل الريف والسواد أقرب حالًا من الذين يسكنون في البوادي ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **الأعراب أشدّ كفرًا ونفاقًا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله** ﴾ .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **من أهل القرى** ﴾ لأنهم أعلم وأحلم من أهل[٢] العمود .

وفي الحديث الآخر(١٥٥) : أن رجلا من الأعراب أهدىٰ لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ناقة ، فلم يزل يعطيه ويزيده حتىٰ رضي ، فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقد هممت أن لا أتهب هبة إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي** » .

---

(١٥٤) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠٥١) (٧/٢٢١٠) وفي إسناده بشر بن عمارة وهو ضعيف .

(١٥٥) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (١/٢٩٥) ، والطبراني في « الكبير » (١١/١٠٨٩٨) ، والبزار (٢/١٩٣٨- كشف) ، وصححه ابن حبان (١٤/٦٣٨٤) ، واختاره الضياء في « المختارة » (٦٢/٢٨١/٢) من حديث عبد الله بن عباس ، وأخرجه أحمد (٢/٢٤٧،٢٩٢) ، وأبو داود (٣٥٣٧) ، والترمذي (٣٩٤٠،٣٩٤١) ، والنسائي (٦/٢٧٩-٢٨٠) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٥٩٦) من حديث أبي هريرة وقال الترمذي : « حديث حسن » ، وصححه ابن حبان (١٦ /٦٣٨٣) والحاكم على شرط مسلم - كما في « تلخيص الحبير » لابن حجر (٣/٨٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ت : من . [٢] - سقط من : خ .

وقال الإِمام أحمد(١٥٦) : حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن يحيىٰ بن وثاب ، عن شيخ من أصحاب رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال الأعمش : هو ابن[١] عمر - عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « [ ][٢] **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر علىٰ أذاهم خير من الذي [لا يخالطهم ولا يصبر علىٰ أذاهم]** » .

وقوله : [﴿ **أفلم يسيروا في الأرض** ﴾ يعني : هؤلاء المكذبين لك يا محمد في الأرض ﴿ **فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** ﴾ أي : من الأمم المكذبة للرسل ، كيف دمر اللّٰه عليهم وللكافرين أمثالها][٣] ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها** ﴾ الآية ، فإذا استمعوا خبر ذلك رأوا أن اللّٰه قد أهلك الكافرين ونجىٰ المؤمنين ، وهذه كانت سنته تعالىٰ في خلقه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولدار الآخرة خير للذين اتقوا**[٤] ﴾ أي : وكما أنجينا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الآخرة أيضًا[٥] وهي خير لهم من الدنيا بكثير ، [كما قال تعالى][٦] : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ .

---

(١٥٦) - **صحيح** ، المسند (٥٠٢٢) (٢/٤٤) مقرونًا بـ « حجاج » محمد بن جعفر به معناه ، وهذا إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين وجهالة الصحابي لا تضر ، وجاء مصرحًا به في بعض الروايات ، وأخرجه الترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : مخالطة الناس مع الصبر على أذاهم خير من عدمها (٢٥٠٩) ، والبغوي في « شرح السنة » (٣٥٨٥/١٣) من طريقين عن شعبة بهذا الإسناد ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » كتاب : الأدب ، باب : في مخالطة الناس ومخالفتهم » (٢٠٠/٦) والبيهقي في « الكبرى » (٨٩/١٠) من طريق محمد بن عبيد ثنا الأعمش ، به - مقرونًا بيحيى بن وثاب أبو صالح عند البيهقي - وأخرجه أحمد (٣٦٥/٥) (٢٣٢٠٤) من طريق سفيان بن سعيد عن الأعمش به ، وقال الترمذي : « قال ابن أبي عدي - أحد الرواة عن شعبة - : كان شعبة يرى أنه ابن عمر » قلت : وقد جاء تصريح ذلك في بعض الروايات عنه ، فأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٨٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٨١٠٢/٦) من طريق آدم بن أبي إياس ، وأخرجه البيهقي في « الكبرى » (٨٩/١٠) من طريق عمار بن عبد الجبار كلاهما عن شعبة ، حدثني الأعمش ، عن يحيى ، عن ابن عمر فذكره ، وتابع شعبة على التصريح بذلك داود الطائي عند أبي نعيم في الحلية » (٣٦٥/٧) ، وإسحاق بن يوسف عند ابن ماجة (٤٠٣٢) وحسن إسناده ابن حجر في « الفتح » (٥١٢/١٠) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفين في خ : هو .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ

[٤] - في خ : « يتقوك » .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - في ت : « كقوله » .

وأضاف الدار إلىٰ الآخرة فقال : ﴿ ولدار الآخرة ﴾ كما تقول[١] : صلاة الأولىٰ ، ومسجد الجامع ، وعام الأول ، وبارحة الأولىٰ ، ويوم الخميس قال الشاعر :

أَتَمْدحُ فَقْعَسًا وتَذُمُّ عَبْسًا ألا لله أُمُّكَ مِنْ هَجِينِ
ولو أَقْوَتْ[٢] عَلَيْكَ دِيارُ عَبْسٍ عرفت الذُّلَّ عِرْفَانَ اليَقِينِ

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾

يخبر[٣] تعالىٰ أن نصره ينزل علىٰ رسله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله تعالىٰ[٤] في أحوج الأوقات إلىٰ ذلك ، [كما في قوله][٥] تعالىٰ : ﴿ **وزلزلوا حتىٰ يقول الرسول والذين آمنوا معه متىٰ نصر الله ألا إن نصر الله قريب** ﴾ ، وفي قوله : ﴿ **كذبوا** ﴾ قراءتان ؛ إحداهما : بالتشديد ﴿ **قد كُذِّبوا** ﴾[٦] ، وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها تقرؤها قال البخاري(١٥٧) : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن صالح ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عروة بن الزبير ، عن عائشة : أنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ إذا استيأس الرسل** ﴾ قال : قُلْتُ : أَكُذِبُوا أم كُذِّبُوا ؟ فقالت عائشة : ﴿ **كُذِّبوا** ﴾ فقلت : قد[٧] استيقنوا أن قومهم قد كذبوهم[٨] فما هو بالظن ؟ قالت[٩] أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك . فقلت : لها ﴿ **وظنوا أنهم [قد] كُذِبُوا** ﴾ فقالت[١٠] : معاذ الله ! لم تكن الرسل تظن ذلك بربها ، قلت : فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم ، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل** ﴾ ممن كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم ، جاءهم نصر الله عند ذلك .

حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب[١١] ، عن الزهري ، قال : أخبرني عروة : فقلت : لعلها

---

(١٥٧) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : ﴿ **حتى إذا استيأس الرُّسُل** ﴾ (٤٦٩٥،٤٦٩٦) .

---

[١] - في ت : « قال » .
[٢] - في ز ، خ : « أقرت » .
[٣] - في ت : « يذكر » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في ت : « كقوله » .
[٦] - وهي قراءة عبد الله بن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر .
[٧] - في ت : « فقد » .
[٨] - في ز ، خ : « كذبوا » .
[٩] - في خ : « قال » .
[١٠] - في ت : « قالت » .
[١١] - في خ : « شعبة » .

﴿ قد كُذِبوا ﴾ مخففة ؟ قالت : معاذ اللّٰه ! انتهىٰ ما ذكره .

وقال ابن جريج(١٥٨) : أخبرني ابن أبي مليكة : أن ابن عباس قرأها : ﴿ وظنوا أنهم قد كُذِبوا ﴾ خفيفة . قال عبد اللّٰه - هو ابن أبي مليكة - : ثم قال لي ابن عباس : كانوا بشرًا ! [ثم تلا][١] : ﴿ حتىٰ يقول الرسول والذين آمنوا معه متىٰ نصر اللّٰه ألا إن نصر اللّٰه قريب ﴾ . قال ابن جريج : وقال لي ابن أبي مليكة : وأخبرني عروة ، عن عائشة : أنها خالفت ذلك وأبته ، وقالت : ما وعد اللّٰه محمدًا ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، من شيء إلا قد علم أنه سيكون حتىٰ مات ، ولكنه لم يزل البلاء بالرسل ، حتىٰ ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم . قال ابن أبي مليكة في حديث عروة : كانت عائشة تقرؤها ﴿ وظنوا أنهم قد كُذِّبوا ﴾ مثقلة ، للتكذيب .

وقال ابن أبي حاتم(١٥٩) : أنا يونس بن عبد الأعلىٰ - قراءة - أنا ابن وهب ، أخبرني سليمان بن بلال ، عن يحيىٰ بن سعيد قال : جاء إنسان إلىٰ القاسم بن محمد فقال : إن محمد بن كعب القرظي يقول[٢] هذه الآية : ﴿ حتىٰ إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبُوا ﴾ فقال القاسم : أخبره عني : أني سمعت عائشة زوج النبي ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، تقول : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِّبُوا ﴾ تقول : كذبتهم أتباعهم . إسناد صحيح أيضًا .

والقراءة الثانية : بالتخفيف[٣] واختلفوا في تفسيرها ؛ فقال ابن عباس ما تقدم .

وعن ابن مسعود فيما رواه سفيان الثوري(١٦٠) ، عن الأعمش ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد اللّٰه : أنه قرأ ﴿ حتىٰ إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبُوا ﴾ مخففة ، قال عبد اللّٰه : هو الذي تكره .

---

(١٥٨) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٠٣٠/١٦) وبنحوه مختصرًا أخرجه أيضًا (٢٠٠٢٩/١٦) والبخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء** ﴾ إلى ﴿ **قريب** ﴾ (٤٥٢٤،٤٥٢٥) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب : التفسير ، (١١٢٥٥/٦،١١٢٥٦) .

(١٥٩) - **إسناده صحيح** ، تفسير ابن أبي حاتم (١٢٠٦٣/٧) .

(١٦٠) - **كسابقه** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٠٢٥/١٦،٢٠٠٢٦) من طريقين عن سفيان الثوري ، به .

---

[١] - في ز ، خ : « وقال ابن عباس » .

[٢] - في ت : « قرأ » .

[٣] - وبها قرأ عاصم وحمزة والكسائي .

وهذا عن ابن مسعود وابن عباس، رضي الله عنهما، مخالف لما رواه آخرون عنهما .

أما ابن عباس : فروىٰ الأعمش(١٦١) ، عن مسلم عن ابن عباس في قوله : ﴿ **حتىٰ إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ قال : لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءهم النصر علىٰ ذلك ﴿ **فنجي من نشاء** ﴾ .

وكذا رُوي عن سعيد بن جبير وعمران بن الحارث السلمي وعبد الرحمن بن معاوية وعلي ابن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس بمثله .

وقال ابن جرير(١٦٢) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا عارم أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا شعيب ، حدثني إبراهيم بن أبي حرة[١] الجزري قال : سأل فتىٰ من قريش سعيد بن جبير فقال[٢] : يا أبا عبد الله ، كيف تقرأ هذا الحرف ، فإني إذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة ﴿ **حتىٰ إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ . قال : نعم ، حتىٰ إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدِّقوهم ، وظن المرسَل إليهم أن الرسل قد[٣] كَذَبوا . قال : فقال الضحاك بن مزاحم : ما رأيت كاليوم قط رجلًا يُدعَىٰ إلىٰ علم فيتلكأ ، لو رحلت إلىٰ اليمن في هذه كان قليلًا .

ثم روىٰ ابن جرير(١٦٣) أيضًا من وجه آخر : أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير عن ذلك فأجابه بهذا الجواب ، فقام إلىٰ سعيد فاعتنقه وقال : فرج الله عنك كما فرجت عني

وهكذا رُوي من غير وجه عن سعيد بن جبير أنه فسرها كذلك . وكذا فسرها مجاهد بن جبر وغير واحد من السلف ، حتىٰ أن مجاهدًا قرأها ﴿ **وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ بفتح الذال . رواه ابن جرير(١٦٤) ، إلا أن بعض من فسرها كذلك يعيد الضمير في قوله ﴿ **وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ إلىٰ أتباع الرسل من المؤمنين ، ومنهم من يعيده إلىٰ الكافرين منهم ، أي : وظن الكفار أن الرسل قد كذِبوا - مخففة - فيما وعدوا به من النصر .

---

(١٦١) - أخرجه ابن جرير (١٩٩٨٧/١٦،١٩٩٨٨) من طريقين عن أبي معاوية عن الأعمش ، به .

(١٦٢) - **إسناده صحيح** ، التفسير (٢٠٠٠٨/١٦) : و « إبراهيم بن أبي حُرة الجزري » ضعفه الساجي ، لكن وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وزاد « لا بأس به » انظر « لسان الميزان » (ت/١٠٠) ، وشعيب هو ابن الحباب الأزدي : « ثقة » وانظر ما بعده .

(١٦٣) - التفسير (٢٠٠٠٩/١٦) حدثني المثنى : قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : حدثني أبي أن مسلم بن يسار ... فذكر الحديث .

(١٦٤) - التفسير (٢٠٠١١/١٦،٢٠٠١٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « حمزة » .

[٢] - في ت : « قال » .

[٣] - زيادة من : ت .

وأما ابن مسعود ؛ فقال ابن جرير(١٦٥) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا محمد ابن فضيل ، عن جحش[١] بن زياد الضبي ، عن تميم بن حذلم[٢] قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذه الآية : ﴿ حتىٰ إذا استيأس الرسل ﴾ من إيمان قومهم أن يؤمنوا لهم[٣] ، وظن قومهم حين أبطأ الأمر أنهم قد[٤] كذبوا [مخففة][٥] .

فهاتان روايتان عن كل من ابن مسعود وابن عباس ، وقد أنكرت ذلك عائشة علىٰ من فسرها بذلك ، وانتصر لها ابن جرير وَوَجَّه المشهور عن الجمهور ، وزيَّف القول[٦] الآخر بالكلية ، ورده وأباه ولم يقبله ولا ارتضاه ، والله أعلم .

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم ، وكيف أنجينا[٧] المؤمنين وأهلكنا الكافرين ﴿ عبرة لأولىٰ الألباب ﴾ وهي العقول ﴿ ما كان حديثًا يفترى ﴾ أي : وما كان لهذا القرآن أن يفترىٰ من دون الله ، أي : يكذب ويختلق ﴿ ولكن تصديق الذي بين يديه ﴾ أي : من الكتب المنزلة من السماء ، وهو يصدق ما فيها من الصحيح ، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ من تحليل وتحريم ومحبوب ومكروه ، وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات ، والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات ، والإخبار عن الأمور الجلية ، وعن الغيوب المستقبلة ؛ المجملة والتفصيلية ، والإخبار عن الرب تبارك وتعالىٰ بالأسماء[٨] والصفات[٩] ، وتنزيهه عن مماثلة المخلوقات ، فلهذا كان ﴿ هدىٰ ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ تهتدي به قلوبهم من الغي إلىٰ الرشاد ، ومن الضلالة[١٠] إلىٰ السداد ، ويبتغون به الرحمة

(١٦٥) – التفسير (٢٠٠١٨/١٦) .

[١] – في ز ، خ : « محش » .
[٢] – في خ : « حزم » .
[٣] – في ت : « بهم » .
[٤] – زيادة من : ت .
[٥] – في ت : بالتخفيف .
[٦] – في خ : « المقول » .
[٧] – في خ : نجينا .
[٨] – ساقطة من : خ .
[٩] – في خ : « بالصفات » .
[١٠] – في ت : « الضلال » .

من رب العباد ، في هذه الحياة الدنيا ويوم[١] المعاد ، فنسأل اللّٰه العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة ، يوم يفوز بالربح المبيضةُ وجوهُهم الناضرة ، ويرجع المسوّدة وجوههم بالصفقة الخاسرة .

آخر تفسير سورة يوسف ، ولله الحمد والمنة ، وبه المستعان ، [وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل][٢] .

❋ ❋ ❋

[١] - ساقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

تفسير سورة الرعد

وهي مكية

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم في أول سورة البقرة ، وقدمنا أن كل سورة تبتدئ بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن ، وتبيان [أن نزوله][١] من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا ريب ، ولهذا قال : ﴿ **تلك آيات الكتاب** ﴾ أي : هذه آيات الكتاب وهو القرآن ، وقيل : التوراة والإنجيل ، قاله : مجاهد وقتادة ، وفيه نظر ، بل هو بعيد ثم عطف على ذلك عطف صفات ، فقال[٢] : ﴿ **والذي أنزل إليك** ﴾ أي : يا محمد ﴿ **من ربك الحق** ﴾ خبر تقدم مبتدؤه وهو قوله : ﴿ **والذي أنزل إليك من ربك** ﴾ هذا هو الصحيح المطابق لتفسير مجاهد وقتادة ، واختار ابن جرير أن تكون الواو زائدة ، أو عاطفة صفة على صفة ، كما قدمنا ، واستشهد بقول الشاعر :

إلى المَلِكِ القَرْمِ[٣] وابنِ الهُمَامِ وَلَيْثَ الكَتِيبَةِ في المُزْدَحَمْ

وقوله[٤] : ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ أي : مع هذا البيان والجلاء والوضوح لا يؤمن أكثرهم ؛ لما فيهم من الشقاق والعناد والنفاق .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

يخبر الله تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه : أنه[٥] الذي بإذنه وأمره رفع السموات بغير عمد ، بل بإذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بعدًا لا تنال [ولا يدرك][٦] مداها ،

---

[١] - في ز : أنه نزل .
[٢] - في ز ، خ : « قوله » .
[٣] - في خ : « بلا نقط » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز : ولا تدرك .

فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها ؛ من الماء والهواء ، من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها ، مرتفعة عليها من كل جانب علىٰ السواء ، وبعد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها [في نفسها مسيرة][١] خمسمائة عام ، ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت ، وبينهما من البعد مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها خمسمائة عام ، وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اللَّه الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ الآية .

وفي الحديث(١) : « **ما السموات السبع وما فيهنّ وما بينهنّ في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، والكرسي في العرش المجيد**[٢] **كتلك الحلقة في تلك الفلاة** » .

وفي رواية (٢) : « **والعرش لا يقدر قدره إلا اللَّه عز وجل** » .

وجاء عن بعض السلف(٣) : أن بعد ما بين العرش إلىٰ الأرض مسيرة خمسين ألف سنة ، وبعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة ، وهو من ياقوتة حمراء .

وقوله : ﴿ **بغير عمد ترونها** ﴾ روي عن ابن عباس(٤) ومجاهد والحسن وقتادة [وغير واحد][٣] أنهم قالوا : لها عمد ولكن لا ترىٰ .

وقال إياس بن معاوية : السماء مقبّبة[٤] علىٰ الأرض مثل القبة . يعني : بلا عمد ، وكذا روي عن قتادة ، وهذا هو اللائق بالسياق ، والظاهر من قوله تعالىٰ : ﴿ **ويمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض إلا بإذنه** ﴾ فعلىٰ هذا يكون قوله : ﴿ **ترونها** ﴾ تأكيدًا لنفي ذلك ، أي : هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها وهذا هو الأكمل في القدرة ، وفي شعر أمية بن أبي الصلت : الذي آمن شعره وكفر قلبه كما ورد في الحديث(٥) ، ويروىٰ لزيد بن عمرو بن

---

(١) – تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ٢٥٥) ، (سورة النساء / آية ١٦٤) .

(٢) – تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ٢٥٥) .

(٣) – جاء ذلك بإسناد صحيح عن وهب بن منبه من كلامه فيما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٥/٢) – ومن طريقه أبو الشيخ في « العظمة » (٢٨٩/٢) – وابن أبي شيبة في « كتاب العرش » (٦٢) ، وانظر ما تقدم (سورة يونس/ آية ٣) .

(٤) – أخرجه عبد الرزاق (٣٣١/٢) وابن جرير (٣٢٣/١٦، ٣٢٤) وابن أبي حاتم (١٢٠٨٩/٧) وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ – كما في « الدر المنثور » (٨١/٤) – من طرق عن ابن عباس .

(٥) – أخرجه ابن عبد البر في « التمهيد » (٧/٤) وابن عساكر في « التاريخ » (١١٧/٣ – مخطوط)=

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] – سقط من : خ .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] – زيادة من تفسير ابن جرير (٢٠٠٥٩/١٦) .

نفيل(٦) - رضي الله عنه - : .

وأنتَ الذي مِنْ فَضْلٍ مَنٍّ وَرَحْمَةٍ بَعَثْتَ إِلىٰ مُوسَىٰ رَسُولًا مُناديا
فقلت له يا اذهَبْ وهارونَ فادعُوَا إِلىٰ اللَّهِ فرعونَ الذي كانَ طاغيا
وقُولَا لَهُ هَلْ أَنْتَ سَوَّيت هَذه [بلا وتدٍ حتَّىٰ اطْمَأَنَّتْ كَمَا هِيا][١]
[وقولا له آأنت رفَّعت هذه][٢] بلا عمد أرفِقْ[٣] إذا بك بانيا
وقولا له هل أنت سويت وسْطها منيرًا إذا ما جنَّك الليل هاديا
[وقولا له من يُرْسِلُ الشمس غُدْوَةً فيصبح ما مَسَّت من الأرض ضَاحيا][٤]
وقُولا له من يُنْبِتُ الحبَّ في الثَّرىٰ فيُصْبِح منه البَقْلُ يَهْتَزُّ رابيا
ويُخْرِجُ منه حبَّه في رُءوسِهِ ففي ذاكَ آياتٌ لِمَنْ كانَ وَاعِيَا

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ثم استوىٰ علىٰ العرش** ﴾ تقدم تفسيره[٥] في سورة الأعراف ، وأنه يمرر كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ، تعالىٰ اللَّه علوًّا كبيرا .

وقوله : ﴿ **وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى** ﴾ قيل : المراد أنهما يجريان إلىٰ انقطاعهما بقيام الساعة ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **والشمس تجري لمستقر لها [ذلك تقدير العزيز العليم]**[٦] ﴾ .

وقيل : المراد إلىٰ مستقرهما ؛ وهو تحت العرش مما يلي بطن[٧] الأرض من الجانب الآخر ، فإنهما وسائر الكواكب إذا وصلوا هنالك يكونون أبعد ما يكون عن العرش ؛ لأنه [علىٰ الصحيح][٨] الذي تقوم عليه الأدلة : قبة مما يلي العالم من هذا الوجه ، وليس بمحيط كسائر الأفلاك ؛ لأن[٩] له قوائم وحملة يحملونه ، ولا يتصور [هذا في

= من حديث ابن عباس ، وفي إسناده أبو بكر الهذلي : أخباري متروك ، وعزاه الحافظ في « الفتح » (٧/ ١٥٣) إلى الفاكهي وابن منده ، ونقل المصنف في « البداية والنهاية » (٢/٢٨٧) عن أبي محمد بن صاعد قال : « ... وأما الذي يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال في أمية : « **آمن شعره وكفر قلبه** » فلا أعرفه » والحديث في « الضعيفة » للألباني (٤/رقم ١٥٤٦) . وأخرج البخاري (٣٨٤١) ومسلم (٣) (٢٢٥٦) من حديث أبي هريرة مرفوعًا « **كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم** » .

(٦) - هذه الأبيات في « السيرة » لابن هشام (١/١٤٩) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « تفسير ذلك » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في خ : « الفصيح » .
[٩] - في ز : لأنه .

الفلك][١] المستدير ، وهذا واضح لمن تدبر ما وردت به الآيات والأحاديث الصحيحة ولله الحمد والمنة .

وذكر الشمس والقمر ؛ لأنهما أظهر الكواكب السيارة السبعة ، التي هي أشرف وأعظم من الثوابت ، فإذا كان قد سخر هذه فلأن يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى والأحرى ، كما نبه بقوله تعالى : ﴿ **لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ مع أنه قد صرح بذلك[٢] بقوله : ﴿ **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون** ﴾ أي : يوضح الآيات والدلالات الدالة على[٣] أنه لا إله إلا هو ، وأنه يعيد الخلق إذا شاء كما ابتدأ خلقه .

وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

لما ذكر تعالى العالم العلوي ، شرع في ذكر قدرته وحكمته وإحكامه للعالم السفلي ، فقال : ﴿ **وهو الذي مد الأرض** ﴾ أي : جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض ، وأرساها بجبال راسيات شامخات ، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون ؛ ليسقي[٤] ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال ، والطعوم والروائح ﴿ **من كل زوجين اثنين** ﴾ أي : من كل شكل صنفان .

﴿ **يغشي الليل النهار** ﴾ أي : جعل كلًّا منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا ، فإذا ذهب هذا غشيه هذا ، وإذا انقضى هذا جاء الآخر ، فيتصرف أيضًا في الزمان كما يتصرف[٥] أيضًا[٦] في المكان والسكان .

---

[١] - هذه العبارة مكررة في : خ .
[٢] - في خ : « ذلك » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : لسقي .
[٥] - سقط من : خ .في ز : تصرف .
[٦] - زيادة من : خ .

﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ أي : في آلاء الله وحكمته ودلائله .

وقوله : ﴿ وفي[١] الأرض قطع متجاورات ﴾ أي : أراض[٢] يجاور بعضها بعضًا ، مع[٣] أن هذه طيبة[٤] تنبت ما ينتفع به الناس ، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئًا . هكذا روي عن ابن عباس(٧) ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك [وغيرهم] .

وكذا يدخل[٥] في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض ، فهذه تربة حمراء وهذه بيضاء ، وهذه صفراء وهذه سوداء ، وهذه محجرة وهذه سهلة وهذه مرملة ، وهذه سميكة وهذه رقيقة ، والكل متجاورات ، فهذه بصفتها[٦] وهذه بصفتها[٧] الأخرى ، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله : ﴿ وجنات من أعناب وزرع ونخيل ﴾ يحتمل أن تكون[٨] عاطفة على جنات فيكون[٩] ﴿ وزرع ونخيل ﴾ مرفوعين[١٠] ، ويحتمل أن يكون معطوفًا على أعناب فيكون مجرورًا ، ولهذا قرأ بكل منهما طائفة من الأئمة .

وقوله : ﴿ صنوان وغير صنوان ﴾ الصنوان : هي الأصول المجتمعة في منبت واحد ، كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك ، وغير الصنوان : ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار ، ومنه سمي عم الرجل صنو أبيه ، كما جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : « **أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه** »(٨) .

وقال سفيان الثوري وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء رضي الله عنه : الصنوان هي النخلات في أصل واحد ، وغير الصنوان المتفرقات(٩) . وقاله ابن عباس ومجاهد والضحاك

(٧) - أخرجه ابن جرير (٣٣١/١٦) وابن أبي حاتم (١٢١٢/٧) من طرق عنه بأسانيد ضعيفة ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٨٣/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٨) - أخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : في تقديم الزكاة ومنعها (١١) (٩٨٣) ، وأبو داود ، كتاب : الزكاة ، باب : في تعجيل الزكاة (١٦٢٣) ، والترمذي ، كتاب : المناقب ، باب : مناقب العباس بن عبد المطلب (٣٧٦٤) وأحمد (٣٢٢/٢) من حديث أبي هريرة ، وانظر « الصحيحة » للألباني (٨٠٦/٢) .

(٩) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير (٣٣٥/١٦، ٣٣٦) وابن أبي حاتم (١٢١٢٤/٧) والأخير من طريق سفيان فقط وله طرق أخرى عن أبي إسحاق عند ابن جرير وزاد نسبته السيوطي في « الدر =

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « أرض » .
[٣] - في خ : « من » .
[٤] - في خ : « مطيبة » .
[٥] - في خ : « يدل » .
[٦] - في خ : « نصفها » .
[٧] - في خ : « نصفها » .
[٨] - في خ : « يكون » .
[٩] - في خ : « فتكون » .
[١٠] - في خ : « مرفوعتين » .

وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقوله ﴿ **تسقىٰ بماء واحد ونفضل بعضها علىٰ بعض في الأكل** ﴾ قال الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ﴿ **ونفضل بعضها علىٰ بعض في الأكل** ﴾ قال : « **الدقل والفارسي والحلو والحامض** »(١٠) . رواه الترمذي وقال : حسن غريب .

أي : هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزروع ؛ في أشكالها وألوانها ، وطعومها وروائحها ، وأوراقها وأزهارها[١] ، فهذا في غاية الحلاوة ، وذا في غاية الحموضة ، وذا في غاية المرارة وذا عفص ، وهذا عذب ، وهذا جمع هذا وهذا ثم يستحيل إلىٰ طعم آخر بإذن اللّٰه تعالىٰ ، وهذا أصفر وهذا أحمر وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق ، وكذلك الزهورات مع أنها[٢] كلها تستمد من طبيعة واحدة[٣] وهو الماء ، مع هذا الاختلاف الكثير الذي لا ينحصر ولا ينضبط ، ففي ذلك آيات لمن كان واعيًا ، وهذا من أعظم الدلالات علىٰ الفاعل المختار ، الذي بقدرته فاوت بين الأشياء ، وخلقها علىٰ ما يريد ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ .

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ

= المنثور » (٨٣/٤) إلى الفريابي وسعيد بن منصور ، وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(١٠) - **ضعيف** ، أخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الرعد » (٣١١٧) ، وابن جرير (٢٠١٢٦/١٦) وأبو يعلى في « المعجم » (٣٠١) وابن عدي في « الكامل » (١٢٧٠/٣) والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٢٦/٩) وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (١٠٩٢/٢) والعقيلي في « الضعفاء (١٣١/٢) والمزي في « تهذيب الكمال » (٣٣١/١٢) من طريق محمود بن خداش ثنا سيف بن محمد الثوري عن الأعمش به ، وسيف بن محمد هذا كذبه يحيى بن معين وأبو داود وتركه النسائي والدارقطني ، ولذا قال ابن الجوزي : « هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وسيف متفق على كذبه ، قال أحمد بن حنبل : كان يضع الحديث . وقد تابعه زيد بن أبي أنيسة عن الأعمش به أخرجه ابن جرير (٢٠١٢٧/١٦) وابن عدي والعقيلي من طريق سليمان بن عبيد الله الخطاب عن عبيد الله ابن عمرو عن زيد به وقال العقيلي : لم يأت به - يعني بهذا الإسناد - غير سليمان » قلت : وهو ليس بالقوي - كما قال النسائي ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقد أخطأ في هذا الإسناد فقال أبو حاتم في « العلل » (١٧٣٣/٨٠/٢) : « حدَّث سليمان بهذا الحديث وأنا بالكوفة فلم يقض لي السماع منه ثم رجع عنه ، فقال : حدثنا به سيف بن محمد بن أخت سفيان أخو عمار ، وسيف ضعيف الحديث » ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٨/٤) إلى البزار وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

[١] - في خ : « وزهورها » . [٢] - في خ : « أن » .

[٣] - في خ : « واحد » .

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالىٰ لرسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وإن تعجب** ﴾ من تكذيب هؤلاء المشركين بأمر المعاد ، مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ، ودلالاته في خلقه علىٰ أنه القادر علىٰ ما يشاء ، ومع ما يعترفون به من أنه ابتدأ خلق الأشياء ، فكونها بعد أن لم تكن شيئًا مذكورًا ، ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في أنه سيعيد العالمين خلقًا جديدًا ، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به ، فالعجب من قولهم : ﴿ **أئذا كنا ترابًا أئنا لفي خلق جديد** ﴾ وقد علم كل عالم وعاقل : أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، وأن من بدأ الخلق فالإعادة سهلة عليه ، كما قال تعالىٰ : [﴿ **أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعيَ بخلقهن بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير**][١] ﴾ .

ثم نعت المكذبين بهذا فقال : ﴿ **أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم** ﴾ [أي : يسحبون بها في النار][٢] ﴿ **وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ أي : ماكثون فيها أبدًا لا يحولون عنها ولا يزولون .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾

يقول تعالىٰ ﴿ **ويستعجلونك** ﴾ أي : هؤلاء المكذبون ﴿ **بالسيئة قبل الحسنة** ﴾ أي : بالعقوبة ، كما أخبر عنهم في قوله : ﴿ **وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون * لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين * ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب** ﴾ الآيتين .

وقال تعالىٰ : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ ، وقال : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق** ﴾ ، ﴿ **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا** ﴾ الآية ، أي : عقابنا وحسابنا ، كما قال مخبرًا عنهم : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك** ﴾ الآية ، فكانوا [من شدة تكذيبهم وعنادهم وكفرهم] يطلبون [ ][٣] أن

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شيء قدير » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في ز : من الرسول .

يأتيهم بعذاب اللَّه .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وقد خلت من قبلهم المثلات** ﴾ أي : قد أوقعنا نقمنا بالأمم الخالية ، وجعلناهم مثلة[١] عبرة وعظة [لمن اتعظ] بهم .

ثم أخبر تعالىٰ : أنه لولا حلمه وعفوه لعاجلهم بالعقوبة ، كما قال تعالى : ﴿ **ولو يؤاخذ اللَّه الناس [بما كسبوا]**[٢] **ما ترك علىٰ ظهرها من دابة** ﴾ .

وقال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة : ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم** ﴾ أي : [أنه تعالى] ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار ، ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ؛ ليعتدل الرجاء والخوف ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم** ﴾ ، وقال : ﴿ **نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ إلىٰ أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الرجاء والخوف .

وقال ابن أبي حاتم (١١) : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس علىٰ ظلمهم** ﴾ الآية ، قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم « **لولا عفو اللَّه وتجاوزه ما هنأ [أحدًا العيش]**[٣] **، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد** » .

وروىٰ الحافظ ابن عساكر(١٢) في ترجمة الحسن بن عثمان أبي حسان الزيادي[٤] : أنه رأىٰ رب العزة في النوم ، ورسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم واقف بين يديه يشفع في رجل من أمته ، فقال له : ألم يكفك أني أنزلت عليك في سورة الرعد : ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس علىٰ ظلمهم** ﴾ قال : ثم انتبهت .

---

(١١) - **مرسل وإسناده ضعيف** تفسير ابن أبي حاتم (١٢١٤٥/٧) ، وعلي بن زيد هو ابن جدْعان ، ضعيف وأخرج البزار (٣٢٥٦/٤- كشف) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا « **لو تعلمون قدر رحمة الله عز وجل ، لاتّكلتم وما عملتم من عمل ولو علمتم قدر غضبه ما نفعكم شيء** » وحسنه الألباني « الصحيحة » (٢١٦٧/٥) .

(١٢) - « تاريخ دمشق » (٤٧١/٤ - مخطوط) .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « بظلمهم » . [٣] - في خ : « لأحد عيشًا » .

[٤] - في ز ، خ : « الرمادي » .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن المشركين : أنهم يقولون كفرًا وعنادًا لولا يأتينا بآية [من ربه][١] كما أرسل الأولون ، كما تعنتوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهبًا ، وأن يزيل عنهم الجبال ويجعل مكانها مروجًا وأنهارًا [قال تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون** ﴾ الآية][٢] . قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **إنما أنت منذر** ﴾ أي : إنما عليك أن تبلغ رسالة اللّٰه التي أمرك بها[٣] ، و ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن اللّٰه يهدي من يشاء** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ قال علي بن أبي طلحة(١٣) ، عن ابن عباس : أي ولكل قوم داع .

وقال[٤] العوفي(١٤) ، عن ابن عباس في تفسيرها : يقول اللّٰه تعالىٰ : أنت يا محمد منذر وأنا هادي كل قوم .

و[٥] كذا قال مجاهد[٦] وسعيد بن جبير والضحاك [وغير واحد][٧] .

وعن مجاهد : ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ أي : نبي . كقوله : ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد .

وقال أبو صالح ويحيىٰ بن رافع : ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ أي : قائد ، وقال أبو العالية : الهادي : القائد ، والقائد : الإمام ، والإمام : العمل .

وعن عكرمة وأبي الضحى : ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ قالا : هو محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقال مالك : ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ مَنْ يدعوهم إلىٰ اللّٰه عز وجل .

---

(١٣) - أخرجه ابن جرير (٢٠١٦٢/١٦) ، وعلي بن أبي طلحة يرسل عن ابن عباس ، ولم يره لكن أفاد أبو حاتم أن بينهما مجاهد والقاسم بن محمد « جامع التحصيل » للعلائي (صـ٢٤١) .

(١٤) - أخرجه ابن جرير (٢٠١٤٦/١٦) ، وعطية العوفي ، ضعيف .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ت .

[٣] - في خ : « الله » .

[٤] - في ز ، خ : « قال » .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - في خ : « محمد » .

[٧] - زيادة من : ت .

وقال أبو جعفر بن جرير(١٥) : حدثني أحمد بن يحيىٰ الصوفي ، حدثنا الحسن بن الحسين الأنصاري ، حدثنا معاذ بن مسلم ، بياع[١] الهروي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : لما نزلت ﴿ **إنما أنت منذر ولكل قوم هاد** ﴾ قال : وضع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم يده علىٰ صدره ، وقال : « **أنا المنذر ولكل قوم هاد** » وأومأ بيده إلىٰ منكب عليٍّ . فقال : « **أنت الهادي يا علي ، بك يهتدي المهتدون من بعدي** » .

وهذا الحديث فيه نكارة شديدة .

وقال ابن أبي حاتم(١٦) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا المطلب بن زياد ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ قال : الهادي رجل من بني هاشم . قال الجنيد : هو علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن عباس في إحدىٰ الروايات ، وعن أبي جعفر محمد بن علي نحو ذلك .

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ

(١٥) - **منكر** تفسير ابن جرير (٢٠١٦١/١٦) وأخرجه ابن الأعرابي ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٣٠٦/١٢ مخطوط) من طريق الفضل بن يوسف الجعفي ، ثنا الحسن بن الحسين الأنصاري به ، والحسن هذا ، قال فيه أبو حاتم : لم يكن بصدوق عندهم ، وكان من رؤساء الشيعة ، وقال ابن عدي : لا يشبه حديثه حديث الثقات ، وقال ابن حبان : يأتي عن الأثبات بالملزقات ، ويروى المقلوبات » ؛ ومعاذ بن مسلم ، قال أبو حاتم مجهول ، وقال الذهبي في « الميزان » عقب هذا الخبر : « ومعاذ نكرة ، فلعل الآفة منه » . قلت : بل الآفة من كليهما ، الحسن ومعاذ واستغربه ابن حجر في « الفتح » (٣٧٦/٨) غير أنه حسن إسناده ، مع أنه استنكره للحسن بن الحسين وقال في معاذ بن مسلم : « مجهول وله عن عطاء بن السائب خبر باطل » انظر « لسان الميزان » (٢/ت٢٤٤٥) ، (٦/ت٨٥١٠) وأخرجه الضياء في « المختارة » (١٥٨/١٠) من طريق آخر عن سعيد بن جبير به نحوه ، وفي إسناده من لم أجد لهم ترجمة .

(١٦) - تفسير ابن أبي حاتم (١٢١٥٢/٧) وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد « المسند » (١٠٤١) (١/ ١٢٦) والطبراني في « الأوسط » (١٣٦١/٢) وفي « الصغير » (٢٦١/١) والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٧٢/١٢) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٦/١٢ - مخطوط) من طريق عثمان بن أبي شيبة به ، والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٤/٧) وقال : « رواه عبد الله بن أحمد والطبراني في « الصغير » و « الأوسط » ورجال المسند ثقات » وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في حاشيته =

[١] - في خ : « حدثنا » .

﴿عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾

يخبر تعالىٰ عن تمام علمه الذي لا يخفي عليه شيء ،وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ويعلم ما في الأرحام** ﴾ أي : ما حملت من ذكر أو[١] أنثىٰ ، أو حسن أو قبيح ، أو شقي أو سعيد ، أو طويل العمر أو قصيره ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة** ﴾ الآية .

وقال تعالىٰ : ﴿ **يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث** ﴾ أي : خلقكم طورًا من بعد طور ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك اللَّه أحسن الخالقين** ﴾ ، وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال(١٧) : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « **إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث إليه ملكٌ[٢] فيؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وعمره وعمله وشقي أو سعيد** » وفي الحديث الآخر(١٨) : « **فيقول الملك : أي رب ، أذكر أم أنثىٰ ؟ أي رب ، أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيقول اللَّه ويكتب الملك** » .

= على « المسند » مع أنه من طريق السُّدي واسمه إسماعيل بن عبد الرحمن وهو صدوق يهم ، ورمى بالتشيع ، ومثله لا يحتمل مثل هذا المتن كما يعلم من أقوال بعض النقاد فيه انظر « التهذيب » .وأخرجه الحاكم (١٢٩/٣-١٣٠) وابن عساكر من طريق حسين بن حسن الأشقر ثنا منصور بن أبي الأسود عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي به نحوه وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » فتعقبه الذهبي بقوله : « بل كذب قبح الله واضعه » .

قلت : عباد الأسدي ، ضعفه ابن المديني ، وقال البخاري ، فيه نظر ، وحسين الأشقر ، قال البخاري : فيه نظر وعنده مناكير ، وقال أبو زرعة : منكر الحديث وقال أبو حاتم والنسائي والدارقطني : ليس بالقوى ، فالآفة منهما ، لاسيما وفيهما تشيع غالٍ نسأل الله السلامة .

(١٧) - أخرجه البخاري : كتاب : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة (٣٢٠٨) ، ومسلم ، كتاب : القدر ، باب : كيفية الخلق الآدمي .. (٢٦٤٣) ولفظ المصنف مغاير له في بعض الأحرف ، وأقرب له لفظ أبي داود ، كتاب : السنة ، باب : القدر (٤٧٠٨) ، والحديث أخرجه أيضًا الترمذي ، كتاب : القدر ، باب : ما جاء في أن الأعمال بالخواتيم (٢١٣٨) والنسائي في « التفسير » (١١٢٤٦/٦) وابن ماجة في « المقدمة » : باب : في القدر (٧٦) وأحمد (٣٨٢/١،٤٣٠) .

(١٨) - يأتي تخريجه (سورة المؤمنون آية ١٦) .

---

[١] - في ت : « و » . [٢] - في خ : « الملك » .

وقوله : ﴿ **وما تغيض الأرحام وما تزداد** ﴾ قال البخاري(١٩) : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا معن ، حدثنا مالك ، عن عبد اللَّه بن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها[١] إلا اللَّه ؛ لا يعلم ما في غد إلا اللَّه ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا اللَّه ، ولا يعلم متىٰ يأتي المطر أحد إلا اللَّه ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم متىٰ تقوم الساعة إلا اللَّه** » .

وقال العوفي(٢٠) ، عن ابن عباس : ﴿ **وما تغيض الأرحام** ﴾ يعني السِّقْط ﴿ **وما تزداد** ﴾ يقول : ما زادت الرحم في الحمل علىٰ ما غاضت حتىٰ ولدته تمامًا ، وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ومنهن من تحمل تسعة أشهر ، ومنهن من تزيد في الحمل ومنهن من تنقص ، فذلك الغيض والزيادة التي ذكر اللَّه تعالىٰ ، وكل ذلك بعلمه تعالىٰ .

وقال الضحاك(٢١) : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وما تغيض الأرحام وما تزداد** ﴾ قال : ما نقصت عن تسعة وما زاد عليها .

وقال الضحاك : وضعتني أمي وقد حملتني في بطنها سنتين ، وولدتني وقد نبتت ثنيتي .

وقال ابن جريج(٢٢) : عن جميلة بنت سعد ، عن عائشة قالت : لا يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحرك[٢] ظل مغزل .

وقال مجاهد : ﴿ **وما تغيض الأرحام وما تزداد** ﴾ قال : ما ترىٰ من الدم في حملها ،

(١٩) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ﴾ (٤٦٩٧) ، وأخرجه أيضًا كتاب الاستسقاء ، باب : لا يدري متى يجيء المطر إلا الله - (١٠٣٩) ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا ...** ﴾ (٧٣٧٩) والنسائي في التفسير من « الكبرى » (١١٢٥٨/٦) وأحمد (٢٤/٢، ٥٢، ٥٨) من طرق عن عبد الله بن دينار به ، وانظر ما تقدم (سورة الأنعام / آية ٥٩) وما يأتي (سورة لقمان / آية ٣٤) .

(٢٠) - أخرجه ابن جرير (٢٠١٦٤/١٦) وعطية العوفي ، ضعيف .

(٢١) - أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٦٢/٧) والضحاك لم يسمع من ابن عباس ، لكن أفاد غير واحدٍ أن بينهما سعيد بن جبير .

(٢٢) - **إسناده فيه جهالة** أخرجه سعيد بن منصور في « السنن » (٢/رقم ٢٠٧٧) - ومن طريقه البيهقي في « الكبرى » (٤٤٣/٧) - وابن جرير في تفسيره (٢٠١٩١/١٦) والدارقطني في « السنن » ، (٣/ ٣٢١، ٣٢٢) من طريق داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج به وعلقه ابن حزم في « المحلى » (٣١٦/١٠) من طريق سعيد بن منصور ، وقال : « جميلة بنت سعد مجهولة ، لا يدري من هى » قلت : أفاد =

[١] - في خ : « يعلمهن » .

[٢] - في ابن جرير وغيره : يتحوَّل . وهو الأشبه .

وما تزداد علىٰ تسعة أشهر . وبه قال عطية العوفي والحسن البصري وقتادة والضحاك .

وقال مجاهد أيضًا : إذا رأت المرأة الدم دون التسعة زاد علىٰ التسعة مثل أيام الحيض . وقاله[١] عكرمة وسعيد بن جبير وابن زيد .

وقال مجاهد أيضًا : ﴿ **وما تغيض الأرحام** ﴾ إراقة المرأة حتىٰ يخسّ[٢] الولد ﴿ **وما تزداد** ﴾ إن لم تهرق المرأة تم الولد وعظم .

وقال مكحول : الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم ، وإنما يأتيه رزقه في بطن أمه من دم حيضتها ، فمن ثم لا تحيض الحامل ، فإذا وقع إلىٰ الأرض استهل ، واستهلاله استنكار[٣] لمكانه ، فإذا قطعت سرته حول الله رزقه إلىٰ ثديي أمه ، حتىٰ لا يحزن ولا يطلب ولا يغتم ، ثم يصير طفلًا يتناول الشيء بكفه فيأكله ، فإذا هو بلغ قال : هو الموت أو القتل أنى لي بالرزق ؟ فقال مكحول : يا ويلك ! غذاك وأنت في بطن أمك وأنت طفل صغير ، حتىٰ إذا اشتددت وعقلت قلتَ : هو الموت أو القتل أنى لي بالرزق ؟ ثم قرأ مكحول : ﴿ **الله**[٤] **يعلم ما تحمل كل أنثى** ﴾ الآية .

وقال قتادة : ﴿ **وكل شيء عنده بمقدار** ﴾ أي : بأجل ، حفظ أرزاق خلقه وآجالهم ، وجعل لذلك أجلًا معلومًا . وفي الحديث الصحيح (٢٣) : أن إحدىٰ بنات النبي صلىٰ الله عليه وسلم بعثت إليه أن ابنًا لها في الموت ، وأنها تحب أن يحضره[٥] ، فبعث إليها يقول : « **إن لله ما أخذ وله**[٦] **ما أعطىٰ ، وكل شيء عنده بأجل مسمىٰ ، فمروها فلتصبر ولتحتسب** » . الحديث بتمامه .

وقوله : ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ أي : يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب

= الدارقطني أنها أخت عبيد بن سعد - وهو أبو امرأة ابن جريج كما في « الجرح والتعديل » (٤٠٧/٥) لكنه لم يتكلم فيها بجرح ولا تعديل فهى مجهولة الحال وفي الإسناد . أيضًا عنعنة ابن جريج .

(٢٣) - أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تبارك وتعالى ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن** ﴾ (٧٣٧٧) - وانظره بأطرافه عند رقم (١٢٨٤) - ومسلم : كتاب : الجنائز ، باب : البكاء على الميت (١١) (٩٢٣) وأبو داود ، كتاب : الجنائز ، باب : في البكاء على الميت (٣١٢٥) ، النسائي : كتاب : الجنائز : باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة (٢١/٤-٢٢) ، وابن ماجه ، كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في البكاء على الميت (١٥٨٨) وأحمد (٢١٨٦٧) (٢٠٤/٥) وفي مواضع أخر من حديث أسامة بن زيد .

---

[١] - في خ : « وقال » . [٢] - في ز ، خ : « يحسن » .
[٣] - في ابن أبي حاتم (١٢١٧٠/٧) : استنكارًا . [٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « تحضره » . [٦] - في خ : « ولله » .

عنهم ، ولا يخفى عليه منه شيء ﴿ **الكبير** ﴾ الذي هو أكبر من كل شيء ﴿ **المتعال** ﴾ أي : على كل شيء ﴿ **قد أحاط بكل شيء علمًا** ﴾ وقهر كل شيء فخضعت له الرقاب ، ودان له العباد طوعًا وكرهًا .

سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

يخبر تعالىٰ عن إحاطة علمه بجميع خلقه ، و[١] سواء منهم من أسر قوله أو جهر به ، فإنه يسمعه لا يخفي عليه شيء ، كقوله : ﴿ **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى** ﴾ ، وقال : ﴿ **ويعلم ما تخفون وما تعلنون** ﴾ ، وقالت عائشة رضي اللَّه عنها(٢٤) : سبحان الذي وسع سمعه الأصوات ، واللَّه لقد[٢] جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأنا[٣] في جنب البيت وإنه ليخفى علي بعض كلامها ، فأنزل اللَّه : ﴿ **قد سمع اللَّه قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلىٰ اللَّه واللَّه يسمع تحاوركما إن اللَّه سميع بصير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن هو مستخف بالليل** ﴾ أي : مختف في قعر بيته في ظلام الليل ﴿ **وسارب بالنهار** ﴾ أي : ظاهر ماش في بياض النهار وضيائه ، فإن كليهما[٤] في علم اللَّه علىٰ السواء ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ألا حين يستغشون ثيابهم [يعلم ما يسرون وما يعلنون]**[٥] ﴾ ، وقوله[٦] تعالىٰ : ﴿ **وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر اللَّه** ﴾ أي : للعبد ملائكة يتعاقبون عليه ، حرس بالليل وحرس بالنهار ، يحفظونه من الأسواء والحادثات ، كما

---

(٢٤) - **صحيح** ، ويأتي تخريجه (سورة المجادلة / آية ١) .

---

[١] - في ت : « وأنه » .
[٢] - في خ : « قد » .
[٣] - زيادة من : ت .
[٤] - في خ : « كلاهما » .
[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « وقال » .

يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال ، من خير أو شر ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال ، صاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السيئات ، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه ، واحد من ورائه وآخر من قدامه ، فهو بين أربعة أملاك بالنهار ، وأربعة آخرين بالليل بدلًا حافظان وكاتبان كما جاء في الصحيح(٢٥) : « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بكم**[١] **كيف تركتم عبادي؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون** » . وفي الحديث الآخر(٢٦) : « **إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع ، فاستحيوهم**[٢] **وأكرموهم** » .

وقال علي بن أبي طلحة(٢٧) ، عن ابن عباس [في قوله][٣] : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر اللّه** ﴾ والمعقبات [ ][٤] من أمر[٥] اللّه وهي الملائكة .

وقال عكرمة(٢٨) ، عن ابن عباس : ﴿ **يحفظونه من أمر اللّه** ﴾ قال : ملائكة يحفظونه

(٢٥) - أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب : قصر الصلاة في السفر : باب : جامع الصلاة (٨٢) ومن طريقه البخاري ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : فضل صلاة العصر (٥٥٥) ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٢١٠) (٦٣٢) والنسائي ، كتاب : الصلاة ، باب : فضل صلاة الجماعة (١/٢٤٠-٢٤١) وفي الكبرى (١/٤٥٩) و (٤/٧٧٦٠) وأحمد (٢/ ٤٨٦) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا به ولفظ المصنف مغاير في بعض الأحرف لنص الحديث عندهم .

(٢٦) - **ضعيف** ، أخرجه الترمذي ، كتاب : الأدب ، باب : ما جاء في الاستتار عند الجماع (٢٨٠١) من طريق ليث - ابن أبي سليم - عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا فذكره وقال الترمذي . « حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » قلت : علته ليث هذا : قال الحافظ في « التقريب » صدوق اختلط جدًّا ، ولم يتميز حديثه فترك » واضطرب فيه فأخرجه البيهقي في « الشعب » (٦/٧٧٣٩) من طريقه عن محمد بن عمرو عن أبيه عن زيد بن ثابت مرفوعًا به ، وضعفه البيهقي ، وعلقه البغوي في « شرح السنة » (٩/٢٥) بصيغة التمريض مستغربًا إسناده .

(٢٧) - أخرجه ابن جرير (١٦/٢٠٢١٥) وابن أبي حاتم (٧/١٢١٩٨) .

(٢٨) - أخرجه ابن جرير (١٦/٢٠٢١٦،٢٠٢١٧) وابن أبي حاتم (٧/١٢١٩٦) وعبد الرزاق (٢/٣٣٢) من رواية سماك عن عكرمة به وهذه رواية مضطربة وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٩١) إلى الفريابي وابن المنذر .

---

[١] - كذا ، وفي جميع المصادر التي وقفت عليها : « بهم » . وهو الأشبه بالصواب .

[٢] - في خ : « فاستحيوا » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في تفسير ابن جرير : [هن] .

[٥] - سقط من : خ .

من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله خَلَّوا عنه .

وقال مجاهد : ما من عبد إلا له[١] ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ ، فما منها[٢] شيء يأتيه يريده إلا قال له الملك : وراءك ، إلا شيء[٣] [أذن الله فيه][٤] فيصيبه .

وقال الثوري(٢٩) ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس [في قوله][٥] : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه** ﴾ قال : ذلك ملك من ملوك الدنيا ، له حرس من دونه حرس .

وقال العوفي(٣٠) ، عن ابن عباس : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه** ﴾ يعني ولي الشيطان يكون عليه الحرس . وقال عكرمة في تفسيرها : هؤلاء الأمراء المواكب من بين يديه ومن خلفه . وقال الضحاك في الآية : هو السلطان المحترس[٦] من أمر[٧] الله وهم[٨] أهل الشرك . والظاهر والله أعلم أن مراد ابن عباس وعكرمة والضحاك بهذا أن حرس الملائكة للعبيد يشبه حرس هؤلاء لملوكهم وأمرائهم .

وقد روىٰ الإمام أبو جعفر بن جرير هٰهنا حديثًا غريبًا جدًّا فقال(٣١) : حدثني المثنى ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري ، حدثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدوي قال : دخل عثمان بن عفان علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ فقال : « **ملك عن[٩] يمينك [ ][١٠] علىٰ حسناتك ، وهو آمر[١١] علىٰ الذي علىٰ الشمال ، فإذا[١٢] عملت حسنة كتبت عشرًا ، وإذا[١٣] عملت سيئة قال الذي علىٰ**

(٢٩) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٢٦/١٦) ورجاله ثقات ، رجال الشيخين إلا أن حبيب بن أبي ثابت كثير الإرسال والتدليس .

(٣٠) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٢٧/١٦) وعطية العوفي ، ضعيف .

(٣١) - **إسناده فيه جهالة وانقطاع** تفسير ابن جرير (٢٠٢١١/١٦) وكنانة وهو ابن نعيم العدوي ، لم =

[١] - في خ : « به » .
[٢] - في ابن جرير (٢٠٢٤٥/١٦) : منهم .
[٣] - في ابن جرير شيئًا .
[٤] - في خ : « يأذن الله » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في خ : « الحرس » .
[٧] - ساقطة من ابن جرير (٢٠٢٣٠/١٦) .
[٨] - في خ : « وهو » .
[٩] - في ت : « علي » .
[١٠] - في ز ، خ : وملك .
[١١] - في ابن جرير : أمين .
[١٢] - في ز ، خ : « إذا » .
[١٣] - في ز ، خ : « فإذا » .

الشمال للذي علىٰ اليمين : أكتب ؟ قال : لا ؛ لعله يستغفر اللَّه ويتوب ، فيستأذنه ثلاث مرات ، فإذا قال ثلاثًا قال : نعم اكتب[١] أراحنا اللَّه منه فبئس القرين ، ما أقل مراقبته للَّه وأقل استحياءه منا ، يقول اللَّه ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ وملكان من بين يديك ومن خلفك ، يقول اللَّه تعالىٰ ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه [يحفظونه من أمر الله][٢] ﴾ ، وملك قابض علىٰ ناصيتك فإذا تواضعت للَّه رفعك ، وإذا تجبرت علىٰ اللَّه قصمك ، وملكان علىٰ شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة علىٰ محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ وملك قائم علىٰ فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك ، وملكان علىٰ عينيك ، فهؤلاء عشرة أملاك علىٰ [كل آدمي][٣] ، ينزلون[٤] ملائكة الليل علىٰ ملائكة النهار ؛ لأن ملائكة الليل سوىٰ ملائكة النهار ، فهؤلاء عشرون ملكًا علىٰ [كل آدمي][٥] ، وإبليس بالنهار وولده بالليل » .

وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه (٣٢) : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا سفيان ، حدثني[٦] منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة** » . قالوا : وإياك يا رسول اللَّه ؟ قال : « **وإياي ، ولكن أعانني الله عليه فلا يأمرني إلا بخير** » . انفرد بإخراجه مسلم .

وقوله : ﴿ **يحفظونه من أمر اللَّه** ﴾ [قيل : المراد حفظُهم له من أمر اللَّه][٧] ، رواه علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس ، وإليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم وقال قتادة : ﴿ **يحفظونه من أمر اللَّه** ﴾ قال : وفي بعض القراءات يحفظونه

= يذكر أنه أدرك عثمان بن عفان أو روى عنه ، وإبراهيم بن عبد السلام لم أجد له ذكرًا في كتب الرجال ، وشيخه على بن جرير لا يدرى من هو أيضًا إلا أن ابن أبي حاتم ترجم في « الجرح والتعديل » (١٧٨/٦) : « على بن جرير البارودي روى عن ... - كذا بياض بالأصل - سئل أبي عن علي بن جرير البارودي ، فقال : صدوق » .

(٣٢) - **صحيح** « **المسند** » ، (٣٩٧/١) إلا أن لفظه مغاير في بعض الأحرف لما هنا ، وأقرب منه ما أخرجه أحمد أيضًا (٤٠١/١) لكن من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان به وأخرجه أيضًا (٣٨٥/١، ٤٦٠) ومسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : تحريش الشيطان ، وبعثه سراياه لفتنة الناس ... (٦٩) (٢٨١٤) من طريق سفيان وغيره عن منصور به .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - في خ : « بني آدم » .
[٤] - في خ : « يبدلون » .
[٥] - في خ : « بني آدم » .
[٦] - في المسند : عن .
[٧] - سقط من : خ .

بأمر اللّٰه . وقال كعب الأحبار : لو تجلىٰ لابن آدم كل سهل وحزن لرأىٰ على[١] كل شيء من ذلك شياطين[٢] ، لولا أن اللّٰه وكّل بكم ملائكة يذبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذًا لتُخُطِّفتم . وقال أبو أمامة : ما من آدمي إلا ومعه ملك موكّل[٣] يذود عنه حتىٰ يسلمه للذي قُدِّر له .

وقال أبو مجلز : جاء رجل من مُرادٍ إلىٰ علي ، رضي اللّٰه عنه ، وهو يصلي ، فقال : احترس ؛ فإن ناسًا من مراد يريدون قتلك ؛ فقال : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدَّر ، فإذا جاء القدرُ خلّيا بينه وبينه ، إن الأجل جُنَّةٌ حصينةٌ .

وقال بعضهم : ﴿ **يحفظونه من أمر اللّٰه** ﴾ بأمر اللّٰه ، كما جاء في الحديث أنهم قالوا : يا رسول اللّٰه ، أرأيت رقى نسترقي بها هل ترد من قدر اللّٰه شيئًا ؟ فقال : « **هي من قدر اللّٰه** »(٣٣) .

وقال ابن أبي حاتم (٣٤) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن غياث ، عن

(٣٣) - أخرجه الترمذي (٢١٤٩) وابن ماجه (٣٤٣٧) وأحمد (١٥٥١٣) (٤٢١/٣) من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن ابن أبي خِزامة عن أبي خزامة فذكره وقال الترمذي : « هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث الزهري ، وقد روى غير واحد هذا عن سفيان عن الزهري عن أبي خزامة عن أبيه - واسمه يعمر السعدي - وهذا أصح .. » ومن هذا الطريق أخرجه الترمذي ، كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقى والأدوية (٢٠٦٦) وأحمد (١٥٥١٦) (٤٢١/٣) والحاكم في « المستدرك » - كما في « التهذيب » لابن حجر (٩٣/١٢) - وقال أحمد : « وهو الصواب » ، وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » قلت : وقد رواه غير واحد عن الزهري بهذا الإسناد ، أخرجه أحمد (١٥٥١٤،١٥٥١٥) (٤٢١/٣) وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٦١٠/٥) وانظر تحفة الأشراف » (١١٨٩٨/٩) ، وأخرجه البغوي وابن شاهين - كما في « الإصابة » (٣٨٦/١) - من طريق عثمان بن عمر عن الزهري عن أبي خزامة الحارث بن سعد أنه قال ... فذكر الحديث ، قال ابن معين : أخطأ عثمان بن عمر فيه ، وإنما هو عن الزهري عن أبي خزامة أحد بنى الحارث بن سعد عن أبيه » ، قال ابن حجر : « وهو الصواب واسم والد أبي خزامة يعمر » وقد خفى هذا التحريف على الهيثمي ، فقال في « المجمع » (٨٨/٥) - بعد أن ذكر الحديث من رواية الحارث بن سعد عن أبيه - « رواه الطبراني والحارث لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح غير أبي خزامة » وقال ابن عبد البر في « الاستيعاب » ، أبو خزامة ذكره بعضهم في الصحابة لحديث أخطأ فيه راويه عن الزهري وهو تابعي وحديثه مضطرب » قلت وابن أبي خزامة وأبو خزامة جهلهما الذهبي وابن حجر . وللحديث شاهد من حديث حكيم بن حزام عند الطبراني في « الكبير » (٣٠٩٠/٣) والحاكم (٤٠٢/٤-٤٠٣) وزاد نسبته الحافظ في « الفتح » (٥٨٠/١١) إلي أبي داود والله أعلم ، وسكت عنه الحاكم والذهبي ، وفي إسناده صالح بن أبي الأخضر وهو ضعيف .

(٣٤) - **إسناده ضعيف** تفسير ابن أبي حاتم (١٢٢٠١/٧) وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي ، أبو عمران =

[١] - زيادة من ابن جرير (٢٠٢٤٦/١٦) . [٢] - في خ : غير واضحة .

[٣] - زيادة من ابن جرير (٢٠٢٤٨/١٦) .

أشعث ، عن جهم ، عن إبراهيم قال : أوحىٰ اللّه - عز وجل - إلىٰ نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك : إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت ، يكونون علىٰ طاعة اللّه فيتحولون منها إلىٰ معصية اللّه ، إلا تَحَوَّلَ اللّه لهم[١] مما يحبون إلىٰ ما يكرهون . ثم قال : إن مصداق[٢] ذلك في كتاب اللّه ﴿ **إن اللّه لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ .

وقد ورد هذا في حديث مرفوع ؛ فقال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه « صفة العرش »(٣٥) : حدثنا الحسن بن علي ، حدثنا الهيثم بن الأشعث السلمي ، حدثنا أبو حنيفة اليمامي الأنصاري ، عن عمير بن [عبد الملك][٣] قال : خطبنا علي بن أبي طالب علىٰ منبر الكوفة قال : كنت إذا سَكَتُّ عن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ابتدأني ، وإذا سألته عن الخبر أنبأني ، وإنه حدثني عن ربه عز وجل قال : « **قال الرب : وعزتي وجلالي ، وارتفاعي فوق عرشي ما من قرية ولا أهل بيت كانوا علىٰ ما كرهت من معصيتي ، ثم تحولوا عنها إلىٰ ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلىٰ ما يحبون من رحمتي** » [وهذا غريب وفي إسناده من لا أعرفه][٤] .

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

يخبر تعالىٰ : أنه هو الذي يسخر البرق : وهو ما يرىٰ من النور اللامع ساطعًا من خلل السحاب .

وروىٰ ابن جرير(٣٦) : أن ابن عباس كتب إلىٰ أبي الجلد يسأله عن البرق فقال : البرق

= الكوفي الفقيه ، « ثقة إلا أنه يرسل ، ويدلس » وجهم هو ابن دينار ويقال هو ابن أبي سبرة ، قال ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢/٥٢٢/ت ٢١٦٧) عن أبيه : « هو من قدماء أصحاب النخعي ، قلت : هو صدوق ؟ قال : نعم » وأشعث هو ابن سوّار الكندي : ضعيف .

(٣٥) - **إسناده فيه جهالة** كتاب « صفة العرش » (رقم ١٩) والهيثم بن الأشعث السلمي ، قال الذهبي في « المغني » (٧١٧/٢) وابن حجر في « اللسان » (٦/ت٩٠٣١) « مجهول » وأبو حنيفة اليمامي ذكره البخاري في « الكنى » (ت٢٠٣) والحديث نسبه السيوطي في « الدر المنثور » إلىٰ أبي الشيخ وابن مردويه . وذكره أبو أحمد الحاكم في « الكنى » (ت ١٨٥٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً .

(٣٦) - تفسير ابن جرير (١/٤٣٤) ، (٢٠٢٥١/١٦) ثني المثنى ، ثنا حجاج ، ثنا حماد أخبرنا موسى =

[١] - ساقطة من المطبوع من ابن أبي حاتم .
[٢] - في ابن أبي حاتم : تصديق .
[٣] - كذا وفي صفة العرش : عبد اللّه .
[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

الماء .

وقوله : ﴿ **خوفًا وطمعًا** ﴾ قال قتادة : خوفًا للمسافر يخاف أذاه ومشقته ، وطمعًا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ، ويطمع في رزق اللَّه .

﴿ **وينشئ السحاب الثقال** ﴾ أي : ويخلقها منشأة جديدة ، وهي لكثرة مائها ثقيلة قريبة إلىٰ الأرض قال مجاهد : والسحاب الثقال الذي فيه الماء .

قال[١] : ﴿ **ويسبح الرعد بحمده** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ .

وقال الإمام أحمد (٣٧) : حدثنا يزيد ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، أخبرني أبي ، قال : كنت جالسًا إلىٰ جنب حميد بن عبد الرحمن في المسجد ، فمر [شيخ من بني غفار][٢] ، فأرسل إليه حميد ، فلما أقبل قال : يا ابن أخي ، وسع[٣] له[٤] فيما بيني وبينك ، فإنه قد صحب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فجاء حتى جلس فيما بيني وبينه ، فقال له[٥] حميد : ما الحديث الذي حدثتني عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم . فقال له الشيخ : سمعت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **إن اللَّه ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ، ويضحك أحسن الضحك** » .

= ابن سالم أبو جهضم مولى ابن عباس قال .... فذكره ، وموسى بن سالم روايته عن ابن عباس مرسلة ، وأخرجه أيضًا (٤٣٧/١،٤٤٣) من طريق بشر بن إسماعيل عن أبي كثير قال : كنت عند أبي الجلد إذ جاءه رسول ابن عباس بكتاب إليه ، فكتب إليه : « كتبت تسألني عن الرعد - وفي رواية : - البرق فالرعد الريح - وفي رواية أخرى « البرق » الماء » قال الشيخ أحمد شاكر : « هو إسناد مشكل - ما وجدت ترجمة « بشر ابن إسماعيل » وما عرفت من هو ، ثم لم أعرف من « أبو كثير » الراوى عن أبي الجلد » وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٧٦٩/٤) من طريق بشير بن سلمان - تصحف إلى سليمان - حدثنا أبو كثير بنحو السابق.

(٣٧) - **صحيح** « **المسند** » ، (٢٣٧٩٨) (٤٣٥/٥) وأخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٣٥/١-٣٦) والرامهرمزي في « الأمثال » (ص ١٥٤) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٩٨٨/٢) من طريق إبراهيم ابن سعد به ، وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وجهالة الصحابي لا تضر ، وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٧١٨/٤) من طريق عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم به مختصرًا ، ومن طريق الأعرج عن حميد بن عبد الرحمن عن الغفاري به ، لكن في إسناده محمد بن إسحاق ، ولم يصرح في الإسناد الثاني بالسماع وأخرجه العقيلي والرامهرمزي وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٩٥/٤) =

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في المسند : « شيخ جميل من بني غفار وفي أذنيه صمم » .

[٣] - في المسند : أوسع . [٤] - في خ : « الله » .

[٥] - سقط من : خ .

والمراد والله أعلم : أن نطقها الرعد وضحكها البرق .

وقال موسىٰ بن عبيدة (٣٨) ، عن سعد بن إبراهيم قال : يبعث الله الغيث فلا أحسن منه مضحكا ، ولا آنس منه منطقا ، فضحكه البرق ومنطقة الرعد .

وقال ابن أبي حاتم (٣٩) : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي ، عن محمد بن مسلم قال : بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه : وجه إنسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد ، فإذا مصع (*) بذنبه فذاك البرق .

وقال الإمام أحمد (٤٠) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو مَطَرٍ ، عن سالم ، عن أبيه قال : كان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا سمع الرعد والصواعق قال : « **اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك** » .

ورواه الترمذي ، والبخاري في كتاب الأدب ، والنسائي في اليوم والليلة والحاكم في مستدركه : من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن أبي مطر ، ولم يسم[١] به .

= من حديث أبي هريرة وفي إسناده عمرو بن الحصين متروك ، وأمية بن سعيد الأموي مجهول ، والحديث زاد نسبته السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب المطر » وصرح بأن صاحبه هو أبو ذر الغفاري ، وهو خلاف ما وقفنا عليه من مصادر حيث لم نقف على التصريح بذلك والله أعلم ، والحديث صححه الألباني في « الصحيحة » (١٦٦٥/٤) .

(٣٨) - موسى بن عبيدة الرَّبذي ضعيف ، لكن تابعه سليمان بن داود الهاشمي - وهو ثقة جليل عند أبي الشيخ في « العظمة » (٧١٩/٤) به مختصرًا وقد عزاه السيوطي « الدر المنثور » (٩٥/٤) إلى أحمد وابن أبي الدنيا في « كتاب المطر » وأبي الشيخ في « العظمة » والبيهقي في « الأسماء والصفات » - وسبق تخريجه من مسند أحمد وغيره من المصادر ولم يرد فيها قول : إبراهيم هذا ، وقد وردت هذه الزيادة في حديث أبي هريرة - المشار إليه سابقًا بلفظ « .. منطقه الرعد وضحكه البرق » . لكن إسناده لا تقوم به حجة كما بينا والله أعلم .

(٣٩) - وأورده المصنف أيضًا في « البداية والنهاية » (٤١/١) - كما هنا ومحمد بن مسلم هو ابن عثمان أبو عبد الله بن وَارة الحافظ ثقة مترجم له في « التهذيب » وهشام بن عبيد الله الرازي قال أبو حاتم : صدوق » وقال ابن حبان : «كان يهم ويخطئ على الثقات » مترجم له في « اللسان » .

(*) - مصعت الدابة بذنبها : حركته .

(٤٠) - **إسناده فيه جهالة** ، « مسند » (٥٧٦٣) (١٠٠/٢-١٠١) ومن طريق عفان به أخرجه الحاكم (٤/ ٢٨٦) - وسقط عنده الحجاج والصواب إثباته كما صرح به ابن حجر في « التهذيب » (٢٥٩/١٢) - والبيهقي في « الكبرى » (٣٦٢/٣) - وتصحف عنده أبو مطر إلى أبي مظفر - وأخرجه الترمذي (٣٤٤٦) والبخاري في « الأدب المفرد » (٧٢١) والنسائي في « الكبرى » كتاب : عمل اليوم والليلة :=

---

[١] - في خ : « يسر » .

وقال أبو جعفر بن جرير(٤١) : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبي هريرة رفع الحديث أنه كان إذا سمع الرعد قال : « **سبحان من يسبح الرعد بحمده** » .

وروي عن علي(٤٢) رضي اللّه عنه أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان من سَبَّحتَ له . وكذا روي عن ابن عباس(٤٣) وطاوس والأسود بن يزيد : أنهم كانوا يقولون كذلك .

وقال الأوزاعي(٤٤) : كان ابن أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد : سبحان اللّه وبحمده لم تصبه[١] صاعقة . وعن عبد اللّه بن الزبير : أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث ، وقال : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته . ويقول : إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض . رواه مالك في موطئه[٢] والبخاري في كتاب الأدب(٤٥) .

= (١٠٧٦٤/٦) وأبو يعلى في مسنده (٥٥٠٧/٩) وفي « المعجم » (٣٠٩) ومن طريقه أبو الشيخ في « العظمة » (٧٨١/٤) وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٩٨) .. والدولابي في « الكنى » (٢/ ١١٧) والطبراني في « الكبير » (١٣٢٣٠/١٢) - ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (٢٩٨/٣٤) - من طرق عن عبد الواحد بن زياد به ، ورواه النسائي (١٠٧٦٣) من طريق سيار بن حاتم عن عبد الواحد ، ولم يذكر حجاجًا ، وسيار صدوق له أوهام والله تعالى أعلم . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، مع أنه قال في « الميزان » (٢٤٨/٦) « أبو مطر لا يدرى من هو » وكذا جهله الحافظ ابن حجر ، ولذلك قال الترمذي « حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه والخرائطي في « مكارم الأخلاق » .

(٤١) - **إسناده فيه جهالة** ، تفسير ابن جرير (٢٠٢٦٠/١٦) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/ ٩٧) إلى ابن مردويه .

(٤٢) - **إسناده ضعيف جدًّا** أخرجه ابن جرير (٢٠٢٦١/١٦) وفي إسناده مَسْعَدة بن اليسَع الباهلي ، هالك وكذبه أبو داود وقال أحمد بن حنبل : خرقنا حديثه منذ دهر ، وقال أبو حاتم : هو ذاهب منكر الحديث : لا يشتغل به .. (الجرح والتعديل » (٣٧٠/٨) و« لسان الميزان » (٩ / ٢٨)) .

(٤٣) - **إسناده حسن** ، أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٧٢٢) وابن جرير في تفسيره (٤٣٦/١) (٢٠٢٦٢/١٦) ، وفي إسناده الحكم بن أبان ، صدوق عابد وله أوهام - كما في « التقريب » - وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٦/٤) إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب المطر » .

(٤٤) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٦٥/١٦) ، وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٧٨٥/٤) من طريق آخر عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا قال : بلغني أنه من سمع الرعد فقال : « سبحان الله وبحمده » لم تصبه صاعقة ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩٨/٤) إلى ابن أبي شيبة .

(٤٥) - **إسناده صحيح** ، أخرجه مالك في « الموطأ » ، كتاب : الكلام ، باب : القول إذا سمعت الرعد (٢٦) عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه - سقط من طبعة عبد الباقي عن أبيه فليستدرك - فذكره =

[١] - في خ : يصبه . [٢] - في خ : « الموطأ » .

وقال الإمام أحمد (٤٦) : حدثنا سليمان بن داود الطيالسي ، حدثنا صدقة بن موسىٰ ، حدثنا محمد بن واسع ، عن شُتَيْر[١] بن نهار ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **قال ربكم عز وجل : لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار** ، **ولما أسمعتهم صوت الرعد** » .

وقال الطبراني(٤٧) : حدثنا زكريا بن يحيىٰ الساجي ، حدثنا أبو كامل الجحدري[٢] ، حدثنا يحيىٰ بن كثير أبو النضر ، حدثنا عبد الكريم ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله ؛ فإنه لا يصيب ذاكرًا** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** ﴾ أي : يرسلها نقمة ينتقم بها ممن يشاء ، ولهذا تكثر[٣] في آخر الزمان ، كما قال الإمام أحمد(٤٨) : حدثنا محمد بن

= ومن طريق مالك أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٧٢٤) وأحمد في « الزهد » (صـ٢٤٩) وأبو الشيخ في « العظمة » (٧٨٣/٤) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٦٢/٣) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩٨/٤) إلى ابن سعد وابن أبي شيبة وابن المنذر والخرائطي .

(٤٦) - **إسناده ضعيف** « المسند » (٨٦٩٣) (٣٥٩/٢) ، والحديث في « مسند الطيالسي » (٢٥٨٦) ومن طريقه أيضًا البزار (١/رقم ٦٦٤- كشف) والحاكم (٢٥٦/٤) ، وأخرجه الحاكم أيضًا (٣٤٩/٢) وعنه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧١٩) عن موسى بن إسماعيل ثنا صدقة بن موسى به وقال الحاكم في الموضعين « حديث صحيح الإسناد » وتعقبه الذهبي في الموضعين فقال في الأول « بل صدقة بن موسى واهٍ » وقال في الثاني : « صدقة ضعفوه » وبه أعله الهيثمي أيضًا فقال في « المجمع » (٢١٤/٢) : « رواه أحمد والبزار وزاد ... قلت : ومداره علي صدقة بن موسى الدقيقي ضعفه ابن معين وغيره وقال مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة الدقيقي وكان صدوقًا » قلت : وتضعيفه هو الأولى فقد ضعفه أيضًا النسائي والساجي والدولابي وقال الترمذي : ليس عندهم بذاك القوى ، وقال أبو حاتم : لين الحديث ، يكتب حديثه ولا يحتج به (« التهذيب » لابن حجر) وقد روي الحديث من مسند أبي سعيد الخدري ، أخرجه الدارقطني في « العلل » (١١/س ٢٣٠٦) ومن طريقه ابن الجوزي في « المتناهية » (١٣٢١/٢) - والبيهقي في « الزهد » (٧١٨) - وأفاد أن رواية أبي هريرة هى الصحيحة - وقال الدارقطني : « والحديث غير ثابت » .

(٤٧) - **إسناده ضعيف** « المعجم الكبير » (١١٣٧١/١١) وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٧٨٢/٤) ثنا زكريا الساجي به وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٣٩/١٠) وقال : « رواه الطبراني وفيه يحيى بن كثير أبو النضر وهو ضعيف » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩٨/٤) إلى ابن مردويه .

(٤٨) - **إسناده ضعيف** « المسند » (١١٦٣٧) (٦٤/٣-٦٥) وأخرجه الحاكم (٤٤٤/٤) من طريق محمد ابن مصعب به وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » فتعقبه الذهبي قائلاً « عمارة ثقة لم يخرجوا له » قلت : وهذا ليس إعلالاً له ، والأصل أن يعل بمحمد بن مصعب فإنه صدوق =

[١] - في خ : « معمر » . [٢] - في خ : « الجدري » .
[٣] - في خ : « يكثر » .

مصعب ، حدثنا عمارة عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه ، أن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة ، حتىٰ يأتي الرجل القوم فيقول : من صعق تلكم[١] الغداة فيقولون : صعق فلان وفلان وفلان** » .

وقد روي في سبب نزولها ما رواه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(٤٩) :

حدثنا إسحاق - [ابن أبي إسرائيل][٢] - حدثنا علي بن أبي سارة الشيباني ، حدثنا ثابت عن أنس : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بعث رجلاً مرة إلىٰ رجل من فراعنة العرب ، فقال : « **اذهب فادعه لي** » . قال : فذهب إليه فقال : يدعوك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقال له : مَنْ رسول اللّٰه ؟ وما اللّٰه ؟ أمن ذهب هو ، أم من فضة هو ، أم من نحاس هو ؟ قال فرجع إلىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : يا رسول اللّٰه ، قد أخبرتك أنه أعتىٰ من ذلك ، قال لي كذا وكذا . فقال لي : « **ارجع إليه الثانية** » - أراه - فذهب فقال له مثلها ، فرجع إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللّٰه ، قد أخبرتك أنه أعتىٰ من ذلك . فقال[٣] : « **ارجع إليه فادعه** » . فرجع إليه الثالثة ، قال : فأعاد عليه ذلك الكلام ، فبينما هو يكلمه إذ بعث اللّٰه عز وجل سحابة حيال رأسه ، فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه ، فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **ويرسل الصواعق** ﴾ الآية .

ورواه ابن جرير من حديث علي بن أبي سارة به . ورواه الحافظ أبو بكر البزار : عن عبدة بن عبد اللّٰه عن يزيد بن هارون ، عن ديلم بن غزوان ، عن ثابت ، عن أنس فذكر

= كثير الخطأ ، وبه أعله الهيثمي في « المجمع » (١٢/٨) فقال : « رواه أحمد عن محمد بن مصعب وهو ضعيف » ، وقد أعل الذهبي نفسه أحاديث في « المستدرك » بمحمد هذا . فانظر (١٧٦/٣-١٧٧) .

(٤٩) - **حسن** ، مسند أبي يعلى (٣٣٤٢/٦) بالإسناد دون اللفظ ، وأخرجه النسائي في « التفسير » (٦/ ١١٢٥٩) والعقيلي في « الضعفاء » (٢٣٢/٣-٢٣٣) وابن جرير (٢٠٢٧٠/١٦) والطبراني في « الأوسط » (٢٦٠٢/٣) والواحدي في « أسباب النزول » (صـ ٢٠٥) من طريق على بن أبي سارة به وهذا إسناد ضعيف ، وعلته على هذا ، قال البخاري : في حديثه نظر وقال أبو حاتم : شيخ ضعيف الحديث ، ولكن تابعه ديلم بن غزوان - وهو صدوق عن ثابت به أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/ ٦٩٢) والبزار (٢٢٢١/٣) وأبو يعلى (٣٣٤١) والبيهقي في « الدلائل » (٢٨٣/٦) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٥/٧) وقال : « رواه أبو يعلى والبزار بنحوه ... وبنحو هذا رواه الطبراني في الأوسط ... ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة وفي رجال أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة وهو ضعيف » وزاد نسبته السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه ، وانظر ما بعده .

[١] - في خ : « قبلكم » .

[٢] - زيادة من مسند أبي يعلى .

[٣] - في خ : « قال » .

نحوه .

وقال(٥٠) : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا عفان ، حدثنا أبان بن يزيد ، حدثنا أبو[١] عمران الجوني ، عن عبد الرحمن بن صحار العبدي أنه بلغه : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بعث إلىٰ جبار يدعوه ، فقال : أرأيتم[٢] ربكم أذهب هو ؟ أم فضة هو؟ أم لؤلؤ هو ؟ قال فبينما هو يجادلهم إذ بعث الله سحابة فرعدت ، فأرسل الله[٣] عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه ، ونزلت هذه الآية .

وقال أبو بكر بن عياش(٥١) ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد قال : جاء يهودي فقال : يا محمد ، أخبرني عن ربك [من أي شيء هو][٤] ، من نحاس هو ، أم[٥] من لؤلؤ أو ياقوت ؟ قال : فجاءت صاعقة فأخذته ، وأنزل الله : ﴿ **ويرسل الصواعق** ﴾ الآية .

وقال قتادة(٥٢) : ذكر لنا أن رجلًا أنكر القرآن وكذب النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فأرسل الله صاعقة فأهلكته ، وأنزل الله ﴿ **ويرسل الصواعق** ﴾ الآية .

وذكروا(٥٣) في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد[٦] بن ربيعة لما قدما علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، المدينة ، فسألاه أن يجعل لهما نصف الأمر ، فأبىٰ عليهما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال له عامر بن الطفيل لعنه الله: أما والله لأملأنها عليك

---

(٥٠) - **مرسل** ، ابن جرير في تفسيره (١٦/٢٠٢٦٦) ، ورجاله ثقات ، رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن صحار العبدي ، فقد ترجم له الحافظ ابن حجر في « تعجيل المنفعة » (٦٢٩) وقال : « روى عن أبيه - وله صحبة - وعنه أبو العلاء الشخير ، قال الحسيني : ليس بالمشهور وكذا قال وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٥/٩٥) . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٩٩) إلى الخرائطي في « مكارم الأخلاق » وانظر ما قبله .

(٥١) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٦/٢٠٢٦٧،٢٠٢٦٨) من طريقين عن أبي بكر بن عياش به ، وليث بن أبي سليم « صدوق اختلط جدًا ولم يتميز حديثه فترك » ، وعزاه السيوطي إلى الحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم . وانظر ما قبله .

(٥٢) - أخرجه ابن جرير (١٦/٢٠٢٧١) بإسناد حسن إلى قتادة .

(٥٣) - أخرجه ابن جرير (١٦/٢٠٢٥٠) حدثني يونس نا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله فذكر الحديث وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ ، وانظر ما بعده .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « أرأيتكم » .
[٣] - زيادة من ابن جرير .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « وزايد » .

خيلًا جردًا ورجالًا مردًا . فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يأبىٰ اللَّه عليك ذلك وأبناء**[١] **قيلة** » يعني : الأنصار ، ثم إنهما هما بالفتك برسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فجعل أحدهما يخاطبه والآخر يستل سيفه ليقتله من ورائه ، فحماه اللَّه تعالىٰ[٢] منهما وعصمه ، فخرجا من المدينة فانطلقا في أحياء العرب يجمعان[٣] الناس لحربه عليه الصلاة[٤] والسلام ، فأرسل اللَّه[٥] علىٰ أربد سحابة فيها صاعقة فأحرقته ، وأما عامر بن الطفيل فأرسل اللَّه عليه الطاعون ، فخرجت فيه غدة عظيمة ، فجعل يقول : يا آل عامر ، غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية . حتىٰ ماتا لعنهما اللَّه . وأنزل اللَّه في مثل ذلك : ﴿ **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في اللَّه** ﴾ . وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخو أربد يرثيه :

أَخْشَىٰ عَلَىٰ أَرْبَدَ الحُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ والأَسَدِ
فَجَّعنِي الرَّعدُ[٦] والصَّواعِقُ بالـ فَارِسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥٤) : حدثنا مَسْعَدةُ بن سعد[٧] العطار ، حدثنا إبراهيم ابن المنذر الحزامي ، حدثني عبد العزيز بن عمران ، حدثني عبد الرحمن وعبد اللَّه ابنا زيد ابن أسلم ، عن أبيهما ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس : أن أربد بن قيس بن [جُزَيّ ابن خالد][٨] بن جعفر بن كلاب ، وعامر بن الطفيل بن مالك ، قدما المدينة علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فانتهيا إليه وهو جالس، فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل : يا محمد ، ما تجعل لي إن أسلمت ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لك**[٩] **ما**

---

(٥٤) - **إسناده ضعيف** « المعجم الكبير » (١٠٧٦٠/١٠) وفي « الأوسط » (٩١٢٧/٩) ومن طريقه أبو نعيم في « الدلائل » (ص١٦٢-١٦٣) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٤/٧،٤٥) وقال : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه ... وفي إسناده عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف » وقال عنه الحافظ في « التقريب » : « متروك احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٨٩/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ، وأصل قصة عامر عند البخاري في صحيحه : كتاب : المغازي ، باب : غزوة الرجيع (٤٠٩١) وأحمد (١٣٢١٩) (٢١٠/٣) من حديث أنس بن مالك .

---

[١] - كذا وقع في طبعة الحلبي من ابن جرير (١٢٠/١٢) ، وأفاد العلامة محمود شاكر في طبعته (١٦/ ٢٠٢٥٠) أن الذي في « المخطوطة » « وابنا » على التثنية ، وصوبه ، وقال : « وقيلة » أم الأوس والخزرج .

[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « يجمعون » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ابن جرير : البرق . (٢٠٢٧٢/١٦) .
[٧] - في ز : سعيد . والمثبت من المعجم الكبير والأوسط ، وكذا أورده المصنف في « البداية والنهاية » (٥/ ٧١) .
[٨] - في ز : « جزء بن جليد » .
[٩] - سقط من : خ .

للمسلمين وعليك ما عليهم » . قال عامر بن الطفيل : أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك ؟ قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **ليس ذلك لك ولا لقومك ، ولكن لك أعنة الخيل** » . قال : أنا الآن في أعنة خيل نجد ، اجعل لي الوبر ولك المدر . قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لا** » . فلما قفلا[١] من عنده ، قال عامر : أما واللّه لأملأنها عليك خيلًا ورجالًا . فقال له رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يمنعك اللّه** » . فلما خرج أربد وعامر ، [قال عامر : يا أربد][٢] ، أنا أشغل عنك محمدًا بالحديث فاضربه بالسيف ، فإن الناس إذا قتلت محمدًا لم يزيدوا علىٰ أن يرضوا بالدية ، ويكرهوا الحرب [فنعطيهم الدية][٣] . قال أربد : أفعل . فأقبلا راجعين إليه ، فقال عامر : [يا محمد][٤] قم معي أكلمك . فقام معه رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فجلسا[٥] إلىٰ الجدار ، ووقف معه رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يكلمه ، وسل أربد السيف ، فلما وضع يده علىٰ قائم[٦] السيف يبست يده علىٰ قائم السيف ، فلم يستطع سل السيف ، فأبطأ أربد علىٰ عامر بالضرب ، فالتفت رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فرأىٰ أربد وما يصنع ، فانصرف عنهما ، فلما خرج عامر وأربد من عند رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم حتىٰ إذا كانا بالحرة - حرة واقم - نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، فقالا : اشخصا يا عدوي[٧] اللّه لعنكما اللّه . فقال عامر : مَنْ هذا يا سعد ؟ قال : هذا أسيد بن حضير الكتائب[٨] . فخرجا حتىٰ إذا كانا بالرقم ، أرسل اللّه[٩] علىٰ أربد صاعقة فقتلته ، وخرج عامر حتىٰ إذا كان بالخُرَيْمِ[١٠] أرسل اللّه قرحة فأخذته ، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول ، فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول : غدة كغدة الجمل في بيت سلولية . يرغب أن يموت في بيتها ، ثم ركب فرسه فأحضره حتىٰ مات عليه راجعًا ، فأنزل اللّه فيهما : ﴿ **اللّه يعلم ما تحمل كل أنثىٰ** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وما لهم من دونه من وال** ﴾ قال : المعقبات من أمر اللّه يحفظون محمدًا صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ثم ذكر أربد وما قتله به ، فقال : ﴿ **ويرسل الصواعق** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وهم يجادلون في اللّه** ﴾ أي : يشكون في عظمته وأنه لا إله إلا هو ﴿ **وهو شديد المحال** ﴾ .

---

[١] - في خ : « قفا » .

[٢] - في خ : « قال أربد : يا عامر » .

[٣] - زيادة في ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

[٥] - في الطبراني : فخليا .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في خ : « عدو » .

[٨] - في خ : « العاتب » . وفي المعجم الكبير : الكاتب .

[٩] - زيادة من : خ .

[١٠] - في الكبير : بالحر .

قال[١] ابن جرير : شديدة مماحلته في عقوبة من طغىٰ عليه وعتا وتمادىٰ في كفره .

وهذه الآية شبيهة بقوله : ﴿ **ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمّرناهم وقومهم أجمعين** ﴾ .

وعن علي(٥٥) - رضي الله عنه - : ﴿ **وهو شديد المحال** ﴾ أي : شديد الأخذ ، وقال مجاهد شديد القوّة .

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (١٤)

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : ﴿ **له دعوة الحق** ﴾ قال : التوحيد . رواه ابن جرير(٥٦) .

وقال ابن عباس(٥٧) وقتادة ومالك عن محمد بن المنكدر : ﴿ **له دعوة الحق** ﴾ : لا إله إلا الله .

﴿ **والذين يدعون من دونه** ﴾ الآية ، أي : ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله ﴿ **كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه** ﴾ قال علي بن أبي طالب(٥٨) : كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده ، وهو لا يناله أبدًا فكيف يبلغ فاه ؟ .

وقال مجاهد : ﴿ **كباسط كفيه** ﴾ يدعو الماء بلسانه ويشير إليه فلا يأتيه أبدًا .

وقيل : المراد كقابض يده على الماء ، فإنه لا يحكم منه على شيء ، كما قال الشاعر :

(٥٥) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٧٣/١٦) ، وفي إسناده سيف بن عمر الضبي ، قال ابن حجر في « التقريب » : « ضعيف الحديث عمدة في التاريخ أفحش ابن حبان القول فيه » .

(٥٦) - تفسير ابن جرير (٢٠٢٨٢/١٦) وفيه علة الأثر السابق ، وزاد نسبته السيوطي (١٠١/٤) إلى أبي الشيخ .

(٥٧) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٤/٢) ، وابن جرير (٢٠٢٨٠/١٦) من رواية سماك عن عكرمة عنه وهي رواية مضطربة ، لكن أخرجه ابن جرير (٢٠٢٨١) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٢٠٦/١) من طرق أخر وفيه انقطاع وزاد نسبته السيوطي (١٠١/٤) إلى الفريابي ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في « الأسماء والصفات » .

(٥٨) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٨٦/١٦) وبه علة الأثر المتقدم برقم (٥٤) .

[١] - في خ : « وقال » .

فإنِّي وإيَّاكُمْ وَشَوْقًا إليكُمْ كَقَابِضِ ماءٍ لَمْ تَسِقْهُ أَنامِلُهْ

وقال الآخر :

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا[١] كانَ بَيْني وَبَيْنَها مِنَ الوُدِّ مِثْلَ القَابِضِ المَاءَ باليَدِ

ومعنى الكلام : أن هذا الذي يبسط يده إلى الماء ؛ إمّا قابضًا ، وإما متناولًا له من بعد ، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه الذي جعله محلًا للشرب ، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهًا غيره لا ينتفعون بهم أبدًا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولهذا قال : ﴿ **وما دعاء الكافرين إلا في ضلال** ﴾ .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ (١٥) ﴾

يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء ، ودان له كل شيء ، ولهذا يسجد له كل شيء طوعًا من المؤمنين ، وكرهًا من الكافرين[٢] ﴿ **وظلالهم بالغدوّ** ﴾ أي : البُكر ﴿ **والآصال** ﴾ وهو جمع أصيل : وهو آخر النهار ، كقوله تعالى : ﴿ **أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله** ﴾ الآية .

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) ﴾

يقرّر تعالى أنه لا إله إلا هو ؛ لأنهم معترفون بأنه هو الذي خلق السموات والأرض ، وهو ربها ومدبرها ، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم ، وأولئك هم[٣] الآلهة لا تملك لنفسها ولا لعابديها بطريق الأولى نفعًا ولا ضرا ، أي : لا تحصل منفعة ولا تدفع مضرة ، فهل يستوي من عبد هذه الآلهة مع الله ، ومن عبد الله وحده لا شريك له وهو على نور من ربه ؟ ولهذا قال : ﴿ **قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي**

---

[١] - في خ : « ما » .

[٢] - في خ : « المشركين » .

[٣] - زيادة من : خ .

الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ﴾ أي : أجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتماثله في الخلق ، فخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ، فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره ، أي : ليس الأمر كذلك ، فإنه لا يشابهه شيء ولا يماثله ، ولا ند له ، ولا عدل له ، ولا وزير له ، ولا ولد ولا صاحبة تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم معترفون أنها مخلوقة له عبيد له ، كما كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك(٥٩) . وكما[١] أخبر تعالىٰ عنهم في قوله : ﴿ ما[٢] **نعبدهم إلا ليقرّبونا إلىٰ الله زلفى** ﴾ فأنكر تعالىٰ عليهم ذلك حيث اعتقدوا ذلك ، وهو تعالىٰ لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾ ﴿ **وكم من ملك في السموات** ﴾ الآية ، وقال[٣] : ﴿ **إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدّهم عدًّا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا** ﴾ فإذا كان الجميع عبيدًا فَلِمَ يعبد بعضهم بعضًا بلا دليل ولا برهان . بل بمجرّد الرأي والاختراع والابتداع ، ثم قد أرسل رسله من أولهم إلىٰ آخرهم تزجرهم عن ذلك ، وتنهاهم عن عبادة من سوىٰ الله ، فكذبوهم وخالفوهم ، فحقت عليهم كلمة العذاب لا محالة ﴿ **ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾ .

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة علىٰ مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه ، والباطل في اضمحلاله وفنائه ، فقال تعالىٰ : ﴿ **أنزل من السماء ماء** ﴾ أي : مطرًا[٤] ﴿ **فسالت أودية بقدرها** ﴾ أي : أخذ كل واحد بحسبه ، فهذا كبير وسع كثيرًا من الماء ، وهذا صغير فوسع بقدره ، وهو إشارة إلىٰ القلوب وتفاوتها ، فمنها ما يسع علمًا كثيرًا ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها ﴿ **فاحتمل السيل زبدًا رابيًا** ﴾ أي : فجاء علىٰ وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبد عال عليه ، هذا مثل ، وقوله : ﴿ **ومما يوقدون عليه في النار**

(٥٩) - تقدم تخريج ذلك (سورة يوسف / آية ١٠٦) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « إنما ».
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « مطرت » .

ابتغاء حلية أو متاع ﴾ الآية ، هذا هو المثل الثاني : وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة ابتغاء حلية ، [أي : ليجعل][١] حلية نحاسٍ أو حديدٍ فيجعل متاعا ، فإنه يعلوه زبد منه كما يعلو ذلك زبد منه **﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾** أي : إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له ، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء ، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار ، بل يذهب ويضمحل ، ولهذا قال : **﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾** أي : لا ينتفع به ، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي ، ويعلق بالشجر ، وتنسفه الرياح ، وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب لا يرجع منه [ ][٢] شيء ، [ولا يبقىٰ إلا الماء][٣] وذلك[٤] الذهب ونحوه ينتفع به ، ولهذا قال : **﴿ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾** ، كقوله تعالىٰ : **﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾** .

وقال[٥] بعض السلف (٦٠) : كنت إذا قرأت مثلا من القرآن فلم أفهمه بكيت علىٰ نفسي ؛ لأن الله تعالىٰ يقول : **﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾** .

قال علي بن أبي طلحة(٦١) ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : **﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾** الآية : هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب علىٰ قدر يقينها وشكها ، فأما الشك فلا ينفع معه العمل ، وأما اليقين فينفع الله به أهله ، وهو قوله : **﴿ فأما الزبد ﴾** [وهو الشك][٦] **﴿ فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾** وهو اليقين ، وكما يُجعل الحلي في النار ، فيؤخذ خالصُه ويترك خَبثُه في النار ، فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك .

وقال العوفي(٦٢) ، عن ابن عباس قوله : **﴿ أنزل من السماء ماء فسألت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رابيًا ﴾** يقول : احتمل السيل ما في الوادي من عود ودمنة[٧] **﴿ ومما يوقدون عليه في النار ﴾** فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد ، فللنحاس

---

(٦٠) – ورد نحو ذلك عن عمرو بن مرة انظر (العنكبوت / آية ٤٣) .

(٦١) – أخرجه ابن جرير (٢٠٣١١/١٦) وزاد نسبته السيوطي (١٠٤/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٦٢) – أخرجه ابن جرير (٢٠٣١٢/١٦) وزاد نسبته السيوطي (١٠٤/٤) إلى ابن أبي حاتم .

---

[١] – ما بين المعكوفتين في خ : « أو » .

[٢] – في خ : إلى .

[٣] – في خ : « ويبقى الماء » .

[٤] – في خ : « كذلك » .

[٥] – في خ : « قال » .

[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٧] – سقط من : خ .

والحديد خبث فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء ، فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة ، وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأنبتت ، فجعل ذاك مثل العمل الصالح يبقىٰ لأهله ، والعمل السيئ يضمحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد ، وكذلك الهدى والحق جاءا[١] من عند الله فمن عمل بالحق كان له ، وبقي كما يبقىٰ ما ينفع الناس في الأرض ، وكذلك الحديد لا يستطاع أن يعمل[٢] منه سكين ولا سيف حتىٰ يدخل في النار ، فتأكل خبثه ويخرج جيده فينتفع به ، فكذلك[٣] يضمحل الباطل ، فإذا[٤] كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الأعمال ، فيزيغ[٥] الباطل ويهلك ، وينتفع أهل الحق بالحق .

وهكذا روي في تفسيرها عن مجاهد والحسن البصري وعطاء وقتادة وغير واحد من السلف والخلف .

وقد ضرب سبحانه وتعالىٰ في أول سورة البقرة للمنافقين مثلين ؛ ناريًا ومائيًا وهما قوله : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله** ﴾ الآية ، ثم قال : ﴿ **أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق** ﴾ الآية ، وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور مثلين ؛ أحدهما قوله : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب** [**بقيعة يحسبه الظمآن ماء**][٦] ﴾ الآية ، والسراب إنما يكون في شدة الحر ، ولهذا جاء في الصحيحين(٦٣) : فيقال لليهود يوم القيامة فما تريدون ؟ فيقولون : أي ربنا عطشنا فاسقنا . فيقال : ألا تردون ؟ فيردون النار فإذا هي كسراب[٧] يحطم بعضها بعضًا .

ثم قال تعالىٰ في المثل الآخر : ﴿ **أو كظلمات في بحر لجي** [**يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب**][٨] ﴾ الآية ، وفي الصحيحين(٦٤) عن أبي موسىٰ الأشعري [رضي الله عنه ، أن][٩] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا ، فكان[١٠] منها طائفة طيبة[١١] قبلت الماء ،**

(٦٣) – أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : « إن الله لا يظلم مثال ذرة » (٤٥٨١) ، ومسلم كتاب : الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية (٣٠٢) (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٦٤) – تقدم تخريجه (سورة الأعراف / آية ٥٨) .

[١] – في خ : « جاء » .
[٢] – في ابن جرير : تجعل .
[٣] – في خ : « كذلك » .
[٤] – في خ : « إذا » .
[٥] – في خ : « فيرفع » .
[٦] – زيادة من : خ .
[٧] – في خ : « السراب » .
[٨] – ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .
[٩] – في خ : « قال : قال » .
[١٠] – في الصحيحين : فكانت .
[١١] – سقط من : ز .

فأنبتت[١] الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماء ، فنفع اللّٰه بها الناس [فشربوا ورعوا وسقوا وزرعوا][٢] ، وأصابت طائفة منها أخرىٰ إنما هي قيعان : لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين اللّٰه ، ونفعه اللّٰه بما بعثني ، ونفع به فعَلِم وعَلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى اللّٰه الذي أرسلت به » .

فهذا مثل مائي ، وقال في الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد(٦٥) :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة ، عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أنه قال : **« مثلي ومثلكم[٣] : كمثل رجل استوقد نارًا ، فلما أضاءت ما حولها[٤] جعل[٥] الفَراشُ وهذه الدوابُّ التي يقعن في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهُنَّ وَيغلِبنَه[٦] فيتقحمن[٧] فيها – قال – فذلكم مثلي ومثلكم : أنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عن النار هَلُمَّ عن النار [هلم عن النار][٨] ، هلم ، فتغلبوني فتقتحمون فيها »** . وأخرجاه في الصحيحين أيضًا ، فهذا مثل ناري .

﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٨ ﴾

(٦٥) – **صحيح** « المسند » (٨١٠٢) (٣١٢/٢) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : شفقته – صلى الله عليه وسلم – على أمته ، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (١٨) (٢٢٨٣) حدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق به وأخرجه أحمد (٧٣١٨) (٣٤٤/٢) ، والبخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قول الله تعالى ﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب** ﴾ (٣٤٢٦) ، وفي الرقاق ، باب : الانتهاء عن المعاصي (٦٤٨٣) ، ومسلم (١٧) (٢٢٨٤) ، والترمذي ، كتاب : الأمثال ، باب : ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله (٢٨٧٧) من طريق أبي الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة به نحوه .

[١] – في خ : « وأنبتت » .

[٢] – الذي في صحيح مسلم : « فشربوا منها وسقوا ورعوا » . وفي صحيح البخاري : « فشربوا وسقوا وزرعوا » .

[٣] – سقط من المسند .

[٤] – في ز : حوله .

[٥] – في خ : « جعل الله » .

[٦] – في خ : « ويغلبهن » .

[٧] – في خ : « ويقتحمن » . وفي المسند فتتقحَّمْ .

[٨] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

يخبر تعالىٰ عن مآل السعداء والأشقياء ، فقال : ﴿ **للذين استجابوا لربهم** ﴾ أي : أطاعوا اللَّه ورسوله ، وانقادوا لأوامره ، وصدقوا أخباره الماضية والآتية ، فلهم ﴿ **الحسنى**[١] ﴾ وهو الجزاء الحسن ، كقوله تعالىٰ مخبرًا عن ذي القرنين أنه قال : ﴿ **أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلىٰ ربه فيعذبه عذابا نكرًا * وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنىٰ وسنقول له من أمرنا يسرًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **والذين لم يستجيبوا له** ﴾ أي : لم يطيعوا اللَّه ﴿ **لو أن لهم ما في الأرض جميعًا** ﴾ أي : في الدار الآخرة لو أن يمكنهم أن يفتدوا من عذاب اللَّه بملء الأرض ذهبًا ومثله معه لافتدوا به ، ولكن لا يتقبل منهم ؛ لأنه تعالىٰ لا يقبل منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا ﴿ **أولئك لهم سوء الحساب** ﴾ أي : في الدار الآخرة ، أي : يناقشون علىٰ النقير والقطمير والجليل والحقير ، «**ومن نوقش الحساب عذب**»(٦٦) ، ولهذا قال : ﴿ **ومأواهم جهنم وبئس المهاد** ﴾ .

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾

يقول تعالىٰ : لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي ﴿ **أنزل إليك** ﴾ يا محمد ﴿ **من ربك** ﴾ هو الحق الذي لاشك فيه ولا مرية ، ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه ، بل هو كله[٢] حق يصدق بعضه بعضًا ، لا يضاد شيء منه شيئًا آخر ، فأخباره كلها حق ، وأوامره ونواهيه عدل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتمت كلمة**[٣] **ربك صدقًا وعدلًا** ﴾ أي : صدقًا في الإخبار ، وعدلًا في الطلب ، فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ، ومن هو أعمىٰ لا يهتدي إلىٰ خير ولا يفهمه ، ولو فهمه ما انقاد له ولا صدقه ولا اتبعه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون** ﴾ وقال في هذه[٤] الآية الكريمة : ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى** ﴾ أي : أفهذا كهذا ؟ لا استواء .

(٦٦) - **صحيح** ، صح ذلك مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم . ويأتي تخريجه (سورة الإنشقاق / آية).

[١] - في خ : « الحسن » .
[٢] - في خ : « كلمة » .
[٣] - في خ : « كلمات » .
[٤] - سقط من : خ .

وقوله : ﴿ إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ [أي : إنما يتعظ ويعتبر ويعقل][١] أولو العقول السليمة الصحيحة ، جعلنا الله منهم .

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة : بأن لهم عقبىٰ الدار ، وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة .

﴿ الذين [يوفون بعهد الله و][٢] لا ينقضون الميثاق ﴾ وليسوا كالمنافقين الذين « إذا عاهد أحدهم غدر ، وإذا خاصم فجر ، وإذا حدث كذب ، وإذا ائتمن خان »(٦٧) .

﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ من صلة الأرحام ، والإحسان إليهم وإلىٰ الفقراء والمحاويج ، وبذل المعروف ﴿ ويخشون ربهم ﴾ أي : فيما يأتون وما يذرون من الأعمال ، يراقبون الله في ذلك ، ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة ، فلهذا أمرهم علىٰ السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم ، وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية .

﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ﴾ أي : عن المحارم والمآثم ففطموا أنفسهم عنها لله - عز وجل - ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها ، علىٰ الوجه الشرعي المرضي ﴿ وأنفقوا مما رزقناهم ﴾ أي : علىٰ الذين يجب عليهم الإنفاق لهم ؛ من زوجات[٣] وقرابات وأجانب ، من فقراء ومحاويج ومساكين ﴿ سرًا وعلانية ﴾ أي : في السر والجهر ، لم يمنعهم من ذلك حال من

(٦٧) - نص حديث يأتي برقم (٧٢،٧٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « زوجاتهم » .

الأحوال ، في[١] آناء الليل وأطراف النهار ﴿ **ويدرءون بالحسنة السيئة** ﴾ أي : يدفعون القبيح بالحسن ، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبرًا واحتمالا وصفحًا وعفوًا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ ولهذا قال مخبرًا عن هؤلاء السعداء المتصفين بهذه الصفات الحسنة : بأن لهم عقبىٰ الدار ، ثم فسر ذلك بقوله ﴿ **جنات عدن** ﴾ والعدن : الإِقامة ، أي : جنات إقامة يخلدون فيها .

وعن عبد اللّه بن عمرو(٦٨) أنه قال : إن في الجنة قصرًا يقال له عدن ، حوله البروج والمروج ، فيه خمسة آلاف باب علىٰ كل باب خمسة آلاف حِبَرة ، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد . وقال الضحاك في قوله : ﴿ **جنات عدن** ﴾ مدينة الجنة فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدي ، [والناس حولهم بعد والجنات][٢] حولها . رواهما ابن جرير .

وقوله : ﴿ **ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم** ﴾ أي : يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها ؛ من الآباء والأهلين والأبناء ، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين ؛ لتقرّ أعينهم بهم ، حتىٰ أنه ترفع درجة الأدنىٰ إلىٰ درجة الأعلىٰ [من غير تنقيص للأعلىٰ عن درجته][٣] بل امتنانًا من اللّه وإحسانًا ، ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم**[٤] **بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم**[٥] ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبىٰ الدار** ﴾ أي : وتدخل عليهم الملائكة من هٰهنا ومن هٰهنا للتهنئة بدخول[٦] الجنة ، فعند

(٦٨) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٤٢/١٦) حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق قال ثنا علي بن جرير ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو فذكره ، قال الشيخ محمود شاكر « وهذا إسناد صحيح إلى عبد الله بن عمرو ، لولا ما فيه من جهالة « علي بن جرير » - انظر الأثر المتقدم برقم (٣٠) وهو موقوف على عبد الله بن عمرو ، لم أجد من رفعه » .

قلت : أخرجه البزار (١٥٩١/٢- كشف) ، (١٢٤٠/١- مختصر الزوائد) - ومن طريقه أبو نعيم في كتاب « العادلين » ومن طريق أبي نعيم الديلمي في مسنده - كما في « تخريج أحاديث العادلين » للسخاوي (ص٦٩) - من طريق آخر عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا وقال البزار « لا نعلمه يروى عن =

[١] - في خ : « من » .

[٢] - وقع في تفسير ابن جرير : « والناس حولها بعدد الجنات » وما في الدر المنثور (١٠٨/٤) يوافق ما هٰهنا وزاد نسبته إلى أبي الشيخ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « ذرياتهم » .

[٥] - في خ : « ذرياتهم » .

[٦] - في خ : « ودخول » .

دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين ، مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام ، والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام .

وقال الإمام أحمد رحمه الله (٦٩) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثني سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا معروف بن سويد الجذامي ، عن أبي عُشَّانة المَعَافِري ، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص - رضي الله عنهما - عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء و[١]المهاجرون ، الذين تُسَدّ بهم الثُّغور ، وتتقى بهم المكارِهُ ، ويموت أحدُهم وحاجتُه في صدره لا يستطيع لها قَضَاءً ، فيقول الله تعالىٰ لمن يشاء من ملائكته : ائتوهم فَحَيُّوهُم . فتقول الملائكة : نحن سُكّانُ سمائِك وخِيَرَتُك من خلقك ، أفتأمُرُنا أن نأتِيَ هؤلاء فَنُسَلِّمَ عليهم ؟ فيقول : إنهم كانوا عبادًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ، وتُسَدُّ بهم الثُّغور وتتقىٰ[٢] بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء - قال - فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبىٰ الدار ﴾** » .

ورواه أبو القاسم الطبراني (٧٠) : عن أحمد بن رشدين[٣] ، عن أحمد بن صالح ، عن

= عبد الله بن عمرو إلا من هذا الوجه » قال الهيثمي في « المجمع » (١٩٩/٥) : « وفيه عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف » والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٧/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦٩) - **صحيح** ، معروف بن سويد ترجم له البخاري في « التاريخ الكبير » (٤٤٤/٧) وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٣٢٣/٨) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا ووثقه ابن حبان (٤٩٩/٧) وقد روى عنه جماعة من « الثقات » ولذلك قال الذهبي في « الكاشف » (١٦٢/٣) : « ثقة » وقد توبع كما يأتي وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي عشانة - وهو ابن يؤمن - روى له أصحاب السنن وهو ثقة .

والحديث في « المسند » (٦٥٧٠) (١٦٨/٢) وأخرجه ابن أبي عاصم في « الأوائل » (٥٧) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٣٥٢) والبزار (٣٦٦٥/٤- كشف) وأبو نعيم في « الحلية » (٣٤٧/١) وفي « صفة الجنة » (٨١) والبيهقي في « البعث والنشور » (٤١٤) كلهم من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ به وصححه ابن حبان (٧٤٢١/١٦ - إحسان) ، (٢٥٦٥/٨ - موارد) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٦٢/١٠) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني ... ورجالهم ثقات » وزاد نسبته السيوطي (١٠٩/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه وانظر ما بعده .

(٧٠) - **صحيح** ، رجاله ثقات : غير أحمد بن رشدين شيخ الطبراني وهو أحمد بن محمد بن الحجاج ، قال ابن عدي : كذبوه وأنكرت عليه أشياء ، وقال ابن أبي حاتم : سمعت منه بمصر ولم أحدث عنه لما =

[١] - زيادة من المسند .

[٢] - في المسند : فتتقى .

[٣] - في خ : « رشد » .

عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي عشانة ، سمع عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **أول ثلة[١] يدخلون الجنة فقراء المهاجرين ، الذين تتقى بهم المكاره ، وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا ، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلىٰ سلطان لم تقض حتىٰ يموت وهي في صدره ، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها ، فيقول : أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنةبغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون : ربنا نحن [نسبح بحمدك][٢] الليل والنهار ، ونقدس لك ، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب عز وجل : هؤلاء عبادي الذين جاهدوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي . فتدخل عليهم الملائكة من كل باب ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبىٰ الدار ﴾** .

وقال عبد الله بن المبارك : عن بقية بن الوليد ، حدثنا أرطاة بن المنذر ، قال : سمعت رجلًا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج ، يقول : جلست إلىٰ أبي أمامة فقال : إن المؤمن ليكون متكئًا علىٰ أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سِماطان من خَدَم ، وعند طرف السماطين بابٌ مبوَّبٌ ، فيقبل الملك فيستأذن ، فيقول أقصىٰ الخدم للذي يليهَ : ملك يستأذن ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ملك يستأذن ، حتىٰ يبلغ المؤمن ، فيقول : ائذنوا ، فيقول : أقربهم للمؤمن : ائذنوا له ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ائذنوا له ، [فكذلك][٣] حتىٰ يبلغ أقصاهم الذي عند الباب ، فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف . رواه ابن جرير(٧١) .

ورواه ابن أبي حاتم : من حديث إسماعيل بن عياش ، عن أرطاة بن المنذر ، عن أبي الحجاج[٤] يوسف الألهاني ، قال : سمعت أبا أمامة فذكر نحوه .

= تكلموا فيه . وقال ابن يونس : كان من حفاظ الحديث ؛ وقال مسلمة : حدثنا عنه غير واحد وكان ثقة عالمًا بالحديث (انظر « الميزان » (٥٣٨/١) و « اللسان » (٨١٣/١)) قلت : وقد توبع ، فأخرجه ابن جرير (٤/ ٢١٦/سورة آل عمران / آية ١٩٥) والحاكم (٧١/٢-٧٢) والبيهقي في « الشعب » (١٠٣٨٠/٧) من طرق عن عبد الله بن وهب به وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٦٢/١٠) وقال : « رجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عُشانة وهو ثقة » وأخرجه أحمد (٦٥٧١) (١٦٨/٢) ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا أبو عُشَّانة به نحوه ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٩٨/٤/ آل عمران / ١٩٨) إلى أبي الشيخ ، وانظر ما قبله .

(٧١) - تفسير ابن جرير (٢٠٣٤٤/١٦) - والحديث رواه ابن المبارك - كما في « زوائد الزهد » لنعيم بن حماد (٢٣٧) وأبو الحجاج هذا أو أبو الضحاك . لا يعرف حاله .

[١] - في خ : « ثلاثة » .

[٢] - في خ : « نسبحك » .

[٣] - زيادة من ابن جرير .

[٤] - كذا ومثله في تفسير ابن جرير ، وأفاد الشيخ محمود شاكر أنه « أبو الضحاك » لا « أبو الحجاج » استنادًا إلى ما في « الجرح والتعديل » ، « والتاريخ الكبير » للبخاري .

وقد جاء في الحديث(٧٢) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول ، فيقول لهم : « **سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبىٰ الدار** » . وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان .

﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ (٢٥) ﴾

هذا حال الأشقياء وصفاتهم ، وذكر ما لهم في الدار الآخرة ، ومصيرهم إلىٰ خلاف ما صار إليه المؤمنون ، كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا ، فأولئك كانوا يوفون بعهد الله ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ، وهؤلاء : ﴿ **ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض** ﴾ كما ثبت في الحديث(٧٣) : « **آية المنافق ثلاث ؛ إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان** » . [وفي رواية](٧٤) : « و][١] **إذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** » . ولهذا قال : ﴿ **أولئك لهم اللعنة** ﴾ وهي الإبعاد عن الرحمة ﴿ **ولهم سوء الدار** ﴾ وهي سوء العاقبة والمآل ﴿ **ومأواهم جهنم وبئس المهاد** ﴾ .

وقال أبو العالية في قوله [تعالى :﴿ و][٢] **الذين ينقضون عهد الله** ﴾ الآية ، قال : هي ست خصال في[٣] المنافقين ، إذا كان فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال ؛ إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا ائتمنوا خانوا ، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ،

(٧٢) - **ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٣٤٥/١٦) حدثني المثنى قال : حدثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن محمد بن إبراهيم قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور الشهداء ... فذكره هكذا مرسلًا ، وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (٦٧١٦/٣) عن رجل من أهل المدينة عن سهيل بن أبي صالح به ووصله البيهقي في « الدلائل » (٣٠٦/٣) ومن طريقه ذكره المصنف في « البداية والنهاية » (٥١/٤) من طريق موسى بن يعقوب عن عباد بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة به مرفوعًا ، وعباد بن أبي صالح - ويقال عبد الله بن أبي صالح - لين الحديث ، كما في « التقريب » - وموسى بن يعقوب « صدوق سيئ الحفظ » وعزاه السيوطي (١٠٩/٤) إلى ابن المنذر وابن مردويه من حديث أنس .

(٧٣) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ١٧٧) .

(٧٤) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ١٧٧) .

[١] - في خ : « في رواية » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « من » .

وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وأفسدوا في الأرض ، وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الثلاث خصال : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا وإذا اؤتمنوا خانوا .

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

يذكر تعالىٰ : أنه هو الذي يوسع الرزق علىٰ من يشاء ، ويُقَتِّره علىٰ من يشاء ، لما له في ذلك من الحكمة والعدل ، وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا في الحياة الدنيا استدراجًا لهم وإمهالًا ، كما قال : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ .

ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلىٰ ما ادخره تعالىٰ لعباده المؤمنين في الدار الآخرة ، فقال : ﴿ **وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع** ﴾ ، كما قال : ﴿ **قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقىٰ ولا تظلمون فتيلًا** ﴾ وقال : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى** ﴾ وقال الإمام أحمد(٧٥) : حدثنا وكيع ، ويحيىٰ بن سعيد ، قالا : حدثنا اسماعيل ابن أبي خالد ، عن قيس ، عن المستورد[١] أخي بني فهر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم ، فلينظر بم ترجع** » . وأشار بالسبابة . رواه مسلم في صحيحه .

وفي الحديث الآخر(٧٦) : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مر بِجَدْيٍ أَسَكَّ ميت - والأسك : الصغير الأذنين - فقال : « **واللّٰه للدنيا أهون علىٰ اللّٰه من هذا علىٰ أهله حين ألقوه** » .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ

---

(٧٥) - **صحيح** « المسند » (١٨٠٦٣،١٨٠٦٩) (٢٢٨/٤،٢٢٩) وأخرجه أيضًا (١٨٠٦٤، ١٨٠٦٧) (٢٢٩/٤) ومسلم : كتاب : الجنة وصفة نعيمهما وأهلها ، باب : فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة ، (٥٥) (٢٨٥٨) والترمذي ، كتاب : الزهد ، باب : قياس الدنيا بالنسبة للآخرة (٢٣٢٤) ، والنسائي في الرقاق من الكبرى - كما في تحفة الأشراف (١١٢٥٥) (٣٧٥/٨) - وابن ماجة كتاب : الزهد ، باب : مثل الدنيا (٤١٠٨) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به .

(٧٦) - أخرجه مسلم ، فاتحة كتاب الزهد والرقائق (٢) (٢٩٥٧) ، وأبو دواد ، كتاب : الطهارة ، باب : ترك الوضوء من مس الميتة (١٨٦) ، وأحمد (١٤٩٧٣) (٣٦٥/٣) من حديث جابر بن عبد الله .

---

[١] - في خ : « المسور » .

وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ عن قيل المشركين ﴿ **لولا** ﴾ أي : هلا ﴿ **أنزل عليه آية من ربه** ﴾ كقولهم[١] : ﴿ **فليأتنا بآية كما أرسل الأولون** ﴾ وقد تقدم الكلام علىٰ هذا غير مرة ، وأن الله قادر علىٰ إجابة ما سألوا ، وفي الحديث (٧٧) : إن الله أوحىٰ إلىٰ رسوله لما سألوه أن يحول لهم الصفا ذهبًا ، وأن يجري لهم ينبوعًا ، وأن يزيح الجبال من حول مكة فيصير مكانها مروج وبساتين : إن شئت يا محمد أعطيتهم ذلك ، فإن كفروا فإني أعذبهم عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة ، فقال : « **بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة** » . ولهذا قال لرسوله : ﴿ **قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب** ﴾ أي[٢] : هو المضل والهادي ، سواء بعث الرسول بآية علىٰ وفق ما اقترحوا ، أو لم يجبهم إلىٰ سؤالهم ، فإن الهداية والإضلال ليس منوطًا بذلك ولا عدمه ، كما قال : ﴿ **وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **قل[٣] إن الله يضل من يشاء ويهدي من أناب** ﴾ أي : ويهدي إليه من أناب إلىٰ الله ، ورجع إليه[٤] واستعان به وتضرع لديه .

﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله** ﴾ أي : تطيب وتركن إلىٰ جانب الله ، وتسكن عند ذكره ، وترضىٰ به مولىٰ ونصيرًا ، ولهذا قال : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ أي : هو حقيق بذلك .

وقوله[٥] : ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبىٰ لهم وحسن مآب** ﴾ قال ابن أبي

---

(٧٧) - صحيح ، (تقدم / الإسراء / آية ٥٩) .

---

[١] - في خ : « فقالوا » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .

طلحة ، عن ابن عباس : فرحٌ وقُرّةُ عينٍ(٧٨) . وقال عكرمة : نِعْمَ ما لهم .

وقال الضحاك : غبطةٌ لهم .

وقال إبراهيم النخعي : خيرٌ لهم .

وقال قتادة : هي كلمة عربية يقول الرجل : طوبىٰ لك ، أي : أصبت خيرًا . وقال في رواية : ﴿ **طوبىٰ لهم** ﴾ : حُسْنَىٰ لهم .

﴿ **وحسن مآب** ﴾ أي : مرجع .

وهذه الأقوال شيء واحد لا منافاة بينها .

وقال سعيد بن جبير(٧٩) ، عن ابن عباس ﴿ **طوبىٰ لهم** ﴾ قال : هي أرض [الجنة بالحبشية][١] .

وقال سعيد بن مسجوح[٢] : طوبىٰ اسم الجنة بالهندية . وكذا روىٰ السدي عن عكرمة ﴿ **طوبىٰ لهم** ﴾ أي : الجنة . وبه قال مجاهد .

وقال العوفي(٨٠) ، عن ابن عباس : لما خلق اللّٰه الجنة وفرغ منها ، قال : ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبىٰ لهم وحسن مآب** ﴾ وذلك حين أعجبته .

وقال ابن جرير(٨١) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شهر بن حوشب قال : (طوبى) ، شجرة في الجنة ، كل شجر الجنة منها ، أغصانها من وراء سور الجنة .

وهكذا رُوى عن أبي هريرة(٨٢) ، وابن عباس ، ومغيث بن سُمَيٍّ ، وأبي إسحاق السبيعي

---

(٧٨) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٦٩/١٦) وزاد نسبته السيوطي (١١٠/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٧٩) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٧٤/١٦، ٢٠٣٧٥) .

(٨٠) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٨١/١٦) والعوفي ضعيف .

(٨١) - تفسير ابن جرير (٢٠٣٨٥/١٦) وشيخ ابن جرير وهو محمد بن حميد الرازي ، حافظ ضعيف .

(٨٢) - يأتي تخريجه برقم (٩١) .

---

[١] - في خ: « الحبشة » .

[٢] - وقيل : ابن مشجوج ، وقيل : ابن مسجوع ، هكذا جاء مختلفًا في المخطوطة عند ابن جرير أفاده الشيخ شاكر في نسخته . (١٦ /٢٠٣٧٦) . وأثبت ابن مشجوج .

وغير واحد من السلف : أن طوبى شجرة في الجنة ، في كل دار منها غصن منها .

وذكر بعضهم أن الرحمن تبارك وتعالى غَرَسها بيده من حبة لؤلؤة ، وأمرها أن تمتد ، فامتدت إلى حيث يشاء اللَّه تبارك وتعالى ، وخرجت من أصلها ينابيع أنهار الجنة ، من عسل وخمر وماء ولبن . وقد قال عبد اللَّه بن وهب (٨٣) : حدثنا عمرو بن الحارث ، أن دَرَّاجًا أبا السَّمْح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدرى -رضي اللَّه عنه- [مرفوعًا : (طوبى) : شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها .

وقال الإمام أحمد (٨٤) : حدثنا حسن بن موسى ، سمعت عبد اللَّه بن لهيعة ، حدثنا دَرَّاج أبو السمح ، أن أبا الهيثم حدثه ، عن أبي سعيد الخدري][١] عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : أن رجلًا قال : [يا رسول اللَّه][٢] ، طوبى لمن رآك وآمن بك . قال : « **طوبى لمن رآني وآمن بي ، ثم طوبى ، ثم طوبى ، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني**[٣] . **قال له رجل : وما طوبى؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها** .

وروى البخاري ومسلم جميعًا(٨٥) ، عن إسحاق بن راهويه ، عن مغيرة المخزومي ، عن وُهَيب ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **إن في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها مائةَ عامٍ لا يقطعُهَا** » قال : فَحَدّثت به النعمان بن أبي عياش الزُّرَقى ، فقال : حدثني أبو سعيد الخُدْري ، عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **إن في الجنة شجرة يسير الراكبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السريعَ مائةَ عامٍ ما يقطعُها** » .

---

(٨٣) - **إسناده ضعيف وهو صحيح،** أخرجه ابن جرير (٢٠٣٩٥/١٦) وابن أبي داود في « البعث » (٦٨) ، وابن حبان في صحيحه (٧٤١٣/١٦) - وهو في « الموارد » (٢٦٢٥/٨) - والآجري في « الشريعة » (٦٦٦/٢) من طرق عن ابن وهب به ، وهذا إسناد ضعيف ، لضعف دراج لاسيما في روايته عن أبي الهيثم لكن له شواهد يصح بها ، انظر « الصحيحة » للألباني (١٩٨٥/٤) ، وانظر ما بعده .

(٨٤) - **كسابقه** « المسند » (١١٦٩٠) (٧٠/٣-٧١) وأبو يعلى (١٣٧٤/٢) والخطيب في « تاريخ بغداد » (٩١/٤) من طريق ابن لهيعة به ، وجزئه الأول شواهد ، انظرها في « الصحيحة » للألباني (١٢٤١/٣) ، وانظر ما قبله .

(٨٥) - أخرجه البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار (٦٥٥٢،٦٥٥٣) ، ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : إن في الجنة شجرة .... (٢٨٢٧،٢٨٢٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ت . [٢] - في خ : « لرسول الله » .

[٣] - في ت : « يراني » .

وفي صحيح البخاري(٨٦) ، من حديث يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله : ﴿وظل ممدود﴾ قال : **« في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها »** .

وقال الإمام أحمد(٨٧) : حدثنا سريج ، حدثنا فليح ، عن هلال بن عليّ ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة[١] ، اقرءوا إن شئتم : ﴿وظل ممدود﴾ »** . أخرجاه في الصحيحين .

وقال أحمد أيضًا(٨٨) : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة ، سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم أنه قال : **« إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو : مائة سنة - هي شجرة الخلد »** .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وذكر سِدْرَةَ المُنْتهى ، قال : **« يسيرُ في ظل الفَنَن[٢] منها الراكبُ مائة سنة - أو : قال - يستظِل**

---

(٨٦) - أخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٥١) ، دون ذكر الآية ، وكذلك أخرجه أحمد (٣/١١٠، ١٨٥، ٢٠٧، ٢٣٤) من طرق عن قتادة به ، دون ذكر الآية أيضًا ، وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (١١٨٣) وعنه الترمذي : كتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الواقعة » (٣٢٨٩) وأحمد (٣/١٦٤) عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحو لفظ « المصنف » وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(٨٧) - **صحيح** « المسند » (٢/٤٨٢) وأخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٥٢) وأخرجه أحمد (٢/٢٥٧، ٤١٨) والبخاري ، كتاب : التفسير ، باب : « وظل ممدود » (٤٨٨١) ، ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها ... باب : إن في الجنة شجرة ... (٧) (٢٨٢٦) وأخرجه أحمد (٢/٤٥٢) ، ومسلم (٦/٢٨٢٦) والترمذي ، كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة شجر الجنة (٢٥٢٥) والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (٦/١١٥٦٤) من طريق أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة به نحوه وانظر ما بعده .

(٨٨) - « المسند » (٢/٤٥٥، ٤٦٢) وأخرجه الطيالسي (٢٥٤٧) وعبد بن حميد في « المنتخب » (١٤٥٧) والدارمي (٢٨٤٢) وابن ماجة في « التفسير » - كما في تهذيب الكمال » (٣٣/٤٣٣) وابن جرير (٢٧/ ١٨٣) وأبو نعيم في « صفة الجنة » (٣/رقم ٤٠٣) من طرق عن شعبة به في بعض الروايات « مائة عام » بغير شك ، وشيخ شعبة ، قال فيه أبو حاتم « لا أعلم روى عنه غير شعبة » « الجرح والتعديل » (٩/٣٩٥) وقال الذهبي في « الميزان » (٦/ت١٠٣٢٥) : « حدث عنه شعبة ، لا يعرف ، لكن شيوخ شعبة جياد » ، وانظر ما قبله .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - في خ : « الغصن » .

في الفنن منها مائة راكب ، فيها فراش الذهب ، كأن ثمرها القِلالُ»(٨٩) رواه الترمذي .

وقال إسماعيل بن عياش(٩٠) ، عن سعيد بن يوسف ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلام الأسود قال : سمعت أبا أمامة الباهلي قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **«ما منكم من[١] أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى ، فتفتح له أكمامها ، يأخذ[٢] من أي ذلك شاء ، إن شاء أبيض ، وإن شاء أحمر ، وإن شاء أصفر ،وإن شاء أسود ، مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن»** .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير(٩١) : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : طوبى شجرة في الجنة ، يقول الله لها : **«تفتّقي لعبدي عمّا شاء؛ فتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها ، وعن الإبل بأزمتها ، وعما شاء من الكسوة»**.

وقد روى ابن جرير(٩٢) عن وهب بن منبه هٰهنا أثرًا غريبًا عجيبًا ، قال وهب رحمه الله : إن في الجنة شجرة يقال لها : **«طوبى»** ، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، زهرها رياط ، وورقها بُرود ، وقضبانها عنبر ، وبطحاؤها ياقوت ، وترابها كافور ، ووحَلها مسك ،

(٨٩) - **حسن** «الجامع» للترمذي كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة (٢٥٤٤) ثنا أبو كريب ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به وأخرجه أبو يعلى - كما في «النهاية» للمصنف (٢/٤٢٠-٤٢١) - والطبراني في «الكبير» (٢٤/٢٣٤) ، وابن جرير (٢٧/٥٤) النجم آية ١٤) وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣/٤٣٥) من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح» وصححه الحاكم على شرط مسلم (٢/٤٦٩) ووافقه الذهبي ، قلت : ومسلم لم يخرج ليحيى بن عباد شيئًا ، وأخرج لمحمد بن إسحاق متابعة ثم إنه مدلس وقد عنعن ، إلا أنه صرح بالتحديث عند هناد في «الزهد» (١/رقم١١٥) أضف إلى ذلك أن الزبير بن بكار أفاد في «جمهرة أنساب قريش» ، (صـ ٧٦) أنه كان مكثر الحديث عن شيخه يحيى بن عباد .

(٩٠) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن أبي الدنيا - كما في «حادى الأرواح» لابن القيم (ص ٢٩١ - ٢٩٢) - ثنا محمد بن إدريس الحنظلي ، ثنا أبو عتبة ثنا إسماعيل بن عياش به ، وذكره المصنف في «النهاية» (٢/٤٤٧) وقال : «غريب حسن» وسعيد بن يوسف - وهو الرَّحبيّ ، - قال أحمد ليس بشيء وضعفه ابن معين والنسائي . ويحيى بن أبي كثير مشهور بالتدليس ، والحديث عزاه السيوطي (٤/ ١١٢) إلى ابن أبي شيبة في «صفة الجنة» وابن أبي حاتم .

(٩١) - تفسير ابن جرير (١٦/٢٠٣٨٤) وأخرجه أيضًا (٢٠٣٨٦) من طريق آخر وعبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٣٦) عن معمر به ، وشهر بن حوشب ضعفه جماعة ، ووثقه آخرون ، والأثر زاد نسبته السيوطي (٤/ ١١١) إلى ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٩٢) - تفسير ابن جرير (١٦/٢٠٣٩٠) .

[١] - سقط من خ . [٢] - في خ : «فيأخذ» .

يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل، وهي مجلس لأهل الجنة؛ فبينا هم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم يقودون نُجُبًا مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح حسنًا[١]، ووبرها كخز المِرْعِزي من لينه، عليها رحال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس وإستبرق، [فينيخونها ويقولون][٢] : **« إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه »**. قال: فيركبونها، فهي أسرع من الطائر، وأوطأ من الفراش، نجبًا من غير مَهَنة، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه، لا تصيب أُذُنُ راحلة منها أذنَ الأخرى، ولا [بَرْك راحلة][٣] بركَ الأخرى][٤]، حتى إن الشجرة لتتنحَّى عن طريقهم[٥]؛ لئلا تفرق بين الرجل وأخيه، قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: **« اللهم، أنت السلام ومنك[٦] السلام، وحق لك الجلال والإكرام »**. قال: فيقول تبارك تعالى: [عند ذلك][٧] : **« أنا السلام ومني السلام، وعليكم حقت رحمتي ومحبتي، مرحبًا بعبادي الذين خشوني بغيب وأطاعوا أمري »**. قال: فيقولون: **« ربنا إنا[٨] لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدرك حق قَدرك، فأذن لنا في السجود قُدامك »**. قال: فيقول الله: **« إنها ليست بدار نصب ولا عبادة، ولكنها دار مُلْك ونعيم، وإني قد رفعت عنكم نَصَب العبادة، فسلوني ما شئتم، فإن لكل رجل منكم أمنيته »**. فيسألونه، حتى إن أقصرهم أمنية ليقول: **« رب، تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها، رب فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا »**. فيقول الله تعالى: **« لقد قصرت بك أمنيتك، ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك مني، [وسأتحفك بمنزلتي][٩] ، لأنه ليس في عطائي نكد ولا تَصْرِيدٌ »**. قال: ثم يقول: **« اعرضوا على عبادي ما لم يبلغ أمانيهم، ولم يخطر لهم على بال »**. قال: فيعرضون عليهم حتى [تَقْصر بهم[١٠]][١١] أمانيهم التي في أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين[١٢] مُقرَّنة، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كل سرير منها قبة من ذهب مُفرغة، في كل قبة منها فُرش من فُرش الجنة مُتظاهرة، في كل

---

[١] - في ابن جرير: من حسنها.

[٢] - في خ: « فيفتحونها يقولون ».

[٣] - في خ: « يزل راحلة ».

[٤] - كذا في ابن جرير، ورجح العلامة / محمود شاكر أنه مصحف من [ولا ورك راحلة ورك صاحبتها].

[٥] - في ابن جرير: طرقهم.

[٦] - في خ: « وإليك ».

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٨] - زيادة من ابن جرير.

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[١٠] - سقط من: خ.

[١١] - في ابن جرير: يقضوهم.

[١٢] - في خ: « برادين ».

قبة منها جاريتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة، وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما، ولا ريح طيبة[١] إلا قد [عبقتا به، ينفذ ضوء][٢] وجوههما غلظ القبة، حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة، يرى مخهما من فوق سوقهما، كالسلك الأبيض في[٣] ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل على صاحبته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، ويرى هو لهما مثل ذلك، ويدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه [ويتعلقان به][٤] ، ويقولان له: «**والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك**». ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفًّا في الجنة، حتى ينتهي بكل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له.

وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده(٩٣) ، عن وهب بن منبه، وزاد: فانظروا إلى موهوب ربكم الذي وهب لكم، فإذا هو بقباب في الرفيق الأعلى، وغُرف مبنية من الدر والمرجان، وأبوابها من ذهب، وسررها من ياقوت، وفرشها من سندس وإستبرق، ومنابرها من نور، يَفُور من أبوابها وعراصها[٥] نور مثل شعاع الشمس، عنده مثل الكوكب الدري في النهار المضيء، وإذا بقصور شامخة في أعلى عليين من الياقوت يزهو نورها، فلولا أنه مسخر إذا لالتمع الأبصارَ، فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض[٦] ، فهو مفروش [بالحرير الأبيض، وما كان فيها من الياقوت الأحمر فهو مفروش بالعبقري الأحمر، وما كان فيها من الياقوت الأخضر، فهو مفروش][٧] بالسندس الأخضر، وما كان فيها[٨] من الياقوت الأصفر، فهو مفروش بالأرجوان الأصفر[٩] منزه[١٠] بالزمرد الأخضر، والذهب الأحمر، والفضة البيضاء، قوائمها[١١] وأركانها من الجوهر، وشُرُفها قباب من لؤلؤ، وبروجها غُرَف من المرجان، فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم قُرِّبت لهم براذين من ياقوت أبيض، منفوخ فيها الروح، تجنبها الولدان المخلدون، بيد كل وليد منهم حَكَمة برذَون من تلك البراذين، ولجمها وأعنتها من فضة بيضاء، منظومة بالدر والياقوت، سُروجها سُرُرٌ موضونة، مفروشة بالسندس والإستبرق، فانطلقت بهم تلك البراذين تَزِفُّ بهم ببطن[١٢]

---

(٩٣) - وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/١١٣-١١٤).

---

[١] - في خ: «طلبت».

[٢] - في خ: «عبقت بتعرض».

[٣] - في ابن جرير: من.

[٤] - في ابن جرير: يعانقانه.

[٥] - في الدر المنثور (٤/١١٤): «وأعراصها».

[٦] - في خ: «الأحمر».

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٨] - في خ: «منها».

[٩] - في خ: «الأحمر».

[١٠] - في ابن أبي حاتم: مبوبة.

[١١] - في ابن أبي حاتم: «قواعدها».

[١٢] - في الدر: «وتطأ».

رياض الجنة. فلما انتهوا إلى منازلهم، وجدوا الملائكة قُعُودًا على منابر من نور، ينتظرونهم ليزوروهم ويصافحوهم ويهنئوهم كرامَةَ ربهم. فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع ما تَطَاولَ به عليهم وما سألوا وتمنوا، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة جنان، جنتان[١] ذواتا أفنان، وجنتان مُدْهامتان، وفيهما عينان نضاختان، وفيهما من كل فاكهة زوجان، وحور مقصورات في الخيام، فلما تَبَيَّنوا[٢] منازلهم واستقروا قرارهم قال لهم ربهم: هل وجدتم ما وعدتكم حقًّا؟ قالوا: نَعَم، ورَبنا. قال: هل رضيتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا، رضينا فارض عنا. قال: برضاي[٣] عنكم حللتم داري، ونظرتم إلى وجهي، وصافحتكم[٤] ملائكتي، فهنيئًا هنيئًا لكم، ﴿**عطاء غير مجذوذ**﴾، ليس فيه تنغيص ولا تصريد. فعند ذلك قالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، وأدخلنا دار المقامة من فضله، لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب، إن ربنا لغفور شكور.

وهذا سياق غريب، وأثر عجيب ولبعضه شواهد، ففي الصحيحين(٩٤): أن الله تعالى يقول لذلك الرجل الذي يكون آخر أهل الجنة دخولا الجنة: «**تمنّ**»، فيتمنى، حتى إذا انتهت به الأماني يقول الله تعالى: «**تمنّ من كذا، وتَمَنّ من كذا**» يذكره ثم يقول: «**ذلك لك، وعشرة أمثاله**».

وفي صحيح مسلم(٩٥)، عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن الله - عز وجل -: «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، إلا كما ينقص المخيَطُ إذا أدخل في البحر**»... الحديث بطوله.

وقال خالد بن معدان: إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى، لها[٥] ضروع كلها تُرضع صِبيانَ أهل الجنة، وإن سَقَط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة، يتقلب فيه حتى تقوم القيامة، فيبعث ابن أربعين سنة. رواه ابن أبي حاتم(٩٦).

(٩٤) - أخرجه البخاري، كتاب: الأذان، باب: فضل السجود (٨٠٦)، ومسلم: كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (٢٩٩) (١٨٢)، وأحمد (٢/٢٧٥، ٢٩٣، ٥٣٤) ضمن حديث الرؤية الطويل من مسند أبي هريرة وأبي سعيد، وأخرجه مختصرًا النسائي (٢/٢٢٩) وفي الكبرى (٦/ ١١٤٨٨، ١١٦٣٧) وابن ماجة (٤٣٢٦).

(٩٥) - تقدم تخريجه (يونس / آية ٤٤).

(٩٦) - وزا نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (٤/١١٢) إلى ابن أبي الدنيا في «العزاء».

[١] - سقط من: خ.

[٢] - في الدر: «تبوأوا».

[٣] - في خ: «رضاى».

[٤] - في الدر: «وصافحتم».

[٥] - سقط من: خ.

﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾

يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة **﴿لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك﴾**، أي: تبلغهم رسالة الله إليهم، كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة بالله، وقد كُذّب الرسل من قَبلك، فلك فيهم أسوة، وكما أوقعنا بأسنا ونقمتنا بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم، فإن تكذيبهم لك أشدّ من تكذيب غيرك من المرسلين، قال الله تعالى: **﴿تالله[١] لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم، ولهم عذاب أليم﴾** وقال تعالى: **﴿ولقد كُذّبت رسل من قبلك، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا، ولا مبدّل لكلمات الله، ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾**، أي: كيف نصرناهم، وجعلنا العاقبة لهم ولأتباعهم في الدنياوالآخرة.

وقوله: **﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾**، أي: هذه الأمة[٢] التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن، لا يقرون به، لأنهم كانوا يأنفون[٣] من وصف الله بالرحمن الرحيم، ولهذا أنفوا يوم الحديبية أن يكتبوا «**بسم الله الرحمن الرحيم**» وقالوا: ما ندري ما الرحمن الرحيم؟ قاله[٤] قتادة، والحديث في صحيح البخاري(٩٧)، وقد قال الله تعالى: **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾**، وفي صحيح مسلم(٩٨) عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن**».

---

(٩٧) - صحيح البخاري كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد ... (٢٧٣١،٢٧٣٢) - وانظر أطرافه عند رقم (١٦٩٤) - وأخرجه أحمد (١٨٩٦٣،١٨٩٨١) (٣٢٣/٤،٣٢٨) وأبو داود (٢٧٦٥،٤٦٥٥)، والنسائي (١٦٩/٥،١٧٠) من حديث المسور بن مخرمة.

(٩٨) - صحيح مسلم كتاب: الآداب، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء (٢) (٢١٣٢) وأخرجه أيضًا أحمد (٢٤/٢) وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في تغير الأسماء (٤٩٤٩)، والترمذي كتاب: الأدب، باب: ما جاء ما يستحب من الأسماء (٢٨٣٥،٢٨٣٦) وابن ماجه كتاب: الأدب، باب: ما يستحب من الأسماء (٣٧٢٨).

---

[١] - سقط من: خ.

[٢] - سقط من: خ.

[٣] - في خ: «يأبون».

[٤] - في خ: «قال».

﴿قل هو ربي لا إله إلا هو﴾، [أي: هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به معترف مقر له بالربوبية والإلهية هو ربي لا إله إلا هو][١] ، ﴿عليه توكلت﴾، أي[٢] : في جميع أموري، ﴿وإليه متاب﴾، أي: إليه أرجع وأنيب، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه.

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى مادحًا للقرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم، ومفضلا له على سائر الكتب المنزلة قبله: ﴿ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال﴾، [أي: لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال][٣] عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق، أوتكلم به الموتى في قبورها، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو[٤] بطريق الأولى أن يكون كذلك، لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس[٥] والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به جاحدون له، ﴿[بل لله][٦] الأمر جميعًا﴾، أي: مرجع الأمور كلها إلى الله -عز وجل-، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ومن يضلل الله[٧] فلا هادي له، ومن يهد الله [فلا مضل له][٨] .

وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة، لأنه مشتق من الجميع[٩] ، قال الإمام أحمد(٩٩) :

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال:

(٩٩) - صحيح « المسند » (٢/٣١٤)، وأخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى ﴿ وآتينا داود زبورًا ﴾ (٣٤١٧) حدثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق به، ويذكره المصنف (سورة الإسراء / آية ٥٥) من طريق آخر للبخاري.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٤] - في ت: « أبو ».
[٥] - في خ: « الإنسان ».
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ: « فلله ».
[٧] - سقط من: ت.
[٨] - في خ: « فما له من مضل ».
[٩] - في خ: « الجمع ».

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **خففت[١] على داود - عليه السلام - القراءة ، فكان[٢] يأمر بدابته [أن تُسرج][٣] ، فكان يقرأ القرآن من[٤] قبل أن تُسرج دابته ، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه** » . انفرد بإخراجه البخاري .

والمراد بالقرآن هنا الزبور .

وقوله : ﴿ **أفلم ييأس الذين آمنوا** ﴾ ، أي : من إيمان جميع الخلق ويعلموا أو يتبينوا ﴿ **أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا** ﴾ ، فإنه ليس ثَمّ حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجع في النفوس والعقول من هذا القرآن ، الذي لو أنزله الله على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله ، وثبت في الصحيح(١٠٠) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ما من نبي إلا وقد أوتي ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** » ، معناه أن معجزة كل نبي انقرضت بموته ، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد ، لا تنقضي عجائبه ، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الردّ ، ولا يشبع منه العلماء ، هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله .

وقال ابن أبي حاتم(١٠١) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا منجاب بن الحارث ، أنبأنا بشر بن عمارة ، حدثنا عمر بن حسان ، عن عطية العوفي قال : قلت له : ﴿ **ولو أن قرآنا سيرت به الجبال** ﴾ ... الآية قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم : لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحرث فيها ، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح ،أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه؟ فأنزل الله هذه الآية . قال : قلت : هل ترون هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وكذا روى عن[٥] ابن عباس(١٠٢) ، والشعبي ، وقتادة ، والثوري ، وغير واحد في سبب

---

(١٠٠) - **صحيح** ، تقدم تخريجه (سورة يونس / آية ٣٨) .

(١٠١) - عطية العوفي ، وبشر بن عمارة ضعيفان ، والحديث زاد نسبته السيوطي (١١٧/٤) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

(١٠٢) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٩٩/١٦) من طريق عطية العوفي أيضًا عنه بنحو السابق ، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في المسند : « وكان » .
[٣] - في المسند : « فتسرج » .
[٤] - ساقطة من المسند .
[٥] - سقط من : ت .

نزول هذه الآية، فالله أعلم.

وقال قتادة: لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم، فُعل بقرآنكم.

وقوله: ﴿بل لله الأمر جميعًا﴾، قال ابن عباس(١٠٣): لا يصنع من ذلك إلا ما يشاء، ولم يكن ليفعل. رواه ابن إسحاق بسنده عنه، وقاله ابن جرير أيضًا.

وقال غير واحد من السلف في قوله: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾، أفلم يعلم الذين آمنوا. وقرأ آخرون، (أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا).

[وقال أبو العالية: قد يئس الذين آمنوا أن يهدوا، ولو يشاء الله لهدى الناس جميعًا][١].

وقوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبًا من دارهم﴾، أي: بسبب تكذيبهم لا تزال القوارع تصيبهم في الدنيا، أو تصيب من حولهم ليتعظوا ويعتبروا، كما قال تعالى: ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون﴾، وقال: ﴿أفلا[٢] يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون﴾.

قال قتادة، عن الحسن: ﴿أوتحل قريبًا من دارهم﴾، أي القارعة. وهذا هو الظاهر من السياق.

وقال أبو داود الطيالسي(١٠٤): حدثنا المسعودي، عن قتادة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾، قال: سرية، ﴿أوتحل قريبًا من دارهم﴾، قال: محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿حتى يأتي وعد الله﴾، قال: فتح مكة.

وهكذا قال عكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، في رواية.

---

(١٠٣) - لم أهتد إليه.

(١٠٤) - حسن، أخرجه من طريقه ابن جرير (٢٠٤١٨/١٦) وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (١٦٨/٤) من طريق عاصم بن علي عن المسعودي به، والمسعودي - واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود - صدوق لكنه اختلط، وقد سمع منه الطيالسي وعاصم بن علي بعد الاختلاط، لكن رواه ابن جرير (٢٠٤١٩/١٦، ٢٠٤٢٠) من طريق وكيع وأبو قطن عمرو بن الهيثم عنه به وكلاهما سمع منه قبل الاختلاط (انظر «الكواكب النيرات» (ص ٢٨٢))، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ. [٢] - في خ: «أفلم».

وقال العوفي(١٠٥)، عن ابن عباس: ﴿تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾، قال: عذاب من السماء ينزل عليهم - ﴿أو تحل قريبًا من دارهم﴾، يعنى نزول رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم بهم وقتاله إياهم.

وكذا قال مجاهد، وقتادة، وقال عكرمة في رواية عنه، عن ابن عباس: ﴿قارعة﴾، أي: نكبة.

كلهم قال: ﴿حتى يأتي وعد اللّٰه﴾، يعني فتح مكة. وقال الحسن البصري: يوم القيامة.

وقوله: ﴿إن اللّٰه لا يخلف الميعاد﴾ أي: لا ينقض[١] وعده لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة، ﴿فلا[٢] تحسبن اللّٰه مخلف وعده رسله إن اللّٰه عزيز ذو انتقام﴾.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾

يقول تعالى مسليًا لرسوله صلى اللّٰه عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾، أي: فلك فيهم أسوة، ﴿فأمليت للذين كفروا﴾، أي: أنظرتهم وأجلتهم، ﴿ثم أخذتهم﴾ أخذةً رابية، فكيف بلغك ما صنعت بهم وعاقبتهم؟، كما قال تعالى: ﴿وكأين[٣] من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير﴾، وفي الصحيحين(١٠٦): «إن اللّٰه ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ

(١٠٥) - أخرجه ابن جرير (١٦/٢٠٤٢٣٢)، والعوفي ضعيف، وزاد نسبته السيوطي (١٩/٤) إلى ابن مردويه.

(١٠٦) - صحيح، تقدم تخريجه (سورة هود / آية ١٩).

[١] - في خ: «ينقص».
[٢] - في خ: «ولا».
[٣] - في ت: «كأين».

تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى: ﴿**أفمن هو قائم على كل نفس [بما كسبت][١]** ﴾، أي: حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية، ﴿**وما تكون في شأن، وما تتلو منه من قرآن، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه**﴾، وقال تعالى: ﴿**وما تسقط من ورقة إلا يعلمها**﴾، وقال: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين**﴾، وقال: ﴿**سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار**﴾، وقال: ﴿**يعلم السر وأخفى**﴾، وقال: ﴿**وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير**﴾... أفمن هو هكذا كالأصنام التي يعبدونها، لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا تملك[٢] نفعًا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه، وهو قوله: ﴿**وجعلوا لله شركاء**﴾، أي: عبدوها معه، من أصنام وأنداد وأوثان.

﴿**قل سموهم**﴾، أي: أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يُعرَفوا، فإنهم لا حقيقة لهم، ولهذا قال: ﴿**أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض**﴾، أي: لا وجود له؛ لأنه لو كان له وجود في الأرض لعلمه، لأنه لا تخفى عليه خافية.

﴿**أم بظاهر من القول**﴾ - قال مجاهد: بظن من القول.

وقال الضحاك وقتادة: بباطل من القول.

أي: إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر، وسميتموها آلهة، ﴿**إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾.

﴿**بل زين للذين كفروا مكرهم**﴾، قال مجاهد: قولهم. أي: ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار كما قال تعالى: ﴿**وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم، وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين**﴾.

---

[١] - سقط من: خ. [٢] - سقط من: خ.

﴿وَصَدّوا عن السبيل﴾، من قرأها بفتح الصاد، معناه أنهم لما زين لهم ما هم[١] فيه وأنه حق دَعوا إليه[٢] وصَدّوا الناس عن اتباع طريق الرسل، ومن قرأها: ﴿وصُدّوا﴾، أي: بما زين لهم من صحة ما هم عليه صُدّوا به عن سبيل الله، ولهذا قال: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾، كما قال: ﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا﴾ وقال: ﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل، وما لهم من ناصرين﴾.

لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾

ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار: فقال بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك: ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾، أي: بأيدي المؤمنين قتلًا وأسرًا، ﴿ولعذاب الآخرة﴾، أي: المدّخر مع هذا الخزي في الدنيا ﴿أشق﴾، أي: من هذا بكثير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين(١٠٧): «إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة». وهو كما قال - صلوات الله وسلامه عليه - فإن عذاب الدنيا له انقضاء، وذاك دائم أبدًا في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفًا ووثاق لا يتصور كثافته وشدته، كما قال تعالى: ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد. ولا يوثق وثاقه أحد﴾، وقال تعالى: ﴿وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيرًا * إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا * وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا * لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا * قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرًا﴾.

ولهذا قرن هذا بهذا، فقال: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾، أي: صفتها ونعتها، ﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾، أي: سارحة في أرجائها وجوانبها، وحيث شاء أهلها، يفجرونها تفجيرًا، أي: يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا كما قال تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماءً حميمًا فقطع أمعاءهم﴾.

---

(١٠٧) - يأتي تخريجه (سورة النور / آية رقم ١٠).

---

[١] - سقط من : ت . [٢] - في خ : « الله ».

وقوله: ﴿أكلها دائم وظلها﴾، أي: فيها المطاعم[١] والفواكه والمشارب، لا انقطاع ولا فناء.

وفي الصحيحين(١٠٨)، من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف، وفيه قالوا[٢]: قالوا: يا رسول الله؛ رأيناك تناولتَ شيئًا في مقامك هذا، ثم رأيناك تَكَعْكعت[٣] فقال: «**إني رَأيت الجنة - أو: أريت الجنة - فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا**».

وقال الحافظ أبو يعلى(١٠٩): حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبدالله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، حدثنا أبو عقيل، عن جابر قال: بينما نحن في صلاة الظهر، إذ تقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا، ثم تناول شيئًا ليأخذه ثم تأخر. فلما قضى الصلاة قال له أُبيّ بن كعب: يا رسول الله، صنعت اليوم في الصلاة شيئًا ما رأيناك كنت تصنعه. فقال: إني عرضت عليَّ الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قِطْفًا من عنب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا يَنْقُصُونه».

وروى مسلم(١١٠) من حديث أبي الزبير، عن جابر، شاهدًا لبعضه.

---

(١٠٨) - أخرجه البخاري، كتاب: الكسوف، باب: صلاة الكسوف جماعة (١٠٥٢) - وانظر أطرافه عند رقم (٢٩) - ومسلم، كتاب: الكسوف، باب: ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم - في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (١٧) (٩٠٧) - من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس به وهو في «الموطأ» كتاب: صلاة الكسوف: باب: العمل في صلاة الكسوف (٢) ومن طريقه أحمد (٢٩٨/١، ٣٥٨) وأبو داود (١١٨٩) والنسائي (١٤٦/٣) مطولًا ومختصرًا، وأخرجه مسلم أيضًا من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم به.

(١٠٩) - لم أقف عليه في المطبوع من مسنده، وسيعيده المصنف - كما هنا - في (سورة الواقعة) وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (١٠٣٦) وأحمد (١٤٨٤٣) (٣٥٢/٣)، (٢١٣٢٩) (١٣٧/٥) - ومن طريقه اختاره الضياء في «المختارة» (١١٩٣/٣) - من طرق ثلاثة عن عبيد الله بن عمرو به، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٩٠/٢-٩١) وقال: «رواه أحمد - ولم يعزه لأبي يعلى - وروى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بمثله، وفي الإسنادين عبد الله بن محمد بن عقيل وفيه ضعف وقد وثق» قلت: وحديث أُبيّ الذي أشار إليه الهيثمي، أخرجه أحمد أيضًا (٢١٣٣٠) (١٣٨/٥) - ومن طريقه الضياء (١١٩٤) - والحاكم (٦٠٤/٤-٦٠٥) عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الصفيل بن أبي بن كعب عن أبيه بنحوه وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، وانظر بعده.

(١١٠) - صحيح مسلم كتاب: الكسوف، باب: ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في =

---

[١] - في خ: «الطعام».
[٢] - زيادة من: ت.
[٣] - في خ: «تكعلت».

وعن عتبة بن عبدٍ السلمي: أن أعرابيًا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجنة، فقال: فيها عنب؟ **«قال: نعم»**، قال: فما عظَم العنقود؟ قال: **«مسيرة شهر للغراب الأبقع ولا يفتر»**. رواه أحمد(١١١).

وقال الطبراني(١١٢): حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا علي بن المديني، حدثنا ريحان بن سعيد، عن عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **«إن الرجل إذا نزع ثمرة[١] من الجنة عادت مكانها أخرى»**.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **«يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون[٢] ولا يتغوّطون ولا يبولون، طعامهم جُشَاء كريح المسك، ويلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس»**، رواه مسلم(١١٣).

= صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، (٩٠٤/٩)، وأخرجه أيضًا أحمد (١٥٠٦١) (٣٧٤/٣) وأبو داود (١١٧٩)، والنسائي (١٣٦/٣) من طريق أبي الزبير عن جابر ببعضه، وانظر ما قبله.

(١١١) - **صحيح**، «المسند» (١٧٦٩٣) (١٨٤/٤) مطولًا وأخرجه ابن جرير (٢٠٣٩٣/١٦)، والطبراني في «الكبير» (١٧/رقم ٣١٢٣١٣) وفي «الأوسط» (٤٠٢/١) - ومن طريقه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٤٦/٢)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣٤١/٢-٣٤٢)، والبيهقي في «البعث» (٢٧٤) وابن عبد البر في «التمهيد» (٣٢٠/٣-٣٢١) مطولًا ومختصرًا، وصححه ابن حبان (٦٤٥٠/١٤)، (١٦/ ٧٢٤٧، ٧٤١٤، ٧٤١٦)، وفي إسناده عامر بن زيد البكالي قال الهيثمي في «المجمع» (٤١٧/١٠): «ذكره ابن أبي حاتم - (٦/ت ٧٩٢) - ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات» قلت: وكذا ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» (٤٥٢/٦)، ووثقه ابن حبان «الثقات» (١٩١/٥) وقال ابن كثير في «نهاية البداية» (١٥٧/٢): «قال الحافظ الضياء لا أعلم لهذا الإسناد - إسناد الطبراني - علة» وأخرج ابن أبي عاصم في «السنة» (٧١٥/٢، ٧١٦) جزءًا من الحديث الطويل بنفس الإسناد غير أنه وقع عنده عمرو بن زيد البكالي وأفاد الألباني نقلًا عن ابن حجر أن عمرًا هذا صحابي (وذهب الألباني: إلى أن عامرًا محرف أو خطأ من بعض الرواة ثم قال: «وغاية ما في الأمر أن الرواة اختلفوا في اسمه».

(١١٢) - **إسناده ضعيف**، «المعجم الكبير» (١٤٤٩/٢)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٤١٧/١٠) وقال: «رواه الطبراني والبزار ... ورجال الطبراني وأحد إسنادي البزار ثقات» ويعيده المصنف (سورة الواقعة / آية ٢١) وذكره في «صفة الجنة» كما هنا وقال: «قال الحافظ الضياء: عباد تكلم فيه بعض العلماء» قلت: ضعفه ابن المديني وابن معين والنسائي وقال أبو زرعة: لين وقال ابن سعد: ضعيف له أحايث منكرة، ومع ضعفه فهو مدلس وقد عنعن، والراوي عنه: صدوق ربما أخطأ كما في «التقريب» وأروده الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (١٤٤٦/١).

(١١٣) - **صحيح**، تقدم تخريج (سورة يونس / آية ١٠).

[١] - ساقطة من المطبوع من المعجم «الكبير». [٢] - في ت: «يمتخطون».

وروى الإمام أحمد والنسائي(١١٤) ، من حديث الأعمش، عن ثمامة[١] بن عقبة، سمعت زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: «**نعم، والذي نفس محمد بيده، [إن الرجل منهم][٢] ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة** » . قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، وليس في الجنة أذى؟ قال: « **حاجة أحدهم رشح يفيض من جلودهم، كريح[٣] المسك، فيضمر بطنه**».

وقال الحسن بن عرفة(١١٥) : حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد[٤] الله ابن الحارث عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال لي[٥] رسول الله صلى الله

(١١٤) - **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد (١٩٣٢٤،١٩٣٦٩) (٣٦٧/٤،٣٧١) والنسائي في « التفسير » (١١٤٧٨/٦) والمروزي في زيادات « الزهد » لابن المبارك (١٤٥٩) وابن أبي شيبة في « المصنف » (٨/ ٧٣/ رقم ٤١) وهناد في « الزهد » (٦٢/١،٩٠) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٢٦٣) والدارمي في « السنن » (٢٨٢٨) والبزار (٣٥٢٢/٣،٣٥٢٣- كشف) وصححه ابن حبان (٧٤٢٤/١٦) ، والطبراني في « الكبير (١٧٧/٥،١٧٨) وفي « الأوسط » (١٧٢٢/٢) (٨٨٧٦/٨) وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣١٦) (١١٦/٨) وفي « صفة الجنة » (٣٢٩/٣) والبيهقي في « البعث » (٣١٧) والمزي في « تهذيب الكمال » ((٤٠٨/٤) ترجمة / ثمامة بن عقبة) كلهم من طرق عن الأعمش به وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٥/رقم ٥٠١٠) و « الأوسط » (٧٧٤١/٧) من طريق هارون بن سعد عن ثمامة به نحوه وسمى الرجل الذي سأله « ثَعْلَبة بن الحارث » ، وذكره الهيثمي في (٤١٩/١٠) بالروايتين - وقال: « رواه كله الطبراني في الأوسط وفي الكبير بنحوه وأحمد ... ورواه البزار ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة وهو ثقة » وذكره المصنف في « صفة الجنة » (٨٦) ونقل عن الضياء المقدسي قال: « هذا عندي على شرط مسلم ، لأن ثمامة ثقة ، وقد صرح بسماعه من زيد بن أرقم » .

(١١٥) - **إسناده ضعيف ، لضعف حميد الأعرج** . الحسن بن عرفة في جزئه (صـ ٥٣) (٢٢) ومن طريقه البزار في مسنده (٢٠٣٢/٥) والمروزي في زوائد « الزهد » لابن المبارك (١٤٥٢) والبيهقي في « البعث » (٣١٨) ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٣٢٩) وأبو يعلى - كما في « المطالب العالية » (١٠/ ٥٢٠٠) - ومن طريقه ابن عدي في « الكامل » ((٦٨٩/٢) ت : حميد الأعرج) - والعقيلي في « الضعفاء » (٢٦٨/١) ، والهيثم بن كليب في مسنده (٨٥٨) وأبو نعيم في « صفة الجنة » (٣٤١/٣) ، والمروزي والبيهقي ، من طرق عن خلف بن خليفة به وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤١٧/١٠) وقال: « رواه البزار وفيه حميد بن عطاء الأعرج وهو ضعيف » قلت: ضعفه أحمد ووهاه أبو زرعة وقال الدارقطني والذهبي: « متروك » وقال ابن حبان: « يروى عن ابن الحارث ، عن ابن مسعود ، نسخة موضوعة » . وعبد الله بن الحارث لم يسمع من ابن مسعود شيئًا ، قاله على بن المديني « جامع التحصيل » للعلائي (ص ٢٠٨) . =

[١] - في ز : « تمام » . والمثبت من مصادر التخريج .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « كرشح » .

[٤] - في خ : « عبيد » .

[٥] - سقط من : خ .

عليه وسلم: « **إنك لتنظر إلى الطير في الجنة، فيخر بين يديك مشويًّا** ».

وجاء في بعض الأحاديث(١١٦): أنه إذا فُرغ منه عاد طائرًا [كما كان][١] بإذن الله تعالى.

وقد قال تعالى: ﴿**وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة**﴾، وقال: ﴿**ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا**﴾.

وكذلك ظلها لا يزول ولا يقلص، كما قال تعالى: ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا لهم فيها أزواج مطهرة، وندخلهم ظلًا ظليلًا**﴾.

وقد تقدم في الصحيحين(١١٧) من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **إن في الجنة شجرة يسير الراكب المجد الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها** »، ثم قرأ: ﴿**وظل ممدود**﴾.

وكثيرًا ما يقرن الله تعالى[٢] بين صفة الجنة وصفة النار، ليرغب في الجنة ويحذّر من النار، ولهذا لما ذكر صفة الجنة بما ذكر، قال بعده: ﴿**تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار**﴾، كما قال تعالى: ﴿**لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون**﴾.

وقال بلال بن سعد خطيب دمشق في بعض خطبه: [عباد الله][٣]، هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئًا من عبادتكم تُقُبلت منكم، أو أن شيئًا من خطاياكم غفرت لكم؟ ﴿**أفحسبتم[٤] أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾، والله لو عُجّل لكم الثواب في

= والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » ((٦/٢٢٠) سورة الواقعة / آية ٢١) إلى ابن مردويه والحديث يذكره المصنف (سورة ق آية ٣٥ ، سورة الواقعة آية ٢١).

(١١٦) - ورد ذلك من حديث أبي سعيد الخدري عند هناد في « الزهاد » (١/١١٩) وإسناده ضعيف، وعنده أيضًا (١١٨) عن الحسن مرسلًا، وفي الباب عن ابن مسعود عند ابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٦/٢٢١) - وعن ميمونة عند ابن أبي الدنيا - كما في « الدر المنثور » و «الترغيب والترهيب » للمنذري (٤/٥٢٧) - وعن كعب الأحبار موقوفًا يأتي (سورة الواقعة/آية ٢١) وعن مُغيث بن سمى من قوله عند هناد (١٢٠) وابن المبارك (زيادات نعيم ٢٦٨) وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٦٨).

(١١٧) - **صحيح** تقدم برقم (٨٥) وانظر أيضًا رقم (٨٦،٨٧).

---

[١] - سقط من: خ.

[٢] - سقط من: خ.

[٣] - في خ: « عباد الرحمن ».

[٤] - في خ: « أم حسبتم ».

الدنيا لاستقللتم كلكم ما افترض عليكم، أو ترغبون في طاعة الله لتعجيل دنياكم، ولا تنافسون في جنة ﴿**أكلها دائم وظلها، تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار**﴾. رواه ابن أبي حاتم (١١٨).

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

يقول تعالى: ﴿**والذين آتيناهم الكتاب**﴾، وهم قائمون بمقتضاه، ﴿**يفرحون بما أنزل إليك**﴾، أي: من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به، كما قال تعالى: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون**﴾. وقال تعالى: ﴿**قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً**﴾، أي: إن كان ما وعدنا الله به في كتبنا من إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لحقًا وصدقًا مفعولًا لا محالة، وكائنًا، فسبحانه ما أصدق وعده، فله الحمد وحده، ﴿**ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا**﴾.

وقوله: ﴿**ومن الأحزاب من ينكر بعضه**﴾، أي: ومن الطوائف من يكذّب ببعض ما أنزل إليك.

وقال مجاهد: ﴿**ومن الأحزاب**﴾: اليهود والنصارى، من ينكر بعض ما جاءك من الحق. وكذا قال قتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وهذا كما قال تعالى: ﴿**وَإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله، لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا، أولئك لهم أجرهم عند ربهم، إن الله سريع الحساب**﴾.

﴿**قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به**﴾، أي: إنما بعثت بعبادة الله وحده لا

---

(١١٨) - رواه أيضًا أبو نعيم في « الحلية (٥/٢٣١-٢٣٢) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/٤٨٢ - مخطوط) بإسناد حسن.

شريك له، كما أرسل الأنبياء من قبلي، ﴿**إليه أدعو**﴾، أي: إلي سبيله أدعو الناس، ﴿**وإليه مآب**﴾، أي: مرجعي ومصيري.

وقوله: ﴿**وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًا**﴾، أي: وكما أرسلنا قبلك المرسلين، وأنزلنا عليهم الكتب من السماء، كذلك أنزلنا عليك القرآن محكمًا معربًا، شرّفناك به وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضح الجلي الذي ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾.

وقوله: ﴿**ولئن اتبعت أهواءهم**﴾، أي: آراءهم، ﴿**بعد ما جاءك من العلم**﴾، أي: من الله تعالى، ﴿**ما لك من الله من وليّ ولا واق**﴾. وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾

يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد رسولًا بشريًا كذلك بعثنا المرسلين قبلك بَشَرًا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق ويأتون الزوجات، ويولد لهم، وجعلنا لهم أزواجًا وذرية، وقد قال تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ**﴾.

وفي الصحيحين(١١٩): أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «**أمّا أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآكل الدّسم وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

وقال الإمام أحمد(١٢٠): حدثنا يزيد، أنبأ الحجاج بن أرطاة، عن مكحول قال: قال أبو أيوب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أربع من سنن المرسلين: التعطر، والنكاح،**

---

(١١٩) - أخرجه البخاري: كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم: كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ... (٥) (١٤٠١) والنسائي، كتاب: النكاح، باب: النهي عن التبتل (٦/٦٠)، وأحمد (٣/٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك، وليس فيه « وآكل الدسم ...».

(١٢٠) - **إسناده ضعيف** « المسند » (٢٣٦٨٩) (٥/٤٢١) مقرونًا بـ « يزيد بن هاون » محمد بن يزيد » عن حجاج به، وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (كتاب: الطهارة، باب: ما ذكر في السواك (١/ ١٩٧) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٣٢٠) ثنا يزيد بن هارون به وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف »=

والسواك، والحناء[١]».

وقد رواه أبو عيسى الترمذي (١٢١)، عن سفيان بن وكيع، عن حفص بن غياث، عن الحجاج، عن مكحول، عن أبي الشِّمال[٢]، عن أبي أيوب... فذكره، ثم قال: وهذا أصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشِّمال[٣].

وقوله: ﴿**وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله**﴾، أي: لم يكن يأتي قومَه بخارق إلا إذا أذن له فيه، ليس ذلك إليه، بل إلى الله -عز وجل- يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿**لكل أجل كتاب**﴾، أي: لكل مُدة مضروبة كتاب مكتوب بها، وكل شيء عنده بمقدار، ﴿**ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض، إن ذلك في كتاب، إن ذلك على الله يسير**﴾.

وكان الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: ﴿**لكل أجل كتاب**﴾، أي: لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين، فلهذا يمحو ما يشاء منها ويثبت، يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

= (١٠٣٩٠/٦) عن يحيى بن العلاء عن الحجاج به بلفظ «الختان والسواك والتعطر والنكاح من سنتي» وفيه عنعنة الحجاج بن أرطأة، والانقطاع بين مكحول وأبي أيوب، وقد روى موصولًا - وهو الآتي.

(١٢١) - **كسابقه** «الجامع» للترمذي كتاب: النكاح، باب: ما جاء في فضل التزويج والحث عليه (١٠٨٠) وقال «حديث أبي أيوب حسن غريب»، وأخرجه أيضًا عن محمود بن خِداش البغدادي ثنا عباد بن العوام عن الحجاج به نحو حديث حفص ومن طريق حفص وعباد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٠٨٥/٤) وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٧٧١٩/٦) من طريق عباد، وأبو الشمال هذا، قال فيه أبو زرعة: لا يعرف إلا بهذا الحديث، ولهذا جهله الحافظان الذهبي وابن حجر، وقد أشار الدارقطني في «العلل» (٦/س١٠٢٢) أن الاختلاف في إسناد الحديث من حجاج بن أرطأة لأنه كثير الوهم»، وانظر إرواء الغليل» للألباني (١١٩:١١٦/٧٥/١).

---

[١] - وقع في المسند: «الحياء» وعند عبد الرزاق: «الختان»، وعند ابن أبي شيبة وعبد بن حميد: «الحناء»، وقال الألباني في «الإرواء» (١١٧/١): «الحياء» بالمثناة التحتية، وكذلك وقع عند الترمذي وأحمد، ووقع عند المحاملي: «الختان» بالمثناة الفوقية ثم نون، وهو الذي جزم بتصويبه الحافظ والعراقي وغيرهما، كما في فيض القدير، ولعله ترجيح من جهة المعنى، وإلا فهناك حديثان آخران باللفظ الأول: الحياء.

[٢] - [٣] - في خ: «السماك».

وقوله: ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾، اختلف المفسرون في ذلك، فقال الثوري(١٢٢)، ووكيع، وهشيم، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يدبر أمر السنة، فيمحو ما يشاء، إلا الشقاء والسعادة، والحياة والموت، وفي رواية: ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾، [قال: كل شيء][١]، إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة فإنهما قد فرغ منهما.

وقال مجاهد: ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾، إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة، فإنهما لا يتغيران.

وقال منصور: سألت مجاهدًا فقلت: أرأيت دعاءَ أحدِنا يقول: « **اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبته فيهم، وإن كان في الأشقياء فامحه عنهم[٢] واجعله في السعداء** ». فقال: حَسنٌ. ثم لقيته[٣] بعد ذلك بحَوْلٍ أو أكثر، فسألته عن ذلك، فقال: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾، قال يُقْضى في ليلة القدر ما يكون في السَّنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، فأما كتاب الشقاوة والسعادة فهو ثابتٌ لا يُغيَّر.

وقال الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة: إنه كان يكثر أن يدعو بهذا الدعاء: « **اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه[٤] واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب** ». رواه ابن جرير(١٢٣).

---

(١٢٢) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٨/٢) وعبد الله بن أحمد في « السنة » (٨٩٧/٢، ١١٢٩) وابن جرير (٢٠٤٦١/١٦ : ٢٠٤٦٦) واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٩٧٤/٣) وأخرجه البيهقي في الشعب من طريق عبيد الله بن موسى أنا ابن أبي ليلى به، وابن أبي ليلى: هو محمد بن عبد الرحمن، وهو صدوق سيئ الحفظ جدًّا، وزاد نسبته السيوطي (١٢٢/٤) إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١٢٣) - تفسير ابن جرير (٢٠٤٧٧/١٦) حدثنا عمرو قال، حدثنا وكيع قال، حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال: كان مما يكثر أن يدعو بهؤلاء الكلمات ... فذكر الحديث: قال الشيخ محمود شاكر في حاشية تفسير ابن جرير قوله: « كان يكثر أن يدعو » الضمير في ذلك إلى عبد الله بن مسعود وساقه ابن كثير في تفسيره مساقًا يوهم أنه شقيق بن سلمة نفسه الذي كان يكثر أن يدعو، وقد أساء، لأنه هو الذي غير لفظ الخبر » قلت: وقد ورد الخبر أيضًا من كلام شقيق نفسه، فأخرجه ابن جرير (٢٠٤٧٦) وعبد الله في زوائد « الزهد » (ص ٤٢٩) من طريق الأعمش أيضًا قال - سياق عبد الله - سمعت شقيقًا يقول .... فذكره بنحوه وأثر ابن مسعود يأتي برقم (١٢٥، ١٢٦).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٢] - في ابن جرير (٢٠٤٧٢/١٦): منهم.

[٣] - في ابن جرير (٢٠٤٧٢/١٦): أتيته.

[٤] - في ابن جرير: « فامحنا ».

وقال ابن جرير أيضًا(١٢٤) : حدثنا عمرو بن عليّ ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن أبي حكيمة عصْمة ، عن أبي عثمان النَّهدي : أن عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - قال وهو يطوف بالبيت وهو يبكي : اللهم ، إن كنت كتبت عليَّ شقوة أو ذنبًا فامحه ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة .

وقال حماد(١٢٥) : عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه : أنه كان يدعو بهذا الدعاء أيضًا .

ورواه شريك(١٢٦) ، عن هلال بن حميد ، عن عبد اللَّه بن عُكَيم ، عن ابن مسعود بمثله .

وقال ابن جرير(١٢٧) : حدثني [المثنى ، حدثنا][١] حجاج ، حدثنا خصاف[٢] ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، أن كعبًا قال لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، لولا آية في كتاب اللَّه لأنبأتك بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة . قال : وما هي ؟ قال : قول اللَّه تعالىٰ ﴿ **يمحو اللَّه ما يشاء** ﴾ الآية .

---

(١٢٤) - **إسناده حسن** تفسير ابن جرير (٢٠٤٧٨/١٦) وأخرجه أيضًا (٢٠٤٧٩:٢٠٤٨١) والبخاري في « التاريخ الكبير » (٦٣/٧) والدولابي في « الكنى » (٢١٠/٤/ت ١٨٧٨) وابن بطة في « الإبانة » (٢/ ١٥٦٥) واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (١٢٠٦/٤،١٢٠٧) من طرق عن أبي حكيمة به وأبو حكيمة هذا وثقه ابن حبان (٢٩٨/٧) ، وقال أبو حاتم « الجرح والتعديل » (٢٠/٧) : « محله الصدق » والأثر عزاه السيوطي في (١٢٣/٤) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، وأفاد الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (٣٦٥٩/٣) أن عبد الله بن أحمد رواه في « كتاب الزهد » لكن موقوفًا على « شعيب » .

(١٢٥) - **إسناده فيه انقطاع** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٢/١٦) ، والطبراني في « الكبير » (٨٨٤٧/٩) من طريق الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد - وهو ابن سلمة - به وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٨٨/١٠) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا قلابة لم يدرك ابن مسعود » وزاد نسبته السيوطي (١٢٥/٤) إلى ابن المنذر وقد روى بإسناد آخر وهو الآتي :

(١٢٦) - **رجاله ثقات** ، حاشا شريك النخعي ففيه مقال .

والأثر أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٤/١٦) وانظر ما قبله .

(١٢٧) - **إسناده ضعيف جدًا** تفسير ابن جرير (٢٠٤٨٥/١٦) ، وأبو حمزة هو « ميمون » الأعور التمار ، صاحب إبراهيم النخعي ضعيف لاسيما في إبراهيم انظر « تهذيب الكمال » (٢٩/ت ٦٣٤٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - كذا وقع ، وفي ابن جرير حماد ، ورجح الشيخ محمود شاكر أن حماد هو الصواب .

ومعنى هذه الأقوال : أن الأقدار ينسخ اللَّه ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء ، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد(١٢٨) :

حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان - هو الثوري - عن عبد اللَّه بن عيسىٰ ، عن عبد اللَّه بن أبي الجعد ، عن ثوبان قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر** » .

ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري به .

وثبت في الصحيح(١٢٩) أن صلة الرحم تزيد في العمر ، وفي حديث آخر(١٣٠) : « **إن**[١] **الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض** » .

(١٢٨) - « المسند » (٢٧٧/٥،٢٨٢) - ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال» (٣٦٦/١٤) - وأخرجه أحمد أيضًا (٢٨٠/٥) والنسائي في الرقاق من الكبرى - كما في « التحفة » (٢٠٩٣/٢) - وابن ماجة (٩٠،٤٠٢٢) وابن المبارك في « الزهد » (٨٦) وأبو يعلى في « المعجم » (٢٨٢) وغيرهم من طريق سفيان بهذا الإسناد ، وصححه ابن حبان (٨٧٢/٣) والحاكم (٤٩٣/١) ووافقه الذهبي ، وقال البوصيري في « الزوائد » (٦٢/١) : سألت شيخنا أبا الفضل العراقي رحمه الله عن هذا الحديث . فقال : « حديث حسن » وقال المنذري المنذري في « الترغيب » (٤٨١/٢) : « رواه النسائي بإسناد صحيح ... » قلت : عبد الله بن أبي الجعد لم يوثقه غير ابن حبان (٢٠/٥) وجهله ابن القطان ، وقال الذهبي في « الميزان » (٣/ ١١٤) : « إن كان قد وثق ففيه جهالة » . وجاء في بعض الروايات سالم بن أبي الجعد ، فإن كان كذلك فالإسناد ضعيف أيضًا لأن فيه انقطاعًا بين سالم وثوبان وإن كان الآخر ففي الإسناد جهالة . وقد أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٤٤٨/٢) من طريق راشد بن سعد عن ثوبان ، لكن في إسناده بشر بن عبيد أبو على الدارسي ، قال ابن عدي : « منكر الحديث عن الأئمة بَيِّنُ الضعف » لكن للطرف الثاني والثالث شاهد عن سلمان عند الترمذي (٢١٣٩) وحسنه ، وصححه الألباني بشاهد حديث ثوبان في « الصحيحة » (١/ ١٥٤) .

(١٢٩) - ورد ذلك من حديث أنس بن مالك ، يأتي تخريجه (سورة فاطر / آية ١١) .

(١٣٠) - ورد ذلك من حديث عائشة وأبي هريرة ، أما حديث عائشة فأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣/ ٢٤٩٨) وفي « الدعاء » (٨٠٠/٢) رقم (٣٣) والبزار (١٦١٢/٢-زوائد ابن حجر) وابن عدي في « الكامل » (١٠٦٨/٣) وابن الصَّيْداوي في « معجم الشيوخ » (صـ ١٠٥) . والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٥٣/٨) والحاكم (٤٩٢/١) وقال : « صحيح الإسناد » قلت : في إسناده زكريا بن منظور ضعفه ابن المديني وابن معين والنسائي وأبو حاتم وغيره ، وقال البخاري : منكر الحديث ، ولذا تعقب الذهبي الحاكم فقال : « زكريا مجمع على ضعفه » ، وبه أعله الهيثمي في « المجمع » (٢١٢/٧) ، (١٤٩/١٠) وأورده ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٨٤٣/٢) ، وأما حديث أبي هريرة فأخرجه البزار أيضًا (٢/ ١٦١١،٢١٣٧) ، وفي إسناده إبراهيم بن خثيم بن عراك ، متروك وقد أعله الهيثمي به في « المجمع » .

[١] - سقط من : خ .

وقال ابن جرير(١٣١) : حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا عبد الرزاق ، أنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : إن للَّه [عز وجل][١] لوحًا محفوظًا مسيرة خمسمائة عام ، من درة بيضاء ، لها دفتان من ياقوت - والدفتان لوحان - للَّه - عز وجل - [كل يوم][٢] ثلاثمائة وستون لحظة ، يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

وقال الليث بن سعد : عن زيادة[٣] بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **[إن اللَّه][٤] يفتح الذكر في ثلاث ساعات يَبْقَيْنَ من الليل ، في الساعة الأولىٰ منها ينظر في الذكر الذي لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت** » وذكر تمام الحديث ، رواه ابن جرير(١٣٢) .

وقال الكلبي(١٣٣) : ﴿ **يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت** ﴾ قال : يمحو من الرزق ويزيد فيه ، ويمحو من الأجل ويزيد فيه ، فقيل له : من حدثك بهذا ؟ فقال : أبو صالح ، عن جابر بن عبد اللَّه بن رئاب ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ثم سئل بعد ذلك عن هذه الآية

(١٣١) - تفسير ابن جرير (٢٠٥٠٤/١٦) ورجاله رجال الشيخين ، غير شيخ ابن جرير فمن رجال مسلم ، وفي الإسناد عنعنة ابن جريج والأثر ذكره السيوطي (١٢٢/٤) ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(١٣٢) - **إسناده ضعيف جدًا** ، تفسير ابن جرير (١٦٩٤٣/١٤) ، (٢٠٥٠٢/١٦) حدثني محمد بن سهل ابن عسكر حدثنا ابن أبي مريم ، ثنا الليث بن سعد به وأخرجه الدارمي في « الرد على الجهمية » (٣٩) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (صـ ١٣٥) من طريق سعيد بن أبي مريم به ، وأخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٩٣/٢) - ومن طريقه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٣٨/١-٣٩) - واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٧٥٦/٣) وابن خزيمة من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح عن الليث به وأخرجه الدارقطني في « كتاب النزول » (٧٣) وابن خزيمة معلقًا من طريق يحيى بن بكير نا الليث به : قال ابن الجوزي : « هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد ، لم يتابعه عليه أحد قال البخاري - « التاريخ الكبير » (٤٤٦/٣) - : هو منكر الحديث ، وقال ابن حبان - « المجروحين » (٣٠٤/١) - : هو منكر الحديث جدًّا ، يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك » وبه أعله الذهبي في « الميزان » (٢٨٨/٢) - فذكر الحديث بطوله وقال . « هذه ألفاظ منكرة لم يأت بها غير زيادة » وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤١٥/١٠) وقال : « رواه البزار وفيه زيادة بن محمد وهو ضعيف » وعزاه السيوطي (١٢٢/٤) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني .

(١٣٣) - **إسناده ضعيف جدًا** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٧/١٦) ، وابن سعد في « الطبقات » (٣/٢/ ١١٤) مختصرًا والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٧١٦-زوائد) والكلبي - وهو محمد بن السائب - النسابة المفسر، متهم بالكذب ورمى بالرفض ، وزاد نسبته السيوطي (١٢٣/٤) إلى ابن مردويه .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « زياد » .
[٤] - سقط من : خ .

فقال : يكتب القول كله ، حتىٰ إذا كان يوم الخميس ، طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عليه[١] عقاب ، مثل قولك : أكلت وشربت ودخلت وخرجت ،ونحو ذلك من الكلام وهو صادق ، ويثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب .

وقال عكرمة(١٣٤) ، عن ابن عباس : الكتاب كتابان ؛ فكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

وقال العوفي(١٣٥) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ يقول : هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ، ثم يعود لمعصية الله ، فيموت علىٰ ضلاله فهو الذي يمحو ، والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله ، وقد كان سبق له خير ، حتىٰ يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت .

وروي عن سعيد بن جبير أنها بمعنىٰ ﴿ **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(١٣٦) : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾ يقول : يبدل ما يشاء فينسخه ، ويثبت ما يشاء فلا يبدله . ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ وجملة ذلك عنده في أم الكتاب ، الناسخ والمنسوخ[٢] ، وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾ كقوله : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها** ﴾ الآية .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾ قال : قالت كفار قريش حين أنزلت ﴿ **وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله** ﴾ ما نرىٰ محمدًا يملك [من شيء ولقد][٣] فرغ من الأمر ، فأنزلت هذه الآية تخويفًا ووعيدًا لهم : إنا إن

---

(١٣٤) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٤٧٣/١٦) والحاكم (٣٤٩/٢) من طريق حماد بن سلمة عن سليمان التيمي عن عكرمة به وقال الحاكم : « احتج مسلم بحماد واحتج البخاري بعكرمة وهو غريب صحيح من حديث سليمان التيمي » ووافقه الذهبي وزاد نسبته السيوطي (١٢٢/٤) إلى محمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٣٥) - أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٣/٢٦) ، والعوفي ضعيف ، وزاد نسبته السيوطي (١٢٢/٤) إلى ابن أبي حاتم .

(١٣٦) - أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٩/١٦) وزاد نسبته السيوطي (١٢٥/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم=

---

[١] - زيادة من ابن جرير .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ت : « شيئًا وقد » .

شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا ، ونحدث في كل رمضان ، فنمحو ما نشاء ونثبت ما نشاء ، من أرزاق الناس ومصائبهم وما نعطيهم وما نقسم لهم .

وقال الحسن البصري : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾ قال : من جاء أجله فذهب ، ويثبت الذي هو حي يجري إلىٰ أجله .

وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رحمه الله .

وقوله ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ قال : الحلال والحرام .

وقال[١] قتادة : أي جملة الكتاب وأصله .

وقال الضحاك : ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ قال : كتاب عند رب العالمين .

وقال سنيد بن داود (١٣٧) : حدثني معتمر ، عن أبيه ، عن سيّار[٢] ، عن ابن عباس : أنه سأل كعبًا عن أم الكتاب فقال : علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون ، [ثم قال][٣] لعلمه كن كتابًا فكان كتابًا .

[قال] ابن(١٣٨) جريج : قال ابن عباس : ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ قال : الذكر .

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾

= والبيهقي في « المدخل » .

(١٣٧) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥١٦/١٦) وسَيّار هو القرشي الأموي مولى معاوية بن أبي سفيان ويقال : مولى خالد بن يزيد بن معاوية وثقه ابن حبان (٣٣٥/٤) وروى عنه أكثر من واحد ، وفي « التقريب » صدوق لكن سنيد بن داود واسمه حسين وسنيد لقب - ضُعِّف مع إمامته ومعرفته ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٨/٢) وعن معتمر - هو ابن سليمان التيمي - عن أبيه قال : سئل ابن عباس عن أم الكتاب ، فقال : قال كعب فذكره ، سليمان التيمي لم يسمع من ابن عباس .

(١٣٨) - **منقطع** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٥١٣/١٦) حديث القاسم قال حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج - قال أبو جعفر : لا أدري فيه ابن جريج أم لا - قال ، قال ابن عباس فذكره .

[١] - في خ : « قال » . [٢] - في خ : « يسار » .

[٣] - في خ : « فقال » .

يقول تعالىٰ لرسوله : ﴿ **وإما نرينك** ﴾ يا محمد بعض الذي نعد[١] أعداءك من الخزي[٢] والنكال في الدنيا ﴿ **أو نتوفينك** ﴾ أي : قبل ذلك ﴿ **فإنما عليك البلاغ** ﴾ أي : إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة اللّه وقد بلغت[٣] ما أمرت به ﴿ **وعلينا الحساب** ﴾ أي : حسابهم وجزاؤهم ، [كقوله تعالىٰ][٤] : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر * إلا من تولىٰ وكفر * فيعذبه اللّه العذاب الأكبر * إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها** ﴾ قال ابن عباس (١٣٩) : أو لم يروا أنا نفتح لمحمد صلىٰ اللّه عليه وسلم الأرض بعد الأرض .

وقال في رواية (١٤٠) : أو لم يروا إلىٰ القرية تخربُ حتىٰ يكون العُمْرانُ في ناحية .

وقال مجاهد وعكرمة ﴿ **ننقصها من أطرافها** ﴾ قال : خرابها .

وقال الحسن والضحاك : هو ظهور المسلمين علىٰ المشركين .

وقال العوفي (١٤١) ، عن ابن عباس : نقصان أهلها وبركتها .

وقال مجاهد : نقصان الأنفس والثمرات وخراب الأرض .

وقال الشعبي : لو كانت الأرض تُنْقَص لضاق عليك حُشُك ، ولكن تُنْقَصُ الأنفس والثمرات . وكذا قال عكرمة : لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكانًا تقعد فيه ولكن هو الموت .

وقال ابن عباس في رواية (١٤٢) : خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها . وكذا

(١٣٩) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥١٤/١٦) بإسناد صحيح عنه وأخرجه بنحوه أيضًا (٢٠٥١٥) لكن من طريق عطية العوفي عنه ، وعطية ضعيف .

(١٤٠) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥١٩/١٦) ، وفي إسناده علي بن عاصم بن صهيب الواسطي ، صدوق يخطئ ويُصِرُّ ورمي بالتشيع ، وزاد نسبته السيوطي (١٢٧/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٤١) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥٢٣/١٦) من طريق على بن أبي طلحة عن ابن عباس به ، وزاد نسبته السيوطي (١٢٧/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، فلعله عند أحدهما أو كليهما من هذا الطريق والله تعالى أعلم .

(١٤٢) - **إسناده ضعيف جدًا** ، أخرجه ابن جرير (٢٠٥٣٣/١٦) والحاكم (٣٥٠/٢) وصححه والخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (١٥٤،١٥٥) من طريق طلحة بن عمرو عن عطاء عنه به وطلحة هذا ضعفه جماعة وقال البخاري : « ليس بشيء » وتركه أحمد والنسائي ، ولذا تعقب الذهبي الحاكم فقال : =

[١] - في خ : « نعدهم أي بعد » . [٢] - في خ : « الحزن » .
[٣] - في ت : «فعلت » . [٤] - في خ : « كما قال تعالى » .

قال مجاهد أيضًا : هو موت العلماء .

وفي هذا المعنىٰ روىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد العزيز ، أبي القاسم المصري الواعظ ، سكن أصبهان : حدثنا أبو محمد طلحة بن أسد المرئي[١] بدمشق ، أنشدنا أبو بكر الآجري بمكة ، قال أنشدنا أحمد بن غزال لنفسه .

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها ... متىٰ يمت عالم منها يمت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها ... وإن أبىٰ عاد في أكنافها التلف

والقول الأول أولىٰ وهو ظهور الإسلام علىٰ الشرك قرية بعد قرية ، [كقوله : ﴿ **ولقد أهلكنا ما حولكم من القرىٰ** ﴾ الآية ، وهذا اختيار ابن جرير][٢] .

﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (٤٢)

يقول تعالىٰ : ﴿ **وقد مكر الذين من قبلهم** ﴾ برسلهم ، وأرادوا إخراجهم من بلادهم ، فمكر الله بهم ، وجعل العاقبة للمتقين ، كقوله[٣] : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ ، [وقوله تعالىٰ][٤] : ﴿ **ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة [مكرهم أنا][٥] دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا** ﴾ الآيتين[٦] .

وقوله : ﴿ **يعلم ما تكسب كل نفس** ﴾ أي : أنه تعالىٰ عالم بجميع السرائر والضمائر ، وسيجزي كل عامل بعمله (**وسيعلم الكافر**) والقراءة الأخرىٰ ﴿ **الكفار** ﴾ ﴿ **لمن عقبىٰ**

= « طلحة بن عمرو ، قال أحمد : متروك » ، وقد اضطرب فيه ، فرواه عن عطاء لم ينمّ به إلى ابن عباس ، أخرجه وكيع في « الزهد » (٣٩) ومن طريقه ابن عبد البر في « التمهيد » (١٠٣٠/١) ، لكن أخرجه أبو نعيم في « أخبار أصبهان » (٣٣٢/١) من طريق إسماعيل بن عياش عن سلمة بن كلثوم عن عطاء به وسلمة صدوق ، شامي ورواية إسماعيل عن أهل بلده من الشاميين صحيحة وأثر ابن عباس زاد نسبته السيوطي (٤/ ١٢٦) إلى عبد الرزاق - ولم أجده في تفسيره - وابن أبي شيبة ونعيم بن حماد في « الفتن » ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأثر مجاهد أخرجه عبد الرزاق (٣٣٩/٢) ووكيع (٣٨) - ولفظة وكيع « الموت » دون تقييده وابن جرير (٢٠٥٣٤) وإسناده صحيح إلى مجاهد .

[١] - في ز : المدني

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « كما قال تعالى » .

[٤] - في خ : « وقال تعالى » .

[٥] - في خ : « الذين من قبلهم » .

[٦] - في ز ، خ : « الآية » .

الدار ﴾ لمن تكون الدائرة والعاقبة ، لهم أو لأتباع الرسل ؟ كلا ، بل هي لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة ، ولله الحمد والمنة .

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

يقول تعالىٰ : يكذبك هؤلاء الكفار ويقولون ﴿ لست مرسلًا ﴾ أي : ما أرسلك الله ﴿ قل كفىٰ بالله شهيدًا بيني وبينكم ﴾ أي : حسبي الله وهو الشاهد علي وعليكم ، شاهد علي فيما بلغت عنه من الرسالة ، وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان .

وقوله : ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ قيل : نزلت في عبد الله بن سلام . قاله مجاهد .

وهذا القول غريب ؛ لأن هذه الآية مكية وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم النبي صلىٰ الله عليه وسلم المدينة ، والأظهر في هذا ما قاله العوفي(١٤٣) ، عن ابن عباس قال : هم من اليهود والنصارىٰ .

وقال قتادة : منهم ابن سلام وسلمان وتميم الداري .

وقال مجاهد في رواية عنه : هو الله تعالىٰ .

وكان سعيد بن جبير ينكر أن يكون المراد بها عبد الله بن سلام ، ويقول : هي مكية ، وكان يقرؤها (ومن عندِه عُلِمَ الكتاب) ويقول : من عند الله .

وكذا قرأها مجاهد والحسن البصري . وقد روىٰ ابن جرير(١٤٤) : من حديث هارون الأعور ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قرأها ﴿ ومِنْ عندِه عُلِمَ الكتابُ ﴾ . ثم قال : لا أصل له من حديث الزهري عند الثقات .

قلت : وقد رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده(١٤٥) : من طريق هارون بن موسىٰ[١] هذا ،

---

(١٤٣) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥٣٧/١٦) .

(١٤٤) - **إسناده ضعيف منقطع** تفسير ابن جرير (٢٠٥٥٨/١٦) حدثنا القاسم قال حدثنا الحسينُ قال ، حدثني عباد بن العوام عن هارون الأعور به و « هارون الأعور » وهو « هارون بن موسى الأزدي العتكي » ثقة إلا أنه لم يسمع من الزهري والحسين هو ابن داود المعروف بـ « سنيد » ضُعف مع إمامته ومعرفته ، ولذا قال ابن جرير « في إسناده نظر ، وهذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري » وانظر ما بعده .

(١٤٥) - **إسناده ضعيف جدًا مسند أبي يعلى** (٥٥٧٤/٩) حدثنا روح بن عبد المؤمن ، حدثنا =

---

[١] - كذا ولعله سهو أو خطأ ؛ فإن أبا يعلى إنما أخرجه من طريق « عبد الرحيم بن موسى » كما في المسند=

عن سليمان بن أرقم وهو ضعيف ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه مرفوعًا كذلك ولا يثبت والله أعلم .

والصحيح في هذا أن ﴿ ومن عنده ﴾ اسم جنس يشمل[١] علماء أهل الكتاب ، الذين يجدون صفة محمد صلىٰ الله عليه وسلم ونعته في كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ الآية .

وقال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل** ﴾ الآية . وأمثال ذلك مما فيه من الإخبار عن علماء بني إسرائيل أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة . وقد ورد في حديث الأحبار عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة . قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب « دلائل النبوة »(١٤٦) وهو كتاب جليل :

حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني ، حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا محمد بن مصفىٰ ، حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، عن جده[٢] عبد الله بن سلام : [أنه قال لأحبار][٣] اليهود : إني أردت أن أجدِّدَ[٤] بمسجد أبينا إبراهيم وإسماعيل عيدًا[٥] ، فانطلق إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ،

= عبد الرحيم بن موسى به وأخرجه تمام في فوائده ، (١٣٨٣/٤- الروض البسام) من طريق محمد بن الحسن عن سليمان بن أرقم به ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٢٢٧٨/٦) من طريق سليمان بن أرقم عن نافع عن ابن عمر عن عمر فذكره ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٥٨/٧) « رواه أبو يعلى وفيه سليمان بن أرقم وهو متروك » ، وضعف إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (١٢٩/٤) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(١٤٦) - **ضعيف** « دلائل النبوة » لأبي نعيم (ص ٣٠٠) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٤٩/٧-١٥٠) ، (٢٤٥/٨-٢٤٦) ، (٣٢٩/٩) ، وقال : « رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أن حمزة لم يدرك جده عبد الله ابن سلام » قلت : والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن ، وعزاه السيوطي في « المنثور » (٧٠٥/٤) إلى ابن أبي حاتم والطبراني وأبي نعيم في « الحلية » ، والحمد لله بنعمته تتم الصالحات .

= وقال البوصيري - كما في حاشية « المطالب العالية » (٣/ ٣٦٦٠) : « رواه أبو يعلى بسند ضعيف لضعف عبد الرحيم بن موسى » .

قلت : وعبد الرحيم هذا قال فيه أبو حاتم : « مجهول » . الجرح والتعديل (٣٤١/٥) ، وتبعه الذهبي في «المغني » (٢/ ٣٦٨٠) .

[١] - في خ : « شمل » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « قال الأحبار » .
[٤] - في ز : أحدث .
[٥] - في دلائل النبوة : عهدًا .

وهو بمكة فوافاهم وقد انصرفوا من الحج ، فوجد رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بمنىٰ والناس حوله فقام مع الناس ، فلما نظر إليه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **أنت عبد الله بن سلام** ؟ » قال : قلت : نعم . قال : « **ادن** » قال : فدنوت منه قال : « **أنشدك بالله يا عبد الله بن سلام ، أما تجدني في التوراة رسول الله** ؟ » فقلت له : انعت ربنا . قال : فجاء جبريل حتىٰ وقف بين يدي رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال له : ﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد** ﴾ إلىٰ آخرها ، فقرأها علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال ابن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، ثم انصرف ابن سلام إلىٰ المدينة فكتم إسلامه ، فلما هاجر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المدينة ، وأنا فوق نخلة لي أجُدُّها ، فألقيت نفسي ، فقالت أمي : لله[١] أنت ، لو كان موسىٰ بن عمران ما كان لك[٢] أن تلقي نفسك من رأس[٣] النخلة . فقلت : والله لأنا أسر بقدوم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من موسىٰ بن عمران إذ بعث .

وهذا حديث[٤] غريب جدًّا .

[آخر تفسير سورة الرعد ولله الحمد][٥]

☆ ☆ ☆

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في دلائل النبوة : تم لك .

[٣] - في خ : نفس .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت

[تفسير] سورة إبراهيم عليه السلام

[وهي مكية]

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور .

﴿ **كتاب أنزلناه إليك** ﴾ أي : هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد ، وهو القرآن العظيم ، الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء ، على أشرف رسول بعثه الله في الأرض ، إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم . ﴿ **لتخرج**[١] **الناس من الظلمات إلى النور** ﴾ أي : إنما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب ؛ لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغي إلى الهدى والرشد ، كما قال تعالى : ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات** ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ **هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور** ﴾ الآية . وقوله : ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ أي : هو الهادي لمن قدر له الهداية على يدي رسوله المبعوث عن أمره يهديهم ﴿ **إلى صراط العزيز الحميد** ﴾ أي : العزيز الذي لا يمانع ولا يغالب ، بل هو القاهر لكل ما سواه ﴿ **الحميد** ﴾ أي : المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وأمره ونهيه ، الصادق في خبره . وقوله : ﴿ **الله الذي له ما في السموات وما في الأرض** ﴾ قرأه بعضهم مستأنفًا مرفوعًا[٢] ، وقرأه آخرون على الإتباع صفة للجلالة[٣] ؛ كقوله تعالى : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السموات والأرض** ﴾ الآية . وقوله : ﴿ **وويل للكافرين من عذاب شديد** ﴾ أي : ويل لهم يوم القيامة إذ خالفوك

---

[١] - في خ : « ليخرج » .

[٢] - وهي قراءة نافع وابن عامر .

[٣] - وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي .

يا محمد وكذبوك . ثم وصفهم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، أي : يقدمونها ويؤثرونها عليها ، ويعملون للدنيا ، ونسوا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم ﴿ **ويصدون عن سبيل الله** ﴾ وهي اتباع الرسل ﴿ **ويبغونها عوجًا** ﴾ أي : ويحبون أن يكون[١] سبيل الله عوجًا مائلة عائلة ، وهي مستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خذلها ، فهم في ابتغائهم ذلك في جهل ، وضلال بعيد من الحق ، لا يرجىٰ لهم - والحالة هذه - صلاح .

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾

هذا من لطفه تعالىٰ بخلقه أنه يرسل إليهم رسلًا منهم بلغاتهم ؛ ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم ، كما قال[٢] الإمام أحمد(١)[٣] : حدثنا وكيع ، عن عمر بن ذر ، قال : قال مجاهد عن أبي ذر قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لم يبعث الله ، عز وجل ، نبيًّا إلا بلغة قومه** » .

وقوله : ﴿ **فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾ أي : بعد البيان وإقامة الحجة عليهم ، يضل تعالىٰ[٤] من يشاء عن وجه الهدىٰ ، ويهدي من يشاء إلىٰ الحق ﴿ **وهو العزيز**[٥] ﴾ الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ﴿ **الحكيم** ﴾ في أفعاله ، فيضل من يستحق الإضلال ، ويهدي من هو أهل لذلك . وقد كانت هذه سنته في خلقه ، أنه ما بعث نبيًّا في أمة إلا أن يكون بلغتهم ، فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته[٦] إلىٰ أمته دون غيرهم ، واختص محمد بن عبد الله رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بعموم الرسالة إلىٰ سائر الناس ، كما ثبت في الصحيحين(٢) عن جابر ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة[٧] وبعثت إلىٰ الناس عامة** » . وله

(١) - **إسناده ضعيف للانقطاع بين مجاهد وأبي ذر ، لكن الآية شاهدة له** . وهو في « المسند » (٢١٤٩٠) (١٥٨/٥) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٦/٧) وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح إلا أن مجاهدًا لم يسمع من أبي ذر .

(٢) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ١٥٨] .

[١] - في ت : « تكون » .
[٢] - في ت : « روى » .
[٣] - زيادة من : ت .
[٤] - في ت : « الله » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « رسالاته » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

شواهد من وجوه كثيرة[٣] ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا** ﴾ .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

يقول تعالىٰ : وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب ؛ لتخرج الناس كلهم تدعوهم إلىٰ الخروج من الظلمات إلىٰ النور ، كذلك أرسلنا موسىٰ في بني إسرائيل بآياتنا .

قال مجاهد : وهي التسع الآيات .

﴿ **أن أخرج قومك من الظلمات** ﴾ أي : أمرناه قائلين له ﴿ **أخرج قومك من الظلمات إلىٰ النور** ﴾ أي : ادعهم إلىٰ الخير ؛ ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال ، إلىٰ نور الهدىٰ وبصيرة[١] الإيمان .

﴿ **وذكرهم بأيام الله** ﴾ أي : بأياديه ونعمه عليهم ، في إخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه ، وإنجائه إياهم من عدوهم ، وفلقه لهم البحر ، وتظليله إياهم بالغمام ، وإنزاله عليهم المنّ والسلوىٰ ، إلىٰ غير ذلك من النعم ؛ قال ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد .

وقد ورد فيه الحديث المرفوع الذي رواه عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل في [مسند أبيه][٢] حيث قال[٤] : حدثني يحيىٰ بن عبد الله مولىٰ بني هاشم ، حدثنا محمد بن أبان الجعفي ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، [عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **وذكرهم بأيام الله** ﴾ قال : « **بنعم الله تبارك وتعالى** » .

---

(٣) - منها حديث حذيفة وحديث أبي هريرة عند مسلم ٤ ، ٥ - (٥٢٢ ، ٥٢٣) ، وحديث أبي موسى عند أحمد (٤/٤١٦) وقد تقدم تخريجه [سورة الأعراف /آية ١٥٨] .

(٤) - **إسناده ضعيف لضعف محمد بن أبان ، لكنه حديث صحيح** ، وهو في « المسند » (٢١٢٠٨) (٥/ ١٢٢) ، وأخرج مسلم (١٧٢) (٢٣٨٠) من حديث أُبَيّ أيضًا مرفوعًا « ... **أيامُ الله نَعْمَاؤُهُ وبلاؤُهُ** ...» .

---

[١] - في ز : « نصر » .

[٢] - في ز ، خ : « مسنده » .

ورواه ابن جرير(٥)][١] وابن أبي حاتم من حديث محمد بن أبان ، به . ورواه عبد الله ابنه(٦)[٢] أيضًا موقوفًا وهو أشبه .

وقوله : ﴿ إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ أي : إن[٣] فيما صنعنا بأوليائنا بني إسرائيل حين أنقذناهم من يد فرعون ، وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين - لعبرةً لكل صبار ، أي : في الضراء ، ﴿ شكورٍ[٤] ﴾ أي : في السراء ، كما قال قتادة : نعم العبد عبد إذا ابتلي صبر ، وإذا أعطي شكر .

[وكذا جاء ، في الصحيح][٥] (٧) عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « **إن أمر المؤمن كله عجب ، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له** » .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾

يقول تعالى مخبرًا عن موسى حين ذكّر قومه بأيام الله عندهم ، ونعمه عليهم إذ أنجاهم

---

(٥) - كسابقه ، تفسير ابن جرير (١٨٤/١٣) وابن أبي حاتم (١٢٢١١/٧) ، وكذا أخرجه الطيالسي (٥٣٨) وعبد بن حميد في « المنتخب » (١٦٨) من طريق محمد بن أبان به ، وأخرجه النسائي في « التفسير » - كما في « التحفة » (٢٧/١) من طريق زيد بن أبي أنيسة عن إسحاق ، به .

(٦) - **إسناده ضعيف** ، « المسند » (٢١٢٠٩) (١٢٢/٥) من طريق محمد بن أبان أيضًا لكنه موقوف ، وقد صح مرفوعًا عند مسلم كما تقدم رقم (٣) .

(٧) - أخرجه مسلم كتاب الزهد والرقائق ، باب : المؤمن أمره كله خير (٦٤) (٢٩٩٩) من حديث صهيب . والمصنف أورده بمعناه وليس بلفظه . وانظر ما تقدم [سورة الأعراف / آية ٩٥] و [سورة يونس / آية ١٣] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « ابن » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « شكورا » .

[٥] - في ت : كذا جاء وفي الصحيح .

من آل فرعون، وما كانوا يسومونهم به من العذاب والإذلال، حين كانوا يذبحون من وجد من أبنائهم ويتركون إناثهم، فأنقذ اللَّه بني إسرائيل من ذلك، وهذه نعمة عظيمة؛ ولهذا قال: ﴿ **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** ﴾ أي: نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك، أنتم عاجزون عن القيام بشكرها.

وقيل: وفيما كان يصنعه بكم قوم فرعون من تلك الأفاعيل ﴿ **بلاء** ﴾ أي: اختبار عظيم، ويحتمل أن يكون المراد هذا، وهذا - واللَّه أعلم - كقوله تعالىٰ: ﴿ **وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون** ﴾.

وقوله: ﴿ **وإذ تأذن ربكم** ﴾ أي: آذنكم وأعلمكم بوعده لكم، ويحتمل أن يكون المعنىٰ: وإذ أقسم ربكم وآلىٰ بعزته وجلاله وكبريائه، [كما قال][١]: ﴿ **وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلىٰ يوم القيامة** ﴾.

وقوله][٢]: ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ أي: لئن شكرتم [نعم الله][٣] لأزيدنكم منها ﴿ **ولئن كفرتم** ﴾ أي: كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها ﴿ **إن عذابي لشديد** ﴾ وذلك بسلبها عنهم، وعقابه إياهم علىٰ كفرها.

وقد جاء في الحديث(٨): « **إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه** ».

وفي المسند أن رسول اللَّه، صلىٰ اللَّه عليه وسلم، مر به سائل، فأعطاه تمرة فتسخطها ولم يقبلها، ثم مر به آخر فأعطاه إياها فقبلها، وقال: تمرة من رسول اللَّه، صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فأمر له بأربعين درهمًا، أو كما قال[٤] الإمام أحمد(٩):

حدثنا أسود، حدثنا عمارة الصيدلاني، عن ثابت، عن أنس قال: أتىٰ النبيَّ، صلىٰ

(٨) - تقدم تخريجه [سورة الرعد / آية ٣٩].

(٩) - « المسند » (٣/١٥٥، ٢٦٠)، ووقع في الموضع الثاني « ثنا إسرائيل » بين أسود وعمارة، وذكره الهيثمي في موضعين (٣/١٠٥) (٨/١٨٥) وقال في الأول منهما: « رواه أحمد والبزار باختصار وفيه عمارة ابن زاذان وهو ثقة وفيه كلام لا يضر، وبقية رجاله رجال الصحيح ». وقال في الموضع الثاني: « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زاذان وثقه جماعة وضعفه الدارقطني » قلت: وعمارة بن زاذان وإن وثقه غير واحد وكذا أحمد في رواية إلا أنه قال - فيما رواه عنه الأثرم، كما في « التهذيب » -: « يروي عن ثابت عن أنس أحاديث مناكير ».

[١] - في ت: « كقوله تعالى ».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت: « نعمتي عليكم ».

[٤] - مكررة في: ز.

الله عليه وسلم ، سائل ، فأمر له بتمرة فلم يأخذها أو وَحّشَ[١] [٢] بها . قال : وأتاه آخر فأمر له بتمرة ، فقال : سبحان الله ! تمرة من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فقال للجارية : « **اذهبي[٣] إلى أم سلمة فأعطيه الأربعين درهمًا التي عندها** » . تفرد به الإمام أحمد .

وعمارة بن زاذان وثقه ابن حبان وأحمد ويعقوب بن سفيان[٤] ، وقال ابن معين : صالح . وقال أبو زرعة : لا بأس به . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، ليس بالمتين . وقال البخاري : ربما يضطرب[٥] في حديثه . وعن أحمد أيضًا أنه قال : روي عنه أحاديث منكرة . وقال أبو داود : ليس بذلك . وضعفه الدارقطني ، وقال ابن عدي : لا بأس به ، ممن يكتب حديثه .

[وقوله تعالى][٦] : ﴿ **وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد** ﴾ أي : هو غني عن شكر عباده ، وهو الحميد المحمود وإن كفره من كفره ؛ [كما قال تعالى][٧] : ﴿ **إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم** ﴾ . [وقال تعالى][٨] : ﴿ **فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد** ﴾ .

وفي صحيح مسلم(١٠) : عن أبي ذر ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما يَرْوِي عن ربه عز وجل أنه قال : « **يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحدٍ[٩] منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، يا عبادي ، لو أن أولكم و آخركم وإنسكم وجنكم ، [كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا ، يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم][١٠] ، قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا ، إلا كما ينقص المخِيَطُ إذا أُدخِلَ في[١١] البحر** » . فسبحانه وتعالى الغني الحميد !

---

(١٠) - صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم (٥٥) (٢٥٧٧) .

---

[١] - في ز : « رحش » ، وغير واضحة في خ .
[٢] - أي : رماها .
[٣] - في ز ، خ : « اذهبوا » .
[٤] - في خ : « عثمان » .
[٥] - في ز ، خ : « يضرب » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ت : « كقوله » .
[٨] - في ت : « وقوله » .
[٩] - زيادة من : « مسلم » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١١] - سقط من : ت .

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾

قال ابن جرير(١١) : هذا من تمام قيل موسىٰ لقومه . يعني : وتذكاره إياهم بأيام الله ، بانتقامه من الأمم المكذبة للرسل .

وفيما قال ابن جرير نظر ، والظاهر أنه خبر[١] مستأنف من الله تعالىٰ لهذه الأمة ، فإنه قد قيل : إن قصة عاد وثمود ليست في التوراة ، فلو كان هذا من كلام موسىٰ لقومه وقصِّه عليهم ذلك ، فلا شك[٢] أن تكون[٣] هاتان القصتان في التوراة ، والله أعلم . وبالجملة ، فالله تعالىٰ قد قص علينا خبر قوم نوح وعاد وثمود ، وغيرهم من الأمم المكذبة للرسل ، مما لا يحصي عددهم[٤] إلا الله عز وجل ﴿ **جاءتهم[٥] رسلهم بالبينات** ﴾ أي : بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات .

وقال [أبو إسحاق](١٢)[٦] ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله أنه قال في قوله : ﴿ **لا يعلمهم إلا الله** ﴾ : كذب النسابون .

وقال[٧] عروة بن الزبير : ما وجدنا أحدًا يعرف ما بعد معدّ بن عدنان .

---

(١١) - تفسير ابن جرير (١٢/١٨٧) .

(١٢) - وقد ورد مرفوعًا من حديث ابن عباس ، أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١/٤٧) ، وابن عساكر في « التاريخ » (١/٣٩٢ مخطوط) من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن ابن عباس به ، وهشام متروك ، وأبوه كذاب .

---

[١] - في ز : « خبرا » .

[٢] - في ز : « ولاشك » .

[٣] - في خ : « يكون » .

[٤] - في خ : « عدده » .

[٥] - في ز ، خ : « أتتهم » .

[٦] - في (ز ، خ) « ابن إسحاق » ، والمثبت من « الطبقات لابن سعد » (١/٤٧) ، وتفسير ابن جرير (١٢/١٨٧) .

[٧] - في ت : « قال » .

وقوله : ﴿ **فردوا أيديهم في أفواههم** ﴾ اختلف المفسرون في معناه ؛ فقيل[١] : معناه أنهم أشاروا إلىٰ أفواه الرسل ، يأمرونهم بالسكوت عنهم لما دعوهم إلىٰ اللَّه عز وجل .

وقيل : بل وضعوا أيديهم علىٰ أفواههم تكذيبًا لهم . وقيل : بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل .

وقال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة : معناه[٢] أنهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم بأفواههم .

قال ابن جرير(١٣) : وتوجيهه أن « في » هٰهنا[٣] بمعنىٰ الباء ، قال : وقد سمع من العرب : أدخلك اللَّه بالجنة ، يعنون في الجنة ، وقال الشاعر :

وأَرْغَبُ فيها عن لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ ولكِنَّني عن سِنْبِسٍ لستُ أَرْغَبُ

يريد : أرغب بها .

قلت : ويؤيد[٤] قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام ﴿ **وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب** ﴾ فكأن هذا [-واللَّه أعلم-][٥] تفسير لمعنىٰ ﴿ **فردوا أيديهم في أفواههم** ﴾ .

وقال سفيان الثوري وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه في قوله ﴿ **فردوا أيديهم في أفواههم** ﴾ قال : عضوا عليها غضًّا[٦] .

وقال شعبة ، عن أبي إسحاق عن [هبيرة بن يريم][٧] ، عن عبد اللَّه أنه قال ذلك أيضًا .

وقد اختاره عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ووجهه ابن جرير مختارًا له بقوله تعالىٰ عن المنافقين : ﴿ **وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ** ﴾ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : لما سمعوا كلام اللَّه عجبوا ، ورجعوا بأيديهم إلىٰ أفواههم .

---

(١٣) - تفسير ابن جرير (١٢/١٨٩) .

---

[١] - في ت : « قيل » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ت : « هنا » .

[٤] - في خ : « ويريد » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ت : « غليظًا » .

[٧] - في ز ، خ : هبيرة بن مريم . وفي ت : أبي هبيرة بن مريم . وكل ذلك تحريف ، والصواب ما أثبتناه . وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب [٤/٢٦٣] ط الرسالة

﴿ وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ﴾ يقولون : لا نصدقكم فيما جئتم به[١] ، فإن عندنا فيه شكا قويًا .

۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

يخبر تعالىٰ عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة ، وذلك أن أممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له ، قالت[٢] الرسل : ﴿ أفي الله شك ﴾ وهذا يحتمل شيئين ؛ أحدهما : أفي وجوده شك ؟! فإن الفِطَرَ شاهدة بوجوده ، ومجبولة علىٰ الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر[٣] السليمة ، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب ، فتحتاج إلىٰ [النظر في الدليل][٤] الموصل إلىٰ وجوده ، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلىٰ طريق معرفته بأنه : ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ الذي خلقهما وابتدعهما علىٰ غير مثال سبق ، فإن شواهد الحدوث[٥] والخلق والتسخير ظاهر عليهما ، فلابد لهما[٦] من صانع وهو الله لا إله إلا هو ، خالق كل شيء وإلهه ومليكه .

والمعنىٰ الثاني : في قولهم : ﴿ أفي الله شك ﴾ أي : أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك ، وهو الخالق لجميع الموجودات ، ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم ، أو تقربهم من الله زلفىٰ .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « قال » .
[٣] - في خ : « البطن » .
[٤] - في ز : « الدليل في النظر » .
[٥] - في ز ، خ : « الحدث » .
[٦] - في ز : « لها » .

وقالت لهم رسلهم : [﴿ يدعوكم ليغفر][١] لكم من ذنوبكم ﴾ أي : في الدار الآخرة ﴿ ويؤخركم إلىٰ أجل مسمىً ﴾ [أي : في الدنيا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا إلىٰ أجل مسمىً][٢] ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾ الآية ، فقالت لهم الأمم محاجين في مقام الرسالة ، بعد تقدير تسليمهم للمقام الأول ، وحاصل ما قالوه : ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ أي : كيف نتبعكم بمجرد قولكم ، ولما نر منكم معجزة ﴿ فأتونا بسلطان مبين ﴾ أي : خارق نقترحه عليكم .

﴿ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ﴾ أي : صحيح أنا بشر مثلكم في البشرية ﴿ ولكن اللَّه يمنّ علىٰ من يشاء من عباده ﴾ أي : بالرسالة والنبوة ﴿ وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان ﴾ علىٰ وفق ما سألتم ﴿ إلا بإذن اللَّه ﴾ أي : بعد سؤالنا إياه ، وإذنه لنا في ذلك ﴿ وعلىٰ اللَّه فليتوكل المؤمنون ﴾ أي : في جميع أمورهم .

ثم قالت الرسل : ﴿ وما لنا أن لا نتوكل علىٰ اللَّه ﴾ أي : وما يمنعنا من التوكل عليه وقد هدانا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها ﴿ ولنصبرن علىٰ ما آذيتمونا ﴾ أي : من الكلام السيئ والأفعال السخيفة ﴿ وعلىٰ اللَّه فليتوكل المتوكلون ﴾ .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ
فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ
لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ
﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ
يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ
عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

يخبر تعالىٰ عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم من الإخراج من أرضهم ، والنفي من بين أظهرهم ، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به : ﴿ لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا[٣] أو لتعودن في ملتنا ﴾ ، وكما قال قوم لوط : ﴿ أخرجوا آل لوط من

[١] - في خ : « الرسل تدعوكم ليغفر » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « أرضنا » .

قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾ . وقال تعالىٰ إخبارًا عن مشركي قريش : **﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلًا ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر اللَّه واللَّه خير الماكرين ﴾** .

وكان[١] من صنعه تعالىٰ أنه أظهر رسوله ونصره ، وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصارًا وأعوانًا ، وجندًا يقاتلون في سبيل اللَّه تعالى ، ولم يزل يرقيه تعالىٰ من شيء إلى شيء حتىٰ فتح له مكة التي أخرجته ، ومكّن له فيها ، وأرغم آناف[٢] أعدائه منهم ومن سائر أهل الأرض ، حتىٰ دخل الناس في دين اللَّه أفواجًا ، وظهرت كلمة اللَّه ودينه علىٰ سائر الأديان ، في مشارق الأرض ومغاربها ، في أيسر زمان ، ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ فأوحىٰ إليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكننكم الأرض من بعدهم ﴾** ، وكما قال تعالى : **﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ كتب اللَّه لأغلبن أنا ورسلي إن اللَّه لقوي عزيز ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾** . **﴿ وقال موسىٰ لقومه استعينوا باللَّه واصبروا إن الأرض للَّه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها [وتمت كلمة ربك الحسنىٰ علىٰ بني إسرائيل بما صبروا][٣] ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾** .

وقوله : **﴿ ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ﴾** أي : وعدي[٤] هذا[٥] لمن خاف مقامه بين يدي يوم القيامة ، وخشي من وعيدي وهو تخويفي وعذابي ، كما قال تعالىٰ : **﴿ فأما من طغىٰ * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوىٰ [وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى][٦] ﴾** ، وقال : **﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾** .

وقوله : **﴿ واستفتحوا ﴾** أي : استنصرت الرسل ربها علىٰ قومها ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : استفتحت الأمم علىٰ أنفسها ؛ كما قالوا : **﴿ اللهم**

---

[١] - في خ : « فكان » .

[٢] - في ت : « أنوف » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ت : « وعيدي » .

[٥] - سقط من : ر .

[٦] - سقط من : خ .

إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ .

ويحتمل أن يكون هذا مرادًا وهذا مرادًا ، كما أنهم استفتحوا علىٰ أنفسهم يوم بدر واستفتح رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وانتصر[١] ، وقال اللَّه تعالىٰ للمشركين : ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم** ﴾ الآية ، واللَّه أعلم .

﴿ **وخاب كل جبار عنيد** ﴾ أي : متجبر في نفسه ، [ ][٢] معاند للحق ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ألقيا في جهنم كل كفار عنيد * مناع للخير معتد مريب * الذي جعل مع اللَّه إلهًا آخر فألقياه في العذاب الشديد** ﴾ .

وفي الحديث(١٤) : « **إنه يؤتى بجهنم يوم القيامة فتنادي الخلائق ، فتقول : إني وكلت بكل جبار عنيد ...** » الحديث . خاب وخسر حين اجتهد الأنبياء في الابتهال إلىٰ ربها العزيز المقتدر .

وقوله : ﴿ **من ورائه جهنم** ﴾ وراء هنا بمعنىٰ أمام ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا** ﴾ وكان ابن عباس يقرؤها : (وكان أمامهم ملك) أي : من وراء الجبار العنيد جهنم ، أي : هي[٣] له بالمرصاد ، يسكنها مخلدًا يوم المعاد ، ويعرض عليها غدوًّا وعشيًّا إلىٰ[٤] يوم التناد .

﴿ **ويسقىٰ من ماء صديد** ﴾ أي : في النار ، ليس له شراب إلا من حميم أو[٥] غساق ، فهذا حار في غاية الحرارة ، وهذا بارد في غاية البرد والنتن ، كما قال : ﴿ **هذا فليذوقوه حميم وغساق * وآخر من شكله أزواج** ﴾ .

قال مجاهد وعكرمة : الصديد من القيح والدم .

وقال قتادة : هو ما يسيل من لحمه وجلده . وفي رواية عنه : الصديد ما يخرج من جوف الكافر ، قد خالط القيح والدم .

---

(١٤) - لم أهتد إليه بهذا اللفظ ، وأخرج الترمذي ، كتاب : صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة النار (٢٥٧٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق ، يقول : إني وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد .... » وفي الباب عن أبي سعيد الخدري عند أحمد (٣/٤٠) وفي إسناده عطية العوفي وهو ضعيف .

---

[١] - في ت : « واستنصر » .
[٢] - ما بين المعكوفين في ت : عنيد .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « أي » .
[٥] - في ت : « و » .

وفي حديث شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد[١] بن السكن ؛ قالت : قلت : يا رسول الله ، ما طينة الخبال ؟ قال : « **صديد أهل النار** »(١٥) . وفي رواية : « **عُصارة أهل النار** »(١٦) .

وقال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا علي بن إسحاق ، أنبأنا عبد الله ، أنا صفوان بن عمرو ، عن عبيد الله بن بسر[٢] عن أبي أمامة ، رضي الله عنه ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في قوله : ﴿ **ويسقىٰ من ماء صديد يتجرعه** ﴾ قال[٣] : « **يقرب إليه فيتكرهه**[٤] ، **فإذا أدني منه شوىٰ وجهه ، ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتىٰ يخرج من دبره** » . يقول الله تعالىٰ : ﴿ **وسقوا ماء حميمًا فقطع أمعاءهم** ﴾ ، ويقول : ﴿ **وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب**﴾ .

وهكذا رواه ابن جرير(١٨) : من حديث عبد الله بن المبارك ، به . ورواه هو وابن أبي حاتم : من حديث بقية بن الوليد ، عن صفوان بن عمرو ، به .

وقوله : ﴿ **يتجرعه** ﴾ أي : يتغصصه ويتكرهه ، أي : يشربه قهرًا وقسرًا[٥] ، لا يضعه في فيه[٦] حتىٰ يضربه الملك بمطراق من حديد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولهم مقامع من حديد** ﴾ .

---

(١٥) - **إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب** ، أخرجه أحمد (٦/٤٦٠) ، والطبراني (٢٤/ رقم ٤٢٨) وانظر ما بعده .

(١٦) - **صحيح** ، أخرجه ابن ماجة (٣٣٧٧) ، وصححه ابن حبان (١٢/٥٣٥٧) من حديث عبد الله بن عمرو ، وأخرجه أحمد (٥/١٧١) ، والبزار (٣/٢٩٢٦) ، والطبراني كما في « المجمع » (٥/٧٢) من حديث أبي ذر ، وفي إسناده ضعف وجهالة ، وحديث عبد الله بن عمرو عند أحمد (٢/١٨٩) ، وصححه الحاكم (٤/١٤٥ - ١٤٦) ووافقه الذهبي لكن لفظه « **صديد أهل النار** » .

(١٧) - **إسناده ضعيف لجهالة عبيد الله بن بسر** ، والحديث في « المسند » (٥/٢٦٥) ، وأخرجه أيضًا الترمذي (٢٥٨٦) ، والنسائي في « الكبرى » (٦/١١٢٦٣) وغيرهم وقال الترمذي : « هذا حديث غريب وهكذا قال محمد بن إسماعيل - البخاري - عن عبيد الله بن بسر ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث » . وانظر ما بعده .

(١٨) - **كسابقه** ، تفسير ابن جرير (١٣/١٩٥ ، ١٩٦) والحديث في « الزهد » لابن المبارك (٣١٤/ زوائد نعيم بن حماد) وأخرجه أيضًا الطبراني في « الكبير » (٨/٧٤٦٠) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/٣٥١ ، ٣٦٨ - ٣٦٩) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي !! وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » =

---

[١] - في ز ، خ : « زيد » .

[٢] - في (ز ، خ) : « بشر » .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في خ : فيكرهه .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ت : « فمه » .

﴿ **ولا يكاد يسيغه** ﴾ أي : يردده[١] لسوء لونه وطعمه وريحه ، وحرارته[٢] أو برده الذي لا يستطاع .

﴿ **ويأتيه الموت من كل مكان** ﴾ أي : يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه .

قال ميمون بن مهران : من كل عظم وعصب وعرق ، وقال عكرمة : حتى من أطراف شعره .

وقال إبراهيم التيمي : من موضع كل شعرة ، أي : من جسده ، حتىٰ من أطراف شعره .

وقال ابن جرير : ﴿ **ويأتيه الموت من كل مكان** ﴾ أي : من أمامه [وخلفه . وفي رواية : و][٣] عن يمينه وشماله ، ومن فوقهم[٤] ومن تحت أرجلهم[٥] ، ومن سائر أعضاء جسده .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ **ويأتيه الموت من كل مكان** ﴾ قال : أنواع العذاب الذي يعذبه اللَّه بها يوم القيامة في نار جهنم ، وليس منها نوع إلا [يأتيه الموت][٦] منه لو كان يموت ، ولكن لا يموت ؛ لأن اللَّه تعالىٰ قال : ﴿ **لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ﴾ .

ومعنىٰ كلام ابن عباس ، رضي اللَّه عنهما[٧] : أنه ما من نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا ورد عليه اقتضىٰ أن يموت منه لو كان يموت ، ولكنه لا يموت ليخلد في دوام العذاب والنكال ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميِّت** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن ورائه عذاب غليظ** ﴾ أي : وله من بعد هذا الحال عذاب آخر غليظ ، أي : مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبله وأدهىٰ[٨] وأمر ، وهذا كما قال تعالىٰ عن شجرة الزقوم : ﴿ **إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رءوس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون * ثم إن لهم لشوبًا من حميم * ثم إن مرجعهم**

= (١٨٢/٨) والبيهقي في « البعث والنشور » (٦٠٢) والبغوي في « شرح السنة » (٤٤٠٥) كلهم من طريق صفوان بن عمرو ، به ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٣٨/٤) إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

---

[١] - في ت : « يزدريه » .
[٢] - في خ : « لحرارته » .
[٣] - في ز ، خ : « ورائه » .
[٤] - في ت : « فوقه » .
[٥] - في ت : « أرجله » .
[٦] - في خ : « الموت يأتيه » .
[٧] - في خ : « عنه » .
[٨] - في ز : « وأوهى » .

لإلىٰ الجحيم ﴾ فأخبر أنهم تارة يكونون في أكل زقوم ، وتارة في شرب حميم ، وتارة يردون إلىٰ جحيم[١] ، عياذًا باللّٰه من ذلك ، وهكذا قال تعالىٰ : **﴿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾** وقال تعالىٰ : **﴿ إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلي في البطون * كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه إلىٰ سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون ﴾** ، وقال : **﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ هذا وإن للطاغين لشر مآب * جهنم يصلونها فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج ﴾** إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ تنوع العذاب عليهم ، وتكراره وأنواعه وأشكاله مما لا يحصيه إلا اللّٰه عز وجل جزاءً وفاقًا **﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾** .

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

هذا مثل ضربه اللّٰه تعالىٰ لأعمال الكفار : الذين عبدوا [مع الله][٢] غيره ، وكذبوا رسله ، وبنوا أعمالهم علىٰ غير أساس صحيح ، فانهارت وعدموها أحوج ما كانوا إليها ، فقال تعالىٰ : **﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم ﴾** أي : مثل [أعمال الذين كفروا][٣] يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من اللّٰه تعالىٰ ، لأنهم كانوا يحسبون أنهم [ ][٤] علىٰ شيء ، فلم يجدوا شيئًا ، ولا ألفوا حاصلًا إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة **﴿ في يوم عاصف ﴾** أي : ذي ريح شديدة[٥] عاصفة قوية ، [فلا يقدرون][٦] علىٰ [شيء من أعمالهم التي كسبوا في الدنيا ، إلا كما يقدرون علىٰ][٧] جمع هذا الرماد في هذا اليوم ، [كما قال تعالىٰ][٨] : **﴿ وقدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا ﴾** ، وقال[٩] تعالىٰ : **﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم اللّٰه ولكن أنفسهم يظلمون ﴾** وقوله تعالىٰ : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن باللّٰه واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه**

---

[١] - في خ : « الجحيم » .
[٢] - في ت : « معه » .
[٣] - في ما بين المعكوفين في ت : « أعمالهم » .
[٤] - ما بين المعكوفين في ت : كانوا .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ت : « فلم يقدروا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٨] - في ت : « كقوله تعالى » .
[٩] - في ت : « وقوله » .

صلدًا لا يقدرون علىٰ شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ .

وقوله[١] في هذه الآية : ﴿ **ذلك هو الضلال البعيد** ﴾ أي : سعيهم وعملهم علىٰ غير أساس ولا استقامة ، حتىٰ فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه ﴿ **ذلك هو الضلال البعيد** ﴾ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قدرته علىٰ معاد الأبدان يوم القيامة بأنه خلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس ، أفليس الذي قدر علىٰ خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها ، وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات ، والحركات المختلفات ، والآيات الباهرات ، وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد ، وبراري وصحاري ، وقفار وبحار ، وأشجار ونبات وحيوان ، علىٰ اختلاف أصنافها ومنافعها وأشكالها وألونها ﴿ **أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يَعْيَ بخلقهن بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون * أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علىٰ أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك علىٰ الله بعزيز** ﴾ أي : بعظيم ولا ممتنع ، بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره ، [أن يذهبكم ويأت بآخرين علىٰ غير صفتكم ؛ كما قال : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلىٰ الله والله هو الغني الحميد**][٢] * **إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك علىٰ الله بعزيز** ﴾ ، وقال : ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لايكونوا أمثالكم** ﴾ ، وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن يشأ يذهبكم [أيها الناس][٣] ويأت بآخرين ، وكان الله علىٰ ذلك قديرًا** ﴾ .

---

[١] - في خ : « وقال » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

يقول تعالىٰ[١] : ﴿ وبرزوا ﴾ أي : برزت الخلائق كلها ؛ برها وفاجرها للّٰه الواحد القهار ، أي : اجتمعوا له في براز من الأرض ، وهو المكان الذي ليس[٢] فيه شيء يستر أحدًا .

﴿ **فقال الضعفاء** ﴾ وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم ﴿ **للذين استكبروا** ﴾ عن عبادة اللّٰه وحده لا شريك له ، وعن موافقة الرسل فقالوا[٣] لهم : ﴿ **إنا كنا لكم تبعًا** ﴾ أي : مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا ﴿ **فهل أنتم مغنون عنا من عذاب اللّٰه من شيء** ﴾ أي : فهل تدفعون عنا شيئًا من عذاب اللّٰه كما كنتم تعدوننا وتمنوننا ؟ فقالت القادة لهم : ﴿ **لو هدانا اللّٰه لهديناكم** ﴾ ولكن حق علينا قول ربنا ، وسبق فينا وفيكم قدر اللّٰه ، وحقت كلمة العذاب علىٰ الكافرين .

﴿ **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** ﴾ أي : ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إن أهل النار قال بعضهم لبعض : تعالوا فإنما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم إلىٰ اللّٰه عز وجل ، تعالوا نبك ونتضرع إلىٰ اللّٰه ، فبكوا وتضرعوا ، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا : [تعالوا فإنما][٤] أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر ، تعالوا حتىٰ نصبر ، فصبروا صبرًا لم ير مثله ، فلم ينفعهم ذلك فعند ذلك قالوا : ﴿ **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** ﴾ .

قلت : والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن اللّٰه قد حكم بين العباد** ﴾ ، وقال

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « يستر » .
[٣] - في ت: « قالوا » .
[٤] - في ت : « إنما » .

تعالىٰ : ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتىٰ إذا اداركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون * وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ [يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يٰليتنا أطعنا اللّٰه وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا][١] وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا[٢] ﴾ .

وأما تخاصمهم في المحشر فقال تعالىٰ : ﴿ ولو ترىٰ إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلىٰ بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدىٰ بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر باللّٰه ونجعل له أندادًا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون[٣] إلا ما كانوا يعملون ﴾ .

وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾

يخبر تعالىٰ عما خاطب به إبليس أتباعه بعد ما قضىٰ اللّٰه بين عباده ، فأدخل المؤمنين الجنات ، وأسكن الكافرين الدركات ، فقام فيهم إبليس ، لعنه اللّٰه ، يومئذ خطيبًا ؛ ليزيدهم حزنا إلىٰ حزنهم ، وغبنا إلىٰ غبنهم ، وحسرة إلىٰ حسرتهم ، فقال : ﴿ إن اللّٰه وعدكم وعد الحق ﴾ أي : علىٰ ألسنة رسله ، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة ، وكان وعدًا

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ز ، خ : « كثيرًا » .
[٣] - في خ : « تجزون » .

حقًّا وخبرًا صدقًا ، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم ؛ كما قال الله[١] تعالىٰ : ﴿ **يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وما كان لي عليكم من سلطان** ﴾ أي : ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه من دليل ولا حجة على صدق ما وعدتكم به ﴿ **إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي** ﴾ بمجرد ذلك ، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة علىٰ صدق ما جاءوكم به ، فخالفتموهم فصرتم إلىٰ ما أنتم فيه ﴿ **فلا تلوموني** ﴾ اليوم ﴿ **ولوموا أنفسكم** ﴾ فإن الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج ، واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلىٰ الباطل ﴿ **ما أنا بمصرخكم** ﴾ أي : بنافعكم فمنقذكم[٢] ومخلصكم مما أنتم فيه ﴿ **وما أنتم بمصرخي** ﴾ أي : بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال ﴿ **إني كفرت بما أشركتمون من قبل** ﴾ .

قال قتادة : أي : بسبب ما أشركتمون من قبل .

وقال ابن جرير : يقول : إني جحدت أن[٣] أكون شريكًا للَّه عز وجل .

وهذا الذي قاله هو الراجح ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون اللَّه من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ ، وقال : ﴿ **كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن الظالمين** ﴾ أي : في إعراضهم عن الحق ، واتباعهم الباطل ﴿ **لهم عذاب أليم** ﴾ .

والظاهر من سياق الآية : أن هذه الخطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار كما قدمنا ، ولكن قد ورد في حديث رواه ابن أبي حاتم - وهذا لفظه - وابن جرير(١٩) : من رواية عبد الرحمن بن زياد ، حدثني دخين[٤] الحجري ، عن عقبة بن عامر ، عن رسول اللَّه ،

---

(١٩) - **إسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زياد** ، أخرجه ابن جرير (٢٠١/١٣) ، والبخاري في « خلق أفعال العباد » (٦٠٦) ، والدارمي (٢٨٠٧) ، وابن المبارك في « الزهد » (٣٧٤ - زوائد نعيم بن حماد) ، والطبراني في « الكبير » (٨٨٧/١٧) ، وضعف إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (١٤٠/٤) ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه وابن عساكر ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٣٧٩/١٠) : « رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم وهو ضعيف » .

---

[١] - زيادة من : خ .
[٢] - في خ : « ومنقذكم » .
[٣] - سقط من : « ت » .
[٤] - في خ : « دحين » .

صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « **إذا جمع الله الأولين والآخرين ، فقضى بينهم ففرغ من القضاء ، قال المؤمنون : قد قضى بيننا ربنا فمن يشفع لنا ؟ فيقولون : انطلقوا بنا إلى آدم** – وذكر نوحًا ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى – **فيقول عيسى : أدلكم على النبي الأمي ، فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم إليه ، فيثور من مجلسي من أطيب ريح شمها أحد قط ، حتى آتي ربي فيشفعني ، ويجعل لي نورًا من شعر رأسي إلى ظفر قدمي ، ثم يقول الكافرون : هذا قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ؟ ما هو إلا إبليس هو الذي أضلنا ؛ فيأتون إبليس فيقولون : قد وجد المؤمنون من يشفع لهم ، فقم أنت فاشفع لنا ؛ فإنك أنت أضللتنا ، فيقوم فيثور من مجلسه من أنتن ريح شمها أحد قط ، ثم [يعظم نحيبهم] ويقول الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم** » .

وهذا سياق ابن أبي حاتم . ورواه ابن المبارك ، عن رشدين[١] بن سعد ، عن عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم ، عن دخين[٢] ، عن عقبة به مرفوعًا .

وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله : لما قال أهل النار : ﴿ **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** ﴾ قال لهم إبليس : ﴿ **إن الله وعدكم وعد الحق** ﴾ الآية ، فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا : ﴿ **لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون** ﴾ .

وقال عامر الشعبي : يقوم خطيبان[٣] يوم القيامة على رءوس الناس ، يقول الله تعالى لعيسى ابن مريم : ﴿ **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله** ﴾ ؟ – إلى قوله – ﴿ **قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم** ﴾ قال : ويقوم إبليس ، لعنه الله ، فيقول : ﴿ **ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي** ﴾ الآية .

ثم لما ذكر تعالى مآل الأشقياء وما صاروا إليه من الخزي والنكال ، وأن خطيبهم إبليس ، عطف بحال[٤] السعداء [وأنهم يدخلون يوم القيامة][٥] جنات تجري من تحتها الأنهار سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا ﴿ **خالدين فيها** ﴾ ماكثين أبدًا لا يحولون ولا يزولون

---

[١] – في ز : « رشد » .

[٢] – في خ : « دحين » .

[٣] – في ز : « خطبتان » .

[٤] – في ت : « بمآل » .

[٥] – في ت : « وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

﴿ بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ حتىٰ إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ ويلقون فيها تحية وسلاما ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد للّٰه رب العالمين ﴾ .

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ مثلًا كلمة طيبة ﴾ شهادة أن لا إله إلا اللّٰه ﴿ كشجرة طيبة ﴾ وهو المؤمن ﴿ أصلها ثابت ﴾ يقول : لا إله إلا اللّٰه في قلب المؤمن ﴿ وفروعها في السماء ﴾ يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلىٰ السماء .

وهكذا[١] قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغير واحد : إن ذلك عبارة عن المؤمن وقوله الطيب وعمله الصالح ، وإن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت ، وصباح ومساء .

وهكذا رواه السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود قال : هي النخلة .

وشعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس : هي النخلة .

وحماد بن سلمة ، عن شعيب بن الحَبْحاب ، عن أنس : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أتي بقناع[٢] بُسْر فقرأ ﴿ مثلًا[٣] كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾ قال : « هي النخلة »(٢٠) .

---

(٢٠) - **رجاله ثقات** ، أخرجه النسائي في « التفسير » (١١٢٦٢/٦) بهذا اللفظ ، وبنحوه أخرجه الترمذي كتاب «التفسير» باب : ومن سورة إبراهيم عليه السلام (٣١١٨) ، وأبو يعلى (٤١٦٥/٧) - وعنه ابن حبان (٤٧٥/٢) - ، وابن جرير (٢٠٥/١٣) ، وابن أبي حاتم - ويأتي برقم (٢٤)- ، وصححه الحاكم على شرط مسلم (٣٥٢/٢) ووافقه الذهبي ، وقد أعل بالوقف فانظر ما بعده .

---

[١] - في خ : « هكذا » .

[٢] - القناع : الطبق يعمل من عُسُبِ النخل . [٣] - في ز ، خ : « ومثل » .

وروي من هذا الوجه ومن غيره عن أنس موقوفًا(٢١) ؛ وكذا نص عليه مسروق ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وغيرهم .

وقال البخاري(٢٢) : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة ، عن عبيد الله ، عن نافع عن ابن عمر ؛ قال : كنا عند رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **أخبروني بشجرة تشبه - أو - كالرجل المسلم ، لا يتحاتُّ ورقها [لا صيفًا ولا شتاء ، و][١] تؤتي أكلها كل [حين بإذن ربها][٢]** » . قال ابن عمر : فوقع في نفسي أنها النخلة ، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان ، فكرهت أن أتكلم ، فلما لم يقولوا شيئًا قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **هي النخلة** » . فلما قمنا قلت لعمر[٣] : يا أبتاه ، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة . قال : ما منعك أن تكلم[٤] ؟ [قلت : لم][٥] أركم تتكلمون[٦] ، فكرهت أن أتكلم ، أو أقول شيئًا ، قال عمر : لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا .

وقال أحمد(٢٣) : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : صحبت ابن عمر إلىٰ المدينة ، فلم أسمعه يحدث عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلا حديثًا واحدًا ، قال : كنا عند رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فأتي بجُمَّار فقال : « **إن من الشجر شجرة مَثَلُها كمثل الرجل المسلم** » . فأردتُ أن أقول : هي النخلة ، فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فسكت[٧] ، فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **هي النخلة** » أخرجاه .

---

(٢١) - كلام ابن كثير يوحي بأن حماد بن سلمة رواه موقوفًا ، ولم أقف على ذلك - والله أعلم - لكن أوقفه غير واحد عن شعيب أخرج ذلك الترمذي (عقب حديث ٣١١٨) ، وابن جرير (١٣/٢٠٥ ، ٢١١) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٤٣) إلى عبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والرامهرمزي في « الأمثال » ، وقال الترمذي : « وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة ، وروى غير واحد مثل هذا موقوفًا ، ولا نعلم أحدًا رفعه غير حماد بن سلمة ، ورواه معمر وحماد بن زيد وغير واحد ولم يرفعوه » .

(٢٢) - صحيح البخاري كتاب : « التفسير » ، سورة إبراهيم (٤٦٩٨) ، والحديث عند مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : مثل المؤمن مثل النخلة (٦٣ ، ٦٤) (٢٨١١) .

(٢٣) - **صحيح** ، « المسند » (٢/١٢) ، وأخرجه البخاري كتاب : العلم ، باب : الفَهْمِ في العلم (٧٢) ، ومسلم (٢٨١١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « تتكلم » .
[٥] - في خ : « قال : ألم » .
[٦] - في ت : « تكلمون » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقال مالك وعبد العزيز(٢٤) : عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يومًا لأصحابه : « **إن من الشجر شجرة لا يطرح ورقها مثل المؤمن** » . قال : فوقع الناس في شجر البوادي ، ووقع في قلبي أنها النخلة ، [فاستحييت حتى قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **هي النخلة** »][١] أخرجاه أيضًا .

وقال ابن أبي حاتم(٢٥) : حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبان - يعني ابن يزيد[٢] العطار - حدثنا قتادة : أن رجلًا قال : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور[٣] بالأجور . فقال : « **أرأيت لو عمد إلى متاع الدنيا ، فركب بعضها على بعض أكان[٤] يبلغ السماء ؟ أفلا أخبرك بعمل أصله في الأرض وفرعه في السماء ؟** » قال : ما هو يا رسول الله ؟ قال : « **تقول لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، عشر مرات في دبر كل صلاة ، فذاك أصله في الأرض وفرعه في السماء** » .

وعن ابن عباس ﴿ **كشجرة طيبة** ﴾ قال : هي شجرة في الجنة وقوله : ﴿ **تؤتي أكلها كل حين** ﴾ قيل[٥] : غدوة وعشيًا[٦] ، وقيل : كل شهر ، وقيل : [كل سنة شهرين][٧] ، وقيل : كل ستة أشهر ، وقيل : كل سبعة أشهر ، وقيل : كل سنة .

والظاهر من السياق : أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت ؛ من صيف أو شتاء ، أو ليل أو نهار ، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار ، في كل وقت وحين .

﴿ **بإذن ربها** ﴾ أي : كاملًا حسنًا كثيرًا طيبًا ﴿ **ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم**

---

(٢٤) - **صحيح** ، طريق مالك عند أحمد (٢/٦١) ، والبخاري كتاب : العلم ، باب : الحياء في العلم (١٣١) ، والترمذي كتاب : الأمثال ، باب : ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ (٢٨٧١) .
وطريق عبد العزيز عند أحمد (٢/١٢٣) ، ولم يخرج مسلم أيًا من الطريقين ، فعزو ابن كثير الحديث له سهو . والله تعالى أعلم .

(٢٥) - رجاله ثقات رجال الشيخين غير أنه مرسل ، ولبعض ألفاظه شاهد عند البخاري (٨٤٣) ومسلم (١٤٢) (٥٩٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « زيد » .
[٣] - الدثور : جمع دثْر ، وهو المال الكثير .
[٤] - في ز : « لكان » ، خ : « فكان » .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - في خ : « وعشية » .
[٧] - في ت : « كل شهرين » .

يتذكرون ﴾ .

وقوله تعالى[١] : ﴿ **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة** ﴾ هذا مثل كفر الكافر[٢] ، لا أصل له ولا ثبات وشبه بشجرة الحنظل ، ويقال لها : الشريان[٣] ، [رواه شعبة ، عن معاوية ابن قرة ، عن أنس بن مالك « **أنها شجرة الحنظل**][٤] » .

وقال أبو بكر البزار الحافظ(٢٦) : حدثنا يحيىٰ بن محمد بن[٥] السكن ، حدثنا أبو زيد سعيد بن الربيع ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس - أحسبه رفعه - قال : ﴿ **مثلًا كلمة طيبة كشجرة طيبة** ﴾ قال : « **هي النخلة** » ﴿ **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة** ﴾ قال : « **هي الشَّرْيان**[٦] » .

ثم رواه عن محمد بن المثنى ، عن غندر عن شعبة ، عن معاوية عن أنس موقوفًا .

وقال ابن أبي حاتم(٢٧) : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد - هو ابن سلمة - عن شعيب بن الحبحاب ، عن أنس بن مالك أن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « ﴿ **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة** ﴾ **هي : الحنظلة** » . فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : هكذا كنا نسمع .

ورواه ابن جرير(٢٨) : من حديث حماد بن سلمة ، به . ورواه أبو يعلىٰ في مسنده بأبسط من هذا فقال(٢٩) :

حدَّثنا غسان ، عن حماد ، عن شعيب ، عن أنس : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أُتي بقناع عليه بُسْر فقال : ﴿ **ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها** ﴾ فقال : « **هي النخلة** » ﴿ **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار** ﴾ قال : « **هي الحنظل**[٧] » قال

---

(٢٦) - رجاله ثقات مترجم لهم في « التهذيب » لكن الحديث أعل بالوقف ، فانظر ما تقدم برقم (١٧ ، ١٨) .

(٢٧) - **رجاله ثقات** ، انظر ما تقدم برقم (١٧ ، ١٨) .

(٢٨) - **كسابقه** ، تفسير ابن جرير (١٣/٢٠٥) ، وانظر السابق .

(٢٩) - **كسابقه** ، مسند أبي يعلى (٧/٤١٦٥) ، وانظر السابق .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « المكلف » .

[٣] - في خ : « الشربان » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ز : « الشربان » .

[٧] - في ت : « الحنظلة » .

شعيب : فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : كذلك كنا نسمع .

وقوله : ﴿ **اجتثت** ﴾ أي : استؤصلت ﴿ **من فوق الأرض ما لها من قرار** ﴾ أي : لا أصل لها ولا ثبات ، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع ، ولا يصعد للكافر عمل ، ولا يتقبل منه شيء .

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ (٢٧) ﴾

قال البخاري(٣٠) : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، أخبرني علقمة بن مرثد ، قال : سمعت سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب رضي اللّٰه عنه ، أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا رسول اللّٰه ، فذلك قوله : ﴿ يثبت اللّٰه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾** » .

ورواه مسلم أيضًا وبقية الجماعة كلهم : من حديث شعبة ، به(٣١) .

وقال الإمام أحمد(٣٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ؛ قال : خرجنا مع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلىٰ القبر ولمَّا يُلْحَد ، فجلس رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وجلسنا حوله وكأنّ علىٰ رءوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت[١] به في الأرض ، فرفع رأسه فقال : « **استعيذوا باللّٰه من عذاب القبر !** » . مرتين أو ثلاثًا ، ثم قال : « **إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء**

---

(٣٠) – صحيح البخاري كتاب : « التفسير » ، باب : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ (٤٦٩٩) .

(٣١) – أخرجه مسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه (٧٣) (٢٨٧١) . وأبو داود ، كتاب : السنة ، باب : في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤٧٥٠) . والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة إبراهيم عليه السلام (٣١١٩). والنسائي ، كتاب : الجنائز ، باب : عذاب القبر (٤/١٠١ – ١٠٢) . وابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : ذكر القبر والبلى (٤٢٦٩) .

(٣٢) – تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ٤٠] .

---

[١] – في خ : « ينكث » .

بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتىٰ يجلسوا منه مدّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت ، عليه السلام ، حتىٰ يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلىٰ مغفرة من[١] اللّه ورضوان قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت علىٰ وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني علىٰ ملإ[٢] من الملائكة إلا قالوا : ما هذا[٣] الروح الطيب[٤] ؟ فيقولون : فلان بن فلان ، بأحسن أسمائه التي كانوا[٥] يسمونه بها في الدنيا ، حتىٰ ينتهوا به إلىٰ السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح له ، فيشيعه[٦] من كل سماء مقربوها إلىٰ السماء التي تليها ، حتىٰ يُنتهىٰ بها إلىٰ السماء السابعة ، فيقول اللّه : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلىٰ الأرض ، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ .

قال : فتعاد روحه [في جسده][٧] ، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي اللّه . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول اللّه فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب اللّه فآمنت به وصدقت . فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة . قال : فيأتيه من روحها[٨] وطيبها ، ويفسح له في قبره مد بصره ، قال ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول[٩] : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء[١٠] بالخير . فيقول : أنا عملك الصالح . فيقول : [رب ؛ أقم الساعة ، رب ؛ أقم الساعة ، حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي ومالي][١١] .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه [من السماء ملائكة] سود الوجوه ، معهم المسوح ، فيجلسون منه مدّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت [حتى يجلس][١٢] عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلىٰ

[١] – سقط من : خ .
[٢] – في ز ، خ : « ملك » .
[٣] – في خ : « هذه » .
[٤] – سقط من : ز ، خ .
[٥] – سقط من : ز .
[٦] – سقط من : خ .
[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] – في خ : « ريحها » .
[٩] – في خ : « ويقول » .
[١٠] – في ت : « الذي يأتي » .
[١١] – ما بين المعكوفتين غير مكررة في المسند .
[١٢] – في خ : « فيجلس » .

سخط من اللّٰه وغضب . قال : فتفرق[١] في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السّفّود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتىٰ يجعلوها في تلك المسوح ، وتخرج[٢] منها كأنتن ريح جيفة وجدت علىٰ وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها علىٰ ملإ من الملائكة إلا قالوا : [ما هذا الروح الخبيث][٣] ؟ فيقولون : فلان بن فلان ، بأقبح أسمائه التي [كانوا يسمونه][٤] بها في الدنيا ، [حتىٰ ينتهىٰ بها إلىٰ السماء الدنيا][٥] ، فيستفتح له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **لا[٦] تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط** ﴾ **فيقول اللّٰه : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلىٰ ، فتطرح روحه طرحًا .** ثم قرأ : ﴿ **ومن يشرك باللّٰه فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق** ﴾ .

فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له : من ربك ؟ فيقول هاه هاه ، لا أدري . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري . فينادي مناد من السماء : أن كذب عبدي[٧] فافرشوه من النار ، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتىٰ تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنت توعد . فيقول : ومن أنت فوجهك الوجه[٨] يجيء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث . فيقول : رب ؛ لا تقم الساعة » .

ورواه أبو داود : من حديث الأعمش ، والنسائي وابن ماجه : من حديث المنهال بن عمرو ، به .

وقال[٩] الإِمام أحمد(٣٣) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن يونس بن خباب[١٠] ،

(٣٣) - **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح** ، « المسند » (٤/٢٩٥ - ٢٩٦) ، ويونس بن خباب ، قال البخاري : « منكر الحديث » ، وقال ابن معين : لا شيء ، وقال أبو حاتم : مضطرب الحديث ، ليس بالقوي ، وقال النسائي : ليس بثقة ، لكن تابعه الأعمش كما في الحديث السابق . وقد تقدم تخريج =

[١] - في ز : « فيفرق » .
[٢] - في خ : « ويخرج » .
[٣] - في ت : « ما هذه الروح الخبيثة » .
[٤] - في ت : « كان يُسمىٰ » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « فلا » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - مكانها بياض في : « ز » ، في خ : « قال » .
[١٠] - في ز ، خ : « حبيب » .

عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب، رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ جنازة ... فذكر نحوه، وفيه: « **حتى إذا خرج[١] روحه صلىٰ عليه[٢] كل ملك بين السماء والأرض**، [**وكل ملك في السماء**][٣]، **وفتحت أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم** [**يدعون إلى الله**][٤] **عز وجل أن يعرج بروحه من قِبَلِهم** ».

وفي آخره: « **ثم يقيض له أعمىٰ أصم أبكم، وفي يده مرزبة لو ضُرب بها جبل[٥] كان[٦] ترابًا، فيضربه ضربة فيصير ترابًا، ثم يعيده الله عز وجل كما كان، فيضربه ضربة أخرىٰ، فيصيح صيحة يسمعها[٧] كل شيء إلا الثقلين** ». قال البراء: ثم يفتح له باب إلىٰ النار، ويمهد له[٨] [من فرش][٩] النار.

وقال سفيان الثوري(٣٤): عن أبيه، عن خيثمة، عن البراء في قوله تعالىٰ: ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ قال: عذاب القبر.

وقال المسعودي(٣٥)، عن عبد الله بن مخارق، عن أبيه، عن عبد الله قال: إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره، فيقال له: من[١٠] ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيثبته الله، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، صلىٰ الله عليه وسلم. وقرأ عبد الله: ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾.

وقال الإمام عبد بن حميد رحمه الله في مسنده(٣٦): حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن[١١] قتادة، حدثنا أنس بن مالك؛ قال: قال رسول الله،

=طريق يونس والأعمش وطرق أخرى في [سورة الأعراف / ٤٠].

(٣٤) - أخرجه مسلم (٧٤) (٢٨٧١)، والنسائي (١٠١/٤ - ١٠٢).

(٣٥) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٤٤/١٣)، والطبراني في « الكبير » (٩١٤٥/٩)، والبيهقي في « عذاب القبر » (٩)، والمسعودي ثقة، لكنه اختلط، ويشهد له السابق.

(٣٦) - **صحيح**، « المنتخب » لعبد بن حميد (١١٨٠)، وانظر ما بعده.

---

[١] - في ت: « خرجت ».

[٢] - في خ: « الله ».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٤] - في ت: « يدعون الله ».

[٥] - في ز: « جبلا ».

[٦] - في ت: « لكان ».

[٧] - في خ: « فيسمعه ».

[٨] - سقط من: ز.

[٩] - في خ: « فراش ».

[١٠] - في خ: « ما ».

[١١] - في ز: « بن ».

صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولىٰ عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم**[١] ، **قال : فيأتيه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله . قال : فيقال له : انظر إلىٰ مقعدك من النار ، قد أبدلك اللَّه به مقعدًا من الجنة** » . قال [نبي الله][٢] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **فيراهما**[٣] **جميعًا** » . قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعًا ، ويملأ عليه خضرًا إلىٰ يوم القيامة .

رواه مسلم عن عبد بن حميد ، به . وأخرجه النسائي : من حديث يونس بن محمد المؤدب ، به(٣٧) .

وقال الإمام أحمد(٣٨) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير : أنه سأل جابر بن عبد اللَّه عن فتاني القبر ؟ فقال : سمعت [رسول اللَّه][٤] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فإذا أدخل المؤمن قبره ، وتولىٰ عنه أصحابه ، جاءه ملك شديد الانتهار ، فيقول له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ [فيقول المؤمن : أقول]**[٥] : **إنه رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وعبده . فيقول له الملك : انظر إلىٰ مقعدك الذي كان لك في النار ، قد أنجاك اللَّه منه ، وأبدلك بمقعدك الذي ترىٰ من النار مقعدك الذي ترىٰ من**[٦] **الجنة . فيراهما كليهما ، فيقول المؤمن : دعوني أبشر أهلي . فيقال له : اسكن . وأما المنافق فيقعد إذا تولىٰ عنه أهله ، فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، أقول كما**[٧] **يقول الناس . فيقال**

(٣٧) - أخرجه مسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ... (٧٠) (٢٨٧٠) ، والنسائي ، كتاب : الجنائز ، باب : المسألة في القبر (٤/٩٧) .
وأخرجه البخاري : كتاب الجنائز ، باب : الميت يسمع خفق النّعال (١٣٣٨) ، ومسلم (٧١) (٢٨٧٠) ، وأبو داود ، كتاب : الجنائز ، باب : المشي في النعل بين القبور (٣٢٣١) ، والنسائي (٤/٩٦ - ٩٧) . من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به نحوه .

(٣٨) - هكذا أورد الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - هذا الحديث بهذا الإسناد ، لكن ورد هذا الحديث في « المسند » (٣/٣٤٦) وأطرافه لابن حجر (٢/١٨٠٥) وفي كتاب السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد ، ومن طريق أبيه - ورد الإسناد هكذا : حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله ... فذكره ، وهذا إسناد ضعيف من أجل ابن لهيعة ، ثم وقفت على هذا الحديث من طريق =

[١] - في خ : « أنعالهم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « النبي » .
[٣] - في ز ، خ : « فرآهما » .
[٤] - في خ : « النبي » .
[٥] - في ت : « فأما المؤمن فيقول » .
[٦] - في خ : « في » .
[٧] - في المسند ما .

له : لا دريت ، هذا مقعدك الذي كان لك من الجنة ، قد أبدلت مكانه مقعدك من النار » .

قال جابر : فسمعت النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : « **يبعث كل عبد في القبر علىٰ ما مات ، المؤمن علىٰ إيمانه ، والمنافق علىٰ نفاقه** » .

إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه .

وقال الإمام أحمد(٣٩) حدثنا أبو عامر ، حدثنا عباد بن راشد ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : شهدنا مع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جنازة ، فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا أيها الناس ، إن هذه الأمة تبتلىٰ في قبورها ، فإذا الإنسان دفن ، وتفرق عنه أصحابه ، جاءه ملك في يده مطراق ، فأقعده قال**[١] **: ما تقول في هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمنًا قال : أشهد أن لا إله إلا اللّٰه ، وأشهد أن محمدًا [عبده ورسوله]**[٢] **. فيقول له : صدقت . ثم يفتح له بابًا إلىٰ النار ، فيقول : كان هذا منزلك لو كفرت بربك ، فأما إذ آمنت فهذا منزلك . فيفتح له بابًا إلىٰ الجنة ، فيريد أن ينهض إليه ، فيقول له : اسكن . ويفسح له في قبره . وإن كان كافرًا أو منافقًا فيقول له : ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئًا ، فيقول : لا دريت ولا تليت ولا اهتديت . ثم يفتح له بابًا إلىٰ الجنة ، فيقول له**[٣] **: هذا منزلك لو آمنت بربك ، فأما إذ كفرت به فإن اللّٰه عز وجل أبدلك به هذا . فيفتح له بابًا إلىٰ النار ، ثم يقمعه قمعة بالمطراق ، [فيصيح صيحة]**[٤] **يسمعها خلق اللّٰه عز وجل كلهم غير الثقلين** » فقال بعض القوم : يا رسول اللّٰه ، ما أحد يقوم عليه

= ابن لهيعة أيضًا عند الطبراني في « الأوسط » (٩/٩٠٧٦) وابن أبي زمنين في « أصول السنة » رقم (٨١) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٥١/٣) وقال : « رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام ، وبقية رجاله ثقات » . ولعل هذا يؤكد سهو الحافظ ابن كثير في هذا الإسناد ، والله تعالى أعلم وأخرج مسلم في صحيحه (٨٣) (٢٨٧٨) من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : « سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول : « **يبعث كل عبد على ما مات عليه** » وانظر ما تقدم [سورة الأعراف / آية ٣٠] .

(٣٩) – **إسناده حسن** ، « المسند » (١١٠١٣) (٣/٣ – ٤) ، وأخرجه أيضًا ابن أبي عاصم في « السنة » (٨٦٥) ، وابن جرير في تفسيره (٢١٤/١٣) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٣/٥٠ – ٥١) : « رواه أحمد والبزار ... ورجاله رجال الصحيح » .

وقوله : « **إن هذه الأمة تبتلى في قبورها** » في صحيح مسلم (٦٧) (٢٨٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت .

---

[١] – في ت : « فقال » .

[٢] – في خ : « رسول الله » .

[٣] – سقط من ت .

[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

ملك في يده مطراق إلا هَبِلَ[١] عند ذلك . فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ » .

وهذا أيضًا إسناد لا بأس به ، فإن عباد بن راشد التميمي روىٰ له البخاري مقرونًا ، ولكن ضعفه بعضهم .

وقال الإمام أحمد(٤٠) : حدثنا حسين بن محمد ، عن ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال[٢] : « **إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح ، قالوا[٣] : اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان . قال : فلا يزال يقال لها ذلك حتىٰ تخرج ، ثم يعرج بها إلىٰ السماء فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقولون : مرحبًا بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان . قال : فلا يزال يقال لها ذلك حتىٰ ينتهىٰ بها إلىٰ السماء التي فيها الله عز وجل . وإذا كان الرجل السوء قالوا : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها ذلك حتىٰ تخرج ، ثم يعرج بها إلىٰ السماء فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقال : لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذميمة فإنه [لا يفتح] لك أبواب السماء ، فيرسل من السماء ، ثم يصير إلىٰ القبر ، فيجلس الرجل الصالح** » فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول - ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الأول .

ورواه النسائي وابن ماجه : من طريق ابن أبي ذئب بنحوه .

وفي صحيح مسلم(٤١) : عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : إذا[٤] خرجت روح العبد المؤمن ، تلقاها ملكان يصعدان بها . قال حماد : فذكر من طيب ريحها وذكر المسك . قال : ويقول أهل السماء : روح طيبة جاءت[٥] من قبل الأرض ، صلىٰ الله عليك

---

(٤٠) - **إسناده صحيح** ، « المسند » (٣٦٤/٢) ، والحديث تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٦٢] .

(٤١) - صحيح مسلم كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار .. (٧٥) (٢٨٧٢) .

---

[١] - في ز ، « بدون إعجام » ، خ : « هدله » واستعار الهبل ههنا لفقد الميز والعقل ممّا يراه .

[٢] - زيادة من : ت . [٣] - في خ : « قال » .

[٤] - سقط من : ز . [٥] - في ز ، خ : « جاء » .

وعلىٰ جسد كنت تعمرينه ، فينطلق به إلىٰ ربه عز وجل ، فيقال[١] : انطلقوا به إلىٰ آخر الأجل . وإن الكافر إذا خرجت روحه . قال حماد : وذكر من نتنها وذكر لَعْنًا ، ويقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قبل الأرض ، قال[٢] : فيقال : انطلقوا به إلىٰ آخر الأجل . قال أبو هريرة : فردَّ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، رَيْطَةً[٣] كانت عليه علىٰ أنفه هكذا .

وقال ابن حبان في صحيحه(٤٢) : حدثنا عمر بن محمد الهمداني ، حدثنا زيد بن أخزم[٤] ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن قسامة[٥] بن زهير ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **إن المؤمن إذا قُبِضَ أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون : اخرجي إلىٰ روح اللّٰه ، فتخرج كأطيب ريح مسك ، حتىٰ إنهم لَيُنَاوِلُهُ بعضُهُم بعضًا يشمونه[٦] ، حتىٰ يأتون به باب السماء ، فيقولون : ما هذه[٧] الريح الطيبة التي جاءت من قبل الأرض ؟ ! ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك ، حتىٰ يأتون به أرواح المؤمنين ، فلهم أشد فرحًا به من أهل الغائب بغائبهم ، فيقولون : ما فعل فلان ، فيقولون : دعوه حتىٰ يستريح فإنه كان في غم ، فيقول : قد مات ، أما أتاكم ؟ فيقولون : ذُهِبَ به إلىٰ أمه الهاوية ، وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح ، فيقولون : اخرجي إلىٰ غضب اللّٰه ، فتخرج كأنتن ريح جيفة ، فيذهب به إلىٰ باب الأرض** » .

وقد روى أيضًا(٤٣) : من طريق همام بن يحيىٰ عن قتادة عن أبي الجوزاء ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بنحوه قال : « **فيسأل : ما فعل فلان ؟ ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟ قال : وأما الكافر فإذا قبضت نفسه وذهب بها إلىٰ باب الأرض ، تقول[٨] خزنة الأرض : ما وجدنا ريحًا أنتن من هذه ، فَتبلُغ بها إلى الأرض**

(٤٢) - **إسناده صحيح** ، صحيح ابن حبان كتاب : الجنائز ، باب : ذكر الأخبار بأن الأرواح يعرف بعضها بعضًا بعد موت أجسامها (٣٠١٤/٧) ، وأخرجه أيضًا النسائي ، كتاب : الجنائز ، باب : ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه (٤/ ٨ - ٩) ، وصححه الحاكم (٣٥٣/١) ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

(٤٣) - **كسابقه** ، ابن حبان في صحيحه ، كتاب : الجنائز ، باب : ذكر الإخبار عما يُعَمَلُ بروح المؤمن والكافر إذا قُبِضَا (٣٠١٣/٧) ، وصححه الحاكم (٣٥٣/١) ، ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، وانظر ما قبله .

---

[١] - في خ : « فيقول » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - الريطة : كل ثوب لينٍّ رقيق .
[٤] - في ز ، خ : « أخرم » .
[٥] - في ز : « قسام » .
[٦] - في خ : « يسمونه » .
[٧] - في ز : « هذا » .
[٨] - في خ : « يقول » .

السفلى » .

قال قتادة : وحدثني رجل ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد اللَّه بن عمرو ؛ قال : أرواح المؤمنين تجمع بالجابيتين[١] ، وأرواح الكفار تجمع بِبَرَهُوتَ سبخةٌ بحضرموت [ ][٢] .

وقال الحافظ أبو عيسىٰ الترمذي ، رحمه اللَّه(٤٤) : حدثنا يحيىٰ بن خلف ، حدثنا بشر ابن المفضل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا قبر الميت - أو قال : أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول : هو عبد اللَّه ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا . ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ، ثم ينوَّر له فيه ، ثم يقال له[٣] : نم . فيقول : أرجع إلىٰ أهلي فأخبرهم . فيقولان : نم كنومة العروس الذي[٤] لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتىٰ يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقًا قال : سمعت الناس يقولون فقلت مثله ، لا أدري . فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك . ويقال[٥] للأرض : التئمي عليه ، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها[٦] معذبًا حتىٰ يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك** » . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

وقال حماد بن سلمة(٤٥) : عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ قال : « **ذاك إذا قيل له في القبر : من ربك ؟ وما دينك ؟ [ومن نبيك][٧] ؟ فيقول : ربي اللَّه ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ، جاءنا بالبينات**

(٤٤) - **إسناده قوي** ، « الجامع » للترمذي ، كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في عذاب القبر (١٠٧١) ، وأخرجه أيضًا ابن أبي عاصم في « السنة » (٨٦٤/٢) ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب » وصححه ابن حبان (٣١١٧/٧) وجوَّد إسناده الألباني في « الصحيحة » (١٣٩١/٣) إذ إن عبد الرحمن بن إسحاق - وهو العامري - تكلم فيه بعضهم .

(٤٥) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١٥/١٣) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٥٠/٤) إلى ابن مردويه ، وبنحوه أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٤٦٢/٥) وفي إسناده ابن لهيعة .

[١] - في ت : « بالجابية » .

[٢] - في خ : « ثم يضيف عليه قبره » وضبب عليها في ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ت: « فيقال » .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

من عند اللَّه فآمنت به وصدقت . فيقال له : صدقت ، علىٰ هذا عشت ، وعليه مت ، وعليه تُبعث » .

وقال ابن جرير(٤٦) : حدثنا مجاهد بن موسىٰ والحسن بن محمد ، قالا : حدثنا يزيد ، أنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة [رضي اللَّه عنه ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **والذي نفسي بيده]**[١] **، إن الميت ليسمع خفق نعالهم**[٢] **حين يولون عنه مدبرين ، فإذا**[٣] **كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه ، والزكاة عن يمينه ، والصيام عن يساره ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلىٰ الناس عند رجليه ، فيؤتى من عند**[٤] **رأسه فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل ، فيؤتى [من]**[٥] **عن يمينه فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، فيؤتىٰ عن يساره فيقول الصيام : ما قبلي مدخل ، فيؤتي من**[٦] **عند رجليه فيقول**[٧] **فعل الخيرات : ما قبلي مدخل ، فيقال : اجلس ، فيجلس قد مثلت**[٨] **له الشمس قد دنت للغروب ، فيقال له : أخبرنا عما نسألك ، فيقول : [دعني ، دعني]**[٩] **حتى أصلي ، فيقال له : إنك ستفعل ، فأخبرنا عما نسألك ، فيقول : عم**[١٠] **تسألوني ؟ فيقال : أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : أمحمد ؟ فيقال له : نعم ، فيقول : أشهد أنه رسول اللَّه ، وأنه جاءنا بالبينات من عند اللَّه فصدقناه ، فيقال له : علىٰ ذلك حييت ، وعلىٰ ذلك مت ، [وعلى ذلك]**[١١] **تبعث إن شاء اللَّه ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا وينوّر له فيه ، ويفتح له باب إلىٰ الجنة ، فيقال له : انظر إلىٰ ما أعد اللَّه لك فيها ، فيزداد غبطة وسرورًا**[١٢] **، ثم تجعل نسمته في النسم الطيب : [وهي طير**

---

(٤٦) - **إسناده حسن** ، ابن جرير في تفسيره (١٣/٢١٥ - ٢١٦) ، وأخرجه أيضًا عبد الرزاق في « المصنف » (٣/٦٧٠٣) ، وابن أبي شيبة (٣/٢٥٨ - ٢٥٩) عن أبي هريرة موقوفًا ، وهو مرفوع عند الطبراني في « الأوسط » (٣/٢٦٣٠) ، وهناد في « الزهد » (١/٣٣٨) ، والبيهقي في « عذاب القبر » (٥٨) وحسن إسناده الهيثمي في « المجمع » (٣/٥٥) ، وصححه ابن حبان (٧/٣١١٣) ، والحاكم (١/ ٣٧٩ - ٣٨٠) ووافقه الذهبي ، وهو حسن فحسب ، للكلام المعروف في محمد بن عمرو ، وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « قال » .
[٢] - في خ : « نعالي » .
[٣] - في خ : « فإن » .
[٤] - في ت : « قبل » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في ز : « فتقول » .
[٨] - في خ : « تمثلت » ، والمثبت من : ز .
[٩] - في ابن جرير : « دعوني » .
[١٠] - في خ : « وعم » .
[١١] - ما بين المعكوفتين في ت : « وعليه » .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .

خُضْرٌ تُعلق][١] **بشجر الجنة ، ويعاد الجسد إلىٰ ما بدئ منه**[٢] **من التراب »** . وذلك قول الله [عز وجل][٣] : **﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾** .

رواه ابن حبان : من طريق المعتمر بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، وذكر جواب الكافر وعذابه .

وقال البزار(٤٧) : حدثنا سعيد بن بحر القراطيسي ، حدثنا الوليد بن القاسم ، حدثنا يزيد ابن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة - أحسبه رفعه - قال : « **إن المؤمن ينزل به الموت ، ويعاين ما يعاين ، فيود لو خرجت - يعني نفسه - والله يحب لقاءه ، وإن المؤمن يُصْعَدُ بِرُوحِهِ إلىٰ السماء ، فتأتيه أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض ، فإذا قال : تركت فلانًا في الأرض أعجبهم ذلك ، وإذا قال إن فلانًا قد مات ، قالوا : ما جيء به إلينا ، وإن المؤمن يجلس في قبره فيسأل من ربك**[٤] **؟ فيقول : ربي الله ، فيقول**[٥] **من نبيك ؟ فيقول : محمد نبيي ، فيقول**[٦] **: ما دينك ؟ قال : ديني الإسلام ، فيفتح له باب في قبره ، فيقول أو يقال : انظر إلىٰ مجلسك ، ثم يرىٰ القبر فكأنما كانت رَقدةً ، وإذا كان عدو الله نزل به الموت ، وعاين ما عاين ، فإنه لا يحب أن تخرج روحه أبدًا ، والله يبغض لقاءه . فإذا جلس في قبره - أو أجلس - يقال**[٧] **له : من ربك ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال : لا دريت ، فيفتح له باب من**[٨] **جهنم ، ثم يضرب ضربة يسمع**[٩] **كل دابة إلا الثقلين ، ثم يقال له : نم كما ينام المنهوش** » قلت لأبي هريرة : ما المنهوش ؟ قال : الذي تنهشه الدَّوَابُّ والحيات ثم يضيق عليه قبره .

ثم قال : لا نعلم رواه إلا الوليد بن القاسم[١٠] .

---

(٤٧) - الحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٣/٥٥ - ٥٦) وقال : « في الصحيح طرف منه ، رواه البزار ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي ؛ فإني لم أعرفه » ، وتعقبه ابن حجر في « مختصر الزوائد » (١/ ٥٩٦) فقال : « هو مُوثق ، ولم يتفرد به » فانظر ما قبله .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « في طير خضر يعلق » .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « ربه » .
[٥] - في ت : « يقال » .
[٦] - في ت : « يقال » .
[٧] - في ز ، خ : « فقال » .
[٨] - في خ : « إلى » ، والمثبت من : ز .
[٩] - في ت : « تسمعها » .
[١٠] - في ز ، خ : « مسلم » .

وقال الإمام أحمد رحمه الله(٤٨) : حدثنا حجين بن المثنى ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، عن محمد بن المنكدر قال : كانت أسماء - يعني بنت الصديق رضي الله عنها - تحدث عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قالت : قال : « **إذا دخل الإنسان [قبره ، فإن كان]**[١] **مؤمنًا أحَفَّ به عمله ؛ الصلاةُ والصيامُ ، قال : فيأتيه الملكَ من نحو الصلاة فَتَرُدُّهُ ، ومن نحو الصيام فيرده ، قال : فيناديه : اجلس ، قال : فيجلس ، فيقول له : ماذا تقول في هذا الرجل ، يعني النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ؟ قال : من ؟ قال : محمد ، قال : أنا أشهد أنه رسول الله ، قال : [يقول]**[٢] **وما يدريك ؟ أدركته ؟ قال : أشهد أنه رسول الله ، قال : يقول : علىٰ ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ، وإن كان فاجرًا أو كافرًا جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده ، فأجلسه [فيقول له]**[٣] **: ماذا تقول في هذا الرجل ؟ قال : أي رجل ؟ قال : محمد ، قال : يقول : والله ما أدري ، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته ، قال : فيقول له الملك : علىٰ ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ، قال : وتسلط**[٤] **عليه دابة في قبره معها**[٥] **سوط ، ثمرته**[٦] **جمرة مثل عرق**[٧] **البعير ، تضربه ما شاء الله صماء**[٨] **لا تسمع صوته فترحمه** » .

وقال العوفي عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، في هذه الآية قال : إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة ، فسلموا عليه وبشروه بالجنة ، فإذا مات مشوا مع جنازته ، ثم صلوا عليه مع الناس ، فإذا دفن أجلس في قبره فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . [فيقال له : من رسولك ؟ فيقول : محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم][٩] . فيقال له : ما شهادتك ؟ فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله . فيوسع له في قبره مد

---

(٤٨) - **إسناده صحيح** ، « المسند » (٢٧٠٨٨) (٣٥٢/٦) ، وأخرجه أيضًا الطبراني (٢٨١/٢٤) من طريق حجين بن المثنى به مختصرًا ، ومن طريق آخر عن أسماء (٢٣٠/٢٤) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٣/ ٥٤) : « .... رجال أحمد رجال الصحيح » .

وأخرجه أيضًا الطبراني في « الأوسط » (١٣٤٧/٢) حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة ، قال : نا أحمد بن عثمان به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في خ : يقول اجلس .

[٤] - في ز ، خ : « ويسلط » .

[٥] - في خ : « معه » .

[٦] - في خ : « تمرته » .

[٧] - كذا في ز ، خ ، وبعض مخطوطات المسند . ورسمت في جامع المسانيد لابن كثير : عرب . ولعل الصواب : غارب البعير . وهو ما بين سنامه إلى عنقه . والله أعلم .

[٨] - في خ : « مما » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

بصره ، وأما الكافر فتنزل عليه الملائكة فيبسطون أيديهم ، والبسط : هو الضرب . ﴿ يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ عند الموت ، فإذا أدخل قبره أقعد ، فقيل له : من ربك ؟ فلم يرجع إليهم شيئًا ، وأنساه اللَّه ذكر ذلك ، وإذا قيل : من الرسول الذي بعث إليك ؟ [لم يهتد][١] ولم يرجع إليهم[٢] شيئًا ﴿ كذلك يضل اللَّه الظالمين ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي[٣] ، حدثنا شريح بن مسلمة ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد البجلي ، عن أبي قتادة الأنصاري في قوله تعالىٰ : ﴿ يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ الآية ، قال : إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : اللَّه ، فيقال له : من نبيك ؟ فيقول : محمد بن عبد اللَّه ، فيقال له ذلك مرات ، ثم يفتح له باب إلىٰ النار ، فيقال له : انظر إلىٰ منزلك في[٤] النار لو زغت ، ثم يفتح له باب إلىٰ الجنة ، فيقال له : انظر إلىٰ منزلك [من الجنة إذ][٥] ثبت ، [وإذا مات الكافر أجلس في قبره ، فيقال له : من ربك ؟ من نبيك ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أسمع الناس يقولون ، فيقال له : لا دريت][٦] ، [ثم يفتح له باب][٧] [إلىٰ الجنة ، فيقال له : انظر إلىٰ منزلك لو ثبت][٨] ، [ثم يفتح له باب][٩] إلىٰ النار ، فيقال له : انظر إلىٰ منزلك إذ زغت ، فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ .

وقال عبد الرزاق : عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ﴿ يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ قال لا إله إلا اللَّه ﴿ وفي الآخرة ﴾ المسألة في القبر .

وقال قتادة : أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ﴿ وفي الآخرة ﴾ في القبر ، وكذا روي عن غير واحد من السلف .

وقال أبو عبد اللَّه الحكيم الترمذي في كتابه « نوادر الأصول »(٤٩) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللَّه بن نافع ، عن ابن أبي فديك ، عن عبد الرحمن بن عبد اللَّه ، عن سعيد بن

(٤٩) - في الأصل المائتان والخمسون في برالوالدين (٢/٢٢٣) في النسخة الغير مسندة .

[١] - في ز ، خ : « لم يهش » .
[٢] - في ز : « إليه » .
[٣] - في ز ، خ : « الأزدي » .
[٤] - في ت : « من » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « لو » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

المسيب ، عن عبد الرحمن بن سمرة ، قال : خرج علينا رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ذات يوم ونحن في مسجد المدينة ، فقال : « إني رأيت البارحة عجبًا ؛ رأيت رجلًا من أمتي [جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد عنه ، ورأيت رجلًا من أمتي][١] قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلًا من أمتي قد[٢] احتوشته الشياطين فجاءه ذكر اللّه فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلًا من أمتي يلهث عطشًا كلما ورد حوضًا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلًا من أمتي والنبيون قعود حلقًا حلقًا كلما دنا لحلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلىٰ جنبي ، ورأيت رجلًا من[٣] أمتي من بين يديه ظلمة ، ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن شماله ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، وهو[٤] متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور ، ورأيت رجلًا من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته[٥] صلة الرحم فقالت : يا معشر المؤمنين كلموه ، فكلموه ، ورأيت رجلًا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترًا علىٰ وجهه وظلًا علىٰ رأسه ، ورأيت رجلًا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلًا من أمتي جاثيًا علىٰ ركبتيه بينه وبين اللّه حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله علىٰ اللّه عز وجل ، ورأيت رجلًا من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من اللّه فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه[٦] ، [ورأيت رجلًا من أمتي][٧] [قد خف ميزانه فجاءته أفراطه[٨] فثقلوا ميزانه][٩] ، [ورأيت رجلًا من أمتي][١٠] قائمًا علىٰ شفير جهنم فجاءه وجله من اللّه فاستنقذه من ذلك ومضىٰ ، ورأيت رجلًا من أمتي هوىٰ في النار فجاءته دموعه التي بكىٰ من خشية اللّه في الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلًا من أمتي قائمًا[١١] علىٰ الصراط [يُرْعَدُ كما ترعد السعفة فجاء حسن ظنه باللّه فسكن رعدته ومضىٰ ، ورأيت رجلًا من أمتي علىٰ

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من: ز ، خ .
[٤] - في ز : « فهو » .
[٥] - في ز ، خ : « فجاءه » .
[٦] - في خ : « عينه » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٨] - جمع فَرَط ، وهو ما قدم من ولد . أي مات له أولاد صغار .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١١] - سقط من : خ .

الصراط][١] يزحف أحيانًا ويحبو أحيانًا فجاءته صلاته عليَّ فأخذت بيده فأقامته ومضىٰ علىٰ الصراط ، ورأيت رجلًا من أمتي انتهىٰ إلىٰ أبواب[٢] الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة » .

قال القرطبي بعد إيراده هذا الحديث من هذا الوجه : هذا حديث عظيم ، ذكر فيه أعمالًا خاصة تنجي من أهوال خاصة . أورده هكذا في كتابه التذكرة .

وقد روىٰ الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي في هذا حديثًا غريبًا مطولًا فقال(٥٠) : حدثنا أبو عبدالله[٣] أحمد بن إبراهيم النكرى ، حدثنا محمد بن بكر البرساني أبو عثمان ، حدثنا أبو عاصم الحبطي - وكان من خيار أهل البصرة ، وكان من أصحاب حزم وسلام بن أبي مطيع - حدثنا بكر بن خُنَيْس[٤] ، عن ضرار بن عمرو ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، عن تميم الداري ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **يقول الله عز وجل لملك الموت : انطلق إلىٰ وليي فأتني به ، فإني قد ضربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أُحِبُّ ، ائتني به فلأريحنه[٥]** .

فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ، معهم أكفان وحنوط من الجنة ، ومعهم ضبائر[٦] الريحان ، أصل الريحانة واحد ، وفي رأسها عشرون لونًا ، لكل لون منها ريح سوىٰ ريح صاحبه ، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر[٧] ، [فيجلس ملك الموت عند رأسه ، وتحف به الملائكة ، ويضع كل ملك منهم يده علىٰ عضو من أعضائه ، ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر][٨] من تحت ذقنه ، ويفتح له باب إلىٰ الجنة ، فإن نفسه لتعلَّل[٩] عند ذلك بطرف[١٠] الجنة ، مرة[١١] بأزواجها[١٢] ، ومرة[١٣]

(٥٠) - **إسناده ضعيف لضعف يزيد الرقاشي** وبه أعله المصنف والحديث غير موجود في المطبوع من مسند أبي يعلى فلعله في مسنده « الكبير » ، والله أعلم ، وأخرجه من طريق أبي يعلى ابن عساكر في « التاريخ » (٥٢٨/٣ - ٥٣٠ مخطوط) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٣٦/٦ ، ٢٣٨) إلى ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « باب » .
[٣] - في ز ، خ : « عبد الرحمن » .
[٤] - في ز ، خ : « حبيش » .
[٥] - في ز : « فلأريحه » .
[٦] - الضبائر : جمع ضبارة وهي الحزمة .
[٧] - الأذفر : الشديد الرائحة .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - تعلل بالشيء : اشتغل به .
[١٠] - في خ : « طرق » ، والمثبت من : ز .
[١١] - في خ : « تارة » .
[١٢] - في ز : « وبأزواجها » .
[١٣] - في خ : « تارة » .

بكسواتها ، ومرة بثمارها ، كما يعلل الصبي أهله إذا بكىٰ . قال : وإن أزواجه [ليبتهشن[١] عند ذلك][٢] ابتهاشًا[٣] .

قال : وتنزو[٤] الروح – قال البرساني : تريد أن تخرج من العَجل إلىٰ ما تحب[٥] – قال : ويقول ملك الموت : اخرجي يا أيتها الروح الطيبة ، إلىٰ سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب . قال : وَلَـمَلَكُ الموت أشد به لطفًا من الوالدة بولدها ، يعرف أن ذلك الروح حبيب لربه ، فهو يلتمس بلطفه تحببًا لديه رضاء للرب عنه ، فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين . قال : وقال اللّه عز وجل : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ ، وقال : ﴿ فأما إن كان من المقرّبين * فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ قال : روح من جهة الموت ، [ ][٦] وريحان يتلقىٰ به ، [ ][٧] وجنة نعيم تقابله[٨] .

قال : فإذا قبض ملك الموت روحه ، قالت[٩] الروح للجسد : جزاك اللّه عني خيرًا ، فقد كنت سريعًا بي[١٠] إلىٰ طاعة اللّه ، بطيئًا بي عن معصية اللّه ، فقد نجيت وأنجيت . قال ويقول الجسد للروح مثل ذلك .

قال : وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيع اللّه فيها ، وكل باب من السماء يصعد منه عمله ، وينزل منه رزقه أربعين ليلة .

قال : فإذا قبض ملك الموت روحه ، أقامت الخمسمائة من الملائكة عند جسده ، فلا يقلبه[١١] بنو آدم لشق إلا قلبته الملائكة قبلهم ، وغسلته وكفنته بأكفان قبل أكفان بني آدم ، وحنوط قبل حنوط بني آدم ، ويقوم من بين[١٢] باب بيته إلىٰ باب قبره صفان من الملائكة، يستقبلونه بالاستغفار، فيصيح عند ذلك إبليس صيحة تتصدع منها عظام جسده – قال : ويقول لجنوده : الويل لكم ! كيف خَلَصَ هذا العبد منكم؟ ! فيقولون : إن هذا كان عبدًا معصومًا .

قال : فإذا صعد ملك الموت بروحه ، يستقبله جبريل في سبعين ألفًا من الملائكة ، كلّ

---

[١] – ابتهش : فرح وابتهج .

[٢] – في خ : « ليشهين عند ذلك » .

[٣] – في ز ، خ : « ابتهاش » .

[٤] – في خ : « وتبدو » وفي المطالب : وتبرز .

[٥] – في ز ، خ : « يحب » .

[٦] – في ز ، خ : « قال » .

[٧] – ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٨] – في ز ، خ : « مقابله » .

[٩] – في ز : « قال » .

[١٠] – سقط من : خ .

[١١] – في خ : « يغلبه » .

[١٢] – سقط من : خ .

يأتيه ببشارة من ربه سوى بشارة صاحبه- قال: فإذا انتهى ملك الموت بروحه إلى العرش، خَر الروح ساجدًا- قال: يقول الله -عز وجل- لملك الموت: انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب.

قال: فإذا وضع في قبره، جاءته الصلاة فكانت عن يمينه، وجاءه الصيام فكان عن يساره، وجاءه القرآن فكان عند رأسه، وجاءه مشيه إلى الصلاة فكان عند رجليه، وجاءه الصبر فكان ناحية القبر؛ قال: فيبعث الله، عز وجل، عنُقاً من العذاب، قال: فيأتيه[١] عن يمينه، قال: فتقول الصلاة: وراءك والله ما زال دائبًا[٢] عمره كله، وإنما استراح الآن حين وضع في قبره، قال: فيأتيه[٣] عن يساره، فيقول الصيام مثل ذلك- قال: ثم يأتيه من عند رأسه، فيقول القرآن والذكر مثل ذلك، قال: ثم يأتيه من عند رجليه، فيقول مشيه إلى الصلاة مثل ذلك. فلا يأتيه العذاب من ناحية يلتمس هل يجد إليه مساغًا، إلا وجدَ ولي الله قد أخذ جنة[٤] - قال: فينقمع العذاب عند ذلك فيخرج، قال: ويقول الصبر لسائر الأعمال: أما إنه لم يمنعني أن أباشر أنا بنفسي إلا أني نظرت ما عندكم، فإن عجزتم كنت أنا صاحبه، فأما إذ أجزأتم عنه فأنا له ذخر عند الصراط والميزان.

قال: ويبعث الله[٥] ملكين أبصارهما[٦] كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف[٧]، وأنيابهما كالصياصي، وأنفاسهما كاللهب، يطآن[٨] في أشعارهما، بين منكب كل واحد مسيرة كذا وكذا، قد نزعت منهما الرأفة والرحمة، يقال لهما: «منكر ونكير»، في يد كل واحد منهما مطرقة، لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يُقلوها[٩] - قال: فيقولان له: اجلس. قال: فيجلس فيستوي جالسًا. قال: وتقع[١٠] أكفانه في حقَويه[١١]، قال: فيقولان له: من ربك وما دينك؟ ومن نبيك؟.

قال: قالوا: يا رسول الله؛ ومن يطيق الكلام عند ذلك، وأنت تصف من الملكين ما تصف؟. قال: فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾.

قال: فيقول: ربي الله وحده لا شريك له، وديني الإسلام الذي دانت به الملائكة،

---

[١] - في ز: «فتأتيه».
[٢] - في خ: «دانيا».
[٣] - في ز: «فتأتيه».
[٤] - في ز: «جنته»، خ: «حبته». والجُنة: كل ما وقىٰ من سلاح وغيره.
[٥] - سقط من: ز.
[٦] - في ز، خ: «أيضا هما».
[٧] - في ز: «العاصف».
[٨] - في ز: «يطنان».
[٩] - يقلوها: يرفعوها.
[١٠] - في خ: «ويقع».
[١١] - الحقْو: الخصر.

ونبيي محمد خاتم النبيين . قال : فيقولان له[١] **: صدقت . قال : فيدفعان القبر فيوسعان من بين يديه أربعين ذراعًا ، وعن يمينه أربعين ذراعًا ، وعن شماله أربعين ذراعًا ، ومن خلفه أربعين ذراعًا ، ومن**[٢] **عند رأسه أربعين ذراعًا ، ومن عند رجليه أربعين ذراعًا ، قال : فيوسعان له مائتي ذراع –**

قال البرساني : وأحسبه قال أربعون ذراعا تحاط[٣] به .

قال : ثم يقولان له : انظر فوقك ، فإذا باب مفتوح إلىٰ الجنة . قال : فيقولان له : وليَّ اللَّه هذا منزلك إذ أطعت اللَّه – فقال رسول اللَّه : – والذي نفس محمد بيده ، إنه يصل إلىٰ قلبه عند ذلك فرحة ولا ترتد أبدًا ، ثم يقال له : انظر إلى[٤] **تحتك . قال : فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلىٰ النار . قال : فيقولان : « وليَّ اللَّه [هذا منزلك لو عصيت]**[٥] **نجوت آخر ما عليك »** قال : فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إنه ليصل**[٦] **إلىٰ قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد**[٧] **أبدًا »** قال : فقالت عائشة : يفتح له سبعة وسبعون بابًا إلىٰ الجنة يأتيه ريحها وبردها حتىٰ يبعثه اللَّه عز وجل .

وبالإِسناد المتقدم إلىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **ويقول اللَّه تعالىٰ لملك الموت : انطلق إلىٰ عدوي فأتني به ، فإني قد بسطت له رزقي ، ويسرت له نعمتي ، فأبىٰ إلا معصيتي ، فأتني به لأنتقم منه .**

قال : فينطلق إليه ملك الموت في أكره صورة رآها أحد من الناس قط ، له [اثنتا عشرة][٨] **عينًا ، ومعه سفود من النار كثير الشوك ، ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وجمر من جمر جهنم ، ومعهم سياط من نار ، لينها لين السياط وهي نار تأجج . قال : فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب أصل كل شوكة من ذلك السفود في أصل كل شعرة وعرق وظفر ، قال : ثم يلويه ليًا شديدًا . قال : فينزع روحه من أظفار قدميه . قال : فيلقيها في**[٩] **عقبيه**[١٠] **. فيسكر**[١١] **[عدو اللَّه عند ذلك]**[١٢]

---

[١] – سقط من : ز .
[٢] – سقط من خ .
[٣] – في ز : « يحاط » .
[٤] – سقط من : ت .
[٥] – سقط من ز ، خ . ت ، وأثبتناه من المطالب العالية .
[٦] – في ز ، خ : « لا يصل » .
[٧] – في ز : « يرتد » .
[٨] – في ز : « اثني عشر » ، خ : « اثنا عشر » .
[٩] – سقط من : خ
[١٠] – في ز : « ركبتيه » ، وسقط من : خ .
[١١] – في ز : « ثم يسكر » ، وسقط من : خ .
[١٢] – ما بين المعكوفتين في ز : « عند ذلك عدو الله » ، وسقط من : خ .

[سكرة فيرفه ملك الموت عنه . قال : وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط][١] . [قال : ثم][٢] : ينثره [ملك الموت][٣] نثرة[٤] [فينزع روحه من عقبيه فيلقيها][٥] في ركبتيه [قال : فيسكر][٦] عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه . قال : وتضرب[٧] الملائكة وجهه ودبره [بتلك السياط][٨] . قال : [فيشده ملك الموت شدّة][٩] فينزع روحه من ركبتيه فيلقيها في حقويه [فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه قال][١٠] : فتضرب[١١] [الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال][١٢] كذلك إلىٰ صدره ، ثم كذلك إلىٰ حلقه . قال : ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه . قال : ويقول ملك الموت : اخرجي أيتها الروح اللعينة الملعونة إلىٰ سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم .

قال : فإذا قبض ملك الموت روحه ، قال الروح للجسد : جزاك اللّٰه عني شرًّا ، فقد كنت سريعًا بي إلىٰ معصية اللّٰه ، بطيئًا بي عن طاعة اللّٰه ، فقد هلكت وأهلكت .قال : ويقول الجسد للروح مثل ذلك ، وتلعنه بقاع الأرض التي كان يعصي اللّٰه عليها ، وتنطلق[١٣] جنود إبليس إليه فيبشرونه بأنهم قد أوردوا عبدًا من ولد آدم النار .

قال : فإذا وضع في قبره ضيق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه ، حتىٰ تدخل اليمنىٰ في اليسرىٰ ، واليسرىٰ في اليمنىٰ . قال : ويبعث اللّٰه إليه أفاعي دهمًا كأعناق الإبل ، يأخذون[١٤] بأرنبته[١٥] وإبهامي قدميه فتقرضه حتىٰ يلتقين في وسطه .

قال : ويبعث اللّٰه ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف ، وأصواتهما كالرعد القاصف ،

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] – في ت : « ثم قال » ، وسقط من : خ .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] – سقط من : خ .

[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٦] – ما بين المعكوفتين في خ : « ثم يسكر » .

[٧] – في ت : « فتضرب » .

[٨] – في خ : « بالسياط » .

[٩] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، وفي خ : « ثم ينتره ملك الموت نترة » .

[١٠] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[١١] – سقط من : ز ، في خ : « وتضرب » .

[١٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[١٣] – في ز : « تنطق » .

[١٤] – في ت : « يأخذن » .

[١٥] – في خ : « بأذنيه » .

وأنيابهما كالصياصي ، وأنفاسهما كاللهب ، يطآن في أشعارهما ، بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا ، قد نزعت منهما الرأفة والرحمة ، يقال لهما : منكر ونكير ، في يد كل واحد منهما مطرقة ، لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يقلوها ؛ قال : فيقولان له : اجلس ، [قال][١] : فيستوي جالسًا ، قال : وتقع أكفانه في حقويه ، قال[٢] فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : لا أدري . فيقولان له[٣] : لا دريت ولا تليت ، [قال][٤] فيضربانه ضربة يتطاير شررها[٥] في قبره ثم يعودان . قال : فيقولان : انظر فوقك ، فينظر فإذا باب مفتوح [من الجنة][٦] ، فيقولان : [عدو الله هذا][٧] منزلك لو أطعت الله » .

قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، إنه ليصل إلىٰ قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبدًا** » قال : « **ويقولان له : انظر تحتك ، فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلىٰ النار ، فيقولان : عدو الله ، هذا منزلك إذ عصيت الله** » .

فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، إنه ليصل إلىٰ قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبدًا** » .

قال : وقالت عائشة : ويفتح له سبعة وسبعون بابًا إلىٰ النار ، يأتيه حرها وسمومها حتىٰ يبعثه الله إليها .

هذا حديث غريب جدًّا ، وسياق عجيب ، ويزيد الرقاشي راويه عن أنس له غرائب ومنكرات ، وهو ضعيف الرواية عند الأئمة ، والله أعلم .

ولهذا قال أبو داود(٥١) : حدثنا إبراهيم بن موسىٰ الرازي ، حدثنا هشام - هو ابن يوسف - عن عبد الله بن بحير ، عن هانئ مولىٰ عثمان ، عن عثمان ، رضي الله عنه ،

---

(٥١) - **إسناده حسن** ، سنن أبي داود كتاب : الجنائز ، باب : الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف (٣٢٢١) .

وأخرجه أيضًا البزار في مسنده (٢/٤٤٥) ، والبيهقي في « الكبرى » (٤/٥٦) ، وصححه الحاكم (١/٣٧١) ، ووافقه الذهبي ، وهانئ مولى عثمان ، صدوق كما في « التقريب » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « شراره » ، خ : « شروه » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « والله » .

قال : كان النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا فرغ من دفن الرجل[١] وقف عليه فقال[٢] : « **استغفروا لأخيكم وسَلُوا له التثبيت[٣] فإنه الآن يسأل** » . انفرد به أبو داود .

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه عند قوله تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم** ﴾ الآية حديثًا[٤] مطولًا جدًا : من [طريق غريب][٥] ، عن الضحاك ، عن ابن عباس مرفوعًا وفيه غرائب أيضًا .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ (٢٩) وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ (٣٠)

قال البخاري(٥٢) : قوله : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين بدلوا نعمة الله كفرًا** ﴾ ألم تعلم[٦] ، كقوله : ﴿ **ألم تر كيف** ﴾ ،﴿ **ألم تر إلىٰ الذين خرجوا** ﴾ . البوار : الهلاك ، بار يبور بورًا ، و﴿ **قومًا بورًا** ﴾ : هالكين .

حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، سمع ابن عباس : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين بدلوا نعمة الله كفرًا** ﴾ قال : وهم كفار أهل مكة .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : هو جبلة بن الأيهم ، والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم .

والمشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الأول ، وإن كان المعنىٰ يعم جميع الكفار ، فإن الله تعالىٰ بعث محمدًا ، صلىٰ الله عليه وسلم ، رحمة للعالمين ، ونعمة للناس ، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ، ومن ردها وكفرها دخل النار .

وقد روي عن علي نحو قول ابن عباس الأول . وقال ابن أبي حاتم(٥٣) :

---

(٥٢) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ألم تر إلى الذي بدلوا نعمة الله كفرًا** ﴾ (٤٧٠٠) .
(٥٣) - **صحيح** ، وأخرجه النسائي « التفسير » (١١٢٦٧/٦) ، وابن جرير (١٣/ ٢٢٠ ، ٢٢١) من =

---

[١] - في سنن أبي داود : الميت .
[٢] - في خ : « وقال » ، والمثبت من : ز . [٣] - في ز : « بالتثبيت » .
[٤] - في خ : « حديث » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « طرق غريبة » . [٦] - في خ : « يعلم » .

حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة[١] ، عن أبي الطفيل : أن ابن الكواء سأل عليًا عن ﴿ **الذين بدلوا نعمة اللّٰه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ قال : هم[٢] كفار قريش يوم بدر .

حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا بسام - هو الصيرفي - عن أبي الطفيل قال : جاء رجل إلىٰ علي فقال : يا أمير المؤمنين ، مَن ﴿ **الذين بدلوا نعمة اللّٰه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ قال : منافقو قريش .

وقال ابن أبي حاتم(٥٤) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نفيل ، قال : قرأت علىٰ معقل ، عن ابن أبي حسين ، قال : قام علي بن أبي طالب ، رضي اللّٰه عنه ، فقال[٣] : ألا أحد يسألني عن القرآن ، فواللّٰه لو أعلم اليوم أحدًا أعلم به مني - وإن[٤] كان من وراء البحار - لأتيته . فقام عبد اللّٰه بن الكواء فقال : مَن[٥] ﴿ **الذين بدلوا نعمة اللّٰه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ فقال[٦] : مشركو قريش ، أتتهم نعمة اللّٰه ، الإيمان فبدلوا نعمة اللّٰه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار .

وقال السدي في قوله : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين بدلوا نعمة اللّٰه كفرًا** ﴾ الآية : ذكر مسلم المستوفي[٧] عن علي أنه قال : هم الأفجران من قريش ؛ بنو أمية و[٨] بنو المغيرة ، فأما بنو المغيرة فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر ، وأما بنو أمية فأحلوا قومهم دار البوار يوم أحد ، وكان أبو جهل يوم بدر ، وأبو سفيان يوم أحد ، وأما دار البوار فهي جهنم .

= طريق شعبة به ، وأخرجه ابن جرير (٢٢١/١٣) ، والحاكم (٣٥٢/٢) من طريق بسام الصيرفي به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح عال ، وبسام بن عبد الرحمن الصيرفي من ثقات الكوفيين ممن يجمع حديثهم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٤٢/٢) من طريق وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل به ، وأخرجه البيهقي في « الدلائل » (٩٥/٣) من طريق يحيى بن عبد الله بن الأدرع عن أبي الطفيل أنه سمع علي بن أبي طالب يقول ... فذكره . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٥٧/٤) إلى : الفريابي وابن الأنباري في « المصاحف » وابن مردويه .

(٥٤) - **إسناده منقطع بين علي وابن أبي حسين ، وهو عبد الله بن عبد الرحمن** ، ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (١٥٧/٤) .

---

[١] - في خ : « بره » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « ولو » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « قال » .
[٧] - في خ : « المستوف » .
[٨] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم رحمه الله(٥٥) : حدثنا محمد بن يحيىٰ ، حدثنا الحارث بن[١] منصور ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مُرّ قال : سمعت عليًا قرأ هذه الآية ﴿ وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ قال : هم الأفجران من قريش ؛ بنو أمية وبنو المغيرة ؛ فأما بنو المغيرة فأهلكوا يوم بدر ، وأما بنو أمية فمتعوا إلىٰ حين .

ورواه أبو إسحاق : عن عمرو [ذي مُرّ][٢] ، عن علي نحوه ، وروي من غير وجه عنه .

وقال سفيان الثوري(٥٦) : عن علي بن زيد ، عن يوسف بن سعد ، عن عمر بن الخطاب في قوله ﴿ ألم تر إلىٰ الذين بدلوا نعمة الله كفرًا ﴾ قال : هم[٣] الأفجران من قريش ؛ بنو المغيرة وبنو أمية ؛ فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر ، وأما بنو أمية[٤] فمتعوا إلىٰ حين .

وكذا رواه حمزة[٥] الزيات(٥٧) ، عن عمرو بن مرة قال : قال ابن عباس لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، هذه الآية ﴿ [ألم تر إلىٰ][٦] الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ قال : هم[٧] الأفجران من قريش أخوالي وأعمامك ، فأما أخوالي فاستأصلهم الله[٨] يوم بدر ، وأما أعمامك فأملىٰ الله لهم إلىٰ حين .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن زيد : هم كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر ، وكذا رواه مالك في تفسيره : عن نافع ، عن ابن عمر .

وقوله : ﴿ وجعلوا لله أندادًا ليضلوا عن سبيله ﴾ أي : جعلوا له شركاء عبدوهم معه ،

---

(٥٥) - **إسناده فيه جهالة** ، وأخرجه ابن جرير (٢٢١/١٣) ، والطبراني في « الأوسط » (٧٧٦/١) ، وابن المنذر وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (١٥٧/٤) - وصححه الحاكم (٣٥٢/٢) ووافقه الذهبي ، وفي إسناده عمرو ذو مر ، قال الهيثمي في « المجمع » (٤٧/٧) : « لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي ... » ، وقال البخاري في « التاريخ » (٣٣٠/٦) : لا يعرف ، وذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٦/ ٢٣٢) ولم يذكر فيه شيئًا .

(٥٦) - **إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان** ، أخرجه ابن جرير (٢١٩/١٣) ، والبخاري في تاريخه وابن المنذر وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (١٥٦/٤) .

(٥٧) - أخرجه ابن جرير (٢١٩/١٣) حدثنا المثنى ، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ؛ قال : أخبرنا حمزة الزيات ، به .

---

[١] - في ز : « أبو » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن مرة » .
[٣] - في ت : « هما » .
[٤] - في خ : « أمته » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : « هما » .
[٨] - سقط من : خ .

ودعوا الناس إلىٰ ذلك .

ثم قال تعالىٰ متهددًا لهم ، ومتوعدهم علىٰ لسان نبيه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **قل تمتعوا فإن مصيركم إلىٰ النار** ﴾ أي : مهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا ، فمهما يكن من شيء ﴿ **فإن مصيركم إلىٰ النار** ﴾ أي : مرجعكم وموئلكم إليها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلىٰ عذاب غليظ** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون** ﴾ .

قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾

يقول تعالىٰ آمرًا لعباده[١] بطاعته ، والقيام بحقه ، والإحسان إلىٰ خلقه ، بأن يقيموا الصلاة وهي عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، وأن ينفقوا مما رزقهم اللَّه ؛ بأداء الزكوات ، والنفقة علىٰ القرابات ، والإحسان إلىٰ الأجانب .

والمراد بإقامتها هو المحافظة علىٰ وقتها وحدودها وركوعها وخشوعها وسجودها .

وأمر تعالىٰ بالإنفاق مما رزق في السر ، أي : في الخفية ، والعلانية : وهي الجهر ، وليبادروا إلىٰ ذلك لخلاص[٢] أنفسهم ﴿ **من قبل أن يأتي يوم** ﴾ وهو يوم القيامة [وهو يوم][٣] ﴿ **لا بيع فيه ولا خلال** ﴾ أي : لا[٤] يقبل من أحد فدية بأن تباع نفسه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولا خلال** ﴾ قال ابن جرير : يقول ليس هناك مخالَّة خليل ، فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالَّته[٥] ، بل هناك[٦] العدل والقسط ، والخلال[٧] : مصدر من قول القائل : خاللت فلانًا فأنا أخاله مخالة وخلالًا ؛ ومنه قول امرئ القيس :

صرفتُ الهوىٰ عَنْهُنَّ من خَشْيَةِ الرَّدَى ... وَلَسْتُ بِمَقْلِيِّ الخِلالِ ولا قالي[٨]

وقال قتادة : إن اللَّه قد علم أن في الدنيا بيوعًا وخلالًا يتخالون بها في الدنيا ، فينظر

---

[١] - في ت : « عباده » .

[٢] - في خ : « بخلاص » .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - في ت : « ولا » .

[٥] - في ز : « لمخاللته » .

[٦] - في خ : « هنالك » .

[٧] - في خ : « والخلال » .

[٨] - في ز ، خ : « قال » .

الرجل[١] من يخالل وعلام يصاحب ، فإن كان لله فليداوم ، وإن كان لغير الله [فإنها ستنقطع][٢] .

قلت : والمراد من هذا أنه يخبر تعالىٰ أنه لا ينفع أحدًا بيع ولا فدية ، ولو افتدىٰ بملء الأرض ذهبًا لو وجده ؛ ولا ينفعه[٣] صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقي الله كافرًا ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون** ﴾ .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

يعدد تعالىٰ نعمه علىٰ خلقه : بأن خلق لهم السموات سقفًا محفوظًا ، والأرض فراشًا ﴿ **وأنزل من السماء ماء فأخرجنا[٤] به أزواجًا من نبات شتىٰ** ﴾ ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع ، وسخر الفلك بأن[٥] جعلها طافية علىٰ تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله تعالىٰ ، وسخر البحر بحملها ؛ ليقطع المسافرون بها من إقليم إلىٰ إقليم آخر ؛ لجلب ما هنا[٦] إلىٰ هناك ، وما هناك إلىٰ هاهنا ، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلىٰ قطر رزقًا للعباد من شرب وسقي ، وغير ذلك من أنواع المنافع .

﴿ **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين** ﴾ أي : يسيران لا يقرّان ليلًا ولا نهارًا ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** ﴾ ﴿ **يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ فالشمس والقمر يتعاقبان ، والليل والنهار يتعارضان ، فتارة

---

[١] - في ز ، خ : « رجل » .
[٢] - في ت : « تنفعه » .
[٣] - في ت : فسيقطع عنه .
[٤] - في ز ، خ : « فأخرج » .
[٥] - في خ : « و » .
[٦] - في ت : « هاهنا » .

يأخذ هذا من هذا فيطول ، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر ﴿ [**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**][١] **وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمىٰ ألا هو العزيز الغفار**﴾ .

وقوله : ﴿ **وآتاكم من كل ما سألتموه** ﴾ يقول هيأ لكم كل ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم مما[٢] تسألونه بحالكم وقالكم .

وقال بعض السلف : من كل ما سألتموه وما لم تسألوه .

وقرأ بعضُهم : (وآتاكم من كلٍّ ما سألتموه) .

وقوله ﴿ **وإن تعدوا**[٣] **نعمة اللّٰه لا تحصوها** ﴾ يخبر تعالىٰ عن عجز العباد عن تعداد النعم ، فضلاً عن القيام بشكرها ، كما قال طلق بن حبيب رحمه اللّٰه : إن حق اللّٰه أثقل من أن يقوم به العباد ، وإن نعم اللّٰه أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين .

وفي صحيح البخاري(٥٨) أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كان يقول : « **اللهم ، لك الحمد غير مكفيٍ ولا مُودع ولا مستغنى**[٤] **عنه ربنا** » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(٥٩) : حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، حدثنا داود ابن المحبر ، حدثنا صالح المري ، عن جعفر بن زيد العبدي ، عن أنس ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أنه قال : « **يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين : ديوان فيه العمل الصالح ، وديوان فيه ذنوبه ، وديوان فيه النعم من اللّٰه تعالىٰ عليه ، فيقول اللّٰه تعالىٰ لأصغر نعمه – أحسبه قال : في ديوان النعم – : خذي ثمنك من عمله الصالح ، فتستوعب عمله الصالح كله**[٥] ، **ثم تنحى وتقول : وعزتك ما استوفيت ، وتبقىٰ الذنوب**

(٥٨) – صحيح البخاري ، كتاب : الأطعمة ، باب : ما يقول إذا فرغ من طعامه (٥٤٥٨) ، وأخرجه أيضًا أبو داود (٣٨٤٩) ، والترمذي (٣٤٥٢) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٢٨٣) ، وابن ماجة (٣٢٨٤) من حديث أبي أمامة .

(٥٩) – **إسناده ضعيف جدًا** ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٦٠/١٠) وقال : « رواه البزار وفيه صالح المري وهو ضعيف » قلت : والراوي عنه داود بن المحبَّر ، متروك .

[١] – ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » .

[٢] – في ز : « ما » .

[٣] – في خ : « يعدوا » .

[٤] – في خ : « ولا مستغن » .

[٥] – سقط من : خ .

والنعم والعمل الصالح ، [فتستوعب][١] عمله الصالح كله ، فإذا أراد اللَّه أن يرحمه[٢] ، قال : يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك ، وتجاوزت [ ][٣] عن سيئاتك - أحسبه قال - : ووهبت لك نعمي » . غريب وسنده[٤] ضعيف .

وقد روي في الأثر(٦٠) : أن داود عليه السلام قال : يا رب ، كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك عليَّ ؟ فقال اللَّه تعالىٰ : الآن شكرتني يا داود . أي :حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر النعم .

وقال الإمام[٥] الشافعي رحمه اللَّه : [الحمد للَّه][٦] الذي لا تؤدىٰ شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة حادثة توجب علىٰ مؤدي ماضي نعمه بأدائها نعمة حادثة توجب عليه شكره بها .

وقال القائل في ذلك :

لو كل[٧] جارحة مني لها لغة ... تثني عليك بما أوليت من حَسَن
لكان ما زاد شكري إذ شكرت به ... إليك أبلغ في الإحسان والمنن[٨]

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦)

يذكر تعالىٰ في هذا المقام محتجًّا علىٰ مشركي العرب بأن البلد الحرام مكة إنما وضعت أول ما وضعت علىٰ عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، وأن إبراهيم الذي كانت [ ][٩] بسببه آهلة عامرة تبرَّأ ممن عبد غير اللَّه ، وأنه دعا لمكة بالأمن فقال : ﴿ **رب اجعل هذا البلد آمنًا** ﴾ وقد استجاب اللَّه له ، فقال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا**

(٦٠) - أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤/٤٤١٤) .

[١] - في خ : ويستوعب .
[٢] - في ز ، خ : « يرحم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : لك .
[٤] - في خ : « ومسنده » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « كان » .
[٨] - في ت : « والمن » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ت : « عامرة » .

وهدىً للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا ﴾ ، وقال في هذه القصة : ﴿ **رب اجعل هذا البلد آمنًا** ﴾ فعرفه كأنه[١] دعا به بعد بنائها ، ولهذا قال : ﴿ **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق** ﴾ ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة ، فأما حين ذهب بإسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة ، فإنه دعا أيضًا فقال : ﴿ **رب اجعل هذا بلدًا آمنًا** ﴾ . كما ذكرناه هنالك في سورة البقرة مستقصى مطوّلًا .

وقال[٢] : ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام** ﴾ ينبغي لكل داعٍ أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته .

ثم ذكر أنه افتتن بالأصنام خلائق من الناس ، وأنه بريء[٣] ممن عبدها ، وردّ أمرهم إلى الله ؛ إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم ، كقول[٤] عيسى عليه السلام : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ وليس [في هذا][٥] أكثر من الردّ إلى مشيئة الله تعالى ، لا تجويز وقوع ذلك .

قال عبد الله بن وهب(٦١) : حدثنا عمرو بن الحارث ، أن بكر بن سوادة حدثه ، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر ، عن عبد الله بن عمرو ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تلا قول إبراهيم عليه السلام ﴿ **رب إنهنّ أضللن كثيرًا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم** ﴾ ، وقول[٦] عيسى عليه السلام : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ ، [فرفع يديه وقال][٧] : « **اللهم أمتي ، اللهم أمتي ، اللهم أمتي** » . وبكى ، فقال الله : [يا جبريل ، اذهب] إلى محمد - وربك أعلم - واسأله ما يبكيه ؟ فأتاه جبريل ، عليه السلام ، فسأله ، فأخبره رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما قال ، فقال الله : يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل له[٨] : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك .

(٦١) - **صحيح** ، ولفظ المصنف هو الذي أورده ابن جرير في تفسيره (٢٢٩/١٣) ، والحديث أخرجه مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لأمته وبكائه شفقة عليهم (٣٤٦) (٢٠٢) ، والنسائي في « التفسير » من الكبرى (١١٢٦٩/٦) .

[١] - في ت : « لأنه » .
[٢] - في ت : « وقوله » .
[٣] - في خ : « تبرأ » .
[٤] - في خ : « كما قال » .
[٥] - في ت : « فيه » .
[٦] - في ز ، خ : « وقال » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « وقال » .
[٨] - سقط من : ز .

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾

وهذا يدل علىٰ أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول ، الذي دعا به عندما[١] ولىٰ عن هاجر وولدها ، وذلك قبل بناء البيت ، وهذا كان بعد بنائه تأكيدًا ورغبة إلىٰ اللّٰه عز وجل ؛ ولهذا قال : ﴿ **عند بيتك المحرم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ربنا ليقيموا الصلاة** ﴾ قال ابن جرير : هو متعلق بقوله : ﴿ **المحرم** ﴾ أي : إنما جعلته محرمًا ليتمكن أهله من إقامة الصلاة عنده .

﴿ **فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير : لو قال : أفئدة الناس لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارىٰ والناس كلهم ، ولكن قال : ﴿ **من الناس** ﴾ فاختص به المسلمون .

وقوله : ﴿ **وارزقهم من الثمرات** ﴾ أي : ليكون ذلك عونًا لهم علىٰ طاعتك ، وكما أنه واد غير ذي زرع فاجعل لهم ثمارًا يأكلونها ، وقد استجاب اللّٰه ذلك كما قال : ﴿ **أولم نمكن لهم حرمًا آمنًا يجبىٰ إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنًا** ﴾ وهذا من لطفه تعالىٰ وكرمه ورحمته وبركته : أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة ، وهي تجبىٰ إليها ثمرات ما حولها ، استجابة [لخليله إبراهيم][٢] ، عليه الصلاة السلام .

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾

---

[١] - في خ : « بعدما » .
[٢] - في ت : « لدعاء الخليل » .

قال ابن جرير(٦٢) : يقول تعالىٰ مخبرًا عن إبراهيم خليله أنه قال : ﴿ **ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن** ﴾ أي : أنت تعلم قصدي في دعائي ، وما أردت بدعائي لأهل هذا البلد ، وإنما هو القصد إلىٰ رضاك والإخلاص لك ، فإنك تعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها ، ولايخفىٰ عليك منها شيء في الأرض ولا في السماء .

ثم حمد ربه عز وجل علىٰ ما رزقه من الولد بعد الكبر ، فقال : ﴿ **الحمد للّٰه الذي وهب لي علىٰ الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء** ﴾ أي : إنه ليستجيب[١] لمن دعاه ، وقد استجاب لي فيما سألته من الولد .

ثم قال : ﴿ **رب اجعلني مقيم الصلاة** ﴾ أي : محافظًا عليها مقيمًا لحدودها ﴿ **ومن ذريتي** ﴾ أي : واجعلهم كذلك مقيمين الصلاة ﴿ **ربنا وتقبل دعاء** ﴾ أي : فيما سألتك فيه كله .

﴿ **ربنا اغفر لي ولوالدي** ﴾ قرأ بعضهم : (ولوالدي) [على الإفراد][٢] ، وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته للّٰه عز وجل ﴿ **وللمؤمنين** ﴾ أي : كلهم ﴿ **يوم يقوم الحساب** ﴾ أي : يوم تحاسب عبادك فتجزيهم بأعمالهم ، إن خيرًا فخير ، وان شرًا فشر .

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾

يقول تعالىٰ :﴿ **ولا تحسبن اللّٰه** ﴾ يا محمد ﴿ **غافلًا عما يعمل الظالمون** ﴾ أي : لا[٣] تحسبه[٤] إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم ، مهمل لهم ، لا يعاقبهم علىٰ صنعهم ، بل هو يحصي ذلك عليهم ، ويعده عدًا ، [ ][٥] : ﴿ **إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ أي : من شدة الأهوال يوم القيامة .

ثم ذكر تعالىٰ كيفية قيامهم من قبورهم ، ومجيئهم إلىٰ قيام المحشر فقال : ﴿ **مهطعين** ﴾ أي : مسرعين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **مهطعين الىٰ الداع ...** ﴾ الآية ، [وقال تعالى :

---

(٦٢) - في التفسير (١٣ / ٢٣٣) .

---

[١] - في ت : « يستجيب » .

[٢] - في ت : « بالإفراد » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ت : « تحسبنه » .

[٥] - في ز ، خ : أي .

﴿يومئذ يتبعون الداعي]^[١] لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا ﴾ ، [إلىٰ قوله][٢] ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلمًا ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ .

وقوله : ﴿ مقنعي رءوسهم ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : رافعي رءوسهم .

﴿ لا يرتد إليهم طرفهم ﴾ أي : [بل][٣] أبصارهم طائرة شاخصة ، يديمون[٤] النظر لايطرفون لحظة ؛ لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم ، عياذًا بالله العظيم من ذلك ، ولهذا قال : ﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ أي : وقلوبهم خاوية خالية [ليس فيها شيء لكثرة الوجل والخوف ، ولهذا قال قتادة وجماعة ، إن أمكنة أفئدتهم خالية][٥] ؛ لأن القلوب لدىٰ الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف ، وقال بعضهم : « **هواء** » خراب لا تعي شيئًا .

و[٦] لشدة ما [أخبر الله تعالىٰ به][٧] عنهم ، [ ][٨] قال تعالىٰ [لرسوله ، صلىٰ الله عليه وسلم][٩] : [﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب ﴾][١٠] .

وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط : من ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في خ : « مديمون » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ت : « أخبر به تعالى » .
[٨] - في ت : ثم .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قيل الذين ظلموا أنفسهم عند معاينة العذاب ﴿ **ربنا أخرنا إلىٰ أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل** ﴾ [كما قال تعالى][١] : ﴿ **حتىٰ إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾ ، وقال تعالىٰ مخبرًا عنهم في حال[٢] محشرهم ، ﴿ **ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير** ﴾ .

وقال[٣] تعالىٰ رادًّا عليهم في قولهم هذا : ﴿ **أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال** ﴾ أي : أولم تكونوا تحلفون من قبل هذه[٤] الحال[٥] : أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه ، وأنه لا معاد ولا جزاء ، فذوقوا هذا بذاك[٦] .

قال مجاهد وغيره : ﴿ **ما لكم من زوال** ﴾ أي : ما لكم من انتقال من الدنيا إلىٰ الآخرة . [كما أخبر عنهم تعالى][٧] : ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت بلى وعدًا عليه حقًّا** ﴾ .

﴿ **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال** ﴾ أي : قد رأيتم وبلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم ، ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ، ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر ﴿ **حكمة بالغة فما تغن[٨] النذر** ﴾ .

وقد روىٰ شعبة(٦٣) ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن ؛ أن عليًّا ، رضي الله عنه ، قال في هذه الآية : ﴿ **وإن كان مكرهم لتزول منه[٩] الجبال** ﴾قال : أخذ ذاك الذىٰ حاج

(٦٣) - **إسناده فيه جهالة** ، أخرجه ابن جرير (١٣/٢٤٤) ، وعبد الرحمن هذا هو ابن دانيال وقيل ابن أذنان وكلاهما ذكرهما ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » ولم يذكر فيهما جرحًا ولا تعديلًا .

---

[١] - في ت : « كقوله » .
[٢] - في خ : « حالة » .
[٣] - في خ : « قال » .
[٤] - في خ : « هذا » .
[٥] - في ت : « الحالة » .
[٦] - في ت : « بذلك » .
[٧] - في ت : « كقوله » ، خ : « كما أخبر » .
[٨] - في خ : « تغنى » .
[٩] - في خ : « منها » .

إبراهيم في ربه نسرين صغيرين فرباهما حتىٰ استغلظا [واستعلجا[١] وشبا][٢] ، قال : فأوثق رِجْل كل واحد[٣] منهما بوتد إلىٰ تابوت وجوعهما ، وقعد هو وَرَجُلٌ آخر في التابوت ، قال : ورفع في التابوت عصا علىٰ رأسه اللحم ، قال : فطارا وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترىٰ . قال : أرىٰ[٤] كذا وكذا ، حتىٰ قال : أرىٰ الدنيا كلها كأنها ذباب . قال : [فقال : صوب][٥] العصا فصوبها فهبطا . قال فهو قول الله[٦] عز وجل ﴿ **وإن كاد[٧] مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ . قال أبو إسحاق : وكذلك هي في قراءة عبد الله ﴿ **وإن كاد مكرهم** ﴾ .

قلت : وكذا[٨] روي عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما ، أنهما قرآ ﴿ **وإن كاد** ﴾ كما قرأ علي ، وكذا رواه سفيان الثورىٰ وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أذنان[٩] ، عن علي ... فذكر نحوه ، وكذا روي عن عكرمة : أن سياق[١٠] هذه القصة لنمروذ[١١] ملك كنعان : أنه رام أسباب السماء بهذه الحيلة والمكر ، كما رام ذلك بعده فرعون ملك القبط في بناء الصرح ، فعجزا وضعفا وهما أقل وأحقر وأصغر وأدحر .

وذكر مجاهد هذه القصة عن بُخْتَنَصَّر ، وأنه لما انقطع بصره عن الأرض وأهلها نودي : أيها الطاغية أين تريد ؟ فَفَرِقَ ، ثم سمع الصوت فوقه [فصوب الرماح][١٢] ، فصوبت النسور ففزعت الجبال من هدتها ، وكادت الجبال أن تزول من حس ذلك ، فذلك قوله : ﴿ **وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ .

ونقل ابن جريج ، عن مجاهد أنه قرأها : (**لَتزولُ منه الجبال**) بفتح اللام الأولىٰ وضم الثانية .

وروىٰ العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ يقول : ما كان مكرهم لتزول منه الجبال . وكذا قال الحسن البصرى ، ووجهه ابن جرير :

---

[١] - استعلج فلان : غلُظ واشتد وضخم بدنه .
[٢] - في ز ، خ : « واستعجلا فشبا » .
[٣] - في خ : « واحة » .
[٤] - في خ : « أنظر » .
[٥] - في خ : « فصوب » .
[٦] - في ت : « قوله » .
[٧] - في خ : « كان » .
[٨] - في ت : « كذلك » .
[٩] - في ز ، خ : « رباب » .
[١٠] - في ز : « شأن » ، خ : « شاة » .
[١١] - في ز ، خ : « النمرود » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « فصوبت الرياح » .

بأن هذا الذى فعلوه بأنفسهم [من كفرهم بالله . وشركهم به][١] ، ما ضر ذلك شيئًا من الجبال ولا غيرها ، وإنما عاد وبال ذلك عليهم .

قلت : ويشبه هذا إذا[٢] [قوله][٣] تعالىٰ : ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا** ﴾ .

والقول الثاني في تفسيرها ما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ يقول : شركهم ؛ كقوله : ﴿ **تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا أن دعوا للرحمن ولدًا** ﴾ ، وهكذا قال الضحاك وقتادة .

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾

يقول تعالىٰ مقررًا لوعده ومؤكدًا : ﴿ **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** ﴾ أي : من نصرتهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

ثم أخبر تعالىٰ[٤] أنه ذو عزة لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يغالب[٥] ، وذو انتقام ممن كفر به وجحده ﴿ **فويل يومئذ للمكذبين** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ أي : وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض [غير الأرض][٦] ، وهي هذه علىٰ غير الصفة المألوفة المعروفة ، كما جاء في الصحيحين(٦٤) من حديث أبي حازم ، عن سهل بن سعد ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **يحشر الناسُ يوم القيامة علىٰ أرض بيضاءَ عفراءَ كَقُرْصَةِ النقيّ ، ليس فيها معلم لأحدٍ** » .

وقال الإمام أحمد(٦٥) : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، عن

(٦٤) - أخرجه البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : يقبض الله الأرض يوم القيامة (٦٥٢١) ، ومسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : في البعث والنشور ، وصفة الأرض يوم القيامة (٢٨) (٢٧٩٠).

(٦٥) - **صحيح** ، الحديث في « المسند » (٢٤١٧٨) (٦/٣٥) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : صفات=

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « من شركهم بالله وكفرهم به » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « أن قوله » .

[٤] - زيادة في : ت .

[٥] - في خ : « يغالبه » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

مسروق ، عن عائشة ؛ أنها قالت : أنا أول الناس سأل النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن هذه الآية : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسمٰوات وبرزوا لله الواحد القهار** ﴾ قالت : قلت : أين الناس يومئذ يا رسول اللَّه ؟ قال : « **علىٰ الصراط** » . رواه مسلم - منفردًا به دون البخاري - والترمذي وابن ماجة من حديث داود بن أبي هندٍ ، به ، وقال الترمذيٰ : حسن صحيح [ ][١] .

ورواه أحمد أيضًا(٦٦) : عن عفان ، عن وهيب ، عن [داود ، عن الشعبي][٢] ، عنها ولم يذكر مسروقًا ، وقال قتادة(٦٧) : عن حسان بن بلال المزني ، عن عائشة ، رضى اللَّه عنها : أنها سألت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن [قول الله][٣] : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ قال : قالت : يا رسول اللَّه ، فأين الناس يومئذ ؟ قال : « **لقد سألتني[٤] عن شيء ما سألني عنه أحد من أمتي ، ذاك إذ الناس علىٰ [جسر جهنم][٥]** » .

وروىٰ الإمام أحمد(٦٨) من حديث حبيب بن أبي عمرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، حدثتني عائشة أنها سألت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن قوله تعالىٰ : ﴿ **والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه** ﴾ فأين الناس يومئذ يا رسول اللَّه ؟ قال : « **هم علىٰ متن جهنم** » .

= المنافقين وأحكامهم ، باب : في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة (٢٩) (٢٧٩١) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة إبراهيم (٣١٢٠) ، وباب : ومن سورة الزمر (٣٢٤٣) ، وابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : ذكر البعث (٤٢٧٩) .

(٦٦) - **صحيح** ، « المسند » (٢٥١٣٥) (١٣٤/٦) ، وأخرجه أحمد أيضًا (٢٥٩٣٧) (٢١٨/٦) ثنا إسماعيل قال : أنا داود ، به ، ليس فيه مسروق ، وانظر السابق .

(٦٧) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥٣/١٣) ، وفي إسناده الوليد بن مسلم وهو كثير التدليس والتسوية ولم يصرح بالتحديث .

(٦٨) - **صحيح** ، الحديث في « المسند » (٢٤٩٦٨) (١١٧/٦) ، وأخرجه أيضًا النسائي في « التفسير » من الكبرى (١١٤٥٣/٦) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الزمر (٣٢٤٢) وقال : « حديث حسن صحيح غريب » ، وصححه الحاكم أيضًا (٤٣٦/٢) ووافقه الذهبي .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ورواه أحمد أيضًا عن عفان عن وهيب عن داود بن أبي هند به ، وقال الترمذي : حسن صحيح » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ت : « قوله » .

[٤] - في ز : « سألتيني » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « خيرهم » .

وقال ابن جرير(٦٩) : حدثنا الحسن ، حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا القاسم ، قال : سمعت الحسن ؛ قال : قالت عائشة : يا رسول الله ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ فأين الناس يومئذ ؟ قال : « **إن هذا الشيء ما سألني عنه أحد** » قال : « **على الصراط يا عائشة** » .

ورواه أحمد(٧٠) : عن عفان ، عن القاسم بن الفضل ، عن الحسن ، به .

وقال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه(٧١) : حدثني الحسن بن علي الحُلْوَانِيُّ ، حدثني أبوتَوْبَة[١] الربيع بن نافع ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد - يعني أخاه - أنه سمع أبا سلام ، حدثني أبو أسماء الرَّحَبِيُّ ، أن ثوبان مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حدثه قال : كنت قائمًا عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فجاء حبر من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد ؛ فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقولُ : يا رسول الله ؟ فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهلُهُ . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي** » فقال اليهودي : جئت أسألك . فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **أينفعك شي إن حدثتك** » قال : أسمع بأذني . فَنَكَتَ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعود معه ، فقال : « **سَلْ** » . فقال اليهودي : أين يكون[٢] الناس حين[٣] تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **هم في الظلمة دون الجسر** » . قال : فمن أول الناس إِجَازَةً ؟ قال : « **فقراء المهاجرين** » . فقال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « **زيادةُ كَبِد الحُوتِ**[٤] » . قال : فما غِذَاؤُهُمْ في إِثْرِهَا ؟ قال : « **يُنْحَر لهم ثَوْرُ الجنة الذي كان يأكُلُ من أطرافها** » . قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : « **من عين فيها**[٥] **تسمى سلسبيلًا** » . قال : صدقت .

قال : وجئت أسألك عن شيء لايعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان .

---

(٦٩) - **إسناده منقطع** ، تفسير ابن جرير (٢٥٣/١٣) ، والحسن لم يسمع من عائشة ، وانظر ما بعده .

(٧٠) - **كسابقه** ، « المسند » (٢٤٨٠٩) (١٠١/٦) وأخرجه أيضًا ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (رقم ٦٧) ثنا علي بن الجعد نا القاسم بن الفضل ، به .

(٧١) - صحيح مسلم ، كتاب : الحيض ، باب : بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما (٣٤) (٣١٥) .

---

[١] - في خ : « ثوبة » .

[٢] - في ز : « تكون » .

[٣] - في خ : « يوم » .

[٤] - في خ : « النون » .

[٥] - زيادة من : ت .

قال : « **أينفعك**[١] **إن حدثتك ؟** » قال : أسمع بأذني . قال : جئت أسألك عن الولد . قال : « **ماء الرجلِ أبيضُ ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فَعَلاَ منيُّ الرجلِ منيَّ المرأة أذْكَرا**[٢] **بإذن الله تعالىٰ ، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله** » . قال اليهودى : لقد صدقت ، وإنك لنبي . ثم انصرف فذهب ، فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي عِلْمٌ بشيء منه ، حتىٰ أتاني الله به** » .

قال[٣] أبوجعفر بن جرير الطبري(٧٢) ، حدثنا ابن عوف ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي ، عن أبي أيوب الأنصاري : أتى النبيَّ ، صلىٰ الله عليه وسلم حبْرٌ من اليهود ، فقال : أرأيت إذ يقول الله تعالىٰ في كتابه : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ فأين الخلق عند ذلك ؟ فقال : « **أضياف الله فلن يعجزهم ما لديه** » .

ورواه ابن أبي حاتم : من حديث أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم به .

وقال شعبة(٧٣) : أخبرنا أبو إسحاق ، سمعت عمرو بن ميمون - وربما قال : قال[٤] عبد الله ، وربما لم يقل - فقلت له : عن عبد الله ؟ فقال : سمعت عمرو بن ميمون يقول : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ قال : أرض كالفضة البيضاء نقية ، لم يسفك فيها دم ، ولم يعمل عليها خطيئة ، ينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعي ، حفاة عراة كما خلقوا . قال : أراه قال : قيامًا حتىٰ يلجمهم العرق .

وروي من وجه آخر(٧٤) : عن شعبة ، عن[٥] إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن

---

(٧٢) - **إسناده ضعيف** ، تفسير ابن جرير (١٣/٢٥٣ - ٢٥٤) وابن أبي مريم - وهو أبو بكر بن عبد الله - ضعيف ، وشيخه مجهول .

(٧٣) - **صحيح موقوفًا** ، أخرجه ابن جرير (١٣/٢٤٩) ، وأحمد في « العلل » (٢/١٧٦) ، وأخرجه ابن جرير ، والحاكم (٤/٥٧٠) ، وعلقه أحمد في « العلل » من طريق شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يقول : سمعت هبيرة بن يريم يقول : سمعت عبد الله بن مسعود ... فذكره . وانظر ما بعده .

(٧٤) - **كسابقه** ، أخرجه ابن جرير (١٣/٢٤٩ - ٢٥٠) وتابع شعبة ، عبيد الله بن موسى عن إسرائيل به ؛ عند الحاكم (٤/٥٧٠) ، وأبي الشيخ في « العظمة » (٣/٥٩٨) ، وقال الحاكم عن هذا الإسناد والذي قبله : « حديث صحيح الإسنادين جميعًا على شرط الشيخين ولم يخرجاه » .

---

[١] - في ز : « ينفعك » . [٢] - في خ : « أذكر » .

[٣] - مكانها بياض في : « ز » وفي خ : « حدثنا » .

[٤] - سقط من : ت . [٥] - في خ : « وعن » .

ميمون ، عن ابن مسعود ، بنحوه .

وكذا رواه عاصم(٧٥) ، عن زر ، عن ابن مسعود ، به . وقال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون لم يخبر به(٧٦) . أورد ذلك كله ابن جرير .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار(٧٧) : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل ، حدثنا سهل بن حماد أبو عتاب[١] ، حدثنا جرير بن أيوب ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في قول الله عز وجل : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ قال : « **أرض بيضاء لم يسفك[٢] عليها دم ، أو[٣] لم يعمل عليها خطيئة** » . ثم قال : لا نعلم رفعه إلا جرير بن أيوب ، وليس[٤] بالقوي .

ثم قال ابن جرير(٧٨) : حدثنا أبو كريب ، ثنا معاوية بن هشام ، عن سنان ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جبيرة ، عن زيد قال : أرسل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى اليهود فقال : « **هل تدرون لم أرسلت إليهم ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **فإني أرسلت إليهم أسألهم عن قول الله : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض ﴾ إنها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة** » . فلما جاءوا سألهم ، فقالوا : تكون بيضاء مثل النقي .

وهكذا روي عن علي وابن عباس وأنس بن مالك ومجاهد بن جبير : أنها[٥] تبدل يوم القيامة بأرض من فضة .

وعن علي رضي الله عنه أنه قال : تصير الأرض فضة ، والسماوات ذهبًا .

(٧٥) - **كسابقه** ، أخرجه ابن جرير (٢٥٠/١٣) ، والطبراني في « الكبير » (٩٠٠١/٩) وجوّد إسناده الهيثمي في « المجمع » (٤٨/٧) .

(٧٦) - أخرجه ابن جرير (٢٥٠/١٣) .

(٧٧) - **إسناده ضعيف جدًا** ، والحديث في مسنده (١٨٥٩)(٢٤٦/٥) ، وأخرجه أيضًا الطبراني في «الكبير » (١٠٣٢٣/١٠) ، وفي « الأوسط » (٧١٦٧/٧) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٤٨/٧) : « وفيه جرير بن أيوب البجلي وهو متروك » ، وقال أيضًا (٣٤٨/١٠) : « رواه البزار وفيه جرير بن أيوب وهو مجمع على ضعفه » .

(٧٨) - **إسناده ضعيف لضعف جابر الجعفي** ، ابن جرير في تفسيره (٢٥٠/١٣) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٦٨/٤) إلى ابن مردويه .

[١] - في ز ، خ : « غياث » .

[٢] - في ز ، خ : « يسقط » .

[٣] - في خ : « و » .

[٤] - في ت : « ليس » .

[٥] - في خ : « حدثنا » .

وقال الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ؛ قال : تصير السماوات جنانًا .

وقال أبومعشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن محمد بن قيس في قوله : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ قال : خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم .

وكذا روىٰ وكيع ، عن [عمر][١] بن بشير الهمداني ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ قال : تبدل الأرض[٢] خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه .

وقال الأعمش ، عن خيثمة ؛ قال : قال عبد اللّٰه - هو[٣] ابن مسعود - : الأرض كلها يوم القيامة نار ، والجنة من ورائها ترىٰ كواعبها وأكوابها ، ويلجم الناس العرق ، أو[٤] يبلغ منهم العرق ، ولم يبلغوا الحساب .

وقال الأعمش أيضًا ، عن المنهال بن عمرو[٥] ، عن قيس بن السكن ، قال : قال عبداللّٰه : الأرض كلها نار يوم القيامة ، والجنة من ورائها ترىٰ أكوابها وكواعبها ، والذي نفس عبد اللّٰه بيده ، إن الرجل ليفيض عرقًا حتىٰ ترسخ في الأرض قدمه ، ثم يرتفع حتىٰ يبلغ[٦] أنفه وما مسه الحساب . [فقالوا : مم ذاك][٧] يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : مما يرىٰ[٨] الناس ويلقون .

وقال أبوجعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن كعب في قوله : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ قال : تصير السماوات جنانًا ، ويصير مكان البحر نارًا ، وتبدل الأرض غيرها .

وفي[٩] الحديث الذي رواه أبوداود(٧٩) : « **لايركب البحر إلا غاز أو حاج أو معتمر ، فإن تحت البحر نارًا ، أو تحت النار بحرًا** » .

---

(٧٩) - **إسناده ضعيف جدًا** ، « السنن » لأبي داود (٢٤٨٩) لكن بلفظ « **لا يركب البحر إلا حاجٌ أو معتمر أو غاز في سبيل الله** ..... » .
وانظر « السلسلة الضعيفة » للألباني (١/ رقم ٤٧٨ ، ٤٧٩) .

---

[١] - في ز ، خ : « معمر » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز : « و » .
[٥] - في ز : « عمر » .
[٦] - في خ : « تبلغ » .
[٧] - في ت : « قالوا : مما ذلك » .
[٨] - في خ : « ترى » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

وفي حديث الصور المشهور المروي عن أبي هريرة(٨٠) ، [عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال][١] : « [يبدل الله الأرض][٢] **غير الأرض والسماوات فيبسطها ، ويمدها مد الأديم العُكَاظِيِّ ، لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا ، ثم يَزْجُرُ اللهُ الخَلْقَ زَجْرةً فإذا هم في هذه المُبَدلَةِ** » .

وقوله : ﴿ **وبرزوا لله** ﴾ أي : خرجت الخلائق جميعها من قبورهم لله ﴿ **الواحد القهار** ﴾ أي : الذي قهر كل شيء وغلبه ، ودانت له الرقاب ، وخضعت له الألباب .

وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ وتبرز الخلائق لديَّانها ، ترىٰ يا محمد يومئذ المجرمين : وهم الذين أجرموا بفسادهم وكفرهم ﴿ **مقرنين** ﴾ أي : بعضهم إلىٰ بعض ، قد جُمِع بين النظراء[٣] أو الأشكال منهم ، كل صنف إلىٰ صنف ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ ، وقال : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، وقال : ﴿ **وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **والشياطين كل بناء وغواص * وآخرين مقرنين فى الأصفاد** ﴾ .

والأصفاد : هي القيود ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والأعمش ، وعبد الرحمن ابن زيد ، وهو مشهور فى اللغة ؛ قال عمرو بن كلثوم :

فآبوا بالثياب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

وقوله : ﴿ **سرابيلهم من قطرانٍ** ﴾ أي : ثيابهم التي يلبسونها عليهم[٤] من قطران ؛ وهو الذي تهنأ به الإبل ، أي : تطلىٰ ، قال[٥] قتادة : وهو ألصق شيء بالنار .

ويقال فيه : قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتسكينها[٦] ، وبكسر القاف وتسكين

(٨٠) - **إسناده ضعيف مضطرب** ، تقدم تخريجه [سورة الأنعام/ آية ٧٣] .

[١] - ما بين المعكوفتين مكررة في : خ .
[٢] - في ز ، خ : « تبدل الأرض » .
[٣] - في خ : « النظر » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في خ : « قاله » .
[٦] - في خ : « وبفتح القاف وتسكين الطاء » .

الطاء ، ومنه قول أبي النجم :

كأن قطرانا إذا تلاها ترمي[١] به الريح إلي مجراها

وكان ابن عباس يقول : القطران هو النحاس المذاب ، وربما قرأها : ﴿ **سرابيلهم من قطران** ﴾ أي : من نحاس حار قد انتهى حرُّه ، وكذا روي عن مجاهد وعكرمة ، وسعيد ابن جبير ، والحسن ، وقتادة .

وقوله : ﴿ **وتغشىٰ وجوههم النار** ﴾ كقوله : ﴿ **تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون** ﴾ .

وقال الإمام أحمد رحمه الله(٨١) : حدثنا يحيى بن إسحاق ، أنبأنا أبان بن يزيد ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن زيد ، عن أبي سلام ، عن أبي مالك الأشعري ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : [« **أربع في أمتي**][٢] **من أمر الجاهلية لا يتركوهن**[٣] ؛ **الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة** [**علىٰ الميت**][٤] ، و[ ][٥] **النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب** » . انفرد بإخراجه مسلم .

وفي حديث القاسم ، عن أبي أمامة ، رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، [ ][٦] : « **النائحة إذا لم تتب توقف في طريق بين الجنة والنار ، سرابيلها**[٧] **من قطران ، وتغشىٰ وجهها**[٨] **النار** »(٨٢) .

وقوله : ﴿ **ليجزي الله** [**كل نفس ما كسبت**][٩] ﴾ أي : [ ][١٠] يوم القيامة ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ .

(٨١) - **صحيح** ، الحديث في « المسند » (٥/٣٤٢ - ٣٤٣) ووقع بين يحيى بن إسحاق ، وأبان بن يزيد « ثنا موسى » ولعلها مقحمة ، وأخرجه أحمد أيضًا (٥/٣٤٤) ، ومسلم ، كتاب : الجنائز ، باب : التشديد في النياحة (٢٩) (٩٣٤) من طريقين عن أبان به ، وأخرجه أحمد (٢٣٠١١) (٥/٣٤٣) ثنا أبو عامر ثنا علي ابن المبارك عن يحيى بن أبي كثير ، به .

(٨٢) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه الطبراني في « الكبير » (٨/٧٨١٨) ، وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني وعبيد الله بن زَحْر وكلاهما ضعيف ، وإن كان الأخير أحسن حالًا من الذي قبله ، وقد أعل الهيثمي =

[١] - في خ : « يرمي » .
[٢] - في ز ، خ : « أربعة » .
[٣] - في ز ، خ : « يتركهن » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : والنياحة .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : رفعه .
[٧] - في ت : « وسرابيلها » .
[٨] - في خ : « وجوههم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : يقسم .

﴿ **إن الله سريع الحساب** ﴾ يحتمل[١] أن يكون كقوله تعالىٰ : ﴿ **اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾ ويحتمل أنه في حال محاسبته لعبده سريع النجاز ؛ لأنه يعلم كل شيء ولايخفىٰ عليه خافية ، وإن جميع الخلق بالنسبة إلىٰ قدرته كالواحد منهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ وهذا معنىٰ قول مجاهد : ﴿ **سريع الحساب** ﴾ إحصاء[٢] .

ويحتمل أن يكون المعنيان[٣] مرادين ، والله أعلم .

هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

يقول تعالىٰ : هذا القرآن بلاغ للناس ، كقوله : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ أي : هو بلاغ لجميع الخلق ؛ من إنس وجان[٤] ، كما قال في أول السورة : ﴿ **الر**[٥] **كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم** ﴾ .

﴿ **ولينذروا به** ﴾ أي : يتعظوا[٦] به ﴿ **وليعلموا أنما هو إله واحد** ﴾ أي : يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات علىٰ أنه لا إله إلا هو ﴿ **وليذكر أولوا الألباب** ﴾ أي : ذوو العقول .

آخر تفسير سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، [والحمد لله][٧] رب العالمين

☆ ☆ ☆

= في « المجمع » (١٧/٣) الحديث بهذا الأخير ، فقال : « رواه الطبراني في الكبير وفيه عبيد الله بن زحر وهو ضعيف » لكن يشهد لمعناه الحديث السابق والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا .

[١] - في ز ، خ : « ويحتمل » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « المعنيين » .
[٤] - في ت : « وجن » .
[٥] - في ز ، خ : « الم » .
[٦] - في خ : « ليتعظوا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « ولله الحمد » .

سورة الحجر

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

قد تقدم الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أوائل السور .

وقوله تعالىٰ: ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ ، إخبار عنهم أنهم سيندمون علىٰ ما كانوا فيه من الكفر ، ويتمنون لو كانوا في الدار الدنيا مع المسلمين .

ونقل السدي في تفسيره بسنده المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة : أن [الكفار][١] لما عرضوا علىٰ النار تمنوا أن لو كانوا مسلمين .

وقيل : إن[٢] المراد أن كل كافر يود عند احتضاره[٣] أن لو كان مؤمنًا .

وقيل : هذا إخبار عن يوم القيامة ، كقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **ولوترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** ﴾ .

وقال سفيان الثوري(١) : عن سلمة بن[٥] كهيل ، عن[٦] أبي الزعراء ، عن عبد الله في قوله : ﴿ **رُبَمَا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ قال : هذا في الجهنميين إذا[٧] رأوهم يخرجون من النار .

وقال[٨] ابن جرير(٢) : حدثني المثنىٰ ، أخبرنا مسلم بن إبراهيم [، حدثنا القاسم][٩]

---

(١) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/١٤) ورجاله ثقات ، رجال الشيخين غير أبي الزعراء وهو الكبير واسمه عبد الله بن هانئ الكندي الكوفي ، وثقه ابن سعد والعجلي وابن حبان ، وقال البخاري : « لا يتابع في حديثه » ، وقال علي بن المديني : « عامة رواية أبي الزَّعْراء عن عبد الله بن مسعود ، ولا أعلم أحدًا روىٰ عنه إلا سلمة بن كهيل » .

(٢) - ابن جرير في تفسيره (٣/١٤) ، وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٦٠٢) (ص ٥٥٨) من =

---

[١] - في ت : « كفار قريش » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « احضاره » .
[٤] - في خ : « كما في قوله » .
[٥] - في ز ، خ : عن .
[٦] - في ز : « ابن » .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - مكانها بياض في ز .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

حدثنا ابن أبي فروة العبدي : أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية ﴿ رُبَمَا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ يتأولانها : يوم يحبس اللَّه أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار . قال : فيقول لهم المشركون : ما أغنىٰ عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا . قال : فيغضب اللَّه لهم بفضل رحمته فيخرجهم ، فذلك حين يقول : ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ .

وقال عبدالرزاق (٣) : أخبرنا[١] الثوري عن حماد ، عن إبراهيم ، وعن خصيف ، عن[٢] مجاهد ؛ قالا : يقول أهل النار للموحدين : ما أغنىٰ [عنكم إيمانكم][٣]؟ فإذا قالوا ذلك ، قال اللَّه : أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة [من إيمان][٤] قال : فعند ذلك قوله : ﴿ ربما[٥] يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ .

وهكذا روي عن الضحاك وقتادة وأبي العالية وغيرهم . وقد ورد في ذلك أحاديث مرفوعة ؛ فقال الحافظ أبوالقاسم الطبراني (٤) :

حدثنا محمد بن العباس - هو الأخرم[٦]- حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، حدثنا صالح بن إسحاق الجِهْبِذ[٧] - [دلني عليه يحيى بن معين][٨] - حدثنا مُعرّف[٩] بن واصل ، عن يعقوب [بن نباتة](*) ، عن عبدالرحمن الأغر ، عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إن ناسًا من أهل لا إله إلا اللَّه

= طريق القاسم بن الفضل عن عبيد الله بن أبي جروة العبدي ، كذا وقع في الزهد ، ولعله هو الصواب ، فإني لم أقف على من اسمه ابن أبي فروة العبدي في كتب الرجال ، ثم إن ابن أبي جروة ذكره البخاري في « التاريخ الكبير » (٣٧٦/٥) ، ووثقه ابن حبان -« الثقات »- (٦٧/٥) ، والأثر أخرجه أيضًا البيهقي في « البعث » (٧٦) من طريق القاسم بن الفضل ثنا عبد الله بن أبي جرول - كذا وقع - ولعله محرف من السابق ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٧٢/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٣) - « التفسر » لعبد الرزاق (٣٤٥/٢) وحماد هو ابن أبي سليمان ، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي ، وخصيف هو بن عبد الرحمن .

(٤) - الحديث في « المعجم الأوسط » (٧٢٩٣/٧) وقال : « لم يرو هذا الحديث عن معروف - كذا - ابن واصل إلا صالح بن إسحاق الجِهْبذ » ورواه عن الطبراني أبو نعيم في « الحلية » (٢١٧/١٠ - ٢١٨) ، =

[١] - في خ : « أنبأنا » . [٢] - في خ : « وعن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « عنكم جمعكم إيمانكم » .
[٤] - سقط من : ز ، خ . [٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « الأحزم » . [٧] - في خ : « الجهدراي » .
[٨] - في ز : « رأى علية بن موسى » ، وفي خ : وعلية بن موسى . والمثبت من الأوسط .
[٩] - في ز ، خ : « معروف » .

يدخلون النار بذنوبهم ، فيقول لهم أهل اللات والعزىٰ : ما أغنىٰ عنكم قولكم : لا إله إلا اللّٰه ، وأنتم معنا في النار ؟ فيغضب اللّٰه لهم [فيخرجهم ، فيلقيهم][١] في نهر الحياة ، فيبرءون[٢] من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه[٣]، فيدخلون[٤] الجنة ويسمون فيها الجهنميين[٥]» . فقال رجل : يا أنس ، أنت سمعت هذا من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؟ فقال أنس : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** » . نعم ، أنا سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم يقول هذا .

ثم قال الطبراني : تفرد به الجهبذ .

(الحديث الثاني) وقال الطبراني أيضا(٥) : حدثنا عبداللّٰه بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبوالشعثاء علي بن حسن الواسطي ، حدثنا خالد بن نافع الأشعري ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسىٰ رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا اجتمع أهل النار في النار ، ومعهم من شاء اللّٰه من أهل القبلة ، قال الكفار للمسلمين : ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا : بلىٰ . قالوا : فما أغنىٰ عنكم الإسلامُ ، فقد صرتم معنا في النار ؟ قالوا : كانت لنا ذنوب فأخذنا بها . فسمع اللّٰه ما قالوا ، فأمر بمن**

= ومن طريق أبي نعيم الخطيب البغدادي في تاريخه (٩/٣١١ - ٣١٢) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٩٠/ ٣٨٣) : « وفيه من لم أعرفهم » . قلت : لم أقف على ترجمة ليعقوب بن أبي نباتة وكذا صالح بن إسحاق .

وقد رواه أحمد مطولًا بنحوه (٣/١٤٤) وإسناد صحيح والجزء الأخير منه عند البخاري (رقم ١٠٨) ومسلم (٢) . كلهم من حديث أنس .

(*) ما بين المعكوفتين في المطبوع من الأوسط : « بن أبي نباتة » .

(٥) - أخرجه في « المعجم الكبير » كما في « المجمع » (٧/٤٨) ، وأخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٢/ ٨٤٣) ، والحاكم (٢/٢٤٢) ، وعنه البيهقي في « البعث » (٧٩) من طريق أبي الشعثاء به ، وأخرجه ابن جرير (١٤/٢) حدثنا علي بن سعيد بن مسروق ثنا خالد بن نافع به .

وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وقال في « المجمع » : « فيه خالد بن نافع الأشعري قال أبو داود : متروك . قال الذهبي هذا تجاوز في الحد فلا يستحق الترك ؛ فقد حدث عنه أحمد ابن حنبل وغيره . وبقية رجاله ثقات » قلت : وقد ضعف خالدًا هذا أيضًا أبو زرعة والنسائي وقال أبو حاتم : ليس بالقوي ، يكتب حديثه [انظر « لسان الميزان »] . ويشهد له ما قبله وما يأتي .

[١] - في خ : « فيخرجهم في الناس فيلقهم » . [٢] - في ت : « فيبرؤن » .
[٣] - في ز ، خ : « كسوفة » . [٤] - في ت : « ويدخلون » .
[٥] - في خ : « الجهنميّون » .

كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا ، فلما رأىٰ ذلك من بقي من الكفار قالوا : ياليتنا كنا مسلمين فنخرجَ كما خرجوا!! » . قال : ثم قرأ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم : ﴿ **الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين * ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ .

ورواه ابن أبي حاتم : من حديث خالد بن نافع به ، وزاد فيه : بسم اللّٰه الرحمن الرحيم ، عوض الاستعاذة .

(الحديث الثالث) قال[١] الطبراني أيضًا(٦) : حدثنا موسىٰ بن هارون ، حدثنا إسحاق ابن راهويه ؛ قال : قلت لأبي أسامة : أحدّثكم أبو روق[٢] واسمه[٣] عطية بن الحارث : حدثني صالح بن أبي طريف ؛ قال : سألت أبا سعيد الخدري فقلت له : هل سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول في هذه الآية : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ ؟ قال : نعم ، سمعته يقول : « **يخرج اللّٰه ناسًا من المؤمنين من النار بعدما يأخذ نقمته منهم** » . وقال : « **لما أدخلهم اللّٰه النار مع المشركين ، قال لهم المشركون : تزعمون أنكم أولياء اللّٰه في الدنيا فما بالكم معنا في النار ؟ فإذا سمع اللّٰه ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم ، فتشفع لهم[٤] الملائكة والنبيون ، ويشفع المؤمنون حتىٰ يخرجوا بإذن اللّٰه ، فإذا رأىٰ المشركون ذلك ، قالوا : ياليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم !!** » قال : « **فذلك قول اللّٰه** : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ **فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم ، فيقولون : يارب ، أذهب عنا هذا الاسم ، فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم** » ؟ فأقر به أبو أسامة ، وقال : نعم .

(الحديث الرابع) وقال ابن أبي حاتم(٧) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا العباس ابن[٥] الوليد النرسي[٦] ، حدثنا مسكين أبو فاطمة ، حدثني اليمان بن يزيد ، عن محمد ابن

(٦) - وعزاه إلى الطبراني السيوطي في « الدر المنثور » (١٧٢/٤) وكذا إلى إسحاق بن راهوية وابن مردويه وصححه ابن حبان (٧٤٣٢/١٦/إحسان) و (٢٥٩٩/٨/ موارد) من طريق عبدالله بن عمر بن أبان بن صالح : قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي روق به .

(٧) - وأخرجه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (١٥٦٨/٢) مطولًا ، وأخرجه مختصرًا أيضًا (١٥٦٧) ، والدارقطني في « المؤتلف والمختلف » (٦٦٧/٢) ، والخطيب البغدادي في تاريخه (١٥٦/٦) من طريق العباس بن الوليد النرسي به ، وقال الدارقطني : «اليمان بن يزيد مجهول ومسكين أبو فاطمة ضعيف =

[١] - في ز ، خ : « وقال » .
[٢] - في خ : « رق » .
[٣] - في خ : « وحدَّثه » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « عن » .
[٦] - في ز : « البرسني » ، خ : « البرسي » .

حِمْيَر(*) ، عن محمد بن[١] علي ، عن أبيه ، عن جده ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « منهم من تأخذه النار إلىٰ ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلىٰ حجزته ، ومنهم من تأخذه النار إلىٰ عنقه ، علىٰ قدر ذنوبهم وأعمالهم ، [ومنهم من يمكث فيها شهرًا ثم يخرج منها][٢]، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها ، وأطولهم فيها مكثًا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلىٰ أن تفنىٰ ، فإذا أراد اللّٰه أن يخرجوا[٣] منها ، قالت اليهود والنصارىٰ ومن في النار من أهل الأديان والأوثان ، لمن في النار من أهل التوحيد : آمنتم باللّٰه وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم في النار سواء ؟ فيغضب اللّٰه لهم غضبًا لم يغضبه لشيء فيما مضىٰ ، فيخرجهم إلىٰ عين في الجنة وهو قوله : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا** ﴾ تهديد شديد لهم ووعيد أكيد ، كقوله تعالىٰ: ﴿ **قل تمتعوا فإن مصيركم الي النار** ﴾ ، وقوله : ﴿ **كلوا وتمتعوا قليلًا إنكم مجرمون** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **ويلههم الأمل** ﴾ أي : عن التوبة والإنابة ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ أي : عاقبة أمرهم .

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾

يقول[٤] تعالىٰ : إنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ، وإنه لا يؤخر أمة حان هلاكهم[٥] عن ميقاتها ، ولا يتقدمون عن مدتهم ، وهذا تنبيه لأهل مكة ، وإرشاد لهم إلى الإقلاع عما هم فيه[٦] من الشرك والعناد والإلحاد الذي يستحقون به الهلاك .

﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ

= الحديث ومحمد بن حمير هذا لا أعرفه إلا في هذا الحديث وهو حديث منكر » ، وقال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح وفيه جماعة مجاهيل » . وقال الذهبي في « الميزان » (٦/ترجمة اليمان بن يزيد) : « عن محمد بن حمير الحمصي بخبر طويل في عذاب الفساق أظنه موضوعًا » والحديث زاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (١٧٣/٤) إلى ابن شاهين في « السنة » .

(*) في (ز ، خ) : « جبر » ، والمثبت من كتب الرجال .

---

[١] - في ز ، خ : « أبو » ، وهو خطأ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ت : « يخرجهم » .
[٤] - في ت : « يخبر » .
[٥] - في خ : « هلاكها » .
[٦] - في ت : « عليه » .

إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾

يخبر تعالىٰ عن كفرهم وعتوّهم[١] وعنادهم في قولهم ﴿ **يا أيها الذي نزل عليه الذكر** ﴾ أي : الذي يدعي[٢] ذلك ﴿ **إنك لمجنون** ﴾ أي : في دعائك إيانا إلىٰ اتباعك ، وترك ما وجدنا عليه آباءنا ﴿ **لو ما** ﴾ أي : هلَّا ﴿ **تأتينا بالملائكة** ﴾ أي : يشهدون لك بصحة ما جئت به [إن كنت من الصادقين][٣]، كما قال فرعون : ﴿ **فلولا**[٤] **ألقي عليه أسورة**[٥] **من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين** ﴾ ، ﴿ **وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرىٰ ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًّا كبيرا * يوم يرون الملائكة لابشرىٰ يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورًا** ﴾ ، وكذا قال في هذه الآية : ﴿ **ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذًا منظرين** ﴾ .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذًا منظرين** ﴾ بالرسالة والعذاب .

ثم قرر تعالىٰ أنه هو الذي أنزل عليه[٦] الذكر وهو القرآن ، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل .

ومنهم من أعاد الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿ **له لحافظون** ﴾ علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كقوله : ﴿ **واللَّه يعصمك من الناس** ﴾ والمعنىٰ الأول أولىٰ وهو ظاهر السياق .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالىٰ مسليًا لرسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم في تكذيب من كذبه من كفار قريش : إنه أرسل من قبله في[٧] الأمم الماضية ، وإنه ما أتىٰ أمة من[٨] رسول[٩] إلا كذبوه واستهزءوا

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ت : « تدعي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٤] - في خ : « لولا » .
[٥] - في ز ، خ : « أساورة » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « من » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في خ : « رسولا » .

به .

ثم أخبر أنه سلك التكذيب في قلوب المجرمين ، الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدىٰ .

قال أنس والحسن البصري : ﴿ **كذلك نسلكه في قلوب المجرمين** ﴾ يعني : الشرك .

وقوله : ﴿ **وقد خلت سنة الأولين** ﴾ أي : قد علم ما فعل تعالىٰ بمن كذب رسله من الهلاك والدمار ، وكيف أنجىٰ اللّٰه الأنبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة .

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

يخبر تعالىٰ عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق : أنه لو فُتح لهم بابٌ من السماء فجعلوا يصعدون فيه لما صدقوا بذلك ، بل قالوا : ﴿ **سكرت أبصارنا** ﴾ . قال مجاهد وابن كثير والضحاك : سدت أبصارنا . وقال قتادة ، عن ابن عباس : أخذت أبصارنا .

و[١] قال العوفي ، عن ابن عباس : شبه علينا وإنما سحرنا .

وقال الكلبي : عميت أبصارنا .

وقال ابن زيد : ﴿ **سكرت أبصارنا** ﴾ السكران الذي لايعقل .

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالىٰ خلقه السماء في ارتفاعها ، وما زينها به من الكواكب الثواقب ، لمن تأملها وكرر [نظره فيما يرىٰ فيها][٢] من العجائب والآيات الباهرات ، ما يحار نظره فيه ، ولهذا

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « النظر فيما يرى » .

قال مجاهد وقتادة : البروج هٰهنا هي الكواكب (قلت) : وهذا كقوله تبارك وتعالىٰ : ﴿ **تبارك الذىٰ جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا** ﴾ . ومنهم من قال : البروج هي منازل الشمس والقمر .

وقال عطية العوفي : البروج هاهنا هي قصور الحرس .

وجعل الشهب حرسًا لها من مردة الشياطين ؛ لئلا يَسَّمَّعوا[١] إلىٰ الملأ الأعلىٰ . فمن تمرد وتقدم[٢] منهم لاستراق[٣] السمع جاءه [شهاب مبين][٤] فأتلفه ، فربما يكون قد ألقىٰ الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلىٰ الذي هو دونه ، فيأخذها الآخر ويأتي بها إلىٰ وليه ، كما جاء مصرحًا به في الصحيح كما قال البخاري في تفسير هذه الآية(٨) :

حدثنا علي بن عبد اللّه ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، يبلغ به النبىٰ صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « إذا قضىٰ اللّه الأمر في السماء ، [ ][٥] ضَرَبَت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كالسلسة علىٰ صفوان » . قال عليٌّ . وقال غيره[٦]: «صفوانٍ ينفذُهم ذلك . فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا للذي قال : الحقَّ وهو العلي الكبير . فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع هكذا واحدٌ فوق الآخر[٧]- ووصف سفيان[٨] بيده وفرّج بين أصابع يده اليمنى ، نَصَبَها بعضَها فوق بعض - فربما أدرك الشهابُ المستمعَ قبل أن يَرمِيَ[٩] بها إلىٰ صاحبه فيُحْرِقَه ، وربما لم يدركه حتىٰ يرمي بها إلىٰ الذي يليه ، [إلىٰ الذي][١٠] هو أسفل منه ، حتىٰ يلقوها إلىٰ الأرض - وربما قال سفيان : حتىٰ تنتهي إلىٰ الأرض - فتلقىٰ[١١] علىٰ فم الساحر أو الكاهن ، فيكذب معها مائة كذبة ، فَيَصْدُقُ ، فيقولون : ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقًا ؟ للكلمة التي سمعت من السماء » .

ثم ذكر تعالىٰ خلقه الأرض ومده إياها ، وتوسيعها[١٢] وبسطها ، وما جعل فيها من الجبال الرواسي ، والأودية والأراضي والرمال ، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة .

---

[١] - في خ : « يسمَّعون » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « واسترق » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « إلا » .
[٦] - في ز : « غير » .
[٧] - في ز : « آخر » .
[٨] - في ز : « صفوان » .
[٩] - في ز : « يأتي » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١١] - في ز : « فيلقى » .
[١٢] - في ز : « سعتها » .

و[١] قال ابن عباس : ﴿ من كل شيء موزون ﴾ أي : معلوم . وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبومالك ومجاهد والحكم بن عُتيبة[٢] والحسن بن محمد وأبو صالح وقتادة .

ومنهم من يقول : مقدر بقدر .

وقال ابن زيد : من كل شيء يوزن ويقدر بقدر . وقال ابن زيد : ما [يزنه أهل][٣] الأسواق .

وقوله : ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ﴾ يذكر تعالىٰ أنه صرفهم في الأرض في صنوف الأسباب[٤] والمعايش ؛ وهي جمع معيشة .

وقوله : ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ قال مجاهد : و[٥]هي الدواب والأنعام ، وقال ابن جرير : هم العبيد والإماء والدواب والأنعام .

والقصد : أنه تعالىٰ يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ، ووجوه الأسباب ، وصنوف المعايش ، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها ، والأنعام التي يأكلونها ، والعبيد والإماء التي يستخدمونها ، ورزقهم علىٰ خالقهم لا عليهم ، فلهم هم المنفعة ، والرزق علىٰ الله تعالىٰ .

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا
ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾
وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ
عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

يخبر تعالىٰ أنه مالك كل شيء ، وأن كل شيء سهل عليه يسير لديه ، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ كما يشاء وكما يريد ، ولما له في ذلك من الحكمة البالغة والرحمة بعباده[٦]، لا علىٰ جهة[٧] الوجوب ، بل هو كتب على

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « قتيبة » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « تزنه » .
[٤] - في ز : « الأصناف » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في خ : « لعباده » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

نفسه الرحمة .

قال يزيد بن أبي زياد ، عن أبي جحيفة ، عن عبد اللَّه : ما من عام بأمطر من عام ، ولكن اللَّه يقسمه [ ][١] حيث شاء ، عامًا هاهنا وعامًا هاهنا . ثم قرأ : ﴿ **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم** ﴾ . رواه ابن جرير(٩) .

وقال أيضا(١٠) : حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين[٢]، حدثنا هشيم ، أخبرنا[٣] إسماعيل بن سالم ، عن الحكم بن عُتيبة[٤]. في قوله : ﴿ **وما ننزله إلا بقدر معلوم** ﴾ قال : ما عام بأكثر مطرًا من عام ولا أقل ، ولكنه يُمْطر قوم ويحرم آخرون ، وربما كان في البحر . قال[٥]: وبلغنا أنه ينزل مع المطر من[٦] الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم ، يحصون كل قطرة حيث تقع وما تُنبت .

وقال البزار(١١) : حدثنا داود - هو ابن[٧] بكر التستري - حدثنا حبان[٨] بن أغلب ابن تميم ، حدثني أبي ، عن هشام ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « [خزائن الله الكلام ، فإذا أراد شيئًا قال له : كن . فكان »][٩] . ثم قال : لا يرويه إلا أغلب [ولم يكن][١٠] بالقوي ، وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين ، ولم يروه عنه إلا ابنه .

---

(٨) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : « إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » (٤٧٠١) ، وأخرجه أبو داود ، كتاب : الحروف والقراءات (٣٩٨٩) ، والترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة سبأ (٣٢٢١) ، وابن ماجة في المقدمة (١٩٤) مختصرًا ومطولًا .

(٩) - **إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد** ، ابن جرير في تفسيره (١٩/١٤) .

(١٠) - ابن جرير في تفسيره (١٩/١٤) ، وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٤٩٣/٣) من طريق هشيم به وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٧٨/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١١) - الحديث في « المسند » (١/٢٧٩ ، النسخة الأزهرية) .

وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (١٥٥/٢) من طريق حبان به ، وحبان هذا ضعفه أبو حاتم وغيره ، وأبوه أغلب بن تميم ، قال فيه البخاري : منكر الحديث .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « بينهم » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « أنبأنا » .

[٤] - في ز ، خ : « عيينة » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - في ز « بن موا بن » .

[٨] - في ت : « حيان » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[١٠] - في ت : « ليس » .

وقوله تعالىٰ: ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾ أي : تلقح السحاب فتدر ماء ، وتلقح الشجر [فتفتح عن][١] أوراقها وأكمامها ؛ و[٢]هذه الرياح ذكرها[٣] بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها ، ووصفها بالعقيم وهو عدم الإنتاج ؛ لأنه لايكون إلا من[٤] شيئين فصاعدًا .

و[٥]قال الأعمش(١٢) : عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن[٦]، عن عبدالله بن مسعود في قوله : ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾ قال : لواقح[٧] ترسل[٨] الريح فتحمل[٩] الماء من السماء ، [ثم تمري][١٠] السحاب حتىٰ تذر كما تدر اللقحة .

وكذا قال ابن عباس وإبراهيم النخعي وقتادة .

وقال الضحاك : يبعثها الله علىٰ السحاب فتلقحه[١١] فيمتلئ ماء .

وقال عبيد بن عمير الليثي(١٣) : يبعث الله المبشرة فتقم الأرض قمًا[١٢]، ثم يبعث الله المثيرة فتثير [ ][١٣] السحاب ، ثم يبعث الله المؤلِّفة فتؤلف السحاب ، ثم يبعث الله اللواقح فتلقّح الشجر . ثم تلا : ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾ .

وقد روىٰ ابن جرير(١٤) : من حديث عبيس بن ميمون ، عن أبي المهزم ، عن أبي

---

(١٢) - **إسناده صحيح** ، أخرجه الطبراني في « الكبير » (٩/٩٠٨٠) ، وابن جرير في تفسيره (١٤/٢٠) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٧٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في « مكارم الأخلاق » .

(١٣) - أخرجه ابن جرير (١٤/٢١) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤/٧١٥ ، ٨٢٦) ، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٤/١٧٩) .

(١٤) - ابن جرير في تفسيره (١٤/٢٢) ، وأخرجه أيضًا أبو الشيخ في « العظمة » (٤/٨٠٠ ، ٨٠١) ، وابن أبي الدنيا في « كتاب السحاب » ، وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٤/١٧٩) - وذكره الديلمي في « مسند الفردوس » (٣٢٦٢) ، وأبو المهزم هذا متروك كما في « التقريب » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « فتنفتح » .
[٢] - سقط من « ت » .
[٣] - في ت : «و ذكرها » .
[٤] - في ت : « بين » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « المسكين » .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - في ز ، خ : « يرسل » .
[٩] - في خ : « فيحمل » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في خ : « تمرُّ مرًّ » .
[١١] - في خ : « قد لقحه » .
[١٢] - سقط من : خ .
[١٣] - في ز ، خ : الأرض .

هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « الريح الجنوب من الجنة ، [وهي الريح اللواقح][١] وهي التي[٢] ذكر اللّٰه في كتابه ، وفيها منافع للناس » وهذا[٣] إسناد ضعيف .

وقال الإمام أبو بكر عبد اللّٰه بن الزبير الحميدي في مسنده(١٥) : حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار ، أخبرني يزيد بن جُعدبة[٤] الليثي ، أنه سمع عبد الرحمن بن مخراق يحدث عن أبي ذر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إن اللّٰه خلق في الجنة ريحًا بعد الريح بسبع[٥] سنين ، وإن من دونها بابًا مغلقًا ، وإنما يأتيكم الريح من خلل ذلك الباب ، ولو فتح لأذرت[٦] ما بين السماء والأرض من شيء ، وهي عند اللّٰه الأذيب[٧]، وهي فيكم الجنوب » .

وقوله : ﴿ **فأسقيناكموه** ﴾ أي : أنزلناه لكم عذبًا يمكنكم أن تشربوا منه ، و[٨] لو نشاء لجعلناه[٩] أجاجًا ، كما ينبه اللّٰه علىٰ ذلك في الآية الأخرىٰ في سورة الواقعة ؛ وهو[١٠] قوله تعالىٰ : ﴿ **أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟ * لو نشاء جعلناه أجاجًا فلولا تشكرون** ﴾ وفي قوله : ﴿ **هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما أنتم له بخازنين** ﴾ قال سفيان الثوري : بمانعين .

ويحتمل أن المراد : وما أنتم له بحافظين ، بل نحن ننزله ونحفظه عليكم ، ونجعله معينًا وينابيع في الأرض ، ولو شاء تعالىٰ لأغاره وذهب به ، ولكن من رحمته أنزله وجعله عذبًا ، وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك ؛ ليبقىٰ لهم في طول السنة يشربون ويسقون

(١٥) - مسند الحميدي رقم (١٢٩) ، وأخرجه أيضًا البخاري في « التاريخ الكبير » (٣٤٧/٥) مختصرًا ، وابن عدي في « الكامل » (٢٧١٨/٧) ، والبزار (١٨٣٦/٢ - مختصر الزوائد) ، وأبو الشيخ في «العظمة» (٨٤٥/٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٦٤/٣) من طرق عن سفيان به ، ورواه أيضًا ابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه في مسنديهما - كما في « الدر المنثور » (٣٠١/١) وعزاه أيضًا في « الجامع الصغير » إلى الروياني والضياء في « المختارة » ، ويزيد بن جعدبة هذا كذبه البزار والهيثمي في « المجمع » (١٣٨/٨) . والحديث أورده الألباني في « ضعيف الجامع الصغير » (١٦٠٧/٢) وحكم عليه بالوضع .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « وفي هذا » .
[٤] - في خ : « جعدية » .
[٥] - في ت : « سبع » .
[٦] - في ز ، خ : « لا درب » وهو تحريف .
[٧] - في ز « الأديب » .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - في خ : « جعلناه » .
[١٠] - في ز ، خ : « وهي » .

أنعامهم وزروعهم وثمارهم .

وقوله : ﴿ وإنا لنحن نحيي ونميت ﴾ إخبار عن قدرته تعالىٰ علىٰ بدء الخلق وإعادته ، وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم ، ثم يميتهم ، ثم يبعثهم كلهم ليوم الجمع .

وأخبر أنه تعالىٰ يرث الأرض ومن عليها ، وإليه يرجعون[١].

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن تمام علمه بهم أولهم وآخرهم [ ] : ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾ ، قال[٢] ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - : المستقدمون : كل من هلك من لدن آدم عليه السلام . والمستأخرون : من هو حي ومن سيأتي إلىٰ يوم القيامة .

وروي نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب والشعبي وغيرهم ، وهو اختيار ابن جرير رحمه اللَّه .

وقال ابن جرير(١٦) : حدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، [عن رجل][٣]، عن مروان بن الحكم أنه قال : كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء ، فأنزل اللَّه : ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾ .

وقد ورد [في هذا][٤] حديث غريب جدًّا ؛ فقال[٥] ابن جرير(١٧) :

حدثني[٦] محمد بن موسىٰ الحرشي(*) ، حدثنا نوح بن قيس [ ][٧]، حدثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : كانت تصلي خلف النبي

---

(١٦) - مرسل ، وفي إسناده جهالة ، ابن جرير في تفسيره (٢٦/١٤) .

(١٧) - ابن جرير في تفسيره (٢٦/١٤) ، والحديث أخرجه أحمد (٣٠٥/١) ، والترمذي (٣١٢١) - وأعله بقوله : « وروى جعفر بن سليمان - انظر ما بعده - هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نحوه ، ولم يذكر فيه عن ابن عباس ، وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح » - والنسائي (١١٨/٢) ، وفي « التفسير » من الكبرى (١١٢٣٧/٦) ، وابن ماجة (١٠٤٦) ، وصححه ابن خزيمة (١٦٩٦ ، ١٦٩٧) ، وابن حبان (٤٠١/٢) ، والحاكم (٣٥٣/٢) ، ووافقه الذهبي ، وصححه أيضًا الشيخ الألباني في « الصحيحة » (٢٤٧٢/٥) فانظره ثمة مع جوابه عن إعلال كل من الترمذي وابن كثير للحديث .

(*) وقع في « المطبوع من تفسير ابن جرير « الحرسى » وهو تصحيف وصوبه العلامة أحمد شاكر في نسخته عند الحديث رقم (٤٣٨٨) .

---

[١] - في خ : « ترجعون » .

[٢] - في ت : فقال .

[٣] - مكانها بياض في ز ، خ : « وقال » .

[٤] - في ز : « أنا » ، خ : « أنبأنا » .

[٥] - في ت : « فيه » .

[٦] - في خ : « وقال » .

[٧] - في ز ، خ : « حدثنا عمرو بن قيس » .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم امرأة [ ][١]. قال ابن عباس : لا واللَّه إن[٢] رأيت مثلها قط ، وكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا ، يعني : لئلا يروها[٣]، وبعض يستأخرون ، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم ، فأنزل اللَّه : ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** ﴾ .

وكذا[٤] رواه أحمد وابن أبي حاتم في تفسيره ، ورواه[٥] الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننيهما وابن ماجه : من طرق ، عن نوح بن قيس الحدَّاني ، وقد وثقه أحمد وأبو داود وغيرهما ، وحكي عن ابن معين تضعيفه ، وأخرج[٦] له مسلم وأهل السنن .

وهذا الحديث فيه نكارة شديدة ، وقد رواه عبد الرزاق(١٨) ، عن جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك - وهو النكري[٧] - أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله : ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم** ﴾ : في الصفوف في الصلاة ﴿ **والمستأخرين** ﴾ . فالظاهر[٨] أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ، ليس فيه لابن عباس ذكر . وقد قال الترمذي : هذا أشبه من رواية نوح ابن قيس . واللَّه أعلم .

وهكذا روىٰ ابن جرير(١٩) عن محمد بن أبي معشر ، عن أبيه ، أنه سمع [عون ابن][٩] عبد اللَّه يذاكر [ ][١٠] محمد بن كعب في قوله : ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** ﴾ أنها[١١] في صفوف الصلاة . فقال محمد بن كعب : ليس هكذا ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم** ﴾ الميت والمقتول ﴿ **والمستأخرين** ﴾ من يخلق بعد ﴿ **وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم** ﴾ فقال عون بن عبد اللَّه : وفقك اللَّه وجزاك خيرًا .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن

(١٨) - في تفسيره (٢/٣٤٨) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٨٠) إلى ابن المنذر .

(١٩) - **إسناده ضعيف** ؛ لضعف أبي معشر وهو نجيح بن عبد الرحمن ابن جرير في تفسيره (١٤/٢٣) ، وابن أبي حاتم - كما في « الدر المنثور » (٤/١٨١) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « حسناء » .
[٢] - في ت : « ما » .
[٣] - في ز ، خ : « يراها » .
[٤] - في ز : « وهكذا » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ت : « أخرجه » .
[٧] - في ز ، خ : « السكرى » .
[٨] - في ز : « والظاهر » .
[٩] - في خ : « ابن » .
[١٠] - في ز ، خ : عن .
[١١] - في ز ، خ : « وأنها » .

نَارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : المراد بالصلصال هاهنا التراب اليابس .

والظاهر أنه كقوله تعالىٰ : ﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ .

وعن مجاهد أيضًا : ﴿ **الصلصال** ﴾ المنتن .

وتفسير الآية بالآية أولىٰ .

وقوله : ﴿ **من حمأ مسنون** ﴾ أي : الصلصال من حمأ وهو الطين . والمسنون : الأملس ، كما قال الشاعر :

ثم خاصرتها[١] إلىٰ القبة الخضـ راء تمـشـي في مـرمـر مـسـنـون

أي : أملس صقيل .

ولهذا روي عن ابن عباس أنه قال : هو التراب الرطب . وعن ابن عباس ومجاهد والضحاك أيضًا : أن الحمأ المسنون هو المنتن . وقيل : المراد بالمسنون هاهنا المصبوب .

وقوله : ﴿ **والجان خلقناه من قبل** ﴾ أي : من قبل الإنسان ﴿ **من نار السموم** ﴾ قال ابن عباس : هي السموم التي تقتل.

وقال بعضهم : السموم بالليل والنهار . ومنهم من يقول : السموم بالليل ، والحرور بالنهار .

وقال أبو داود الطيالسي(٢٠) : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : دخلت علىٰ عمرو[٢] الأصم أعوده ، فقال : ألا أحدثك حديثًا سمعته من عبد اللّٰه بن مسعود ، يقول : هذه السموم جزء من سبعين جزءًا من السموم التي خلق منها الجان ثم قرأ : ﴿ **والجان خلقناه من**

---

(٢٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠/١٤) حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود به . وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٩٠٥٧/٩) من طريق أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود به ، وفي إسناده عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف ، وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ٢٠٣٥٧) عن معمر عن أبي إسحاق عن عمرو بن عاصم عن ابن مسعود به .

---

[١] - في ز ، خ : « حاصرتها » .

[٢] - في ت : « عمر » .

قبل من نار السموم ﴾ .

وعن ابن عباس : إن الجان خلق من لهب النار . وفي رواية : من أحسن النار .

وعن عمرو بن دينار : من نار الشمس . وقد ورد في الصحيح(٢١) : « خلقت الملائكة من نور ، وخلقت الجان من مارج من نار ، وخلق بنو آدم مما وصف لكم » . [ومقصود][١] الآية : التنبيه علىٰ شرف آدم عليه السلام ، وطيب عنصره ، وطهارة محتده[٢].

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣١) قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣)

يذكر تعالىٰ تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له[٣]، وتشريفه إياه بأمره[٤] الملائكة بالسجود له ، ويذكر تخلف[٥] إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة ، حسدًا وكفرًا وعنادًا واستكبارًا وافتخارًا بالباطل ؛ ولهذا قال : ﴿ **لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون** ﴾ ، [كقوله : ﴿ **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ ، وقوله][٦]: ﴿ **أرأيتك هذا الذي كرّمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلًا** ﴾ الآية .

وقد روىٰ ابن جرير هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا(٢٢) : من حديث شبيب بن بشر ، عن

---

(٢١) - أخرجه مسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : في أحاديث متفرقة (٦٠) (٢٩٩٦) ، وأخرجه أحمد (٢٥٣٠٣) (١٥٣/٦) .

(٢٢) - تفسير ابن جرير (٣١/١٤) .

---

[١] - في ت : « المقصود من » .

[٢] - « والمحتِدُ : الأصلُ ، والطَّبْعُ » . القاموس . [٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ت : « بأمر » . [٥] - في خ : « لخلفا » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « كما قال في الآية الأخرىٰ » .

عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما خلق اللّه الملائكة ، قال : إني خالق بشرًا من طين ، فإذا أنا خلقته [فاسجدوا له . قالوا : لا نفعل ! فأرسل عليهم نارًا فأحرقتهم ، ثم خلق ملائكةً أخرى فقال لهم مثل ذلك فقالوا :][١] [لا نفعل ! فأرسل عليهم نارًا فأحرقتهم][٢] ، [ثم خلق][٣] ملائكة[٤] أخرى[٥] فقال [ ][٦] : [إني خالق بشرًا من طين فإذا أنا خلقته فاسجدوا له ؛ قالوا : لا نفعل ! فأرسل عليهم نارًا فأحرقتهم ، ثم خلق ملائكة أخرىٰ ، فقال لهم][٧] [مثل ذلك][٨] ، فقالوا[٩] : سمعنا وأطعنا ! إلا إبليس كان من الكافرين الأوّلين .

وفي ثبوت هذا عنه بعد ، والظاهر أنه إسرائيلي ، واللّه أعلم .

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾

[يقول آمرًا][١٠] لإبليس[١١] أمرًا كونيًا لا يخالف ولا يمانع بالخروج من المنزلة التي كان فيها من الملأ الأعلىٰ وأنه رجيم ، أي : مرجوم ، وأنه قد أتبعه[١٢] لعنة لا تزال متصلة به لاحقة له متواترة عليه إلىٰ يوم القيامة .

وعن سعيد بن جبير أنه قال : لما لعن اللّه إبليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة ، ورن رنة فكل رنة في الدنيا إلىٰ يوم القيامة منها . رواه ابن أبي حاتم(٢٣) .

وأنه لما تحقق الغضب الذي لا مرد له ، سأل من تمام حسده لآدم وذريته النَّظِرة إلىٰ يوم القيامة ؛ وهو يوم البعث ، وأنه أجيب إلىٰ ذلك استدراجًا له وإمهالًا ، فلما تحقق النظرة قبحه

---

(٢٣) - وأخرجه أيضًا أبو الشيخ في « العظمة » (٥/١١٢٢) ، وابن أبي الدنيا في « مكايد الشيطان » كما في « الدر المنثور » (٤/١٨٥) .

---

[١] - في خ : « ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين قالوا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، كُررت في : خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : لهم .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - في ز : « قالوا » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ت : « يذكر تعالى أنه أمر » .
[١١] - في خ : « إبليس » .
[١٢] - في ح : « اتبعه » .

الله .

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن إبليس وتمرده وعتوّه : إنه قال للرب : ﴿ **بما أغويتني** ﴾ قال بعضهم : أقسم بإغواء الله له .

(قلت) : ويحتمل أنه : بسبب ما أغويتني وأضللتني ﴿ **لأزين لهم** ﴾ أي : لذرية آدم عليه السلام ﴿ **في الأرض** ﴾ أي : أحبب إليهم[١] المعاصي ، وأرغبهم فيها ، وأؤزهم إليها ، وأزعجهم إزعاجًا ﴿ **ولأغوينهم أجمعين** ﴾ أي[٢] : كما أغويتني وقدرت عليَّ ذلك ﴿ **أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ كقوله[٣]: ﴿ **أرأيتك هذا الذي كرّمت عليَّ لئن أخرتني إلىٰ يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا** ﴾ .

قال الله تعالىٰ له متهددًا ومتوعدًا ﴿ **هذا صراط علي مستقيم** ﴾ أي : مرجعكم كلكم إليَّ فأجازيكم بأعمالكم ؛ إن خيرًا فخيرٌ ، وإن شرًّا فشرٌّ ، كقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ .

وقيل : طريق الحق مرجعها إلىٰ الله تعالىٰ وإليه تنتهي . قاله مجاهد والحسن وقتادة ، كقوله[٥]: ﴿ **وعلىٰ الله قصد السبيل** ﴾ .

وقرأ قيس بن عُبَاد[٦] ومحمد بن سيرين وقتادة (هذا[٧] صراط عليٌّ مستقيم) كقوله : ﴿ **وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم** ﴾ أي : رفيع ، والمشهور القراءة الأولىٰ .

وقوله : ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان** ﴾ أي : الذين[٨] قدرت لهم الهداية ،

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « لهم » .
[٣] - [٤] - [٥] - في خ : « كما قال » .
[٦] - في ز ، خ : « عبادة » .
[٧] - في ز ، خ : « وهذا » .
[٨] - في خ : « الذي » .

فلا سبيل لك عليهم ، ولا وصول لك إليهم ﴿ إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ استثناء منقطع .

وقد أورد ابن جرير هٰهنا(٢٤) : من حديث عبد اللّٰه بن المبارك ، عن عبد اللّٰه بن مَوْهَب ، حدثنا يزيد بن قسيط ؛ قال : كانت الأنبياء يكون لهم مساجد خارجة من قراهم ، فإذا أراد النبي أن يستنبئ ربه عن شيء خرج إلىٰ مسجده[١]، فصلىٰ ما كتب اللّٰه له[٢]، ثم سأل[٣] ما بدا له ، فبينا نبي في مسجده ، إذ جاء عدوّ اللّٰه - يعني : إبليس - حتىٰ جلس بينه وبين القبلة ، فقال النبي : أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم ! [فقال عدوّ الله : أرأيت الذي تعوذ منه فهو هو . فقال النبي : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . قال : فرده][٤] [قال فردد][٥] ذلك ثلاث مرات ، فقال عدوّ اللّٰه : أخبرني بأي شيء تنجو مني ؟ فقال النبي : بل أخبرني [بأي شيء][٦] تَغْلِبُ ابنَ آدم مرتين ؟ فأخذ كل واحد[٧] منهما[٨] علىٰ صاحبه ، فقال النبي : إن اللّٰه تعالىٰ يقول : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ . قال عدوّ اللّٰه : قد سمعت هذا قبل أن تولد . قال النبي : ويقول اللّٰه[٩]: ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باللّٰه إنه سميع عليم ﴾ وإني واللّٰه ما أحسست بك قط إلا استعذت باللّٰه منك . قال عدوّ اللّٰه : صدقت ! بهذا تنجو مني . فقال النبي : فأخبرني[١٠] بأي شيء تغلب ابن آدم ؟ قال : آخذه عند الغضب و عندالهوى .

وقوله : ﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ أي : جهنم موعد جميع من اتبع إبليس ، كما قال عن القرآن : ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ .

ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب ﴿ لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ أي : قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس ، يدخلونه لا محيد لهم عنه ، أجارنا اللّٰه منها ! وكل يدخل من باب بحسب عمله ، ويستقر في درك بقدر فعله[١١].

قال إسماعيل بن علية وشعبة ، كلاهما(٢٥) عن أبي هارون الغنوي ، عن حطان بن عبد اللّٰه

---

(٢٤) - **مرسل** ، ابن جرير في تفسيره (٣٤/١٤) .

(٢٥) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير (٣٥/١٤) ، وأخرجه أحمد في « الزهد » (ص ١٦٣) ، =

[١] - في ز : « مسجد » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : « سأله » .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في خ : « أخبرني » .
[١١] - في خ : « عمله » .

أنه قال : سمعت علي بن أبي طالب وهو يخطب قال : إن أبواب جهنم هكذا - قال أبو هارون - أطباقًا بعضها فوق بعض .

وقال إسرائيل(٢٦) ، عن أبي إسحاق عن هبيرة بن أبي يَريم[١]، عن علي -رضي اللَّه عنه- قال : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض ، فيمتلئ الأول ثم الثاني ثم الثالث ، حتىٰ تملأ كلها .

وقال عكرمة : ﴿ **سبعة أبواب** ﴾ : سبعة أطباق .

وقال ابن جريج[٢]: ﴿ **سبعة أبواب** ﴾ أولها جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم سعير، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية .

ورواية[٣] الضحاك ، عن ابن عباس نحوه ، وكذا روي[٤] عن الأعمش بنحوه أيضًا .

وقال قتادة : ﴿ **لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ : هي واللَّه منازل بأعمالهم . رواهنّ ابن جرير .

وقال جويبر عن الضحاك : ﴿ **لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ قال : باب [لليهود ، وباب للنصارىٰ][٥]، وباب للصابئين ، وباب للمجوس ، وباب للذين أشركوا : وهم كفار العرب ، وباب للمنافقين ، وباب لأهل التوحيد ، [فأهل التوحيد][٦] يرجى لهم ، ولا يرجى لأولئك أبدًا .

وقال الترمذي(٢٧) : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عثمان بن عمر ، عن مالك بن مغول ، عن جنيد[٧]، عن ابن عمر ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « لجهنم سبعة أبواب ؛

= وعلقه البيهقي في « البعث » (٤٦٠) من طريق بشر بن المفضل عن أبي هارون الغنوي به . وأخرجه ابن المبارك (٢٩٤ - زوائد نعيم بن حماد) عن أبي هارون الغنوي بنحوه .

(٢٦) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن جرير (٣٥/١٤) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٢/٨) ، والبيهقي في « البعث » (٤٦٠) من طريقين عن أبي إسحاق بنحوه ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٨٥/٤) إلى هناد وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في « صفة النار » وابن أبي حاتم . وانظر ما قبله .

(٢٧) - « الجامع » للترمذي كتاب : التفسير ، باب : « ومن سورة الحجر » (٣١٢٢) ، وأخرجه =

[١] - في ز ، خ : « مريم » .
[٢] - في ز ، خ : « جرير » .
[٣] - في ت : « روى » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « لليهود والنصارى ، وباب للنصارى » ،وظاهره التكرير .
[٧] - في ز ، خ : « حميد » .

باب منها لمن سل السيف على أمتي ، أو قال[١] : على أمة محمد » .

ثم قال : لا نعرفه إلا من حديث [مالك بن مغول][٢].

وقال ابن أبي حاتم(٢٨) : حدثنا أبي ، حدثنا عباس بن الوليد الخلال ، حدثنا زيد - يعني ابن يحيى - حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ **لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ قال : « إن من[٣] أهل النار من تأخذه النار إلى كعبيه ، وإن منهم من تأخذه النار إلى حُجْزَتِهِ ، ومنهم من تأخذه النار إلى تراقيه ، منازل بأعمالهم ؛ فذلك قوله : ﴿ **لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ » .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

لما ذكر تعالى حال أهل النار ، عطف على[٤] ذكر أهل الجنة ، وأنهم في جنات وعيون .

وقوله: ﴿ **ادخلوها بسلام** ﴾ أي : سالمين من الآفات مسلم عليكم ﴿ **آمنين** ﴾ [من كل][٥] خوف وفزع ، ولا تخشوا[٦] من إخراج ولا انقطاع ولا[٧] فناء .

= البخاري في تاريخه (٢/٢٣٥) مختصرًا ، وأحمد (٢/٩٤) ، ورجاله ثقات غير جنيد هذا فلم يوثقه غير ابن حبان (٤/١١٥) ، ثم إنه لم يسمع من ابن عمر كما قال ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢/٥٢٧) ، وكذا قال ابن حجر في « التقريب » ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/١٨٥) إلى ابن مردويه .

(٢٨) - **إسناده ضعيف لضعف سعيد بن بشير ، وهو حديث صحيح** ، فأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : في شدة حر نار جهنم ، وبعد قعرها ، وما تأخذ من المعذبين (٣٢ ، ٣٣) (٢٨٤٥) ، وأحمد (٢٠١٥١) (٥/١٠) من طريقين عن قتادة بنحوه .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « مغول بن مالك » . [٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « عليه » .

[٥] - في ت : أي من . [٦] - في ز : « يخشوا » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخوانًا علىٰ سرر متقابلين** ﴾ روىٰ القاسم ، عن أبي أمامة قال(٢٩) : يدخل أهل الجنة علىٰ ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن ، حتىٰ إذا توافوا[١] وتقابلوا نزع اللَّه ما في صدورهم في الدنيا من غل ، ثم قرأ : ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غل** ﴾ .

هكذا في هذه الرواية ، والقاسم بن عبد الرحمن في روايته عن أبي أمامة ضعيف .

وقد روىٰ سُنيد في تفسيره(٣٠) : حدثنا ابن فضالة ، عن لقمان ، عن أبي أمامة قال : لا يدخل الجنة مؤمن حتىٰ ينزع اللَّه ما في صدورهم من غل ، حتىٰ ينزع منه مثل السبع الضاري .

وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة(٣١) : حدثنا أبو المتوكل الناجي ، أن أبا سعيد الخدري حدثهم ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون علىٰ قنطرة بين الجنة والنار ، فيُقْتَصُّ لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا ، حتىٰ إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة » .

وقال ابن جرير(٣٢) : حدثنا الحسن ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا هشام ، عن محمد - هو ابن سيرين - قال : استأذن الأشتر علىٰ عليّ رضي اللَّه عنه وعنده ابن لطلحة ، فحبسه ثم أذن له ، فلما دخل قال : إني لأراك إنما احتبستني لهذا ؟ قال : أجل . قال : إني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني . قال : أجل ، إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غل [إخوانًا][٢] علىٰ سرر متقابلين** ﴾ .

[وقال ابن جرير أيضًا(٣٣)][٣]: حدثنا[٤] [الحسن ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا

---

(٢٩) - أخرجه ابن جرير (٣٦/١٤) ، وابن أبي حاتم وابن مردويه : كما في « الدر المنثور » (١٨٨/٤) .

(٣٠) - **إسناده ضعيف لضعف فرج بن فضالة** ، أخرجه ابن جرير (٣٦/١٤) : وسعيد بن منصور وابن المنذر - كما في « الدر المنثور » (١٨٨/٤) .

(٣١) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف/ آية ٤٢] .

(٣٢) - **إسناده منقطع بين محمد بن سيرين وعليّ وهو صحيح** ومن طريق سنيد أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٧/١٤) ، وانظر ما بعده .

(٣٣) - ابن جرير في تفسيره (٣٧/١٤) ، وأخرجه أيضًا ابن سعد في « الطبقات » (١٦٨/٣) وعلقه الذهبي في « السير » (٣٨/١) من طريق أبي معاوية به ، ورجاله ثقات معروفون غير أبي حبيبة هذا فلم أقف على =

---

[١] - في خ : تكافوا .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ويجعلنا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز .

أبو مالك الأشجعي ، عن أبي حبيبة - مولىً لطلحة - قال : دخل عمران بن طلحة علىٰ علي رضي الله عنه ، بعد ما فرغ من أصحاب الجمل ، فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله]‌[١] وأباك[٢] [من الذين قال الله : ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانًا علىٰ سرر متقابلين** ﴾][٣] . قال ورجلان جالسان علىٰ[٤] ناحية البساط ، فقالا : الله أعدل من ذلك ، تقتلهم بالأمس وتكونون إخوانًا ! فقال علي - رضي الله عنه - : قوما أبعدَ أرض وأسحقها فمن هم[٥] إذن إن لم أكن أنا وطلحة ؟ وذكر أبو معاوية الحديث بطوله .

وروىٰ وكيع(٣٤) ، عن أبان بن عبد الله البجلي ، عن نعيم بن أبي هند ، عن ربعي بن حِرَاش ، عن علي نحوه ، وقال فيه : فقام رجل من همدان فقال : الله أعدل من ذلك[٦] يا أمير المؤمنين . قال : فصاح به عليٌّ صيحة ، فظننت أن القصر قد[٧] تدهده لها ، ثم قال : إذا لم نكن[٨] نحن فمن هم[٩]؟ .

وقال سعيد بن مسروق ، عن أبي[١٠] طلحة فذكره[١١]، وفيه : فقال الحارث الأعور ذلك ، فقام إليه علي رضي الله عنه فضربه بشيء كان في يده في رأسه ، وقال : فمن هم يا أعور إذا لم نكن نحن ؟ .

وقال سفيان الثوري(٣٥) : عن منصور ، عن إبراهيم قال : جاء[١٢] ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن علىٰ علي رضي الله عنه ، فحجبه طويلًا ثم أذن له[١٣]، فقال له : أما أهل البلاء فتجفوهم ! فقال علي : بفيك التراب ! إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله :

= من وثقه ، إلا أن البخاري ذكره في « الكنى » من تاريخه (ص٢٤) وقال : « سمع عليًا روى عنه سعد بن طارق وطلحة بن يحيى » ، ويشهد له ما قبله وما يأتي .

(٣٤) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٧/١٤) حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي به ، وابن وكيع ، وهو سفيان ضعيف ، ولكنه متابع عند الحاكم (٣٥٣/٢ - ٣٥٤)، وابن سعد في « الطبقات » (١٦٩/٣) .

(٣٥) - **إسناده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع** ؛ أخرجه ابن جرير (٣٧/١٤) حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز ، في خ : « وإياك » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - في ز : « إلى » .

[٥] - في ز ، خ : « هو » .

[٦] - في ز : « ذاك » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في خ : « تكن » .

[٩] - في ز ، خ : « وهو » .

[١٠] - في ز : « ابن » .

[١١] - في خ : « وذكره » .

[١٢] - سقط من : ز ، خ .

[١٣] - سقط من : خ .

﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانًا علىٰ سرر متقابلين ﴾ .

وكذا روىٰ الثوري(٣٦) ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن علي بنحوه .

وقال سفيان بن عيينة(٣٧) عن إسرائيل ، أبي موسىٰ ، سمع الحسن البصري يقول : قال علي : فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية : **﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا علىٰ سرر متقابلين ﴾** .

وقال كثير النوَّاء(٣٨)[١]: دخلت علىٰ أبي جعفر محمد بن علي فقلت : وليي وليكم ، وسلمي سلمكم ، وعدوي عدوكم ، وحربي حربكم ، إني[٢] أسألك بالله ، أتبرأ من أبي بكر وعمر ؟ فقال : **﴿ قد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين ﴾** تولّهما يا كثير ، فما أدركك فهو في رقبتي هذه . ثم تلا هذه الآية **﴿ إخوانًا علىٰ سرر متقابلين ﴾** قال : أبو بكر وعمر وعلي - رضي الله عنهم - أجمعين .

وقال الثوري(٣٩) ، عن رجل[٣]، عن أبي صالح في قوله : **﴿ إخوانا علىٰ سرر متقابلين ﴾** قال : هم عشرة ؛ أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهم - أجمعين .

وقوله : **﴿ متقابلين ﴾** قال مجاهد : لا ينظر بعضهم في قفا بعض .

وفيه[٤] حديث مرفوع ؛ قال ابن أبي حاتم(٤٠) :

حدثنا يحيىٰ بن عبدك القزويني ، حدثنا حسان بن حسان ، حدثنا إبراهيم بن بشر ،

---

(٣٦) - **كسابقه** ، أخرجه ابن جرير من طريق ابن وكيع أيضًا .

(٣٧) - **إسناده منقطع بين الحسن البصري وعلي** ، تقدم تخريجه [سورة الأعراف/ آية ٤٣] .

(٣٨) - **إسناده ضعيف لضعف كثير النواء** ، وأخرجه ابن جرير (١٤/٣٨) ، وابن أبي حاتم وابن عساكر - كما في « الدر المنثور » (٤/١٨٨) .

(٣٩) - **إسناده فيه جهالة** ، وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم - كما في « الدر المنثور » (٤/١٨٩) .

(٤٠) - أخرجه البخاري في « التاريخ الصغير » (١/٢٥٠) ، وفي « الكبير » (٣/٣٨٦) بهذا الإسناد ، وقال البخاري في « الصغير » : هذا إسناد مجهول ، لا يتابع عليه ، ولا يُعرف سماع بعضهم من بعض ، رواه بعضهم ، عن إسماعيل بن خالد عن عبد الله بن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اصل =

---

[١] - في ز ، خ : « الفراء » .

[٢] - في ت : « أنا » .

[٣] - في خ : « زحر » .

[٤] - في ز : « في » .

حدثنا يحيىٰ بن معين[١]، عن إبراهيم القرشي[٢]، عن سعيد بن شرحبيل ، عن زيد بن أبي أوفى قال : خرج علينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فتلا هذه الآية : ﴿ **إخوانا علىٰ سرر متقابلين** ﴾ «في اللَّه ينظر بعضهم إلىٰ بعض» .

وقوله : ﴿ **لا يمسهم فيها نصب** ﴾ يعني : المشقة والأذىٰ ، كما جاء في الصحيحين(٤١) : « إن اللَّه أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب » .

وقوله : ﴿ **وما هم منها بمخرجين** ﴾ كما جاء في الحديث(٤٢) : « يقال : يا أهل الجنة ؛ إن لكم أن تصحُّوا فلا تمرضوا أبدًا ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدًا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا ، وإن لكم أن تقيموا فلا تظعنوا[٣] أبدًا » . وقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **خالدين فيها لا يبغون عنها حولًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ أي : أخبر يا محمد عبادي أني ذو رحمة وذو عقاب[٤] أليم .

وقد تقدم ذكر نظير هذه الآية الكريمة ، وهي دالة علىٰ مقامي الرجاء والخوف ، وذكر في

= له ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٥١٤٦/٥) ، وابن الأثير في « أسد الغابة » (٢٧٨/٢) من طريق عبد الله بن شرحبيل عن رجل من قريش عن زيد بن أبي أوفى مطولًا ، وقال ابن السكن - كما في الإصابة (٤/ ٤٠) - : « روي حديثه من ثلاث طرق ، ليس فيها ما يصح » ، ورواه أيضًا أبو القاسم البغوي وابن مردويه وابن عساكر - كما في « الدر المنثور » (١٨٩/٤) .

(٤١) - **صحيح بمعناه** ، وليس بهذا اللفظ ، أخرجه البخاري ، كتاب : العمرة ، باب : متى يحل المعتمر ؟ .. (١٧٩٢) ، كتاب المناقب ، باب : تزويج النبي - صلى الله عليه وسلم - خديجة وفضلها - رضي الله عنها - (٣٨١٩) ، ومسلم ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها - (٧٢) (٢٤٣٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى ، وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة عندهما أيضًا ، وعن عبد الله بن جعفر - بنحو اللفظ الذي أورده ابن كثير - عند أحمد (٢٠٥/١) وصححه ابن حبان (٧٠٠٥/١٥) ، والحاكم (١٨٥/٣) ووافقه الذهبي ، وإسناده جيد .

(٤٢) - أخرجه أحمد (١١٣٤٨) (٣٨/٣) ، ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : في دوام نعيم أهل الجنة (٢٢) (٢٨٣٧) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الزمر (٣٢٤١) ، والنسائي في « التفسير » من الكبرى ، باب : سورة الأعراف (١١١٨٤/٦) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بنحوه ، دون قوله « وإن لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبدًا » .

[١] - في ز : معن .
[٢] - في ز ، خ : « القومسى » .
[٣] - في ز : « تضعنوا » .
[٤] - في ت : « عذاب » .

سبب نزولها : ما رواه موسىٰ بن عبيدة ، عن [مصعب بن ثابت][١] قال : مر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ ناس من أصحابه . يضحكون ، فقال : « اذكروا الجنة واذكروا النار » . فنزلت : ﴿ **نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم(٤٣) وهو مرسل .

وقال ابن جرير(٤٤) : حدثني المثنى ، حدثنا إسحاق ، أخبرنا ابن المكي ، أخبرنا ابن المبارك ، أخبرنا[٢] مصعب بن ثابت ، حدثنا عاصم بن عبيد اللَّه ، عن ابن أبي رباح ، عن رجل من أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : طلع علينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من[٣] الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ، فقال : « ألا أراكم تضحكون ». ثم أدبر حتىٰ إذا كان عند الحجر ، رجع إلينا القهقرى فقال : « إني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ، إن اللَّه يقول لِمَ[٤] تقنط عبادي ﴿ **نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ » .

وقال سعيد(٤٥)[٥]، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ **نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم** ﴾ قال : بلغنا أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « لو يعلم العبد قدر عفو اللَّه لَمَا تورع من حرام ، ولو يعلم [ ][٦] قدر [عقابه][٧] لبخع نفسه » .

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ

(٤٣) - **مرسل ، وإسناده ضعيف** ، وموسى بن عبيدة ضعيف ، ومصعب بن ثابت وهو ابن عبد الله بن الزبير لين الحديث ، وأخرجه أيضًا ابن المنذر كما في « الدر المنثور » (١٨٩/٤) .

(٤٤) - **إسناده ضعيف مضطرب** ، ابن جرير في تفسيره (٣٩/١٤) وهو في « الزهد » لابن المبارك (٨٩٢) ، ومصعب بن ثابت لين كما تقدم ، ثم إنه اضطرب فيه فرواه مرسلًا - كما في السابق - وأسنده مرة أخرى إلى جده عبد الله بن الزبير ، أخرجه البزار في مسنده (٢٢١٦/٦) ، والطبراني - كما في « المجمع » (٤٨/٧ - ٤٩) ، وقال : « فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف » ، وقال البزار ، وهذا الحديث لا نعلم أحدًا يرويه بهذا اللفظ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا ابن الزبير ، ولا نعلم له طريقًا إلا هذا الطريق ولا نعلم أن مصعب بن ثابت سمع من ابن الزبير .

(٤٥) - **مرسل** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٩/١٤) ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (١٩٠/٤) .

[١] - في ز ، خ : « ثابت بن مصعب » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز ، خ : « في » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « شعبة » .

[٦] - في ت : العبد .

[٧] - في خ : « عذاب الله » .

﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ
ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾
قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالىٰ : وخبرهم[١] يا محمد عن قصة ضيف إبراهيم - والضيف يطلق علىٰ الواحد والجمع كالزور والسفر ، وكيف دخلوا عليه ﴿ **فقالوا سلامًا قال إنا منكم وجلون** ﴾ أي : خائفون .

وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأىٰ أيديهم لا تصل إلىٰ ما قربه لهم من ضيافة[٢] : وهو العجل السمين الحنيذ .

﴿ **قالوا لا توجل** ﴾ أي : لا تخف ﴿ **وبشروه بغلام عليم** ﴾ وهو[٣] إسحاق عليه السلام ،كما تقدم في سورة هود .

[فـ﴿ قال ﴾][٤] متعجبًا من كبره وكبر زوجته ، ومتحققًا للوعد ﴿ **أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون** ﴾ فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقًا ، وبشارة بعد بشارة ﴿ **قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين** ﴾ وقرأ بعضهم (القَنِطين) ، فأجابهم بأنه ليس يقنط ، ولكن يرجو من الله الولد ، وإن كان قد كبر وأسنت امرأته ، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك .

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾
إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن إبراهيم عليه السلام لما ذهب عنه الروع وجاءته البشرىٰ : إنه شرع يسألهم عما جاءوا له ، فقالوا : ﴿ **إنا أرسلنا إلىٰ قوم مجرمين** ﴾ يعنون قوم لوط ، وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فإنها من المُهلكين ، ولهذا قالوا : ﴿ **إلا امرأته**

[١] - في خ : « وأخبرهم » .
[٢] - في خ : « الضيافة » . [٣] - في خ : «أي » .
[٤] - في ت : «ثم قال ﴾ » ، خ : « قال » .

قدرنا إنها لمن الغابرين ﴾ أي : الباقين المهلكين .

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾

يخبر تعالىٰ عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه ، فدخلوا عليه داره ، قال : ﴿ **إنكم قوم منكرون * قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون** ﴾ يعنون بعذابهم وهلاكهم ودمارهم ، الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم ، وحلوله بساحتهم ﴿ **وأتيناك بالحق** ﴾ كقوله[١] تعالىٰ : ﴿ **ما ننزل الملائكة إلا بالحق** ﴾ .

وقوله[٢]: ﴿ **وإنا لصادقون** ﴾ تأكيد لخبرهم إياه بما أخبروه به من نجاته وإهلاك قومه .

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

يذكر تعالىٰ عن الملائكة : أنهم أمروه أن يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل ، وأن يكون لوط عليه السلام يمشي وراءهم ليكون أحفظ لهم .

وهكذا كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يمشي في الغزاة ، بما [ ][٣] يكون ساقة يزجي[٤] الضعيف ، ويحمل المنقطع .

وقوله : ﴿ **ولا يلتفت منكم أحد** ﴾ أي : إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم ، وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال ﴿ **وامضوا حيث تؤمرون** ﴾ كأنه كان معهم من يهديهم[٥] السبيل .

﴿ **وقضينا إليه ذلك الأمر** ﴾ أي : تقدمنا إليه في هذا ﴿ **أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين** ﴾ أي : وقت الصباح ، كقوله[٦] في الآية الأخرىٰ : ﴿ **إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب** ﴾ .

---

[١] - في خ : « كما قال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : كان .
[٤] - في ز : « يرجي » .
[٥] - في ز : « تهديهم » .
[٦] - في خ : « كما قال » .

وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ
بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

يخبر تعالىٰ عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم ، وأنهم جاءوا مستبشرين بهم فرحين ﴿ **قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون * واتقوا الله ولا تخزون** ﴾ .

وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم بأنهم رسل الله ، كما [ ][١] في سياق[٢] سورة هود ، وأما ههنا فتقدم ذكر أنهم رسل الله ، وعطف بذكر مجيء قومه ومحاجته لهم ، ولكن الواو لا تقتضي الترتيب ، ولا سيما إذا دَلَّ دليل علىٰ خلافه ، فقالوا له مجيبين : ﴿ **أو لم ننهك عن العالمين** ﴾ أي : أو ما نهيناك أن تضيف أحدًا ؟ فأرشدهم إلىٰ نسائهم وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة . وقد تقدم إيضاح[٣] القول في ذلك بما أغنىٰ عن إعادته .

هذا كله ، وهم غافلون عما يراد بهم ، وما قد أحاط بهم من البلاء ، وماذا يصبحهم من العذاب المستقر . ولهذا قال تعالىٰ لنبيه[٤] صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ أقسم تعالىٰ بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، وفي هذا تشريف عظيم ، ومقام رفيع ، وجاه عريض .

قال عمرو بن مالك النكري[٥] ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس أنه قال : ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ [ ][٦]. رواه ابن جرير(٤٦) .

(٤٦) - **إسناده حسن** ، ابن جرير في تفسيره (٤٤/١٤) حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا عمرو بن مالك به . ومن طريق سعيد بن زيد أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٥/ ٤٨٧ - ٤٨٨) ، والحارث بن أبي أسامة (٩٣٨ - الزوائد) ، ومن طريقه أبي نعيم في « الدلائل » (ص ٢٦ - ٢٧) ، وأخرجه ابن جرير وأبو يعلى (٢٧٥٤/٥) ، وأبو نعيم من طرق ثلاثة عن عمرو بن مالك به ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٩٢/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] - في خ : قال .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز ، خ : « أيضًا » .
[٤] - في ت : « لمحمد » .
[٥] - في ز : « البكري » .
[٦] - في ت : [يقول : وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا ﴿ **إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾] .

وقال قتادة : ﴿ **في سكرتهم** ﴾ أي : في ضلالتهم ﴿ **يعمهون** ﴾ أي : يلعبون .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **لعمرك** ﴾[١] لعيشك ﴿ **إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ قال : يتمادون[٢].

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **فأخذتهم الصيحة** ﴾ وهي ما جاءهم [ ][٣] من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو طلوعها ، وذلك مع رفع بلادهم إلىٰ عنان السماء ، ثم قلبها وجعل عاليها سافلها ، وإرسال حجارة السجيل عليهم ، وقد تقدم الكلام علىٰ السجيل في هود بما فيه كفاية .

وقوله[٤]: ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾ أي أن آثار هذه النقم الظاهرة علىٰ تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته ، كما قال مجاهد في قوله : ﴿ **للمتوسمين** ﴾ قال : المتفرسين .

وعن ابن عباس والضحاك : للناظرين . وقال قتادة : للمعتبرين . وقال مالك عن بعض أهل المدينة : ﴿ **للمتوسمين** ﴾ للمتأملين .

وقال ابن أبي حاتم(٤٧) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا محمد بن كثير العبدي ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور اللَّه » . ثم قرأ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾ .

رواه الترمذي وابن جرير من حديث عمرو بن قيس الملائي ، وقال الترمذي : لا نعرفه إلا

---

(٤٧) - **إسناده ضعيف ، لضعف عطية العوفي** ، وأخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحجر (٣١٢٥) وابن جرير (٤٦/١٤) وغيرهم - انظر « الضعيفة » للألباني (١٨٢١/٤) - من طريق عمرو بن قيس به .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « يتميرون » وفي خ : يتجبرون .

[٣] - في خ : به .

[٤] - مكانها بياض في ز ، سقط من : خ .

من هذا الوجه .

وقال ابن جرير أيضًا(٤٨) : حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا الفرات بن السائب ، حدثنا ميمون بن مهران ، عن ابن[١] عمر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإن المؤمن ينظر بنور اللَّه** » .

وقال ابن جرير(٤٩) : حدثني أبو شرحبيل الحمصي ، حدثنا سليمان بن سلمة ، حدثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي ، حدثنا أبو المعلىٰ أسد بن وداعة الطائي ، حدثنا وهب ابن منبه ، عن طاوس بن كيسان ، عن ثوبان قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **احذروا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور اللَّه وينطق[٢] بتوفيق اللَّه** » .

وقال أيضًا(٥٠) : حدثنا عبد الأعلىٰ بن واصل ، حدثنا سعيد بن محمد الجَرْمي ، حدثنا عبد الواحد بن واصل ، حدثنا أبو بشر المزَلِق ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم** » .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار(٥١) : حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا سعيد بن محمد الجرمي ، حدثنا أبو بشر - يقال له : ابن المزلِقي[٣] ، قال : وكان ثقة - عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم** » .

وقوله : ﴿ **وإنها لبسبيل مقيم** ﴾ أي : وإن قرية سدوم التي[٤] أصابها [ما أصابها][٥] من القلب الصوري والمعنوي ، والقذف بالحجارة حتىٰ صارت بحيرة[٦] منتنة خبيثة - لطريق مَهْيَع مسالكه مستمرة إلىٰ اليوم ، كقوله : ﴿ **وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا**

(٤٨) - **إسناده ضعيف جدًا من أجل الفرات بن السائب** ، ابن جرير في تفسيره (٤٦/١٤) ، وأخرجه أيضًا أبو نعيم في « الحلية » (٩٤/٤) من طريق فرات بن السائب به ، وقال : « غريب من حديث ميمون لم نكتبه إلا من هذا الوجه » . والفرات بن السائب ، قال فيه البخاري « التاريخ الكبير » (١٣٠/٧) : « تركوه ، منكر الحديث » .

(٤٩) - **إسناده واهٍ جدًا** ، ابن جرير في تفسيره (٤٦/١٤ - ٤٧) ، وفيه ثلاث علل - انظرها في «الضعيفة» للألباني (١٨٢١/٣٠١/٤) .

(٥٠) - **إسناده حسن** ، في تفسيره (٤٦/١٤) ، وحسنه الألباني في « الصحيحة » (١٦٩٣/٤) .

(٥١) - **كسابقه** ، (٢٣٠٢/٢ - مختصر الزوائد) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « المزلق » .
[٤] - في ز ، خ : « الذي » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز ، خ : « بحره » .

تعقلون وإن يونس لمن المرسلين ﴾ .

وقال مجاهد والضحاك : ﴿ **وإنها لبسبيل مقيم** ﴾ قال : معلم . وقال قتادة : بطريق واضح . وقال قتادة أيضًا : بصقع من الأرض واحد .

وقال السدي : بكتاب مبين . يعني كقوله : ﴿ **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ ، ولكن ليس المعنىٰ علىٰ ما قال ههنا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **إن في ذلك لآية للمؤمنين** ﴾ أي : إن الذي صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار ، وإنجائنا لوطًا وأهله ، لدلالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسله .

وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

أصحاب الأيكة : هم قوم شعيب . قال الضحاك وقتادة وغيرهما : الأيكة الشجر الملتف .

وكان ظلمهم : بشركهم بالله ، وقطعهم الطريق ، ونقصهم المكيال والميزان ، فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة ، وقد كانوا قريبًا من قوم لوط ، بعدهم في الزمان ، ومسامتين لهم في المكان ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وإنهما لبإمام مبين** ﴾ أي : طريق مبين .

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره[١]: طريق ظاهر . ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال في نذارته إياهم : ﴿ **وما قوم لوط منكم ببعيد** ﴾ .

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

أصحاب الحجر : هم ثمود الذين كذبوا صالحًا نبيهم عليه السلام ، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين[٢]، ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين .

وذكر تعالىٰ أنه آتاهم من الآيات ما يدلهم علىٰ صدق ما جاءهم به صالح ؛ كالناقة التي

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في خ : « الرسل » .

أخرجها اللَّه لهم بدعاء صالح من صخرة صماء، فكانت[١] تسرح في بلادهم، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، فلما عتوا وعقروها قال لهم: ﴿ **تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب** ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ** ﴾، وذكر تعالىٰ أنهم: ﴿ **كانوا ينحتون من الجبال بيوتًا آمنين** ﴾ أي: من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشرًا وبطرًا وعبثًا، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر الذي مر به رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو ذاهب إلىٰ تبوك، فقنع رأسه وأسرع دابته، وقال لأصحابه: «لا تدخلوا بيوت القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تبكوا فتباكوا، خشية أن يصيبكم ما أصابهم»(٥٢).

وقوله: ﴿ **فأخذتهم الصيحة مصبحين** ﴾ أي: وقت الصباح من اليوم الرابع ﴿ **فما أغنىٰ عنهم ما كانوا يكسبون** ﴾ أي: ما كانوا يستغلونه[٢] من زروعهم وثمارهم، التي ضنوا بمائها عن الناقة حتىٰ عقروها؛ لئلا تضيق[٣] عليهم في المياه، فما دفعت عنهم تلك الأموال، ولا نفعتهم[٤] لما جاء أمر ربك.

﴿ **وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ (٨٦)** ﴾

يقول تعالىٰ: ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية** ﴾ أي: بالعدل ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزئ الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار** ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالىٰ اللَّه الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾ ثم أخبر نبيه بقيام الساعة، وأنها كائنة لا محالة، ثم أمره[٥] بالصفح الجميل عن المشركين في أذاهم له، وتكذيبهم ما جاءهم به، كقوله[٦]: ﴿ **فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون** ﴾ قال[٧] مجاهد وقتادة وغيرهما: كان هذا قبل القتال. وهو كما قالا، فإن هذه مكية والقتال إنما شرع بعد الهجرة.

---

(٥٢) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف/ آية ٧٣].

---

[١] - في خ: «وكانت».

[٢] - في ز: «يشتغلونه».

[٣] - في ز: «يضيق».

[٤] - في ز: «تنفعهم».

[٥] - في ز، خ: «أمر».

[٦] - في خ: «كما قال تعالى».

[٧] - في خ: وقال.

وقوله : ﴿ **إن ربك هو الخلاق العليم** ﴾ تقرير للمعاد ، وأنه تعالىٰ قادر على إقامة الساعة ، فإنه الخلاق الذي لا يعجزه خلق [ما يشاء][١]، وهو العليم بما تمزق من الأجساد ، وتفرق في سائر أقطار الأرض ، كقوله[٢]: ﴿ **أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علىٰ أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** ﴾ .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالىٰ لنبيه صلىٰ اللّه عليه وسلم : كما آتيناك القرآن العظيم ، فلا تنظرنَّ إلىٰ الدنيا وزينتها ، وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه ، [فلا تغبطهم بما هم فيه][٣]، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، حزنًا عليهم في تكذيبهم لك ، ومخالفتهم دينك ﴿ **واخفض جناحك [لمن اتبعك] من المؤمنين** ﴾ أي : ألن لهم جانبك ، كقوله[٤]: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ .

وقد اختلف في السبع المثاني ما هي ؛ فقال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك و[غير واحد][٥]: هي السبع الطول[٦] . يعنون : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس ، نص عليه ابن عباس وسعيد بن جبير .

وقال سعيد[٧]: بين فيهنّ الفرائض والحدود والقصص والأحكام .

وقال ابن عباس : بين الأمثال والخبر والعبر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر قال : قال سفيان : المثاني المثنى[٨]، البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ، والأنفال وبراءة سورة واحدة .

قال ابن عباس(٥٣) : ولم يعطهن أحد إلا النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وأعطي موسىٰ

(٥٣) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/٥٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢/٢٣٥٧) من =

[١] - في ت : «شيء » .
[٢] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٥] - في ت : « وغيرهم » .
[٦] - في ت : « الطوال » .
[٧] - في ز ، خ : « شعبة » .
[٨] - في خ : « المبين » .

منهن ثنتين . رواه هشيم[١]، عن الحجاج ، عن الوليد بن العيزار[٢]، عن سعيد بن جبير عنه .

[وقال الأعمش(٥٤) ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس][٣] قال : أوتي النبي صلىٰ الله عليه وسلم سبعًا من المثاني : الطُّول[٤]، وأوتي موسىٰ عليه السلام ستًّا ، فلما ألقىٰ الألواح ارتفع اثنتان وبقيت[٥] أربع .

وقال مجاهد(٥٥) هي السبع الطُّول[٦]. ويقال : هي القرآن العظيم .

وقال خصيف(٥٦) ، عن زياد بن أبي مريم في قوله تعالىٰ : ﴿ **سبعًا من المثاني** ﴾ قال : أعطيتك سبعة[٧] أجزاء ؛ آمر وأنهى وأبشر وأنذر وأضرب الأمثال وأعدد النعم وأنبئك بنبأ القرآن . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

(والقول الثاني) : أنها الفاتحة وهي سبع آيات ، روي ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس ، وقال[٨] [ابن عباس][٩]: والبسملة هي الآية السابعة ، وقد خصكم الله بها(٥٧) . وبه قال إبراهيم النخعي وعبد الله بن عبيد بن عمير وابن أبي مليكة وشهر بن حوشب والحسن البصري ومجاهد .

= طريق عمرو ابن عون عن هشيم به . والحجاج هو ابن أرطأة وهو ضعيف ، لكن له إسنادٌ آخر بلفظ آخر هو الآتي .

(٥٤) - **صحيح** ، أخرجه أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : من قال هي من الطول (فاتحة الكتاب) (١٤٥٩) ، والنسائي ، كتاب : الافتتاح ، باب : تأويل قول الله عز وجل : ﴿ **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ (١٣٩/٢ - ١٤٠) ، وفي « الكبرىٰ » (٩٧٨) مختصرًا وابن جرير (٥٢/١٤) والحاكم (٣٥٤/٢) ، ٣٥٥) والبيهقي في « الشعب » (٢٤١٦/٢) من طرق عن جرير عن الأعمش به ، وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وهو كما قالا .

(٥٥) - أخرجه ابن جرير (٥٣/١٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٤١٩/٢) ، وابن أبي شيبة وابن المنذر - كما في « الدر المنثور » (١٩٧/٤) .

(٥٦) - أخرجه ابن جرير (٥٧/١٤) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٩٧/٤) إلى سعيد بن منصور - ومن طريقه أخرجه البيهقي في « الشعب » (٢٤٢١/٢) - وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥٧) - أخرجه ابن جرير (٥٥/١٤) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (٤٧/٢ - ٤٨) ، وصححه الحاكم (٢/ ٢٥٧) ، ووافقه الذهبي ، وفي إسناده عبد العزيز بن جريج وهو « ليِّن » كما في « التقريب » .

[١] - في خ : « ابن هشيم » .
[٢] - في خ : « القيثرار » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ت : « الطوال » .
[٥] - في ت : «بقي » .
[٦] - في ت : « الطوال » .
[٧] - في ز : « سبع » .
[٨] - مكانها بياض في ز ، سقط من : خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال[١] قتادة : ذكر لنا أنهن فاتحة الكتاب ، وأنهن يثنين[٢] في كل [٣] قراءة [وفي رواية : في كل][٤] ركعة مكتوبة أو تطوّع .

واختاره ابن جرير ، واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك ، وقد قدمناها في فضائل سورة الفاتحة في أول التفسير وَ الحمد .

وقد أورد البخاري رحمه اللّٰه تعالىٰ هٰهنا حديثين : (أحدهما) قال(٥٨) :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة ، عن خُبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي سعيد بن المعلىٰ قال : مر بي النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأنا أصلي فدعاني ، فلم آته حتىٰ صليت [ثم أتيت][٥]، فقال : « ما منعك أن تأتى ؟ » فقلت : كنت أصلي . فقال : « ألم يقل اللّٰه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم** ﴾ ؟ » ثم قال : « ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد » . فذهب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ليخرج فذكرته[٦] فقال : « ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » .

(الثاني) قال(٥٩) : حدثنا آدم ، حدثنا ابن أبي ذئب ، حدثنا المقبري ، عن أبي هريرة -رضي اللّٰه عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم » .

فهذا نص في أن الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم ، ولكن لا ينافي وصف[٧] غيرها من السبع الطول[٨] بذلك ؛ لما فيها من هذه[٩] الصفة ، كما لا ينافي وصف القرآن بكماله

---

(٥٨) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ (٤٧٠٣) ، وانظره بأطرافه عند رقم (٤٤٧٤) ، وأخرجه أيضًا أبو داود (١٤٥٨) ، والنسائي (١٣٩/٢) ، وابن ماجة (٣٧٨٥) ، وأحمد (٤٥٠/٣) ، (٢١١/٤) من طرق عن شعبة به نحوه .

(٥٩) - كتاب : التفسير ، ب : ﴿ **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ (٤٧٠٤) ، وأخرجه أبو داود (١٤٥٧) ، والترمذي (٣١٢٣) ، وأحمد (٤٤٨/٢) من طرق ابن أبي ذئب به .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « ثنتين » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، « ثم أتيته » ، خ : « فأتيته » .
[٦] - في ز : « فذكرت » .
[٧] - في خ : « نص » .
[٨] - في ت : « الطوال » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

بذلك أيضًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اللَّه نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني** ﴾ فهو مثاني من وجه ومتشابه من وجه ، وهو القرآن العظيم أيضًا كما أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ فأشار إلىٰ مسجده(٦٠) ، والآية نزلت في مسجد قباء فلا تنافي ، فإن ذكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **لا تمدنّ عينيك إلىٰ ما متعنا به أزواجًا منهم** ﴾ أي : استغن بما آتاك اللَّه من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية .

ومن هاهنا ذهب ابن عيينة إلىٰ تفسير الحديث الصحيح(٦١) : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن »إلىٰ أنه يستغنىٰ به عما عداه ، وهو تفسير صحيح ، ولكن ليس هو المقصود من الحديث كما تقدم في أول التفسير .

وقال ابن أبي حاتم(٦٢) : ذكر عن وكيع بن الجراح ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، عن يزيد بن [عبد اللَّه][١] بن قسيط ، عن أبي رافع صاحب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : ضاف[٢] النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ضيف ، ولم يكن عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم شيء[٣] يصلحه ، فأرسل إلىٰ رجل من اليهود : « يقول لك محمد رسول اللَّه : أسلفني دقيقًا إلىٰ هلال رجب » . قال : لا ، إلا برهن . فأتيت النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم فأخبرته[٤] فقال : « أما واللَّه إني لأمين من في السماء ، وأمين من في الأرض ، ولئن أسلفني

---

(٦٠) - صحيح البخاري أخرجه مسلم ، كتاب : الحج ، باب : بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة (٥١٤) (١٣٩٨) ، والترمذي ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في المسجد الذي أسس على التقوى (٣٢٣) ، وكتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة التوبة » (٣٠٩٩) ، والنسائي ، كتاب : المساجد ، ب : ذكر المسجد الذي أسس على التقوى (٢/٣٦) ، وأحمد (١١٠٦٠) (٣/٨) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٦١) - أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **وأسروا قولكم أو اجهروا به** ... ﴾ (٧٥٢٧) من حديث أبي هريرة ، وأخرجه أبو داود (١٤٦٩ ، ١٤٧٠) ، وأحمد (١/١٧٥ ، ١٧٩) ، وصححه ابن حبان (١/١٢٠) ، والحاكم (١/٥٦٩) ، ووافقه الذهبي ، من حديث سعد بن أبي وقاص .

وقول سفيان هذا علقه البخاري في صحيحه عقب الحديث رقم (٥٠٢٤) .

(٦٢) - **ضعيف** ، وأخرجه ابن جرير (١٦/٢٣٥) ثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي به ، والطبراني في « الكبير » (١/٩٨٩) من طريق موسى بن عبيدة به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤/١٢٩) وقال : « رواه =

---

[١] - في ز : « عبيد الله » ، خ : « أبي عبد الله » .

[٢] - في ز ، خ : « أضاف » .
[٣] - في ز ، خ : « أمرا » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

أو باعني لأؤدين[١] إليه » . فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية : ﴿ **لا تمدنّ عينيك إلىٰ ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، كأنه يعزيه عن الدنيا .

و[٢] قال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **لا تمدنّ عينيك** ﴾ قال : نهىٰ الرجل أن يتمنىٰ مال صاحبه .

وقال مجاهد : ﴿ **إلىٰ ما متعنا به أزواجًا منهم** ﴾ هم الأغنياء .

وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

يأمر تعالىٰ نبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بأن[٣] يقول للناس : [أنه][٤] النذير المبين البين النذارة ، نذير للناس من عذاب أليم أن يحل بهم علىٰ تكذيبه ، كما حل بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسلها ، وما أنزل اللَّه عليهم من العذاب والانتقام .

وقوله : ﴿ **المقتسمين** ﴾ أي : المتحالفين ، أي : تحالفوا علىٰ مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم ، كقوله تعالىٰ إخبارًا عن قوم صالح أنهم : ﴿ **قالوا تقاسموا باللَّه لنبيتنه وأهله** ﴾ الآية ، أي : نقتلهم ليلًا ، قال مجاهد : تقاسموا : تحالفوا . ﴿ **وأقسموا باللَّه جهد أيمانهم لا يبعث اللَّه من يموت** ﴾ ، ﴿ **أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال** ﴾ . ﴿ **أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم اللَّه برحمة** ﴾ فكأنهم كانوا لا يكذبون بشيء [من الدنيا][٥] إلا أقسموا عليه فسموا مقتسمين .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : المقتسمون[٦] أصحاب صالح الذين تقاسموا باللَّه لنبيتنه وأهله .

= الطبراني في « الكبير » والبزار وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف » ، وتابعه محمد بن كثير - وهو المصيصي - عن عبد اللَّه بن واقد عن يعقوب بن يزيد عن أبي رافع به . ويعقوب بن يزيد هذا لم أقف له علىٰ ترجمة ولعله محرف من « يعقوب بن زيد » فإن كان هذا الأخير فإن الإسناد منقطع . واللَّه تعالىٰ أعلم .

---

[١] - في ز : « لأدّين » .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في خ : « أن » .
[٤] - في ت : « إني أنا » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ت : « المقتسمين » .

وفي الصحيحين(٦٣) : عن أبي موسىٰ ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « إنما مثلي ومثل ما بعثني اللّه به ؛ كمثل رجل أتىٰ قومًا ، فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا[١] النذير العريان ، فالنجاء النجاء[٢]، فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجَوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق » .

وقوله : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ أي : جزءوا كتبهم المنزلة عليهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض .

قال البخاري(٦٤) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أنبأنا أبو بشر ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **جعلوا القرآن عضين** ﴾ قال : هم أهل الكتاب جَزَّءوه أجزاء ، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه .

حدثنا عبيد اللّه بن موسىٰ ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ﴿ **جعلوا القرآن عضين** ﴾ قال : هم أهل[٣] الكتاب جزَّءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه(٦٥) .

حدثنا عبيد اللّه بن موسىٰ ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس [ ][٤]: ﴿ **كما أنزلنا علىٰ المقتسمين** ﴾ قال[٥]: آمنوا ببعض وكفروا ببعض اليهود والنصارىٰ(٦٦) .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وسعيد بن جبير وغيرهم مثل[٦] ذلك .

وقال الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **جعلوا القرآن عضين** ﴾ قال : السحر .

(٦٣) - أخرجه البخاري ، كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٧٢٨٣) ، وكتاب : الرقاق ، باب : الانتهاء عن المعاصى (٦٤٨٢) ، ومسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : شفقته - صلى الله عليه وسلم - على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (١٦) (٢٢٨٣) .

(٦٤) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ (٤٧٠٥) .

(٦٥) - لم أقف عليه في « الصحيح » هكذا كما أورده ، وانظر ما بعده .

(٦٦) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : قوله : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ (٤٧٠٦) .

[١] - مكرر في ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ت : « قالوا » .
[٦] - في ت : « نحو » .

وقال عكرمة : العضة السحر بلسان قريش ، يقول للساحرة : إنها العاضهة[١].

وقال مجاهد : عضوه أعضاء ، قالوا : سحر[٢] ! و[٣]قالوا : كهانة ! وقالوا : أساطير الأولين !

وقال عطاء : قال بعضهم : ساحر ! وقالوا : مجنون ! وقالوا : كاهن ! فذلك العضين . وكذا روي عن الضحاك وغيره .

وقال محمد بن إسحاق(٦٧) ، عن محمد بن أبي محمد ، عن [عكرمة أو سعيد بن جبير][٤]، عن ابن عباس : أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا شرف فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا ، ويرد قولكم بعضه بعضًا . فقالوا : وأنت يا أبا عبد شمس فقل ، وأقم لنا رأيًا نقول به . قال : بل أنتم قولوا لأسمع . قالوا : نقول كاهن ؟ قال[٥]: ما هو بكاهن . قالوا : فنقول مجنون ؟ قال : ما هو بمجنون . قالوا : فنقول شاعر ؟ قال : ما هو بشاعر . قالوا : فنقول ساحر ؟ قال : ما هو بساحر . [قالوا : فماذا نقول][٦]؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة[٧]، فما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل ، وإن[٨] أقرب القول أن تقولوا : هو ساحر . فتفرقوا عنه بذلك ، وأنزل الله فيهم : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ أصنافًا ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ أولئك[٩] النفر الذين قالوا ذلك لرسول الله .

وقال عطية العوفي ، عن ابن عمر في قوله : ﴿ **لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ قال : عن لا إله إلا الله .

---

(٦٧) - **إسناده فيه جهالة وهو صحيح** ، أورده ابن هشام في « السيرة » (١/١٧٤ - ١٧٥) ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٢/١٩٩ : ٢٠١) ، ومحمد بن أبي محمد هذا مجهول ، لكن تابعه أيوب السختياني بنحوه ، أخرجه البيهقي (٢/١٩٨) ، وصححه الحاكم على شرط البخاري (٢/٥٠٦ - ٥٠٧) ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، ، وانظر « الدر المنثور » (٦/٤٥٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « الكاهنة » .
[٢] - في ز ، خ : « اسحروه » .
[٣] - في ت : قال .
[٤] - في خ : « سعيد أو عكرمة » .
[٥] - في خ : « قالوا » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز : « حلاوة » .
[٨] - في ز : « إنه » .
[٩] - في ز ، خ : « دوينك » .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا الثوري ، عن ليث - هو ابن أبي سليم - عن مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ قال : عن لا إله إلا اللَّه .

وقد روىٰ الترمذي وأبو يعلىٰ الموصلي وابن جرير وابن أبي حاتم(٦٨) : من حديث شريك القاضي ، عن ليث بن أبي سليم ، عن بشير بن أبي نهيك(*) ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين** ﴾ قال[١]: « عن لا إله إلا اللَّه » .

ورواه ابن إدريس(٦٩) : عن ليث ، عن بشير ، عن أنس موقوفًا .

وقال ابن جرير(٧٠) : حدثنا أحمد ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا شريك ، عن هلال ، عن عبد اللَّه بن عكيم[٢]. قال : قال[٣] عبد اللَّه - هو ابن مسعود - : والذي لا إله غيره ، ما منكم من أحد إلا سيخلو اللَّه به يوم القيامة ، كما يخلو أحدكم[٤] بالقمر ليلة البدر ، فيقول : ابن آدم ماذا غرك مني بي ؟ ابن آدم ماذا عملت [فيما علمت][٥]؟ ابن آدم ماذا

(٦٨) - **إسناده ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم وشريك القاضي** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ٦٧) ثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد قال : ثنا شريك به ، ثم إني لم أره عند الترمذي وأبي يعلى من هذا الطريق ، إنما أخرجه الترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : « ومن سورة الحجر » (٣١٢٦) ، وأبو يعلى (٤٠٥٨/٧) من طريق المعتمر بن سليمان وجرير عن ليث بن أبي سليم عن بشر عن أنس بن مالك به ، وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٨٦/٢) من طريق حفص عن ليث به ، وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩٥/٣) من طريق ليث بن أبي سليم عن داود بن أبي هند عن أنس به . وقال : « غريب من حديث داود وليث » .

(*) هكذا وقع هنا وهو أيضًا في تفسير ابن جرير « بشير بن أبي نهيك » وهو تابعي معروف غير أنه لا يعرف له رواية عن أنس ، ولا يعرف لليث بن أبي سليم رواية عنه ، ووقع عند الترمذي وغيره « بشر » غير منسوب ، وكذا ذكره المزي في « تهذيب الكمال » (٤/ت٧١٤) ونسبه البخاري في « التاريخ الكبير » (٨٦/٢) وابن حبان في « الثقات » (٦٩/٤) فقالا « بشر بن دينار » ووقع عند البخاري في « التاريخ » (١٣٣/٨-١٣٤) : « نسر - بالسين المهملة - عن أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ قال « عن لا إله إلا الله » . وانظر التاريخ الكبير (٢/ ٨٦، ١٣٣/٨) .

(٦٩) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (٦٧/١٤) حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس به . وعلقه البخاري في « التاريخ الكبير » (٨٦/٢) ، والترمذي في « السنن » (عقب حديث رقم ٣١٢٦) غير أنه وقع عند الأخير « بشر » وقد نبهنا على هذا الاختلاف .

(٧٠) - ابن جرير في تفسيره (٦٧/١٤) ، وأخرجه أسد بن موسى في « الزهد » (٩٦) - وتحرف فيه =

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « حكيم » .

[٣] - في ت : « وقال » .

[٤] - في ز : « أحدهم » .

[٥] - في ز : « فبما عملت » .

أجبت المرسلين ؟ .

وقال أبو جعفر : عن الربيع ، عن أبي العالية [في قوله][١]: ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ قال : يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة ؛ عما كانوا يعبدون ، وماذا أجابوا المرسلين ؟.

وقال ابن عيينة : عن عملك ، وعن مالك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا يونس الحذاء ، عن أبي حمزة الشيباني[٢] ، عن معاذ بن جبل قال : قال لي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « يا معاذ ، إن المرء[٣] يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه ، حتىٰ كحل عينيه ، وعن فتات الطينة بأصبعه ، فلا ألفينك يوم القيامة وأحد أسعد بما آتى اللّٰه منك » .

وقال علي بن أبي طلحة(٧١) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ ثم قال : ﴿ **فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان** ﴾ قال : لا يسألهم : هل عملتم كذا ؟ لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول : لم عملتم كذا وكذا ؟ .

فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ
بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ

= ابن مسعود إلى أبا مسعود ، ولم ينتبه له محققه - وابن المبارك في « الزهد » (٣٨) ومن طريقه النسائي في الكبرى - كما في « التحفة » (٩٣٤٥/٧) - وابن خزيمة في « التوحيد » ص١٥٠ - ١٥١، ١٧١، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٧٥) كلهم من طريق شريك بن عبد الله بهذا الإسناد ، وشريك فيه مقال ، لكن تابعه أبو عوانة وهو ثقة حافظ وعند أحمد في الزهد (ص٢٠٤) ، والطبراني في الكبير (٨٨٩٩/٩) وأبي نعيم في « الحلية » (١٣١/١) ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٤٤٩/١) من طريق إسحاق بن عبد الله أبي يعقوب التميمي قال : نا شريك بهذا الإسناد ، لكنه رفعه ، وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن هلال الوَزّان إلا شريك ، تفرَّدَ به إسحاق بن عبد الله ، أي مرفوعًا . وقال الهيثمي في « المجمع » : ورجال الأوسط فيهم شريك أيضًا ، وإسحاق بن عبد الله التميمي وثقه ابن حبان (١٢٠/٨) ، وبقية رجاله رجال الصحيح . والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٥٧/٥) إلى عبد بن حميد وابن مردويه .

(٧١) - أخرجه ابن جرير (٦٧/١٤) ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في البعث - كما في « الدر المنثور » (٤/ ١٩٩) .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « البيساني » .

[٣] - في خ : « المؤمن » .

يأتيك اليقين ﴿٩٩﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم بإبلاغ ما بعثه به ، وبإنفاذه[١] والصدع به ، وهو مواجهة المشركين به ، كما قال ابن عباس : ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ أي : أمضه . وفي رواية : افعل ما تؤمر .

وقال مجاهد : هو الجهر بالقرآن في الصلاة .

وقال أبو عبيدة ، عن عبد اللَّه بن مسعود . ما زال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم مستخفيًا حتىٰ نزلت : ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ فخرج هو وأصحابه .

وقوله : ﴿ **وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين** ﴾ أي : بلغ ما أنزل إليك من ربك ، ولا تلتفت إلىٰ المشركين الذين[٢] يريدون أن يصدوك[٣] عن آيات اللَّه ﴿ **ودوا لو تدهن فيدهنون** ﴾ ولا تخفهم ؛ فإن اللَّه كافيك إياهم وحافظك منهم ، كقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته واللَّه يعصمك من الناس** ﴾ .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٧٢) : حدثنا يحيىٰ بن محمد بن السَّكن ، حدثنا إسحاق بن إدريس ، حدثنا عون بن كهمس ، عن يزيد بن درهم ، عن أنس قال : سمعت أنسًا يقول في هذه الآية : ﴿ **إنا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع اللَّه إلهًا آخر** ﴾ قال : مر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فغمزه بعضهم فجاء جبريل . قال[٥]: أحسبه قال : فغمزهم فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنة حتى ماتوا.

وقال محمد بن إسحاق(٧٣) : كان عظماء المستهزئين - كما حدثنى يزيد بن رومان ،

(٧٢) - (٢/١٤٧٥ - مختصر الزوائد) ، وقال البزار : « تفرد به يزيد بن درهم عن أنس وماله عن أنس غيره ، وقد ضعفه ابن معين » وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٧/٧١٢٧) من طريق محمد ابن عثمان القرشي ثنا يزيد بن درهم به نحوه وقال : لم يرو هذا الحديث عن أنس إلا يزيد بن درهم تفرد به محمد بن عثمان القرشي - وهو متابع كما ترى - وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٤٩) عن ابن عباس وليس عن أنس وقال : « رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه وفيه يزيد بن درهم ضعفه ابن معين ووثقه الفلاس » قلت : وذكره ابن حبان في « الثقات » (٥/٥٣٨) وقال : « يخطئ كثيرًا » .

(٧٣) - **مرسل حسن** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/٦٩ - ٧٠) ، وأبو نعيم في « الدلائل » =

[١] - في ز : « إنفاده » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « يصدون » .
[٤] - في خ: « كما قال » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

عن عروة بن الزبير - خمسة نفر من قومه ، و[١]كانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم ؛ من بني أسد بن عبد العزىٰ بن قصي : الأسود بن المطلب أبو زمعة ، كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه ؛ لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه ، فقال : « اللهم أعم بصره وأثكله ولده » . ومن بني زهرة : الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، ومن بني مخزوم : الوليد بن المغيرة بن عبد اللّٰه بن عمر بن مخزوم ، ومن بني سهم بن عمرو(*) ابن [ ][٢] هُصَيص بن كعب بن لؤي : العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد [بن سهم](**) ، ومن خزاعة : الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن [ ][٣] عمرو بن مَلْكان . فلما تمادوا في الشر ، وأكثروا برسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم الاستهزاء ، أنزل اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ . قال ابن إسحاق : فحدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء : أن جبريل أتىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام ، وقام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ جنبه ، فمرّ به [الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى ، ومر به][٤] الأسود بن عبد يغوث ، فأشار إلىٰ بطنه فاستسقىٰ[٥] بطنه فمات منه حَبَنًا[٦]، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلىٰ أثر جرح[٧] بأسفل كعب رجله ، وكان أصابه قبل ذلك بسنتين وهو يجرّ إزاره ، وذلك أنه مرّ برجل من خزاعة يريش نبلًا له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ، فخدش رجله ذلك الخدش ، وليس بشيء فانتقض به فقتله ، ومرّ به العاص بن وائل

= (ص ٢٢٢ - ٢٢٣) من طريقين عن ابن إسحاق به ، وهذا مرسل حسن ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٤٩٨٦/٥) ، والبيهقي في « الدلائل » (٣١٦/٢ ، ٣١٨) ، والضياء في « المختارة » (١٠/رقم ٩٤) من حديث ابن عباس قال : المستهزئون : الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث ... فذكر الحديث بنحو حديث عروة ، وحسن إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (٢٠٠/٤) وزاد نسبته إلى ابن مردويه وأبي نعيم في « الدلائل » والذي في « دلائل أبي نعيم » من طريق الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس ، والكلبي متهم بالكذب والله أعلم .

(*) في ز : « عمر » ، خ : « عبد عمر » ، والمثبت من ابن جرير .

(**) ما بين المعكوفتين زيادة من ابن جرير (٧٠/١٤) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « مخزوم ، ومن بني سهم عمر بن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عبد » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « فاستقى » .

[٦] - في ز ، خ : « جنبًا » . والحبن : هو ما يعرف اليوم بالاستسقاء . المعجم الوسيط .

[٧] - في ت : « جراح » .

فأشار إلىٰ أخمص رجله ، فخرج علىٰ حمار له يريد الطائف ، فوُقص علىٰ شِبرْقة(*) فدخلت في أخمص رجله[١] منها[٢] شوكة[٣] فقتلته ، ومرّ به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلىٰ رأسه فامتخط قيحًا فقتله .

قال محمد بن إسحاق(٧٤) : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم .

وهكذا روي عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق [ ][٤] عن يزيد عن عروة بطوله ، إلا أن سعيدًا يقول : الحارث بن عيطلة ، وعكرمة يقول : الحارث بن قيس .

قال الزهري : وصدقا ، هو الحارث بن قيس وأمه عيطلة[٥].

وكذا روي عن مجاهد ومقسم وقتادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة .

وقال الشعبي : كانوا سبعة .

والمشهور الأول .

وقوله : ﴿ **الذين يجعلون مع اللَّه إلهًا آخر فسوف يعلمون** ﴾ تهديد شديد ووعيد أكيد لمن جعل مع اللَّه معبودًا[٦] آخر .

وقوله : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين** ﴾ أي : وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض صدر وضيق ، فلا يهيدنك[٧] ذلك ، ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة اللَّه ، وتوكل عليه فإنه كافيك وناصرك عليهم ، فاشتغل بذكر اللَّه وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة ، ولهذا قال : ﴿ **فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين** ﴾ ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٧٥) :

(*) - الشبرقة : واحدة الشبرق ، وهو نبات له شوك . النهاية .

(٧٤) - **إسناده فيه جهالة** ، وهو عند ابن جرير في تفسيره (٧٠/١٤) .

(٧٥) - **صحيح** ، « المسند » (٢٢٥٧١) (٢٨٦/٥) ، وأخرجه أيضًا (٢٢٥٧٦) (٢٨٧/٥) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب : الصلاة ، باب : الحث على الصلاة أول النهار (٤٦٨/١) من طريقين عن معاوية بن =

[١] - في خ : « قدمه » ،
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « شبرقة » .
[٤] - في ت : به .
[٥] - في خ : « غيطلة » .
[٦] - في خ : « إلهًا » .
[٧] - في خ : « يهذنك » .

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن كثير بن مرة ، عن نعيم بن همار[١]، أنه سمع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « قال اللّٰه تعالىٰ : يا ابن آدم ، لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » .

و[٢]رواه أبو داود والنسائي(٧٦)[٣]: من حديث مكحول ، عن كثير بن مرة بنحوه[٤].

ولهذا كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى(٧٧) .

وقوله : ﴿ **واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين** ﴾ قال البخاري(٧٨) : قال سالم : الموت .

وسالم هذا هو سالم بن عبد اللّٰه بن عمر ، كما قال ابن جرير(٧٩) :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن سفيان ، حدثنا طارق بن عبدالرحمن ، عن سالم بن عبد اللّٰه ﴿ **واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين** ﴾ قال : الموت .

= صالح به ، وله طرق أخرى عند أحمد فانظرها ثمة ، وانظر ما بعده .

(٧٦) - **كسابقه** ، سنن أبي داود كتاب : الصلاة ، باب : صلاة الضحى (١٢٨٩) ، والنسائي في « الكبرى » ، كتاب : الصلاة ، باب : الحثُّ على الصلاة أوَّلَ النَّهار (٤٦٧/١) ووقع عنده بين كثير بن مرة ونعيم بن هَمَّار ، قيس الجُذَامي . ومن طريق قيس الجذامي ، أخرجه أحمد (٢٢٥٧٣) (٢٨٦/٥) والدارمي (١٤٥٩) ، وصححه ابن حبان (٢٥٣٣/٦) ، وصححه أيضًا (٢٥٣٤) من طريق آخر عن نعيم بن همار ، وأخرجه أحمد (١٧٤٣٩، ١٧٨٤٦) (١٥٣/٤ ، ٢٠١) ، وأبو يعلى (١٧٥٧/٣) من طريق نعيم عن عقبة بن عامر فجعلاه من مسند عقبة ، لا من مسند نعيم ، وكلاهما له صحبة ، فلا يضر ذلك . والله تعالى أعلم .

(٧٧) - أخرجه أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : وقت قيام النبي - صلى الله عليه وسلم - من الليل (١٣١٩) وأحمد (٢٣٤٠٦) (٣٨٨/٥) ، وابن نصر في « تعظيم قدر الصلاة » (٢١٢/١) من حديث حذيفة ابن اليمان ، وحسنه الألباني في « صحيح أبي داود » (١١٧١/١) .

(٧٨) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ (٣٨٣/٨ - فتح) .

(٧٩) - **إسناده صحيح** ، تفسير ابن جرير (٧٤/١٤) ووكيع بن الجراح في « كتاب الزهد » (٤٢/١) وعنه ابن أبي شيبة في « المصنف » كتاب الزهد ، باب : كلام الحسن البصري (٢٦٥/٨) ومن طريق وكيع أخرجه ابن جرير أيضًا و ابن أبي الدنيا في « كتاب اليقين » (١٩) منسوبًا إلى سالم بن عبد الله ، بينما أخرجه ابن حجر في « تغليق التغليق » (٢٣٤/٤) من طريق وكيع ونسبه إلى سالم بن أبي الجعد ، وقال الحافظ في « الفتح » (٣٨٣/٨) : وصله الفريابي وعبد بن حميد وغيرهما من طريق طارق بن =

---

[١] - في ز : « عمار » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز ، خ : « أي سحره » .

وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره .

والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ إخبارًا عن أهل النار أنهم قالوا : ﴿ **لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتىٰ أتانا اليقين** ﴾ .

وفي الصحيح(٨٠) : من حديث الزهري ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أمّ العلاء امرأة من الأنصار : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لما دخل علىٰ عثمان بن مظعون وقد مات ، [قلت][١]: رحمة اللَّه عليك أبا السائب ! فشهادتي عليك لقد أكرمك اللَّه . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « وما يدريك أن اللَّه أكرمه ؟ » فقلت : بأبي وأمي يا رسول اللَّه فمن ؟ فقال : « أما هو فقد جاءه اليقين ، و[٢]إني لأرجو له الخير » .

ويستدل من هذه[٣] الآية الكريمة وهي قوله : ﴿ **واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين** ﴾ علىٰ أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة علىٰ الإنسان ما دام عقله ثابتًا ، فيصلي بحسب حاله ، كما ثبت في صحيح البخاري(٨١) عن عمران بن حصين رضي اللَّه عنهما : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « صل قائمًا ، فإن لم تستطع فقاعدًا ، فإن لم تستطع فعلىٰ جنب » .

ويستدل بها علىٰ تخطئة من ذهب من الملاحدة إلىٰ أن المراد باليقين : المعرفة ، فمتىٰ وصل أحدهم إلىٰ المعرفة سقط عنه التكليف عندهم ، وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس باللَّه ، وأعرفهم بحقوقه وصفاته ، وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أعبد الناس[٤] وأكثر الناس عبادة ، ومواظبة علىٰ فعل الخيرات إلىٰ حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين هاهنا الموت كما قدمناه ، ولله الحمد والمنة ، والحمد لله علىٰ الهداية ، وعليه الاستعانة والتوكل ، وهو المسئول أن يتوفانا علىٰ أكمل الأحوال وأحسنها ، فإنه جواد كريم .

= عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد ، والله أعلم بالصواب .

(٨٠) - أخرجه البخاري ، كتاب : الجنائز ، باب : الدُّخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه (١٢٤٣) ، والنسائي في « التعبير » من « الكبرى » (٧٦٣٤/٤) ، وأحمد (٤٣٦/٦) .

(٨١) - صحيح البخاري كتاب : تقصير الصلاة ، باب : إذا لم يُطق قاعدًا صلى على جنب (١١١٧) ، وانظره أطرافه عند رقم (١١١٥) ، وأخرجه أبو داود (٩٥١ ، ٩٥٢) ، والترمذي (٣٧١ ، ٣٧٢) ، وابن ماجة (١٢٢٣) ، وأحمد (٤٢٦/٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « قالت أم العلاء » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ : « بهذه » . [٤] - سقط من ز .

آخر تفسير سورة الحجر ، والحمد لله رب العالمين

☆ ☆ ☆

تفسير سورة النحل وهي مكية

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) ﴾

يخبر تعالىٰ عن اقتراب الساعة ودنوها ، معبرًا بصيغة الماضي الدال علىٰ التحقيق والوقوع لا محالة ، كقوله[١] : ﴿ **اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾ وقال : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ . وقوله : ﴿ **فلا تستعجلوه** ﴾ أي : قرب ما تباعد ﴿ **فلا تستعجلوه** ﴾ .

يحتمل أن يعود الضمير علىٰ الله ، ويحتمل أن يعود علىٰ العذاب ، وكلاهما متلازم كما قال تعالىٰ : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون** ﴾ ﴿ **يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين** ﴾ .

وقد ذهب الضحاك في تفسير هذه الآية إلىٰ قول عجيب ، فقال في قوله : ﴿ **أتىٰ أمر الله** ﴾ أي : فرائضه وحدوده . وقد رده ابن جرير فقال : لا نعلم أحدًا استعجل الفرائض[٢] والشرائع قبل وجودها ، بخلاف العذاب فإنهم استعجلوه قبل كونه استبعادًا وتكذيبًا .

قلت : كما قال تعالىٰ : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن يحيىٰ بن آدم ، عن أبي بكر بن عياش ، عن محمد بن عبد الله مولىٰ المغيرة بن شعبة ، عن كعب بن علقمة ، عن عبد الرحمن بن حجيرة ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **تطلع عليكم عند الساعة سحابة سوداء من المغرب مثل الترس ، فما تزال ترتفع في السماء ثم ينادي مناد فيها : [يا][٣] أيها الناس ، فيقبل الناس بعضهم علىٰ بعض ، هل سمعتم ؟ فمنهم من يقول : نعم ، ومنهم من يشك ، ثم ينادي الثانية : يا أيها الناس ، فيقول الناس بعضهم لبعض : هل سمعتم ؟ فيقولون : نعم . ثم ينادي الثالثة : [يا][٤] أيها الناس ، أتىٰ أمر الله فلا تستعجلوه** » . قال رسول الله [صلىٰ الله عليه وسلم] : « **فوالذي نفسي بيده ، إن الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه أبدًا ، وإن الرجل ليمدَّن حوضه فما يسقي فيه شيئًا**

[١] - في خ : « كما قال تعالى » .

[٢] - في ز ، خ : « بالفرائض » .

[٣] - [٤] - سقط من خ .

أبدًا ، وإن الرجل ليحلب ناقته فما يشربه أبدًا - قال : ويشتغل الناس[١] »(١) .

ثم إنه تعالىٰ نزه نفسه عن شركهم[٢] به غيره ، وعبادتهم معه ما سواه من الأوثان والأنداد ، تعالىٰ وتقدس علوًّا كبيرًا ، وهؤلاء هم المكذبون بالساعة ، فقال[٣] : ﴿ **سبحانه وتعالىٰ عما يشركون** ﴾ .

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ينزل الملائكة بالروح** ﴾ أي : الوحي ، كقوله[٤] : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا** ﴾ . وقوله : ﴿ **علىٰ من يشاء من عباده** ﴾ وهم الأنبياء ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اللَّه أعلم حيث يجعل رسالته[٥]** ﴾ ، وقال : ﴿ **اللَّه يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس** ﴾ ، وقال : ﴿ **يلقي الروح من أمره علىٰ من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * يوم هم بارزون لا يخفىٰ علىٰ اللَّه منهم شيء لمن الملك اليوم للَّه الواحد القهار** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أن أنذروا** ﴾ أي : لينذروا ﴿ **أنه لا إله إلا أنا فاتقون[٦]** ﴾ [ ][٧] أي : فاتقوا عقوبتي لمن خالف أمري وعبد غيري .

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾

---

(١) - أخرجه الطبراني (٣٢٥/١٧) حديث (٨٩٩) ، والحاكم (٥٣٩/٤) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٠٥/٤) ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه . قال الحاكم : حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٤/١) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله مولى المغيرة وهو ثقة .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « شركتهم » .

[٣] - في ز ، خ : « قال » .

[٤] - في خ : « كما قال تعالى » .

[٥] - في ز ، خ : « رسالاته » .

[٦] - في ز ، خ : « فاعبدوني » .

[٧] - في ز ، خ : « وقال في هذه : فاتقون » .

يخبر تعالىٰ عن خلقه العالم العلوي : وهو السمواٰت ، والعالم السفلي : وهو الأرض بما حوت ، وأن ذلك مخلوق بالحق لا للعبث ، بل ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ** ﴾ .

ثم نزه نفسه عن شرك من عبد معه غيره ، وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك له ، فلهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له .

ثم نبه علىٰ خلق جنس الإنسان من نطفة ، أي : مهينة ضعيفة ، فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالىٰ ويكذبه ويحارب رسله ، وهو إنما خلق ليكون عبدًا لا ضدًّا ، [كقوله تعالىٰ][١] : ﴿ **وهو الذي خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا وكان ربك قديرًا * ويعبدون من دون اللَّه ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر علىٰ ربه ظهيرًا** ﴾ ، وقوله[٢] : ﴿ **أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ ، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٢) وابن ماجه ، عن [بُسر ابن][٣] جحاش قال : بصق رسول اللَّه [صلىٰ اللَّه عليه وسلم] في كفه ، ثم قال : « **يقول اللَّه تعالىٰ : ابن آدم ، أنَّىٰ تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتىٰ إذا سويتك فعدلتك ، مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت حتىٰ إذا بلغت الحلقوم ، قلت : أتصدق وأنَّىٰ أوان الصدقة ؟** » .

وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

يمتن تعالىٰ علىٰ عباده بما خلق [ ][٤] لهم من الأنعام ؛ وهي الإبل والبقر والغنم ، كما

---

(٢) - أخرجه أحمد (٤/٢١٠) رقم (١٧٨٩٦) . وابن ماجة في كتاب الوصايا ، باب : النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت (٢٧٠٧) (٢/٩٠٣) . قال البوصيرى في الزوائد : إسناده صحيح . ورواه الطبراني في الكبير (٢/٣٢) حديث (١١٩٣) ، (١١٩٤) . وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٩٩) وصحيح ابن ماجه (٢/١١١) حديث (٢١٨٨) .

---

[١] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٢] - في ز ، خ : « وقال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « بشر أن » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « الله » .

فصلها في سورة الأنعام إلىٰ[١] ثمانية أزواج ، وبما جعل لهم فيها[٢] من المصالح والمنافع ؛ من أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون ، ومن ألبانها يشربون ، ويأكلون من أولادها ، وما لهم فيها من الجمال : وهو الزينة ، ولهذا قال : ﴿ [**ولكم فيها جمال**][٣] **حين تريحون** ﴾ وهو وقت[٤] رجوعها عشيًّا من المرعى[٥] ، فإنها تكون أمده خواصر ، وأعظمه ضروعًا وأعلاه أسنمة ﴿ **وحين تسرحون** ﴾ أي : غدوة حين تبعثونها إلىٰ المرعىٰ .

﴿ **وتحمل أثقالكم** ﴾ وهي الأحمال المثقلة التي تعجزون عن نقلها وحملها ﴿ **إلىٰ بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس** ﴾ وذلك في الحج والعمرة والغزو والتجارة وما جرىٰ مجرىٰ ذلك ، تستعملونها في[٦] أنواع الاستعمال من ركوب وتحميل ، كقوله[٧] : ﴿ **وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون * [وعليها وعلىٰ الفلك تحملون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **الله[٨] الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون**][٩] * **ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلىٰ الفلك تحملون * ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون** ﴾ ولهذا قال هاهنا بعد تعداد هذه النعم : ﴿ **إن ربكم لرءوف رحيم** ﴾ أي : ربكم الذي قيض لكم هذه الأنعام وسخرها لكم ، كقوله[١٠] : ﴿ **أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون** ﴾ ، وقال : ﴿ **وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا علىٰ ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون[١١]** ﴾ .

قال ابن عباس : ﴿ **لكم فيها دفء** ﴾ أي : ثياب ، والمنافع : ما ينتفعون[١٢] به من الأطعمة والأشربة .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا[١٣] إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **دفء ومنافع** ﴾ نسل كل دابة . وقال مجاهد ﴿ **لكم فيها دفء** ﴾ أي[١٤] : لباس

---

[١] - في ز : « أي » .
[٢] - في ز : « فيه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « الرعي » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - في خ : « كما قال تعالى » .
[١١] - في خ : « منقلبون » .
[١٢] - في خ : « تنتفعون » .
[١٣] - في خ : « أنبأنا » .
[١٤] - في ز ، خ : « قال » .

ينسج ﴿ ومنافع ﴾ تركب ولحم ولبن .

وقال قتادة : ﴿ دفء ومنافع ﴾ يقول : لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة . وكذا قال غير واحد من المفسرين بألفاظ متقاربة .

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

هذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالىٰ لعباده يمتن به عليهم ؛ وهو الخيل والبغال والحمير ، التي جعلها للركوب والزينة بها ، وذلك أكبر المقاصد منها ، ولما فضلها[١] على[٢] الأنعام وأفردها بالذكر ، استدل[٣] من استدل [ممن ذهب من العلماء] إلىٰ تحريم لحوم الخيل بذلك علىٰ ما ذهب إليه فيها ، كالإمام أبي حنيفة رحمه الله ومن وافقه من الفقهاء بأنه[٤] تعالىٰ قرنها بالبغال والحمير وهي حرام ، كما ثبتت به السنة النبوية وذهب إليه[٥] أكثر العلماء .

وقد روىٰ الإمام أبو جعفر بن جرير(٣) حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية[٦] ، أنبأنا هشام الدستوائي ، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير ، عن مولىٰ نافع بن علقمة ، عن[٧] ابن عباس : أنه[٨] كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير ، وكان يقول : قال الله تعالىٰ : ﴿ والأنعام

---

(٣) - أخرجه الطبرى (٨٢/١٤) .

(٤) - أخرجه أحمد (٨٩/٤) رقم (١٦٨٦٨) . وأبو داود في كتاب الأطعمة ، باب في أكل لحوم الخيل ، حديث (٣٧٩٠) (٣٥٢/٣) . والنسائي (٢٠٢/٧) كتاب الصيد والذبائح ، باب : تحريم أكل لحوم الخيل . وابن ماجة في كتاب الذبائح ، باب : لحوم البغال ، حديث (٣١٩٨) (١٠٦٦/٢) .

وصالح بن يحيى بن المقدام : قال في الميزان : عن أبيه عن جده ؛ قال البخاري : فيه نظر ، وقال موسى بن هارون : لا يعرف . قلت : روى عنه ثور ، ويحيى بن جابر ، وسليمان . وقد وثق . ا.هـ وهذا الحديث ضعيف ضعفه الأئمة وعلة هذا الحديث أن خالد بن الوليد لم يصح أنه شهد مع النبي ﷺ أي مشهد قبل الفتح .

ثم إن الحديث يعارض حديث جابر : **أن النبي ﷺ** أذن في لحوم الخيل . وهو حديث متفق عليه .

وقال أبو داود والنسائي : إن هذا الحديث منسوخ . وضعفه الدارقطني والخطابي . وترجمه البيهقي فقال : باب : بيان ضعف الحديث الذي روي في النهي عن لحوم الخيل . وقال الشوكاني في نيل الأوطار أيضًا : إن خالد بن الوليد لم يسلم إلا بعد خيبر على الصحيح . قال السندي : قيل : اتفق العلماء على أنه حديث ضعيف ، ذكره النووي . وذكر بعضهم أنه منسوخ . وقال بعضهم : لو ثبت ؛ لا يعارض حديث جرير . سنن ابن ماجه (١٠٦٦/) . والحديث ضعفه الألباني في ضعاف السنن المذكورة .

---

[١] - في ز : « فضلها » .
[٢] - في ت : « من » .
[٣] - في ز ، خ : « دل » .
[٤] - في ز : « لأنه » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « عيينة » .
[٧] - في ز ، خ : « أن » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ فهذه للأكل ﴿ **والخيل والبغال والحمير لتركبوها** ﴾ فهذه للركوب .

وكذا روي من طريق سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس بمثله ، وقال مثل ذلك الحكم[١] بن عتيبة[٢] [أيضًا رضي الله عنه] ، واستأنسوا بحديث رواه الإمام أحمد في مسنده(٤) .

حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا ثور بن يزيد ، عن صالح بن يحيىٰ بن المقدام بن معد يكرب ، عن أبيه ، عن جده ، عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال : نهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير .

وأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه : من حديث صالح بن يحيىٰ بن المقدام وفيه كلام به .

ورواه أحمد(٥) أيضًا من وجه آخر بأبسط من هذا وأدل منه ؛ فقال :

حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا محمد بن حرب ، حدثنا سليمان بن سليم ، عن صالح بن يحيىٰ بن المقدام ، عن جده المقدام بن معد يكرب قال : غزونا مع خالد بن الوليد الصائفة ، فقرم[٣] أصحابنا إلىٰ اللحم ، فسألوني رمكة[٤] فدفعتها إليهم فحبلوها ، فقلت : مكانكم حتىٰ آتي خالدًا فأسأله . فأتيته فسألته ، فقال : غزونا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم غزوة خيبر ، فأسرع الناس في حظائر يهود ، فأمرني أن أنادي : الصلاة جامعة ولا يدخل الجنة[٥] إلا مسلم . ثم قال : « **أيها الناس : إنكم قد أسرعتم في حظائر يهود ، ألا لا يحل أموال المعاهدين إلا بحقها ، وحرام عليكم لحوم الأُتُن الأهلية وخيلها وبغالها ، وكل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير** » .

والرمكة : هي الحجرة ، وقوله : حبلوها أي : أوثقوها في الحبل ليذبحوها ، والحظائر : البساتين القريبة من العمران .

وكأن هذا الصنيع وقع بعد إعطائهم العهد ، ومعاملتهم علىٰ الشطر ، والله أعلم .

فلو صح هذا الحديث لكان نصًا في تحريم لحوم[٦] الخيل ، ولكن لا يقاوم ما ثبت في

---

(٥) - أخرجه أحمد (٤/٨٩ - ٩٠) رقم (١٦٨٦٧) .

---

[١] - في ز : « الحاكم » .
[٢] - في ز ، خ : « عيينة » .
[٣] - في ز : « فقدم » .
[٤] - في ز : « دمكة » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز .

الصحيحين(٦) : عن جابر بن عبد الله قال : نهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل .

ورواه الإمام[١] أحمد(٧) وأبو داود : بإسنادين كل منهما علىٰ شرط مسلم ، عن جابر قال : ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير ، فنهانا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن البغال والحمير ، ولم ينهنا[٢] عن الخيل .

وفي صحيح مسلم(٨) : عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : نحرنا علىٰ[٣] عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فرسًا فأكلناه ونحن بالمدينة .

فهذه أدل وأقوىٰ وأثبت ، وإلىٰ ذلك صار جمهور العلماء : مالك والشافعي وأحمد وأصحابهم وأكثر السلف والخلف ، والله أعلم .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس قال : كانت الخيل وحشية فذللها الله لإسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - .

وذكر وهب بن منبه في إسرائيلياته : أن الله خلق الخيل من ريح الجنوب والله أعلم .

فقد دل النص علىٰ جواز[٤] ركوب هذه الدواب ومنها البغال ، وقد أهديت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بغلة فكان يركبها ، مع أنه قد نهىٰ عن إنزاء الحُمر علىٰ الخيل ؛ لئلا ينقطع النسل .

---

(٦) - صحيح البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة خيبر ، حديث (٤٢١٩) (٤٨١/٧) ، وطرفاه في (٥٥٢٠ - ٥٥٢٤) . ومسلم في كتاب الصيد والذبائح ، باب : في أكل لحوم الخيل ، حديث (٣٦ ، ٣٧/ ١٩٤١) (١٤٠/١٣،١٤١) .

(٧) - المسند (٣٥٦/٣) (١٤٨٨٤) ، ورواه أبو داود في الأطعمة ، باب : أكل لحوم الخيل ، حديث ٣٧٨٩ من حديث حماد عن أبي الزبير عن جابر به .

ورواه مسلم في الصيد والذبائح ، باب : أكل لحوم الخيل ، حديث ٣٧ - (١٩٤١) . من حديث ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرًا فذكره .

والنسائي في الصيد والذبائح ، باب : إباحة أكل لحوم حمر الوحش (٢٠٥/٧) . وفي الصيد والذبائح ، باب : إباحة أكل لحوم حمر الوحش من الكبرى (١٦١/٣ - ١٦٢) . وابن ماجة في الذبائح ، باب : لحوم الخيل ، حديث ٣١٩١ . جميعهم من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر .

(٨) - صحيح مسلم في كتاب الصيد والذبائح ، حديث (١٩٤٢/٣٨) (١٤٢/١٣) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « ينهانا » . وهوخطأ .

[٣] - في ز ، خ : « في » .

[٤] - سقط من : خ .

قال الإمام أحمد(٩) : حدثني محمد بن عبيد ، حدثنا عمر من آل حذيفة ، عن الشعبي ، عن دحية الكلبي قال : قلت : يا رسول اللّه ، ألا أحمل لك حمارًا علىٰ فرس فتنتج لك بغلًا فتركبها ؟ قال : « **إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون** » .

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ (٩)

لما ذكر تعالىٰ من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية نبه علىٰ الطرق المعنوية الدينية ، وكثيرًا ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلىٰ الأمور المعنوية النافعة الدينية ، كقوله[١] تعالىٰ : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوآتكم وريشًا ولباس التقوىٰ ذلك خير** ﴾ .

ولما ذكر تعالىٰ في هذه السورة الحيوانات من الأنعام وغيرها ، التي يركبونها ويبلغون عليها حاجة في صدورهم ، وتحمل أثقالهم إلىٰ البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة ، شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إليه ، فبين أن الحق منها [ما هي][٢] موصلة إليه ، فقال : ﴿ **وعلىٰ اللّه قصد السبيل** ﴾ ، كقوله[٣] : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ ، وقال : ﴿ **قال[٤] هذا صراط عليَّ مستقيم** ﴾ .

قال مجاهد [في قوله][٥] : ﴿ **وعلىٰ اللّه قصد السبيل** ﴾ قال : [طريق الحق علىٰ اللّه .

وقال السدي : ﴿ **وعلىٰ اللّه قصد السبيل** ﴾][٦] قال : الإسلام .

---

(٩) – المسند (٣١١/٤) رقم (١٨٨٤٧) ، وهو منقطع ؛ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٥/٥) وقال : رجال أحمد رجال الصحيح خلا عمر بن حسيل من آل أبي حذيفة وثقه ابن حبان (١٧١/٧) .

وعمر بن حسيل : قال ابن أبي حاتم : روىٰ عن الشعبي حديثًا مرسلًا : أن دحية قال : يا رسول اللّه ألا ننزي الحمار على الفرس ... الحديث (١٠٣/٦) .

وقال البخاري في التاريخ (١٤٧/٦) : قال إسحاق : أنا عيسى بن يونس ، ثنا عمر بن حسيل ، عن سعد بن حذيفة ، عن الشعبي ... مرسل . والحديث رواه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد ، باب : في كراهية الحمر تنزى على الخيل (٣/ ٢٧/ح ٢٥٦٥) . من حديث علي بن أبي طالب . والنسائي في سننه في كتاب الخيل ، باب : التشديد في حمل الحمير على الخيل (٦/ ٢٢٤). والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٢٧١). والبيهقي (١٠/ ٢٢- ٢٣) من حديث على رضى اللّه تعالى عنه .

وفي الباب عن ابن عباس عند البيهقي (١٠/ ٢٣) .

---

[١] – في خ : « كما قال » .

[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] – في خ : « كما قال » .

[٤] – سقط من : ز ، خ .

[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ يقول : و[١] على الله البيان . أي : تبيين[٢] الهدىٰ والضلال[٣] .

وكذا روىٰ علي بن أبي طلحة عنه ، وكذا قال قتادة والضحاك ، وقول مجاهد هٰهنا أقوىٰ من حيث السياق ؛ لأنه تعالىٰ أخبر أن ثمَّ طرقًا تسلك[٤] إليه ، فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق ؛ وهي الطريق التي شرعها ورضيها ، وما عداها مسدودة والأعمال فيها مردودة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ومنها جائر ﴾ أي : حائر مائل زائغ عن الحق .

قال ابن عباس وغيره : هي الطرق المختلفة ، والآراء والأهواء[٥] المتفرقة ، كاليهودية والنصرانية والمجوسية . وقرأ ابن مسعود : (ومنكم جائر) .

ثم أخبر تعالىٰ[٦] أن ذلك كله كائن عن قدرته ومشيئته ، فقال : ﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ﴾ ، وقال : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ .

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

لما ذكر تعالىٰ[٧] ما أنعم به عليهم من الأنعام والدواب شرع في ذكر نعمته عليهم في إنزال المطر من السماء : وهو العلو ، مما لهم فيه بلغة ومتاع لهم ولأنعامهم ، فقال : ﴿ لكم منه شراب ﴾ أي : جعله عذبًا زلالًا يسوغ لكم شرابه ، ولم يجعله ملحًا أجاجًا .

﴿ ومنه شجر فيه تسيمون ﴾ أي : وأخرج لكم به[٨] شجرًا ترعون فيه أنعامكم . كما قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد في قوله : ﴿ فيه تسيمون ﴾ أي : ترعون .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « يبين » .
[٣] - في ز : « الضلالة » .
[٤] - في خ : « سلك » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : « سبحانه » .
[٨] - في خ : « منه » .

ومنه الإِبل السائمة ، والسوم : الرعي .

وروىٰ ابن ماجه(١٠) : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نهىٰ عن السوم قبل طلوع الشمس .

وقوله : ﴿ **ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات** ﴾ أي : يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد ، علىٰ اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها ، ولهذا قال : ﴿ **إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ أي : دلالة وحجة علىٰ أنه لا إله إلا اللّٰه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم[١] من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع اللّٰه ؟ بل هم قوم يعدلون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ :

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

ينبه تعالىٰ عباده علىٰ آياته العظام ، ومننه الجسام ، في تسخيره الليل والنهار يتعاقبان ، والشمس والقمر يدوران ، والنجوم الثوابت والسيارات ، في أرجاء السموات نورًا وضياء للمهتدين[٢] بها في الظلمات ، وكل منها يسير في فلكه الذي جعله اللّٰه تعالىٰ فيه ، يسير بحركة مقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص منها ، والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسييره ، كقوله[٣] : ﴿ **إن ربكم اللّٰه الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوىٰ علىٰ العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك اللّٰه رب العالمين** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **إن في ذلك لآيات**

(١٠) - أخرجه ابن ماجة في كتاب التجارات ، باب : السوم ، حديث (٢٢٠٦) (٢/٧٤٤) من حديث علي - رضي اللّٰه عنه - قال البوصيرى في الزوائد : « رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده ، عن عبيد اللّٰه ابن موسى ، عن الربيع ، وسياقه أتم . ورواه أبو يعلى حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبيد اللّٰه بن موسى كرواية ابن ماجه سواء . وهذا إسناد ضعيف لضعف نوفل بن عبد الملك والربيع بن حبيب » .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « ليهتدي » .
[٣] - في خ : « كما قال » .

لقوم يعقلون ﴾ أي : لدلالات على قدرته تعالى الباهرة وسلطانه العظيم لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه .

وقوله : ﴿ **وما ذرأ لكم في الأرض مختلفًا ألوانه** ﴾ لما نبه تعالى[١] على معالم السموات نبه على ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة ، والأشياء المختلفة من الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات[٢] ، على اختلاف ألوانها وأشكالها ، وما فيها من المنافع والخواص ﴿ **إن في ذلك لآية لقوم يذكرون** ﴾ أي آلاء الله ونعمه فيشكرونها .

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

يخبر تعالى عن تسخيره البحر المتلاطم الأمواج ، ويمتن على عباده بتذليله لهم ، وتيسيرهم[٣] للركوب فيه ، وجعله السمك والحيتان فيه ، وإحلاله لعباده لحمها ؛ حيها وميتها ، في الحل والإحرام ، وما يخلقه فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة ، وتسهيله للعباد استخراجها من قرارها حلية يلبسونها ، وتسخيره البحر لحمل[٤] السفن التي تمخره ، أي : تشقه . وقيل : تمخر الرياح ، وكلاهما صحيح ، [وقيل : تمخره بجؤجئها][٥] : وهو صدرها المسنم ، الذي أرشد العباد إلى صنعتها ، وهداهم إلى ذلك إرثًا عن أبيهم نوح عليه السلام ، فإنه أول من ركب السفن ، وله كان تعليم صنعتها ، ثم أخذها الناس عنه قرنًا بعد قرن ، وجيلًا بعد جيل ، يسيرون من قطر إلى قطر ، ومن[٦] بلد إلى بلد ، ومن[٧] إقليم إلى إقليم ، [لجلب ما هناك إلى هنا ، وما هنا إلى هناك][٨] ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **ولتبتغوا**

[١] - في خ : « سبحانه » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « وتيسرهم » .
[٤] - في ز : « يحمل » .
[٥] - في ز : « بجؤجرها » ، خ : « بموخرها » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « تجلب ما هنا إلى هنالك ، وما هنالك إلى هنا » .

من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ أي : نعمه وإحسانه .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(١١) : وجدت في كتابي عن محمد بن معاوية البغدادي ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن [عمر ، عن سهيل][١] بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة [ ][٢] قال : «كلم الله [هذا][٣] البحر الغربي ، وكلم البحر الشرقي ، فقال للبحر الغربي : إني حامل فيك عبادًا من عبادي فكيف أنت صانع فيهم ؟ قال : أغرقهم . فقال : بأسك في نواحيك ، وأحملهم على يدي ، وحرمه الحلية والصيد . وكلم [هذا][٤] البحر الشرقي فقال : إني حامل فيك عبادًا من عبادي فما أنت صانع بهم ؟ فقال : أحملهم على يدي ، وأكون لهم كالوالدة لولدها . فأثابه الحلية والصيد » . ثم قال البزار : لا نعلم من[٥] رواه عن سهيل[٦] غير عبد الرحمن بن عبد الله ابن عمر[٧] ، وهو منكر الحديث .

وقد رواه سهيل[٨] ، عن النعمان بن أبي عياش ، عن عبد الله بن [ ][٩] عمرو موقوفًا .

ثم ذكر تعالى الأرض وما جعل[١٠] فيها من الرواسي الشامخات ، والجبال الراسيات ؛ لتقر الأرض ولا تميد - أي : تضطرب - بما عليها من الحيوانات[١١] ، فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك ، ولهذا قال : ﴿ **والجبال أرساها** ﴾ وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن قتادة ، سمعت الحسن يقول : لما خلقت الأرض كانت تميد ، فقالوا[١٢] : ما هذه بمقرة على ظهرها أحدًا . فأصبحوا وقد خلقت الجبال ، فلم[١٣] تدر الملائكة مم خلقت الجبال .

وقال سعيد : عن قتادة ، عن الحسن ، عن قيس بن عباد[١٤] : أن الله لما خلق الأرض جعلت تمور ، فقالت الملائكة : ما هذه بمقرة على ظهرها أحدًا . فأصبحت صبحًا وفيها

---

(١١) - أخرجه البزار كما في كشف الأستار ، كتاب الجهاد ، حديث (١٦٦٩) (٢/٢٦٥) .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٨٥) : رواه البزار وِجادةً وفيه عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العمرى وهو متروك .

---

[١] - في ز ، خ : « سهل ، حدثنا » .
[٢] - في كشف الأستار : رفعه .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز ، خ : سهل .
[٧] - في ز ، خ : « عمرو » .
[٨] - في ز ، خ : « سهل » .
[٩] - في ز ، خ : «ابن أبي عمرو » .
[١٠] - في ت : « ألقي » .
[١١] - في ت : « الحيوانات » .
[١٢] - في ز : « فقال » .
[١٣] - في ز ، خ : « لم » .
[١٤] - في ز ، خ : « عبادة » .

رواسيها .

وقال ابن جرير(١٢) : حدثني المثنى ، حدثني حجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، عن عطاء ابن السائب ، عن عبد الله بن حبيب ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما خلق الله الأرض قمصت[١] ، وقالت : أي رب ، تجعل عليَّ بني آدم يعملون [على][٢] الخطايا ويجعلون[٣] عليَّ الخبث ؟ قال[٤] : فأرسىٰ الله فيها من الجبال ما ترون ومالا ترون ، فكان إقرارها كاللحم يترجرج .

وقوله : ﴿ وأنهارًا وسبلًا ﴾ أي : وجعل فيها أنهارًا تجري من [ ][٥] مكان إلىٰ مكان آخر رزقًا للعباد ، ينبع في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر ، فيقطع البقاع والبراري والقفار ، ويخترق الجبال والآكام فيصل إلىٰ البلد الذي سخر لأهله ، وهي سائرة في الأرض يمنة ويسرة ، وجنوبًا وشمالًا ، وشرقًا وغربًا ، ما[٦] بين صغار وكبار ، وأودية تجري حينًا وتنقطع في وقت ، وما بين نبع وجمع ، وقوي السير وبطيئه ، بحسب ما أراد وقدر وسخر ويسر ، فلا إله إلا هو ولا رب سواه .

وكذلك جعل[٧] في الأرض سبلًا ، أي : طرقًا يسلك فيها من بلاد إلىٰ بلاد ، حتىٰ إنه تعالىٰ ليقطع الجبل حتىٰ يكون ما بينهما ممرًا[٨] ومسلكًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وجعلنا فيها فجاجًا سبلًا** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وعلامات** ﴾ أي : دلائل من جبال كبار وآكام صغار ونحو ذلك ، يستدل بها المسافرون برًا وبحرًا إذا ضلوا الطرق .

وقوله : ﴿ **وبالنجم هم يهتدون** ﴾ أي : في ظلام الليل ، قاله ابن عباس .

وعن مالك في قوله : ﴿ **وعلامات [وبالنجم هم يهتدون]** ﴾ يقول[٩] : النجوم وهي الجبال .

ثم [قال تعالىٰ منبهًا][١٠] علىٰ عظمته ، و[١١]أنه لا تنبغي[١٢] العبادة إلا له دون ما سواه

---

(١٢) - أخرجه الطبرى (١٤/٩٠) .

---

[١] - في ز : « فمضت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - في خ : « ويعملون » .
[٤] - في ز : « قالت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « كل » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « مرًا » .
[٩] - في ز : « يقولون » .
[١٠] - في خ : « نبه تعالى » .
[١١] - سقط من : ز .
[١٢] - في ز : « ينبغي » .

من الأوثان ، التي لا تخلق شيئًا بل هم يخلقون ، ولهذا قال : ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون** ﴾ .

ثم نبههم علىٰ كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم ، فقال : ﴿ **وإن تعدوا نعمة اللَّه لا تحصوها إن اللَّه لغفور رحيم** ﴾ أي : يتجاوز عنكم ، ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك ، ولو أمركم به لضعفتم وتركتم ، ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم ، ولكنه غفور رحيم ، يغفر الكثير ، ويجازي علىٰ اليسير .

وقال ابن جرير : يقول إن اللَّه لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك ، إذا تبتم وأنبتم إلىٰ طاعته واتباع مرضاته ، رحيم بكم أن يعذبكم بعد الإنابة والتوبة .

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾

يخبر تعالىٰ أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر ، وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيامة ؛ إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر .

ثم أخبر أن الأصنام التي يدعونها من دون اللَّه لا يخلقون [شيئًا وهم يخلقون][١] ، كما قال الخليل : ﴿ **أتعبدون ما تنحتون * واللَّه خلقكم وما تعملون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أموات غير أحياء** ﴾ أي : هي جمادات لا أرواح فيها ، فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل .

﴿ **وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾ أي : لا يدرون متىٰ تكون الساعة ، فكيف[٢] يرتجىٰ عند هذه نفع أو ثواب[٣] أو جزاء ؟ إنما يرتجىٰ ذلك من الذي يعلم كل شيء وهو خالق كل شيء .

إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « وكيف » .
[٣] - في ز ، خ : « صواب » .

يخبر تعالىٰ أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، وأخبر أن الكافرين تنكر قلوبهم ذلك ، كما أخبر عنهم متعجبين من ذلك ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا ذكر اللَّه وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وهم مستكبرون** ﴾ أي : عن عبادة اللَّه ، مع[١] إنكار قلوبهم لتوحيده ، كما قال : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ ، ولهذا قال هٰهنا : ﴿ **لا جرم** ﴾ أي : حقًّا ﴿ **أن اللَّه يعلم ما يسرون وما يعلنون** ﴾ أي : وسيجزيهم علىٰ ذلك أتم الجزاء ﴿ **إنه لا يحب المستكبرين** ﴾ .

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالىٰ : وإذا قيل لهؤلاء المكذبين ﴿ **ماذا أنزل ربكم قالوا** ﴾ معرضين عن الجواب ﴿ **أساطير الأوّلين** ﴾ أي : لم ينزل شيئًا ، إنما هذا الذي يتلىٰ علينا أساطير الأوّلين ، أي : مأخوذ من كتب المتقدمين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا أساطير الأوّلين اكتتبها فهي تملىٰ عليه بكرة وأصيلًا** ﴾ أي : يفترون علىٰ الرسول ، ويقولون أقوالًا متضادة مختلفة كلها باطلة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا** ﴾ وذلك أن كل من خرج عن الحق فمهما قال أخطأ ، وكانوا يقولون ساحر وشاعر وكاهن ومجنون ، ثم استقر أمرهم إلىٰ ما اختلقه لهم شيخهم الوحيد [المسمىٰ بالوليد][٢] بن المغيرة المخزومي ، لما ﴿ **فكر وقدّر * فقتل كيف قدّر * ثم قتل كيف قدّر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر** ﴾ أي : ينقل ويحكىٰ ، فتفرقوا عن قوله ورأيه قبحهم اللَّه .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم** ﴾ أي : إنما قدرنا عليهم أن يقولوا ذلك ؛ ليتحملوا[٣] أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعونهم ويوافقونهم ، أي : يصير عليهم خطيئة ضلالهم في أنفسهم ، وخطيئة إغوائهم

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « ابن الوليد » .
[٣] - في ز : « فيتحملوا » .

لغيرهم واقتداء أولئك بهم ، كما جاء في الحديث : « **من دعا إلىٰ هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا** »(١٣) .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون** ﴾ .

وهكذا روىٰ العوفي ، عن ابن عباس في قوله[١] : ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم** ﴾ أنها كقوله : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم** ﴾ .

وقال مجاهد : يحملون أثقالهم ؛ ذنوبهم[٢] وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف عمن أطاعهم من العذاب شيئًا .

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾

قال العوفي : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **قد مكر الذين من قبلهم** ﴾ قال : هو النمروذ الذي بنىٰ الصرح .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد نحوه .

وقال عبد الرزاق : عن معمر ، عن زيد بن أسلم : أول جبار كان في الأرض النمروذ ، فبعث اللَّه عليه بعوضة ، فدخلت[٣] في منخره ، فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق ، وأرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما[٤] رأسه ، وكان جبارًا أربعمائة

(١٣) - أخرجه مسلم في كتاب العلم ، باب : من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعاء إلى هدى أو ضلالة ، حديث (٢٦٧٤) (٣٤٧/١٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

[١] - في ت : « الآية » .
[٢] - في ز ، خ : « وذنوبهم » .
[٣] - في ز : « دخلت » .
[٤] - في ز : « بها » .

سنة ، فعذبه اللَّه أربعمائة سنة كملكه ، ثم أماته الله[١] وهو الذي كان بنىٰ صرحًا[٢] إلىٰ السماء ، الذي قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فأتى اللَّه بنيانهم من القواعد** ﴾(١٤) .

وقال آخرون : بل هو بختنصر . وذكروا من المكر الذي حكى[٣] اللَّه هٰهنا كما قال في سورة إبراهيم ﴿ **وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ .

وقال آخرون : هذا من باب المثل لإبطال ما صنعه[٤] هؤلاء[٥] الذين كفروا باللَّه ، وأشركوا في عبادته غيره ، كما قال نوح عليه السلام ﴿ **ومكروا مكرًا كبارًا** ﴾ أي : احتالوا في إضلال الناس بكل حيلة ، وأمالوهم إلىٰ شركهم بكل وسيلة ، كما يقول لهم[٦] أتباعهم يوم القيامة : ﴿ **بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر باللَّه ونجعل له أندادًا** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **فأتىٰ اللَّه بنيانهم من القواعد** ﴾ أي : اجتثه من أصله وأبطل عملهم ، وأصلها كقوله[٧] تعالىٰ : ﴿ **كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها اللَّه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فأتاهم اللَّه من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار** ﴾ .

وقال اللَّه هٰهنا : ﴿ **فأتىٰ اللَّه بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * ثم يوم القيامة يخزيهم** ﴾ أي : يظهر فضائحهم ، وما كانت تجنه ضمائرهم ، فيجعله علانية ، كقوله[٨] تعالىٰ : ﴿ **يوم تبلىٰ السرائر** ﴾ أي : تظهر وتشتهر ، كما في الصحيحين(١٥) : عن ابن عمر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته**[٩] ، **فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان** » .

---

(١٤) - أخرجه ابن جرير (٩٧/١٤) .

(١٥) - أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة ، باب : إثم الغادر للبر والفاجر ، حديث (٣١٨٨) (٦/ ٢٨٣) وأطرافه في (٦١٧٧ - ٦١٧٨ - ٦٩٦٦ - ٧١١١) . ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب : تحريم الغدر ، حديث (١٧٣٧) .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في خ : «الصرح » .

[٣] - في خ : « حكاه » .

[٤] - في ز : « صنفه » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في خ : « كما قال » .

[٨] - في خ : « كما قال » .

[٩] - في ز : « عورته » .

وهكذا هؤلاء يظهر للناس ما كانوا يسرونه من المكر ، ويخزيهم اللَّه علىٰ رءوس الخلائق ، ويقول لهم الرب تبارك وتعالىٰ مقرعًا لهم وموبخًا : ﴿ **أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم** ﴾ تحاربون وتعادون في سبيلهم ، [ ][١] أين هم عن نصركم وخلاصكم هٰهنا ؟ ﴿ **هل ينصرونكم أو ينتصرون** ﴾ ، ﴿ **فما له من قوة ولا ناصر** ﴾ فإذا توجهت عليهم الحجة ، وقامت عليهم الدلالة ، وحقت عليهم الكلمة ، وأسكتوا عن الاعتذار حين لا فرار ﴿ **قال الذين أوتوا العلم** ﴾ وهم السادة في الدنيا والآخرة ، والمخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة ، فيقولون حينئذ : ﴿ **إن الخزي اليوم والسوء علىٰ الكافرين** ﴾ أي : الفضيحة والعذاب محيط[٢] اليوم بمن كفر باللَّه ، وأشرك به ما لا يضره وما لا ينفعه .

ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ عن حال المشركين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ، ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم الخبيثة[٣] ﴿ **فألقوا السلم** ﴾ أي : أظهروا السمع والطاعة والانقياد قائلين : ﴿ **ما كنا نعمل من سوء** ﴾ كما يقولون يوم المعاد : ﴿ **واللَّه ربنا ما كنا مشركين** ﴾ ، ﴿ **يوم يبعثهم الله جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم** ﴾ .

قال اللَّه مكذبًا لهم في قيلهم ذلك : ﴿ **بلىٰ إن اللَّه عليم بما كنتم تعملون * فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوىٰ المتكبرين** ﴾ أي : بئس المقيل والمقام والمكان من دار هوان ، لمن[٤] كان متكبرًا عن آيات اللَّه واتباع رسله .

وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم ، ويأتي[٥] أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها ، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم ، وخلدت في نار جهنم ﴿ **لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ﴾ كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ .

۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أي » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « كمن » .

[٥] - في ت : « وينال » .

ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ (٣١) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢)

هذا خبر عن السعداء بخلاف [ما أخبر][١] به عن الأشقياء ، فإن أولئك قيل لهم ﴿ **ماذا أنزل ربكم** ﴾ فقالوا[٢] معرضين عن الجواب : لم ينزل شيئًا إنما هذا أساطير الأولين ، وهؤلاء ﴿ **قالوا خيرًا** ﴾ أي : أنزل خيرًا ، أي : رحمة وبركة وحسنًا لمن اتبعه وآمن به .

ثم أخبروا عما وعد اللّٰه عباده فيما أنزله علىٰ رسله ، فقال[٣] : ﴿ **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير** ﴾ الآية ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **من عمل صالحًا من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ أي : مَن أحسن عمله في الدنيا أحسن اللّٰه إليه في [الدنيا والآخرة] .

ثم أخبروا بأن دار الآخرة خير ، أي : من الحياة الدنيا والجزاء فيها أتم من الجزاء في الدنيا ، كقوله[٤] : ﴿ **وقال[٥] الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب اللّٰه خير** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما عند اللّٰه خير للأبرار** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **والآخرة خير وأبقىٰ** ﴾ ، وقال لرسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **وللآخرة خير لك من الأولىٰ** ﴾ .

ثم وصف[٦] الدار الآخرة فقال[٧] : ﴿ **ولنعم دار المتقين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **جنات عدن** ﴾ بدل من قوله[٨]: ﴿ **دار المتقين** ﴾ ، أي : لهم في الآخرة جنات عدن ، أي : مقامة[٩] يدخلونها ﴿ **تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي : بين أشجارها

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في خ : « قالوا » .
[٣] - في ز ، خ : « فقالوا » .
[٤] - في خ : « كما قال » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « وصفوا » .
[٧] - في ز ، خ : « فقالوا » .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - في ت : « مقام » .

وقصورها ﴿ **لهم فيها ما يشاءون** ﴾ ، كقوله[١] تعالىٰ : ﴿ **وفيها ما تشتهيه[٢] الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون** ﴾ وفي الحديث : « **إن السحابة لتمر بالملأ من أهل الجنة ، وهم جلوس علىٰ شرابهم ، فلا يشتهي أحد منهم شيئًا إلا أمطرته عليهم ، حتىٰ أن منهم لمن يقول أمطرينا كواعب أترابًا فيكون ذلك** » . ﴿ **كذلك يجزي اللَّه المتقين** ﴾ أي : كذلك يجزي اللَّه كل من آمن به واتقاه وأحسن عمله .

ثم أخبر تعالىٰ عن حالهم[٣] عند الاحتضار أنهم[٤] طيبون[٥] ، أي : مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء ، وأن[٦] الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم[٧] بالجنة ، كقوله[٨] تعالىٰ : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلًا من غفور رحيم** ﴾ .

وقد قدمنا الأحاديث الواردة في قبض روح المؤمن وروح الكافر عند قوله تعالىٰ : ﴿ **يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل اللَّه الظالمين ويفعل اللَّه ما يشاء** ﴾ .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالىٰ متهددًا للمشركين علىٰ تماديهم في الباطل واغترارهم بالدنيا : هل ينتظر هؤلاء إلا الملائكة أن تأتيهم لقبض أرواحهم ، قاله قتادة .

﴿ **أو يأتي أمر ربك** ﴾ أي : يوم القيامة وما يعاينونه[٩] من الأهوال .

وقوله : ﴿ **كذلك فعل الذين من قبلهم** ﴾ أي : هكذا تمادىٰ في شركهم أسلافهم ونظراؤهم وأشباههم من المشركين حتىٰ ذاقوا بأس اللَّه ، وحلوا فيما هم فيه من العذاب

[١] - في خ : « كما قال » .
[٢] - في ز : « تشتهي » .
[٣] - في ز : « مآلهم » .
[٤] - في ز : « وهم » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « بأن » .
[٧] - في ز ، خ : « ويبشرونهم » .
[٨] - في خ : « كما قال » .
[٩] - في ز : « يعاينوه » .

والنكال ﴿ **وما ظلمهم اللَّه** ﴾ لأنه تعالىٰ أعذر إليهم ، وأقام حججه عليهم ؛ بإرسال رسله ، وإنزال كتبه ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ أي : بمخالفة الرسل والتكذيب بما جاءوا به ، فلهذا أصابتهم عقوبة اللَّه علىٰ ذلك ﴿ **وحاق بهم** ﴾ أي : أحاط بهم من العذاب الأليم ﴿ **ما كانوا به يستهزئون** ﴾ أي : يسخرون من الرسل إذا توعدوهم بعقاب اللَّه ، فلهذا يقال لهم يوم القيامة : ﴿ **هذه النار التي كنتم بها تكذبون** ﴾ .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾

يخبر تعالىٰ عن اغترار[١] المشركين بما هم فيه من الشرك[٢] ، واعتذارهم محتجين بالقدر [في قولهم][٣] : ﴿ **لو شاء اللَّه ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء** ﴾ أي : من البحائر والسوائب والوصائل ، وغير ذلك مما[٤] كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم ، مما[٥] لم ينزل اللَّه[٦] به سلطانًا .

ومضمون كلامهم : أنه لو كان تعالىٰ كارهًا لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة ، ولما مكّنّا منه ، قال اللَّه تعالىٰ رادًّا عليهم شبهتهم[٧] : ﴿ **فهل علىٰ الرسل إلا البلاغ المبين** ﴾ أي : ليس الأمر كما تزعمون : أنه لم يعيره[٨] عليكم [ولم ينكره عليكم][٩] ، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار ، ونهاكم عنه آكد النهي ، وبعث في كل أمة رسولًا - أي : في كل قرن [وطائفة من الناس] - رسولًا ، وكلهم يدعو إلىٰ عبادة اللَّه ، وينهى عن عبادة ما

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « الإشراك » .
[٣] - في خ : « بقولهم » .
[٤] - في ز : « بما » .
[٥] - في خ : « ما » .
[٦] - زيادة من : خ .
[٧] - في ز : « شبههم » .
[٨] - في ز : « يغير » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « ولا يكره » .

سواه ﴿ **أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ فلم يزل تعالىٰ يرسل إلىٰ الناس الرسل بذلك ، منذ حدث الشرك في بني آدم ، في قوم نوح ، الذين أرسل إليهم نوح ، وكان أول رسول بعثه اللَّه إلىٰ أهل الأرض ، إلىٰ أن ختمهم بمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، الذي طبقت دعوته الإِنس والجن في المشارق والمغارب ، وكلهم كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي**[١] **إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾ ، وقال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول : ﴿ **لو شاء اللَّه ما عبدنا من دونه من شيء** ﴾ فمشيئته تعالىٰ الشرعية عنهم منتفية[٢] ؛ لأنه نهاهم عن ذلك علىٰ ألسنة رسله ، وأما مشيئته الكونية : وهي تمكينهم من ذلك قدرًا فلا حجة لهم فيها[٣] ؛ لأنه تعالىٰ خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة ، وهو لا يرضىٰ لعباده الكفر ، وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة .

ثم إنه تعالى قد أخبر أنه عيّر عليهم وأنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل ، فلهذا قال : ﴿ **فمنهم من هدىٰ اللَّه ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ أي : اسألوا عما كان من أمر من خالف الرسل وكذب الحق : كيف دمر اللَّه عليهم وللكافرين أمثالها ، فقال[٤] : ﴿ **ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير** ﴾ .

ثم أخبر اللَّه[٥] تعالىٰ رسوله [صلىٰ اللَّه عليه وسلم] : أن حرصه علىٰ هدايتهم لا ينفعهم إذا كان اللَّه قد أراد إضلالهم[٦] ، [كقوله تعالىٰ][٧] : ﴿ **ومن يرد اللَّه فتنته فلن تملك له من اللَّه** [ ][٨] **شيئًا** ﴾ ، وقال نوح لقومه : ﴿ **ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان اللَّه يريد أن يغويكم** ﴾ ، وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **إن تحرص علىٰ هداهم فإن اللَّه لا يهدي من يضل** ﴾ ، كما قال اللَّه تعالى : ﴿ **من يضلل اللَّه فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ .

وقوله[٩] : ﴿ **فإن اللَّه** ﴾ أي : شأنه وأمره أنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ،

[١] - في ز ، خ : « يوحى » .
[٢] - في ز ، خ : « منفية » .
[٣] - في ز ، خ : « فيه » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « ضلالهم » .
[٧] - في خ : « كما قال الله » .
[٨] - في خ : « من » .
[٩] - في ز ، خ : « فقوله » .

فلهذا قال : ﴿ **لا يهدي من يضل** ﴾ أي : من أضله ، فمن الذي يهديه من بعد الله ؟ أي : لا أحد ﴿ **وما لهم من ناصرين** ﴾ أي : ينقذونهم[١] من عذابه ووثاقه ﴿ **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ .

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين : أنهم حلفوا فأقسموا بالله جهد أيمانهم ، أي : اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان : علىٰ أنه لا يبعث الله من يموت ، أي : استبعدوا ذلك ، فكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك ، وحلفوا بذلك[٢] علىٰ نقيضه ، فقال تعالىٰ مكذبًا لهم ورادًا عليهم : ﴿ **بلىٰ** ﴾ أي : بلىٰ سيكون ذلك ﴿ **وعدًا عليه حقًا** ﴾ أي : لابد منه ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ أي : فلجهلهم يخالفون الرسل ويقعون في الكفر .

ثم ذكر تعالىٰ حكمته في المعاد ، وقيام الأجساد يوم التناد ، فقال : ﴿ **ليبين لهم** ﴾ أي : للناس [ ][٣] ﴿ **الذي**[٤] **يختلفون فيه** ﴾ أي : من كل شيء ﴿ **وليجزي**[٥] **الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ** ﴾ ، ﴿ **وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين** ﴾ أي : في أيمانهم وأقسامهم : لا يبعث الله من يموت ، ولهذا يدعون يوم القيامة إلىٰ نار جهنم دعًا ، وتقول[٦] لهم الزبانية : ﴿ **هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عن قدرته علىٰ ما يشاء ، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ، [والمعاد من ذلك ، إذا أراد كونه فإنما يأمر به مرة واحدة ، فيكون][٧] كما يشاء ، كقوله[٨] : ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح**

---

[١] - في ز ، خ : « ينقذهم » .
[٢] - زيادة من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أي » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « ويجزي » .
[٦] - في خ : « ويقول » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - في خ : « كما قال » .

بالبصر﴾ ، وقال : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ ، وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ أي : أن نأمر[١] به مرة[٢] واحدة فإذا هو كائن ، كما قال الشاعر :

إذا ما أراد اللَّه أمرًا فإنما يقول له كن قولة فيكون

أي : أنه تعالىٰ لا يحتاج إلىٰ تأكيد فيما يأمر به ، فإنه تعالىٰ لا يمانع ولا يخالف ؛ لأنه الواحد القهار العظيم ، الذي قهر سلطانه وجبروته وعزته كل شيء ، فلا إله إلا هو ولا رب سواه .

و[٣]قال ابن أبي حاتم : [ذكر الحسن][٤] بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني عطاء ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال اللَّه تعالىٰ : سبني[٥] ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يسبني ، وكذبني [ابن آدم][٦] ولم يكن ينبغي له ذلك[٧] ؛ فأما تكذيبه إياي فقال : ﴿ **وأقسموا باللَّه جهد أيمانهم لا يبعث اللَّه من يموت** ﴾ قال : و[٨] قلت ﴿ **بلىٰ وعدًا عليه حقًّا ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ، وأما سبه إياي فقال : ﴿ **إن اللَّه ثالث ثلاثة** ﴾ وقلت : ﴿ **قل هو اللَّه أحد * اللَّه الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾(١٦) .

هكذا ذكره موقوفًا ، وهو في الصحيحين(١٧) مرفوعًا بلفظ آخر .

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

---

(١٦) - أخرجه الطبرى (١٤/١٠٥) ، وعزاه السيوطى أيضًا في الدر المنثور (٤/٢٢) إلى ابن المنذر .

(١٧) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : ما جاء في قول اللَّه تعالى : ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ حديث (٣١٩٣) (٦/٢٨٧) وطرفاه في (٤٩٧٤ - ٤٩٧٥) . من حديث أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم – : قال اللَّه تعالى : « يشتمنى ابن آدم ، وما ينبغى له أن يشتمنى ، ويكذبنى وما ينبغى له ، أما شتمه فقوله : إن لي ولدًا ، وأما تكذيبه فقوله : ليس يعيدني كما بدأني » .

---

[١] - في ز : « يأمر » .
[٢] - في ز ، خ : « دفعة » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز ، خ : « ذكره الحسين » .
[٥] - في ز : « شتمني » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - في ز ، خ : « أن يكذبني » .
[٨] - سقط من : ز .

يخبر تعالىٰ عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته ، الذين فارقوا الدار والإِخوان والخلان رجاء ثواب اللّٰه وجزائه .

ويحتمل أن يكون سبب [نزول هذه الآية الكريمة][١] في مهاجرة الحبشة ، الذين اشتد أذىٰ قومهم لهم بمكة ، حتىٰ خرجوا من بين أظهرهم إلىٰ بلاد الحبشة ؛ ليتمكنوا من عبادة ربهم ، ومن أشرافهم : عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وجعفر ابن أبي طالب ابن عم الرسول ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، في جماعة قريب من ثمانين ما بين رجل وامرأة صدّيق وصدّيقة رضي اللّٰه عنهم وأرضاهم ، وقد فعل فوعدهم تعالىٰ بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ **لنبوّئنهم في الدنيا حسنة** ﴾ قال ابن عباس والشعبي وقتادة : المدينة . وقيل : الرزق الطيب . قاله مجاهد .

ولا منافاة بين القولين ؛ فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم اللّٰه خيرًا منها[٢] في الدنيا ، فإن من ترك شيئًا للّٰه عوضه اللّٰه بما هو خير له منه ، و[٣]كذلك وقع ، فإنهم مكن اللّٰه لهم في البلاد ، وحكمهم علىٰ رقاب العباد ، فصاروا أمراء حكامًا ، وكل منهم للمتقين إمامًا ، وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا ، فقال : ﴿ **ولأجر الآخرة أكبر** ﴾ أي : مما أعطيناهم في الدنيا ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ أي لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر[٤] اللّٰه لمن أطاعه واتبع رسوله ، ولهذا قال هشيم : عن العوام ، عمن حدثه : أن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه كان إذا أعطىٰ الرجل من المهاجرين عطاءه يقول خذ بارك اللّٰه لك فيه ، هذا ما وعدك اللّٰه في الدنيا ، وما ادخر[٥] لك في الآخرة أفضل ، ثم قرأ[٦] هذه الآية : ﴿ **لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** ﴾ .

ثم وصفهم تعالىٰ فقال : ﴿ **الذين صبروا وعلىٰ ربهم يتوكلون** ﴾ أي : صبروا علىٰ أقل من آذاهم من قومهم ، متوكلين علىٰ اللّٰه الذي أحسن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

[١] - في ت : « نزولها » .
[٢] - في ز : « منه » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « ذخر » .
[٥] - في ز : « ذخر » .
[٦] - في ز : « يقرأ » .

قال الضحاك : عن ابن عباس : لما بعث اللّٰه محمدًا صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رسولًا أنكرت[١] العرب ذلك - أو من أنكر منهم - وقالوا : اللّٰه أعظم من أن يكون رسوله بشرًا ، فأنزل اللّٰه ﴿ **أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلىٰ رجل منهم أن أنذر الناس** ﴾ الآية[٢] ، وقال : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحي[٣] إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ يعني أهل الكتب الماضية : أبشرًا كانت الرسل إليهم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم ، وإن كانوا بشرًا فلا تنكروا أن يكون محمد[٤] صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رسولًا . قال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحي[٥] إليهم من أهل القرىٰ** ﴾ ليسوا من أهل السماء كما قلتم .

وكذا[٦] روي عن مجاهد عن ابن عباس : أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب ، وقاله مجاهد والأعمش .

وقول عبد الرحمن بن زيد : الذكر القرآن ، واستشهد[٧] بقوله : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ - صحيح ، لكن ليس هو المراد هاهنا ؛ لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه .

وكذا قول أبي جعفر الباقر : نحن أهل الذكر ، ومراده أن هذه الأمة أهل الذكر - صحيح ، فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة ، وعلماء أهل بيت [رسول اللّٰه][٨] عليهم السلام والرحمة من خير العلماء إذا كانوا علىٰ السنة المستقيمة ؛ كعلي ، وابن عباس ، وابني علي : الحسن والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، وعلي بن الحسين زين العابدين ، وعلي ابن عبد اللّٰه بن عباس ، وأبي جعفر الباقر : وهو محمد بن علي بن الحسين ، وجعفر ابنه ، وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم ، ممن هو متمسك بحبل اللّٰه المتين ، وصراطه المستقيم ، وعرف لكل ذي حق حقه ، ونزَّل كلًّا المنزل الذي أعطاه اللّٰه ورسوله ، [واجتمعت عليه][٩] قلوب عباده المؤمنين ، والغرض : أن هذه الآية الكريمة أخبرت بأن[١٠] الرسل الماضين قبل[١١] محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كانوا بشرًا كما هو بشر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **[قل سبحان**

---

[١] - في ت : « أنكر » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « يوحى » .
[٤] - في ز : « محمدًا » .
[٥] - في ز ، خ : « يوحى » .
[٦] - في ز : « هكذا » .
[٧] - في ز ، خ : « واستشهدوا » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « الرسول » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « واجتمع إليه » .
[١٠] - في ز : « أن » .
[١١] - في ز ، خ : « قبيل » .

ربي هل كنت إلا بشرًا رسولاً][١] * **وما منع الناس أن يؤمنوا** [**إذ جاءهم الهدىٰ**][٢] **إلا أن قالوا أبعث اللَّه بشرًا رسولاً** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين** ﴾ وقال : ﴿ **قل ما كنت بدعًا من الرسل** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إلي** ﴾ .

ثم أرشد اللَّه تعالىٰ من شك في كون الرسل كانوا بشرًا : [إلىٰ سؤال][٣] أصحاب الكتب المتقدمة ، عن الأنبياء الذين سلفوا هل كان أنبياؤهم بشرًا أو ملائكة ؟ .

ثم ذكر تعالىٰ أنه أرسلهم ﴿ **بالبينات** [ ][٤] ﴾ أي : [بالحجج والدلائل] ﴿ **والزبر** ﴾ وهي الكتب ، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم ،والزبر : جمع زبور ، تقول العرب : زبرت الكتاب إذا كتبته ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وكل شيء فعلوه في الزبر** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر** ﴾ يعني : القرآن ﴿ **لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ أي[٥] : من ربهم ؛ لعلمك [ ][٦] بمعنىٰ ما أنزل اللَّه[٧] عليك ، وحرصك عليه ، واتباعك له ، لعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم ، فتفصل لهم ما أجمل ، وتبين لهم ما أشكل ﴿ **ولعلهم يتفكرون** ﴾ أي : ينظرون لأنفسهم فيهتدون ، فيفوزون[٨] بالنجاة في الدارين .

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ (٤٥) أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ (٤٦) أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ (٤٧)

يخبر تعالىٰ عن حلمه[٩] وإنظاره العصاة : الذين يعملون السيئات ، ويدعون إليها ، ويمكرون بالناس[١٠] في دعائهم إياهم ، وحملهم عليها ، مع قدرته علىٰ أن يخسف بهم

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « أن سألوا » .
[٤] - في ز ، خ : « والزبر » .
[٥] - سقط من : ز ، خ ومكانها فيهما بعد كلمة « من ربهم » .
[٦] - في ز : « عما » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز ، خ : « فيفوزوا » .
[٩] - في ز ، خ : « حكمه » .
[١٠] - في ز ، خ : « الناس » .

الأرض ﴿ **أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** ﴾ أي : من حيث لا يعلمون مجيئه إليهم كقوله[١] تعالىٰ : ﴿ **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير** ﴾ . وقوله : ﴿ **أو يأخذهم في تقلبهم** ﴾ أي : في تقلبهم في المعايش ، واشتغالهم بها من أسفار ونحوها من الأشغال الملهية .

قال قتادة والسدي : ﴿ **تقلبهم** ﴾ أي : أسفارهم .

وقال مجاهد والضحاك وقتادة[٢] : ﴿ **في تقلبهم** ﴾ في الليل والنهار . كقوله[٣] : ﴿ **أفأمن أهل القرىٰ أن يأتيهم بأسنا بياتًا وهم نائمون * أو أمن أهل القرىٰ أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فما هم بمعجزين** ﴾ أي : لا يعجزون اللَّه علىٰ أي حال كانوا عليه .

وقوله : ﴿ **أو يأخذهم علىٰ تخوّف** ﴾ أي : أو يأخذهم اللَّه في حال خوفهم من أخذه لهم ، فإنه يكون أبلغ وأشد [ ][٤] ، فإن حصول ما يتوقع مع الخوف شديد ، ولهذا قال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **أو يأخذهم علىٰ تخوف** ﴾ يقول : إن [شئت أخذته علىٰ أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك . وكذا روي عن][٥] مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فإن ربكم لرءوف رحيم** ﴾ أي : حيث لم يعاجلكم بالعقوبة ، كما ثبت في الصحيحين(١٨) . وفيهما[٦] : « **إن اللَّه ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته** » . ثم قرأ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير** ﴾ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٖ

(١٨) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ حديث (٤٦٨٦) (٣٥٨/٨) . ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ، حديث (٢٥٨٣/٦١) (١٦/ ٢٠٥ - ٢٠٦) .

[١] - في خ : « كما قال » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٤] - في ز ، خ : [حالة الأخذ] .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .

وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

يخبر تعالىٰ عن عظمته وجلاله وكبريائه ، الذي خضع له كل شيء ، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها ؛ جماداتها[١] وحيواناتها ومكلفوها ؛ من الإنس والجن والملائكة ، فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال ، أي : بكرة وعشيًا فإنه ساجد بظله لله تعالىٰ .

قال مجاهد : إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله [عز وجل][٢] . وكذا قال قتادة والضحاك وغيرهم .

وقوله : ﴿ وهم داخرون ﴾ أي : صاغرون .

قال مجاهد أيضًا : سجود كل شيء فيه . وذكر الجبال قال : سجودها فيها .

وقال أبو غالب الشيباني : في[٣] أمواج البحر صلاته .

ونزلهم منزلة من يعقل إذ أسند السجود إليهم .

فقال[٤] : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة ﴾ كما قال : ﴿ ولله يسجد من في السمٰوات والأرض[٥] طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدوّ والآصال ﴾ . وقوله : ﴿ والملائكة [وهم لا يستكبرون][٦] ﴾ أي : تسجد لله ، أي : غير مستكبرين عن عبادته ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ أي : يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ أي : مثابرين علىٰ طاعته تعالىٰ ، وامتثال أوامره ، وترك زواجره .

۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن

---

[١] - في ز ، خ : « جمادها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « تعالى » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « ثم قال » .
[٥] - في ز ، خ : « ومن في الأرض » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

نِعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

يقرر تعالىٰ أنه لا إله إلا هو ، وأنه لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ، فإنه مالك كل شيء وخالقه وربه ﴿ **وله الدين واصبًا** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وميمون بن مهران والسدي وقتادة وغير واحد : أي : دائمًا .

وعن ابن عباس أيضًا : واجبًا . وقال مجاهد : خالصًا . أي : له العبادة وحده ممن في السموات والأرض ، كقوله : ﴿ **أفغير دين الله يغون * وله أسلم من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا وإليه يرجعون**[١] ﴾ هذا علىٰ قول ابن عباس وعكرمة فيكون من باب الخبر ، وأما علىٰ[٢] قول مجاهد فإنه يكون من باب الطلب[٣] ، أي : ارهبوا[٤] أن تشركوا به شيئًا ، وأخلصوا له الطلب ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ألا لله الدين الخالص** ﴾ .

ثم أخبر أنه مالك النفع والضر ، وأن ما بالعباد[٥] من [رزق ونعمة] وعافية ونصر فمن فضله عليهم[٦] ، وإحسانه إليهم[٧] ﴿ **ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون** ﴾ أي : لعلمكم أنه لا يقدر علىٰ إزالته إلا هو فإنكم عند الضرورات تلجئون إليه وتسألونه ، وتلحون في الرغبة [ ][٨] مستغيثين به ، كقوله[٩] تعالىٰ : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلىٰ البر أعرضتم وكان الإنسان كفورًا** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم** ﴾ .

قيل : اللام هٰهنا لام العاقبة وقيل : لام التعليل ، بمعنىٰ [قيضنا لهم][١٠] ذلك ليكفروا ، أي : يستروا ويجحدوا نعم الله عليهم ، وأنه المسدي إليهم النعم ، الكاشف عنهم النقم .

---

[١] - في خ : « ترجعون » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « ارهبون » .
[٥] - في ز : « بالعبد » .
[٦] - في ز : « عليه » .
[٧] - في ز : « إليه » .
[٨] - في ت : إليه .
[٩] - في خ : « كما قال » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز : « قيضناهم » .

ثم توعدهم قائلًا : ﴿ **فتمتعوا** ﴾ أي : اعملوا ما شئتم ، وتمتعوا بما أنتم فيه قليلًا ﴿ **فسوف تعلمون** ﴾ أي : عاقبة ذلك .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٦٠) ﴾

يخبر تعالىٰ عن قبائح المشركين : الذين عبدوا مع اللَّه غيره من الأصنام والأوثان والأنداد ، وجعلوا لها[١] نصيبًا مما[٢] رزقهم اللَّه ، فقالوا : ﴿ **هذا للَّه بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلىٰ اللَّه وما كان للَّه فهو يصل إلىٰ شركائهم [ساء ما يحكمون]** ﴾ أي : جعلوا لآلهتهم نصيبًا مع اللَّه ، وفضلوهم[٣] أيضًا علىٰ جانبه ، فأقسم اللَّه تعالىٰ بنفسه الكريمة ، ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه وائتفكوه ، وليقابلنهم عليه ، وليجازينهم[٤] أوفر الجزاء في نار جهنم ، فقال : ﴿ **تاللَّه لتسئلن عما كنتم تفترون** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عنهم : أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ، وجعلوها بنات اللَّه وعبدوها معه ، فأخطأوا خطأً كبيرًا في كل مقام من هذه المقامات الثلاث ، فنسبوا إليه تعالىٰ أن له ولدًا ولا ولد له ، ثم أعطوه أخس القسمين من الأولاد : وهو البنات ، وهم لا يرضونها لأنفسهم ، كما قال : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثىٰ تلك إذًا قسمة ضيزىٰ** ﴾ .

وقوله هٰهنا : ﴿ **ويجعلون للَّه البنات سبحانه** ﴾ أي : فمن قولهم وإفكهم : ﴿ **ألا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد اللَّه وإنهم لكاذبون * أصطفىٰ البنات علىٰ البنين * ما لكم كيف تحكمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولهم ما يشتهون** ﴾ أي : يختارون لأنفسهم الذكور ، ويأنفون لأنفسهم من البنات التي نسبوها إلىٰ اللَّه ، تعالىٰ اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرًا . فإنه ﴿ **إذا بشر أحدهم**

---

[١] - في ت : « للأوثان » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « يصلوهم » .
[٤] - في ز : « يجازينهم » .

بالأنثىٰ ظل وجهه مسودًا ﴾ أي : كئيبًا من الهم ﴿ وهو كظيم ﴾ ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن ﴿ يتوارىٰ من القوم ﴾ أي : يكره أن يراه الناس ﴿ من سوء ما بشر به أيمسكه علىٰ هون أم يدسه في التراب ﴾ أي : إن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتني بها ، ويفضل أولاده الذكور عليها ﴿ أم[١] يدسه في التراب ﴾ أي : يئدها ، وهو أن يدفنها فيه[٢] حية ، كما كانوا يصنعون في الجاهلية ، أفمن يكرهونه هذه الكراهة ويأنفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله ؟ ﴿ ألا ساء ما يحكمون ﴾ أي : بئس ما قالوا ، وبئس ما قسموا ، وبئس ما نسبوا إليه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلًا ظل وجهه مسودًا وهو كظيم ﴾ ، وقال هٰهنا : ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ﴾ أي : النقص إنما ينسب إليهم ﴿ ولله المثل الأعلىٰ ﴾ أي : الكمال المطلق من كل وجه ، وهو منسوب إليه ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾

يخبر تعالىٰ عن حلمه بخلقه مع ظلمهم ، وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك علىٰ ظهر الأرض من دابة ، أي : لأهلك جميع دواب الأرض تبعًا لإهلاك بني آدم ، ولكن الرب جل جلاله يحلم ويستر ، وينظر .

﴿ إلىٰ أجل مسمىٰ ﴾ أي : لا يعاجلهم بالعقوبة ، إذ لو فعل ذلك بهم لما أبقىٰ أحدًا .

قال سفيان الثوري ، عن أبي[٣] إسحاق ، عن أبي الأحوص أنه قال : كاد الجعل أن يعذب بذنب بني آدم ، وقرأ الآية : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها[٤] من دابة ﴾ . وكذا روىٰ الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة قال : قال عبد الله : كاد الجعل أن يهلك في جحره بخطيئة بني آدم .

---

[١] - في ز : « أو » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز، خ : « على ظهرها » .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثني محمد بن المثنى ، حدثنا إسماعيل بن حكيم الخزاعي ، حدثنا [محمد بن][١] جابر الحنفي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة قال : سمع أبو هريرة رجلًا وهو يقول : إن الظالم لا يضر إلا نفسه ، قال : فالتفت إليه فقال : بلىٰ والله حتىٰ إن الحبارىٰ لتموت في وكرها هزالًا[٢] بظلم[٣] الظالم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، أنبأنا الوليد بن عبد الملك بن[٤] عبيد الله ابن مُسرّح[٥] ، حدثنا سليمان بن عطاء ، عن مسلمة[٦] بن عبد الله ، عن عمه أبي مشجعة بن ربعي ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ذكرنا عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **إن الله لا يؤخر شيئًا إذا جاء[٧] أجله ، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها الله العبد ، فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره ، فذلك زيادة العمر** »(٢٠) .

وقوله : ﴿ **ويجعلون لله ما يكرهون** ﴾ أي : من البنات ، ومن الشركاء الذين هم عبيده ، وهم يأنفون أن يكون عند أحدهم شريك[٨] له في ماله .

وقوله : ﴿ **وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنىٰ[٩]** ﴾ إنكار عليهم في دعواهم مع ذلك : أن لهم الحسنىٰ في الدنيا ، وإن كان ثم معاد ففيه أيضًا لهم الحسنىٰ ، و[١٠]إخبار عن قيل من قال منهم كقوله[١١] : ﴿ **ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور * ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولنّ [ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولنّ][١٢] هذا لي**

(١٩) - أخرجه الطبرى (١٤/١٢٦) .

(٢٠) - أخرجه العقيلى في الضعفاء الكبير (٢/١٣٤) . وابن عدى في الكامل (٣/١١٣٤) كلاهما من طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله الجهنى عن عمه أبي مشجعة بن ربعى عن أبي الدرداء فذكر نحوه . قال العقيلى : سليمان بن عطاء لا يتابع عليه بهذا اللفظ . وقال : حدثنى آدم بن موسى ، قال : سمعت البخاري ، قال : سليمان بن عطاء سمع مسلمة بن عبد الله ، في حديثه بعض المناكير .
والحديث ذكره الهيثمى في مجمع الزوائد (٧/١٩٨ - ١٩٩) بنحوه ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه سليمان بن عطاء وهو ضعيف .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « لظلم » .
[٤] - في ز ، خ : « حدثنا » .
[٥] - في ز : « مشرح » ، خ : « شرح » .
[٦] - في ز ، خ : « سلمة » .
[٧] - في ز : « أجل » .
[٨] - في ز : « شريكًا » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - سقط من : ز ، خ .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلىٰ ربي إن لي عنده للحسنىٰ فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ ، وقوله : ﴿ **أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالًا وولدًا** ﴾ ، وقال إخبارًا عن أحد الرجلين إنه ﴿ **دخل جنته وهو ظالم لنفسه فقال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلىٰ ربي لأجدن خيرًا منها منقلبًا** ﴾ فجمع هؤلاء بين عمل السوء وتمني الباطل بأن يجازوا علىٰ ذلك حسنًا ، وهذا مستحيل ، كما ذكر ابن إسحاق : أنه وجد حجر في أساس الكعبة حين نقضوها ليجددوها مكتوب عليه حكم ومواعظ ؛ فمن ذلك : تعملون[١] السيئات وتجزون الحسنات ؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب .

وقال مجاهد وقتادة : ﴿ **وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنىٰ** ﴾ أي : الغلمان .

وقال ابن جرير : ﴿ **أن لهم الحسنىٰ** ﴾ أي : يوم القيامة . كما قدمنا بيانه [وهو الصواب ولله الحمد].

ولهذا قال تعالىٰ رادًّا عليهم في تمنيهم ذلك[٢] : ﴿ **لا جرم** ﴾ أي : حقًّا لابد منه ﴿ **أن لهم النار** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **وأنهم مفرطون** ﴾ .

قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم : منسيون فيها مضيعون .

وهذا كقوله تعالىٰ : [﴿ **فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا** ﴾][٣] .

وعن قتادة أيضًا : مفرطون ؛ أي : معجلون إلىٰ النار ، من الفرط وهو السابق إلىٰ الورد ، ولا منافاة ؛ لأنهم يعجل بهم يوم القيامة إلىٰ النار وينسون فيها ، أي : يخلدون .

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

---

[١] - في خ : « يعملون » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا » .

يذكر تعالىٰ : أنه أرسل إلىٰ الأمم الخالية رسلًا فكذبت الرسل ، فلك يا محمد في إخوانك من المرسلين أسوة ، فلا يهيدنك تكذيب قومك لك ، وأما المشركون الذين كذبوا الرسل ، فإنما حملهم علىٰ ذلك تزيين الشيطان لهم ما فعلوه ﴿ **فهو وليهم اليوم** ﴾ أي : هم تحت العقوبة والنكال ، والشيطان وليهم ولا يملك لهم خلاصًا ، ولا صريخ لهم ولهم عذاب أليم .

ثم قال تعالىٰ لرسوله : إنه إنما أنزل عليك[١] الكتاب ؛ ليبين للناس الذي يختلفون فيه ، فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه ﴿ **وهدىٰ** ﴾ أي : للقلوب[٢] ﴿ **ورحمة** ﴾ أي[٣] : لمن تمسك به ﴿ **لقوم يؤمنون** ﴾ .

وكما جعل سبحانه[٤] القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها ، كذلك يحيي الأرض بعد موتها بما ينزله عليها من السماء من ماء ﴿ **إن في ذلك لآية لقوم يسمعون** ﴾ أي : يفهمون الكلام ومعناه .

وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وإن لكم** ﴾ أيها الناس ﴿ **في الأنعام** ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ﴿ **لعبرة** ﴾ أي : لآية ودلالة علىٰ [حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولطفه] ﴿ **نسقيكم مما في بطونه** ﴾ وأفرد هٰهنا عودًا علىٰ معنىٰ النعم ، أو الضمير عائد علىٰ الحيوان ، فإن الأنعام حيوانات ، أي : نسقيكم مما في بطن هذا الحيوان .

وفي الآية الأخرىٰ ﴿ **مما في بطونها** ﴾ ويجوز هذا وهذا ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره** ﴾ ، وفي قوله تعالىٰ : ﴿ **وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون * فلما جاء سليمان** ﴾ أي : المال .

وقوله : ﴿ **من بين فرث ودم لبنًا خالصًا** ﴾ أي : يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في باطن الحيوان ، فيسري كل إلىٰ موطنه إذا نضج الغذاء في معدته ،

---

[١] - في ز : « عليه » .
[٢] - في خ : « القلوب » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « تعالى » .

تصرف منه دم إلىٰ العروق ، [ولبن إلىٰ الضرع][١] ، وبول إلىٰ المثانة ، وروث إلىٰ المخرج ، وكل منها لا يشوب الآخر ، ولا يمازجه بعد انفصاله عنه ولا يتغير به .

وقوله[٢] : ﴿ **لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين** ﴾ أي : لا يغص [به أحد] .

ولما ذكر اللبن ، وأنه تعالىٰ جعله شرابًا للناس سائغًا ، ثنىٰ بذكر ما يتخذه[٣] الناس من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب ، وما كانوا يصنعونه من النبيذ المسكر قبل تحريمه ، ولهذا امتن به عليهم فقال : ﴿ **ومن ثمرات النخيل والأعناب [تتخذون منه][٤] سكرًا** ﴾ دل علىٰ إباحته شرعًا قبل تحريمه ، ودل علىٰ التسوية بين المسكر[٥] المتخذ من [النخل والمتخذ من العنب] ، كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء ، وكذا حكم سائر الأشربة المتخذة من الحنطة والشعير والذرة والعسل ، كما جاءت السنة بتفصيل ذلك ، وليس هذا موضع بسط ذلك ، كما قال ابن عباس في قوله : ﴿ **سكرًا ورزقًا حسنًا** ﴾ قال : السكر ما حرم من ثمرتيهما ، والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما . وفي رواية : السكر حرامه ، والرزق الحسن حلاله . يعني : ما يبس منهما من تمر وزبيب ، وما عمل منهما من طلاء - وهو الدبس - وخل[٦] ونبيذ حلال يشرب قبل أن يشتد ، كما وردت السنة بذلك .

﴿ **إن في ذلك لآية لقوم يعقلون** ﴾ ناسب ذكر العقل هٰهنا ؛ فإنه أشرف ما في الإنسان ، ولهذا حرم الله علىٰ هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانةً لعقولها ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون * سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** ﴾ .

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

المراد بالوحي هٰهنا[٧] : الإلهام والهداية والإرشاد إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتًا تأوي

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « يتخذ » .
[٤] - في ز ، خ : « تتخذونه » .
[٥] - في ز : « السكر » .
[٦] - في ز : « الخل » .
[٧] - في خ : هنا .

إليها ، ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورصها ، بحيث لا يكون بينها خلل .

ثم أذن لها تعالىٰ إذنًا قدريًّا تسخيريًّا أن[١] تأكل من كل الثمرات ، وأن تسلك الطرق التي جعلها اللّٰه تعالىٰ مذللة لها ، أي : سهلة عليها حيث شاءت في هذا الجو العظيم ، والبراري الشاسعة ، والأودية والجبال الشاهقة ، ثم تعود كل واحدة منها[٢] إلىٰ [موضعها و][٣] بيتها ، لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة ، بل إلىٰ بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل ، فتبني الشمع من أجنحتها ، وتقيء العسل من فيها ، وتبيض الفراخ من دبرها ، ثم تصبح إلىٰ مراعيها .

وقال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **فاسلكي سبل ربك ذللًا** ﴾ أي : مطيعة . فجعلاه حالًا[٤] من السالكة ، قال ابن زيد : وهو كقول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون** ﴾ قال : ألا ترىٰ أنهم[٥] ينقلون النحل ببيوته[٦] من بلد إلىٰ بلد وهو يصحبهم ؟ .

والقول الأول [هو الأظهر][٧] ، وهو أنه حال من الطريق ، أي : فاسلكيها مذللة لك ، نص عليه مجاهد ، وقال ابن جرير : كلا القولين صحيح .

وقد قال أبو يعلى الموصلي(٢١) : حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا سُكين[٨] بن عبد العزيز ، عن أبيه ، عن أنس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **عمر الذباب أربعون يومًا ، والذباب كله في النار إلا النحل** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ﴾ أي[٩] ما بين أبيض وأصفر وأحمر ، وغير ذلك من الألوان الحسنة ، علىٰ اختلاف مراعيها ومأكلها منها .

وقوله : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ أي : في العسل شفاء للناس ، من أدواء تعرض لهم .

---

(٢١) - أخرجه أبو يعلى (٧/٢٣٠ ، ٢٧١) حديث (٤٢٣١ ، ٤٢٩٠) . قال الهيثمي في المجمع (٤/٤٤) : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز : « خالها » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « من بيوته » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « أظهر » .
[٨] - في خ : « مسكين » .
[٩] - زيادة من : ز .

قال بعض من تكلم علىٰ الطب النبوي : لو قال : فيه الشفاء للناس ، لكان دواء لكل داء ، ولكن قال : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة فإنه حار ، والشيء يداوى بضده .

وقال مجاهد بن جبر في قوله : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ يعني : القرآن .

وهذا قول صحيح في نفسه ، ولكن ليس هو الظاهر هٰهنا من سياق الآية ؛ فإن الآية إنما ذكر فيها العسل ، ولم يتابع مجاهد علىٰ قوله هٰهنا ، وإنما الذي قاله ذكروه في قوله تعالىٰ : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ الآية ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين** ﴾ ، والدليل علىٰ أن المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ هو العسل ؛ الحديث الذي رواه البخاري ومسلم(٢٢) في صحيحيهما من رواية قتادة ، عن أبي المتوكل علي بن داود الناجي ، عن أبي سعيد الخدري -رضي اللّٰه عنه- : جاء رجلٌ إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : إن أخي استطلق بطنه . فقال : « **اسقه عسلًا** » فذهب[١] فسقاه عسلًا ثم جاء ، فقال : يا رسول اللّٰه ، سقيته عسلًا فما زاده إلا استطلاقًا . قال : « **اذهب فاسقه عسلًا** » فذهب فسقاه[٢] عسلًا[٣] ثم جاء ، فقال : يا رسول اللّٰه ، ما زاده إلا استطلاقًا . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **صدق اللّٰه وكذب بطن أخيك ، اذهب فاسقه عسلًا** » . فذهب فسقاه عسلًا[٤] فبرأ .

قال بعض العلماء بالطب : كان هذا الرجل عنده فضلات ، فلما سقاه عسلًا وهو حار تحللت ، فأسرعت في الاندفاع [فزاده إسهالًا][٥] ، فاعتقد الأعرابي أن هذا يضره وهو مصلحة لأخيه ثم سقاه فازداد التحليل والدفع ، ثم سقاه فكذلك ، فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه ، وصلح مزاجه ، واندفعت الأسقام والآلام ، ببركة إشارته عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام .

وفي الصحيحين(٢٣) : من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللّٰه

(٢٢) - أخرجه البخاري في كتاب الطب ، باب : الدواء بالعسل ، وقول اللّٰه عز وجل : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ ، حديث (٥٦٨٤) (٩/١٣٩) وطرفه في (٥٧١٦) . ومسلم في كتاب السلام ، باب : التداوى بسقى العسل ، حديث (٩١/٢٢١٧) (١٤/٢٩٢ - ١٩٣) .

(٢٣) - أخرجه البخاري في كتاب الأشربة ، باب : شراب الحلواء والعسل ، حديث (٥٦١٤) =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « فسقى » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « إسهاله » .

عنها : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يعجبه الحلواء والعسل .هذا لفظ البخاري .

وفي صحيح البخاري(٢٤) : من حديث سالم الأفطس ، عن سعيد[١] [بن جبير][٢] ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار ، وأنهى أمتي عن الكي » .

وقال البخاري(٢٥) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، سمعت جابر بن عبد اللّٰه قال : سمعت[٣] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير : ففي شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو لذعة بنار توافق الداء ، وما أحب أن أكتوي** » .

ورواه مسلم(٢٦) : من حديث عاصم بن عمر بن قتادة ، عن جابر به[٤] .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا علي بن إسحاق ، أنبأنا عبد اللّٰه ، أنبأنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا عبد [اللّٰه بن][٥] الوليد ، عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ثلاث إن كان في شيء شفاء : فشرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية تصيب ألمًا ، وأنا أكره الكي ولا أحبه** » .

ورواه الطبراني: عن هارون بن ملول[٦] المصري ، عن أبي عبد الرحمن المقرئ ، عن

= (٧٨/١٠) وأطرافه في (٥٢٦٨ ، ٥٤٣١ ، ٥٥٩٩ ، ٥٦٨٢ ، ٦٩٧٢) . ومسلم في كتاب الطلاق ، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق ، حديث (١٤٧٤/٢١) (١٠/١٠٩ - ١١٠) .

(٢٤) - أخرجه البخاري في كتاب الطب ، باب : الشفاء في ثلاث ، حديث (٥٦٨٠) (١٣٦/١٠) ، طرفه في (٥٦٨١) .

(٢٥) - أخرجه البخاري في كتاب الطب ، باب الدواء بالعسل وقول اللّٰه تعالى : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ ، حديث (٥٦٨٣) (١٣٩/١٠) ، وطرفه في (٥٦٩٧ ، ٥٧٠٢ ، ٥٧٠٤) .

(٢٦) - أخرجه مسلم في كتاب السلام ، باب : لكل داء دواء واستحباب التداوى ، حديث (٢٢٠٥/٧١) (٢٧٧/١٤) .

(٢٧) - أخرجه أحمد (١٤٦/٤) (١٧٣٦٣) . والطبراني (٢٨٨/١٧ - ٢٨٩) حديث (٧٩٦) . وعبد اللّٰه بن الوليد بن قيس : لين الحديث ، ضعفه الدارقطني فقال : لا يعتبر به . وذكره ابن حبان في الثقات . « التهذيب ٦٩/٦» . والحديث أخرجه أيضًا أبو يعلى في مسنده (٣٠٠/٣) حديث (١٧٦٥) . وقال =

---

[١] - في ز ، خ : « مجاهد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن جبر » .

[٣] - في خ : « قال » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « سلول » .

عبد الله بن الوليد به ، ولفظه : « **إن كان في شيء شفاء : فشرطة محجم** » وذكره وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني في سننه(٢٨) : حدثنا علي بن سلمة هو اللبقي[١] - حدثنا زيد بن الحباب ، حدّثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **عليكم بالشفاءين ؛ [العسل والقرآن]** » .

و[٢]هذا إسناد جيد ، تفرد بإخراجه ابن ماجة مرفوعًا ، وقد رواه ابن جرير(٢٩) عن سفيان ابن وكيع ، عن أبيه ، عن سفيان - هو الثوري - به موقوفًا ولهو أشبه .

وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحفة ، وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهمًا عن[٣] طيب نفس منها فليشتر به عسلًا ، فليشربه بذلك فإنه شفاء أي : من وجوه ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ ، و[٤]قال : ﴿ **ونزلنا من السماء ماء مباركًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا** ﴾ ، وقال في العسل : ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ . وقال ابن ماجة(٣٠) أيضًا : حدثنا محمود بن خداش ، حدثنا سعيد بن زكريا القرشي[٥] ، حدثنا الزبير بن سعيد الهاشمي ، عن عبد الحميد بن سالم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من لعق العسل ثلاث غدوات في[٦] كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء** » . الزبير بن سعيد[٧] متروك[٨] .

= الهيثمي في المجمع (٥/٩٤) : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، خلا عبد الله ابن الوليد بن قيس وهو ثقة .

(٢٨) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الطب ، باب : العسل ، حديث (٣٤٥٢) (٢/١١٤٢) . قال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات . قال الألباني في ضعيف ابن ماجة برقم (٧٥٦) : ضعيف والصحيح موقوف . وانظر السلسلة الضعيفة له - حفظه الله (٤/٢٣) برقم (١٥١٤) .

(٢٩) - أخرجه الطبرى (١٤/١٤١) .

(٣٠) - أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب ، باب : العسل ، حديث (٣٤٥٠) (٢/١١٤٢) . قال البوصيرى في الزوائد : إسناده لين ومع ذلك فهو منقطع ، قال البخاري : لا نعلم لعبد الحميد سماعًا من أبي هريرة .

[١] - في ز : « الملقي » ، خ : « المقلي » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « من » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ : « المقري » .

[٦] - في خ : « من » .

[٧] - في ز ، خ : « سعد » .

[٨] - في خ : « متروكًا » .

وقال ابن ماجة أيضًا(٣١) : حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف بن سرح الفريابي[١] ، حدثنا عمرو بن بكر السكسكي ، حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة[٢] ؛ سمعت أبا أبيّ بن أم حرام - وكان قد صلىٰ القبلتين - يقول : سمعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « **عليكم بالسنا والسنوت ؛ فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام** » . قيل : يا رسول اللّه وما السام ؟ قال : « **الموت** » .

قال عمرو ، قال ابن أبي عبلة[٣] : السنوت الشبت . وقال آخرون : بل هو العسل الذي يكون[٤] في زقاق السمن وهو قول الشاعر :

هُمُ السمن بالسنُّوت لا ألس[٥] فيهمُ وهمْ يمنعون الجار أن يتقردا[٦]

كذا رواه ابن ماجة ، وقوله : لا ألس[٧] فيهم ، أي : لا خلط ، وقوله : يمنعون الجار أن يتقردا أي : يضطهد ويظلم .

وقوله : ﴿ **إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ أي : إن في إلهام اللّه لهذه الدواب الضعيفة الخلقة ، إلىٰ السلوك في هذه المهامة[٨] ، والاجتناء[٩] من سائر الثمار ، ثم جمعها للشمع والعسل وهو من أطيب الأشياء - لآية لقوم يتفكرون في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها ، فيستدلون بذلك علىٰ أنه القادر الحكيم ، العليم الكريم الرحيم .

وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

يخبر تعالىٰ عن تصرفه في عباده ، وأنه هو الذي[١٠] أنشأهم من العدم ، ثم بعد ذلك يتوفاهم ، ومنهم من يتركه حتىٰ يدركه الهرم : وهو الضعف في الخلقة ، كما قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **اللّه الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة**

(٣١) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الطب ، باب : السنا والسنوت ، حديث (٣٤٥٧) (١١٤٢/٢) .
قال البوصيري في الزوائد : في إسناده عمرو بن بكر السكسكي ، قال فيه ابن حبان : روى عن إبرهيم بن أبي عبلة الأوابد والطامات لا يحل الاحتجاج به لكن قال الحاكم : إنه إسناد صحيح .

[١] - في خ : « الفرياني » .
[٢] - في ز ، خ : « عميلة » .
[٣] - في ز ، خ : « علية » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « ألسن » .
[٦] - في ز : « يتفرد » .
[٧] - في ز : « ألسن » .
[٨] - في خ : « المهانة » .
[٩] - في ز : « الاجتذاء » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .

ضعفًا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾ .

وقد روي عن علي رضي اللّٰه عنه ﴿ **في أرذل العمر** ﴾ قال[١] : خمس وسبعون سنة . وفي هذا السن يحصل له ضعف القوىٰ ، والخرف ، وسوء الحفظ ، وقلة العلم ؛ ولهذا قال : ﴿ **لكيلا يعلم بعد علم شيئًا** ﴾ أي : بعد ما كان عالمًا أصبح لا يدري شيئًا من الفند[٢] والخرف[٣] ؛ ولهذا روىٰ البخاري(٣٢) عند تفسير هذه الآية :

حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا [هارون بن موسىٰ][٤] أبو عبد اللّٰه الأعور ، عن شعيب ، عن أنس بن مالك ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يدعو : « **أعوذ بك من البخل والكسل والهرم ، وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال ، وفتنة المحيا والممات** » ورواه[٥] [ ][٦] وقال زهير بن أبي سلمىٰ في معلقته المشهورة :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين عامًا لا أبا لك يسأمِ
رأيت المنايا[٧] خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمّر فيهرمِ

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾

يبين تعالىٰ للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه للّٰه من الشركاء ، وهم يعترفون[٨] أنها عبيد له ، كما كانوا يقولون في تلبيتهم[٩] في حجهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك . فقال تعالىٰ منكرًا عليهم : إنكم[١٠] لا ترضون أن تساووا عبيدكم فيما رزقناكم ، فكيف يرضىٰ هو تعالىٰ بمساواة عبيده[١١] له في الإلهية والتعظيم ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ضرب لكم مثلًا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم** ﴾ الآية .

---

(٣٢) – أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ومنكم من يرد إلى أرذل العمر** ﴾ ، حديث (٤٧٠٧) (٣٨٧/٨ – ٣٨٨) .

---

[١] – زيادة من : ز .
[٢] – في خ : « العبد » .
[٣] – في ز : « الخرفه » .
[٤] – في خ: « موسى بن هارون بن موسى » .
[٥] – سقط من : ت .
[٦] – ما بين المعكوفتين بياض في ز .
[٧] – في ز : « المنى » .
[٨] – في ز : « يعرفون » .
[٩] – في ز : « تلبياتهم » .
[١٠] – في ت : « أنتم » .
[١١] – في ت : « عبيد » .

قال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : يقول لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم ، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني ، فذلك قوله : ﴿ **أفبنعمة الله يجحدون** ﴾ .

وقال في الرواية الأخرىٰ عنه : فكيف ترضون لي[١] ما لا ترضون لأنفسكم .

وقال مجاهد في هذه الآية : هذا مثل للآلهة[٢] الباطلة[٣] .

وقال قتادة : هذا مثل ضربه الله : فهل منكم من أحد شاركه[٤] مملوكه في زوجته وفي فراشه ، فتعدلون[٥] بالله خلقه وعباده ؟ فإن لم ترض لنفسك هذا فالله أحق أن ينزه منك .

وقوله : ﴿ **أفبنعمة الله يجحدون** ﴾ أي : أنهم جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا ، فجحدوا نعمته وأشركوا معه غيره .

وعن الحسن البصري قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الرسالة إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري : واقنع برزقك من الدنيا ، فإن الرحمن فضل بعض عباده علىٰ بعض في الرزق ، بل يبتلي به كلًّا فيبتلي من بسط له كيف شكرُهُ لله ، وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله . رواه[٦] ابن أبي حاتم .

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

يذكر تعالىٰ نعمه علىٰ عبيده ، بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجًا من جنسهم وشكلهم ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر لما حصل [ائتلاف ومودّة ورحمة] ، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورًا وإناثًا ، وجعل الإناث أزواجًا للذكور[٧] .

ثم ذكر تعالىٰ أنه جعل من الأزواج البنين والحفدة وهم أولاد البنين . قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك وابن زيد .

قال شعبة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **بنين وحفدة** ﴾ هم[٨]

---

[١] - في خ : « في » .
[٢] - في خ : « الآلهة » .
[٣] - في ز ، خ : « الباطل » .
[٤] - في ز : « يشارك » .
[٥] - في خ : « فيعدلون » .
[٦] - في ز ، خ : « ورواه » .
[٧] - في خ : « للذكر » .
[٨] - في خ : وهم .

الولد وولد الولد .

وقال سنيد : حدثنا حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال بنوك حين يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك . قال جميل :

حفد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال

وقال مجاهد : ﴿ بنين وحفدة ﴾ : ابنه وخادمه . وقال في رواية : الحفدة : الأنصار والأعوان والخدام . وقال طاوس : الحفدة الخدم . وكذا قال قتادة وأبو مالك والحسن البصري .

وقال[١] عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة أنه قال : الحفدة مَنْ خدمك مِنْ ولدك وولد ولدك .

وقال الضحاك : إنما كانت العرب يخدمها بنوها .

وقال العوفي : عن ابن عباس قوله : ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ يقول : بنو امرأة الرجل ليسوا منه . ويقال : الحفدة الرجل يعمل بين يدي الرجل . يقال : فلان [يحفد لنا][٢] أي[٣] : [يعمل لنا][٤] . قال : وزعم[٥] رجال أن الحفدة أختان الرجل .

وهذا الأخير الذي ذكره ابن عباس قاله ابن مسعود ومسروق وأبو الضحىٰ وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والقرظي[٦] ، ورواه عكرمة عن ابن عباس .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : هم الأصهار .

قال ابن جرير : وهذه الأقوال كلها داخلة في معنى الحفد . وهو الخدمة ، الذي منه قوله في القنوت : وإليك نسعىٰ ونحفد . ولما كانت الخدمة قد تكون من الأولاد [والخدام والأصهار] ، فالنعمة حاصلة بهذا كله ، ولهذا قال : ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ قلت : فمن جعل ﴿ وحفدة ﴾ متعلقًا بأزواجكم فلابد أن يكون المراد : الأولاد وأولاد الأولاد ، أو[٧] الأصهار ؛ لأنهم أزواج البنات أو[٨] أولاد الزوجة . و[٩]كما قال الشعبي والضحاك ، فإنهم [يكونون غالبًا] تحت كنف الرجل وفي حجره وفي خدمته ،

---

[١] - مكانها بياض في ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في ز : « يزعم » .
[٦] - في ز ، خ : « القرطبي » .
[٧] - في ز ، خ : « و » .
[٨] - في ز ، خ : « و » .
[٩] - سقط من : ز .

وقد يكون هذا هو المراد من قوله عليه الصلاة[١] والسلام في حديث بصرة[٢] بن أكثم : « **والولد عبد لك** » رواه أبو داود(٣٣) .

وأما من جعل الحفدة هو[٣] الخدم فعنده أنه معطوف علىٰ قوله : ﴿ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا** ﴾ أي : وجعل لكم الأزواج والأولاد .

[وقوله : ﴿ **ورزقكم من الطيبات** ﴾ أي][٤] : من المطاعم والمشارب .

ثم قال تعالىٰ منكرًا علىٰ من أشرك في[٥] عبادة المنعم غيره : ﴿ **أفبالباطل يؤمنون** ﴾ وهم [الأنداد والأصنام] ﴿ **وبنعمة الله هم يكفرون** ﴾ أي[٦] يسترون نعم الله عليهم، ويضيفونها إلىٰ غيره .

وفي الحديث الصحيح(٣٤) : « **أن الله يقول للعبد يوم القيامة ممتنًا عليه : ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل**[٧] ، **وأذرك ترأس وتربع ؟** » .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن المشركين الذين عبدوا معه غيره، مع أنه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان ﴿ **ما لا يملك لهم رزقًا من السموات والأرض شيئًا** ﴾ أي : لا يقدر علىٰ إنزال مطر، ولا إنبات زرع ولا شجر، ولا يملكون ذلك لأنفسهم[٨] ، أي : ليس لهم ذلك، ولا يقدرون عليه لو أرادوه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فلا تضربوا لله الأمثال** ﴾ أي : [لا تجعلوا][٩] له أندادًا

(٣٣) - السنن، كتاب النكاح، باب : في الرجل يتزوج المرأة فيجدها حبلى، حديث (٢١٣١) (٢/٢٤١ - ٢٤٢) . والحديث ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (٤٦٥) .

(٣٤) - أخرجه مسلم في حديث طويل، في كتاب الزهد والرقائق، حديث (٢٩٦٨/١٦) (١٨/١٣٦ - ١٣٨) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « نصرة » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز، خ : « ورزقكم من طيبات الرزق » .
[٥] - في خ : « من » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ز، خ .
[٩] - في ز، خ : « تجعلون » .

وأشباهًا وأمثالًا ﴿ **إن اللَّه يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ أي : أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو ، وأنتم بجهلكم[١] تشركون به غيره .

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

قال العوفي ، عن ابن عباس : هذا مثل ضربه اللَّه للكافر والمؤمن . وكذا قال قتادة ، واختاره ابن جرير ، فالعبد[٢] المملوك الذي لا يقدر علىٰ شيء مثل الكافر ، والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا هو المؤمن . وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : هو مثل مضروب للوثن وللحق[٣] تعالىٰ ، فهل يستوي هذا وهذا .

ولما كان الفرق ما[٤] بينهما [ظاهرًا واضحًا بينًا] ، لا يجهله[٥] إلا كل غبي ، قال اللَّه[٦] تعالىٰ : ﴿ **الحمد للَّه بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

قال مجاهد : وهذا أيضًا المراد به الوثن والحق تعالىٰ . يعني : أن الوثن أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا بشيء ، ولا يقدر علىٰ شيء بالكلية ، فلا مقال ولا فعال ، وهو مع هذا كَلٌّ ، أي عيال وكلفة علىٰ مولاه ﴿ **أينما يوجهه** ﴾ أي[٧] : يبعثه ﴿ **لا يأت بخير** ﴾ ولا ينجح مسعاه ﴿ **هل يستوي** ﴾ من هذه صفاته ﴿ **ومن يأمر بالعدل** ﴾ أي : بالقسط ، فمقاله حق وفعاله مستقيمة ﴿ **وهو علىٰ صراط مستقيم** ﴾ [وقيل : الأبكم مولى لعثمان][٨] . وبهذا قال السدي وقتادة وعطاء الخراساني ، واختار هذا القول ابن جرير .

---

[١] - في ز ، خ : « لجهلكم » .
[٢] - في ز ، خ : « والعبد » .
[٣] - في ز ، خ : « والحق » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « تجهله » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ت .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : هو مثل للكافر والمؤمن أيضًا كما تقدم .

وقال[١] ابن جرير(٣٥) : حدثنا الحسن بن الصباح البزار[٢] ، حدثنا يحيىٰ بن إسحاق السيلحيني ، حدثنا حماد ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إبراهيم ، عن عكرمة ، عن يعلى بن أمية ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ضرب الله مثلًا عبدًا مملوكًا لا يقدر علىٰ شيء** ﴾ قال[٣] : نزلت في رجل من قريش وعبده . [يعني قوله : ﴿ **عبدًا مملوكًا** ﴾ الآية][٤] . وفي قوله : [﴿ **وضرب الله**][٥] **مثلًا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء**][٦] ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وهو علىٰ صراط مستقيم** ﴾ قال : هو عثمان بن عفان . قال : والأبكم الذي أينما يوجهه لا يأت بخير - قال - هو مولىٰ لعثمان بن عفان ، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤنة ، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه ، وينهاه عن الصدقة والمعروف ، فنزلت فيهما .

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

يخبر تعالىٰ عن كمال[٧] علمه[٨] وقدرته علىٰ الأشياء ، في علمه غيب السموات والأرض واختصاصه [بعلم الغيب][٩] ، فلا اطلاع لأحد علىٰ ذلك إلا أن يطلعه تعالىٰ علىٰ ما يشاء ، وفي قدرته التامة التي لا تخالف ولا تمانع ، وأنه إذا أراد شيئًا فإنما يقول له : كن فيكون ، كما قال : ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ أي : فيكون ما يريد كطرف

(٣٥) - أخرجه الطبرى (١٥١/١٤) .

[١] - بياض في ز .
[٢] - في ز : « البزاز » .
[٣] - زيادة من : ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة في : ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ت .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في خ : « كماله » .
[٨] - زيادة في : ت .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « بذلك » .

العين ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ **وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن اللَّه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ، كما قال : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ . ثم ذكر تعالىٰ منته علىٰ عباده : في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا ؛ ثم بعد هذا يرزقهم تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات ، والأبصار [التي بها يحسنون][١] المرئيات ، والأفئدة : وهي العقول التي مركزها القلب علىٰ الصحيح ، وقيل : الدماغ ، والعقل به يميز بين الأشياء ضارّها ونافعها ، وهذه القوىٰ والحواس تحصل للإنسان علىٰ التدريج قليلًا قليلًا ، كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله[٢] ، حتىٰ يبلغ أشده . وإنما جعل تعالىٰ هذه في الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالىٰ ، فيستعين بكل جارحة وعضو وقوّة علىٰ طاعة مولاه ، كما جاء في صحيح البخاري(٣٦) عن أبي هريرة ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **يقول اللَّه[٣] تعالىٰ : من عادىٰ لي وليًا فقد بارزني بالحرب ، وما تقرب إليَّ عبدي [بشيء أفضل من][٤] أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه[٥] ، ولئن دعاني لأجيبنه[٦] ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولابد له منه** » .

فمعنىٰ الحديث : أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها للَّه عز وجل ، فلا يسمع إلا للَّه ، ولا يبصر إلا للَّه ، أي : ما شرعه اللَّه له ، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة اللَّه عز وجل ، مستعينًا باللَّه في ذلك كله ؛ ولهذا جاء في رواية بعض الحديث في غير الصحيح بعد قوله : « **ورجله التي يمشي بها فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي** » ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ [كقوله تعالىٰ] في الآية الأخرىٰ : ﴿ **قل[٧]** هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلًا ما تشكرون * قل : هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ﴾ .

ثم نبه تعالىٰ عباده إلىٰ النظر إلىٰ الطير المسخر بين السماء والأرض ، كيف جعله يطير بجناحين[٨] بين السماء والأرض في جو السماء ، ما يمسكه هناك إلا اللَّه بقدرته تعالىٰ ،

(٣٦) - أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب التواضع ، حديث (٦٥٠٢) (١١/٣٤٠ - ٣٤١) .

[١] - في ز : « اللاتي بها يحسنون » .
[٢] - في ز ، خ : « وقوى عقله » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز ، خ : « بمثل » .
[٥] - في خ : « لأعطيته » .
[٦] - في ز ، خ : « لأجبته » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « بجناحيه » .

الذي جعل فيها قوىٰ تفعل[١] ذلك ، وسخر الهواء يحملها ، [وسير الطير كذلك][٢] ، كما قال تعالىٰ في سورة الملك : ﴿ **أو لم يروا إلىٰ الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير** ﴾ وقال هٰهنا : ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ .

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

يذكر تبارك وتعالىٰ تمام نعمه علىٰ عبيده ، بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون إليها ، ويستترون بها ، وينتفعون بها سائر وجوه الانتفاع ، وجعل لهم أيضًا من جلود الأنعام بيوتًا أي : من الأدم يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر[٣] ؛ ولهذا قال : ﴿ **تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها** ﴾ أي : الغنم ﴿ **وأوبارها** ﴾ أي : الإبل ﴿ **وأشعارها** ﴾ أي : المعز ، والضمير عائد علىٰ الأنعام ﴿ **أثاثًا** ﴾ أي : تتخذون منه أثاثًا : وهو المال ، وقيل : المتاع ، وقيل : الثياب ، والصحيح أعم من هذا كله ، فإنه يتخذ من[٤] الأثاث البسط والثياب وغير ذلك ، ويتخذ مالًا وتجارة .

وقال[٥] ابن عباس : الأثاث : المتاع . وكذا قال مجاهد وعكرمة، وسعيد بن جبير والحسن، وعطية العوفي وعطاء الخراساني، والضحاك وقتادة .

---

[١] - في خ : « شغل » ، والمثبت هو الصواب .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « يسر الطير لذلك » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « منه » .

[٥] - في خ : « قال » .

وقوله : ﴿ **إلىٰ حين** ﴾ أي : إلىٰ أجل مسمىٰ ووقت[١] معلوم .

وقوله : ﴿ **والله جعل لكم مما خلق ظلالًا** ﴾ قال قتادة : يعني الشجر .

﴿ **وجعل لكم من الجبال أكنانًا** ﴾ [أي : حصونًا][٢] ومعاقل ، كما ﴿ **جعل لكم سرابيل تقيكم الحر** ﴾ وهي : الثياب من القطن والكتان والصوف ﴿ **وسرابيل تقيكم بأسكم** ﴾ كالدروع من الحديد المصفح والزرد وغير ذلك ﴿ **كذلك يتم نعمته عليكم** ﴾ أي: هكذا يجعل لكم ما تستعينون به علىٰ أمركم وما تحتاجون إليه ؛ ليكون عونًا لكم علىٰ طاعته وعبادته ﴿ **لعلكم تسلمون** ﴾ .

هكذا فسره الجمهور وقرءوه بكسر اللام من ﴿ **تسلمون** ﴾ أي[٣] : من الإسلام .

و[٤]قال قتادة [في قوله : ﴿ **كذلك**][٥]**يتم نعمته عليكم** [**لعلكم تسلمون**][٦] ﴾ هذه السورة تسمىٰ سورة النعم .

وقال عبد الله بن المبارك وعباد بن[٧] العوام بن حنظلة السدوسي ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس : أنه كان [يقرؤها ﴿ **تسلمون** ﴾][٨] [بفتح اللام . يعني : من الجراح] . رواه أبو عبيد القاسم بن سلام ، عن عباد ، وأخرجه ابن جرير من الوجهين[٩] وردّ[١٠] هذه القراءة .

وقال عطاء الخراساني : إنما نزل القرآن علىٰ قدر معرفة العرب ، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **والله[١١] جعل لكم مما خلق ظلالًا وجعل لكم من الجبال أكنانًا** ﴾ وما جعل من السهل أعظم[١٢] وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب جبال ؟ ألا ترىٰ إلىٰ قوله : ﴿ **ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلىٰ حين** ﴾ وما جعل لهم[١٣] من غير ذلك أعظم منه[١٤] وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر ؟ ألا ترىٰ إلىٰ قوله : ﴿ **وينزل من**

---

[١] - في ز ، خ : « إلى وقت » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٧] - في ز ، خ : « عن » .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « تسلمون » ، خ : « يسلمون » .

[٩] - في خ : « وجهين » .

[١٠] - في ز ، خ : « بورود » .

[١١] - سقط من : خ .

[١٢] - في ز : « الأعظم » .

[١٣] - في ز : « لكم » .

[١٤] - زيادة من : ز .

السماء من جبال فيها من برد ﴾ لعجبهم من ذلك ، وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا لا يعرفونه ؟ ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **سرابيل تقيكم الحر** ﴾ وما تقي[١] من البرد أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب حر .

وقوله : ﴿ **فإن تولوا** ﴾ أي : بعد هذا البيان وهذا الامتنان فلا عليك منهم ﴿ **فإنما عليك البلاغ المبين** ﴾ وقد أدّيته إليهم .

﴿ **يعرفون نعمة اللَّه ثم ينكرونها** ﴾ أي : يعرفون أن اللَّه تعالىٰ هو المسدي إليهم ذلك ، وهو المتفضل به عليهم ، ومع هذا ينكرون ذلك ، ويعبدون معه غيره ، ويسندون النصر والرزق إلىٰ غيره ﴿ **وأكثرهم الكافرون** ﴾ كما قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن مجاهد : أن أعرابيًّا أتىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فسأله[٢] ، فقرأ عليه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **واللَّه[٣] جعل لكم من بيوتكم سكنًا** ﴾ فقال[٤] الأعرابي : نعم . قال[٥] : ﴿ **وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم** ﴾ . قال الأعرابي : نعم . ثم قرأ عليه ، كل ذلك يقول الأعرابي نعم ، حتىٰ بلغ : ﴿ **كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** ﴾ فولىٰ الأعرابي ، فأنزل اللَّه : ﴿ **يعرفون نعمة اللَّه ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون** ﴾ .

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ
﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟

---

[١] - في ز : « يقي » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - سقط من : ز .

يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾

يخبر تعالىٰ عن شأن المشركين يوم معادهم في الدار الآخرة ، وأنه يبعث من كل أمّة شهيدًا ، وهو نبيها يشهد عليها[١] بما أجابته فيما بلغها عن اللّه تعالىٰ ﴿ **ثم لا يؤذن للذين كفروا** ﴾ أي : في الاعتذار ؛ لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه ، كقوله[٢] : [﴿ **هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون** ﴾][٣] فلهذا[٤] قال[٥] : ﴿ **ولا هم يستعتبون * وإذا رأىٰ الذين ظلموا** ﴾ أي : الذين[٦] أشركوا ﴿ **العذاب فلا يخفف عنهم** ﴾ أي : لا يفتر عنهم ساعة واحدة ﴿ **ولا هم ينظرون** ﴾ أي : لا[٧] يؤخر عنهم ، بل يأخذهم سريعًا من الموقف بلا حساب ، فإنه إذا جيء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك ، فيشرف[٨] عنق منها علىٰ الخلائق ، وتزفر[٩] زفرة لا يبقىٰ أحد إلا جثا لركبتيه ، فتقول : إني وكلت بكل جبار عنيد الذي جعل مع اللّه إلهًا آخر ، [وبكذا وبكذا][١٠](٣٧) ، وتذكر أصنافًا من الناس كما جاء في الحديث ، ثم تنطوي عليهم وتتلقطهم من الموقف ، كما يلتقط الطائر الحب ، قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا * وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرّنين دعوا هنالك ثبورًا * لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ورأىٰ المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون * بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عن تبرؤ آلهتهم منهم أحوج ما يكونون إليها ، فقال : ﴿ **وإذا رأىٰ الذين أشركوا شركاءهم** ﴾ أي : الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ﴿ **قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا**

(٣٧) - أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : في شدة حر نار جنهم ، وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين ، حديث (٢٩/٢٨٤٢) (٢٦١/١٧) عن ابن مسعود - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها » .

[١] - في ز : « عليهم » .
[٢] - في خ : « كما قال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « ولهذا » ، سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « ولا » .
[٨] - في خ : « فيتشرف » .
[٩] - في ز : « ويزفر » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز : « وبكذا وكذا » ، خ : « وكذا وكذا » .

الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون ﴾ أي : قالت لهم الآلهة : كذبتم ، ما نحن [ ][١] أمرناكم بعبادتنا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون اللَّه من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **واتخذوا من دون اللَّه آلهة ليكونوا لهم عزًّا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ ، وقال الخليل عليه الصلاة والسلام : ﴿ **ثم**[٢] **يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وقيل ادعوا شركاءكم** ﴾ الآية . والآيات في هذا كثيرة .

وقوله : ﴿ **وألقوا إلىٰ اللَّه يومئذ السلم** ﴾ قال قتادة وعكرمة : ذلوا واستسلموا يومئذ . أي : استسلموا للَّه جميعهم ، فلا أحد إلا سامع مطيع ، وكقوله[٣] تعالىٰ : ﴿ **أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا** ﴾ أي : ما أسمعهم وما أبصرهم يومئذ ، وقال تعالى : ﴿ **ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون** ﴾ . وقال : ﴿ **وعنت الوجوه للحي القيوم** ﴾ أي : خضعت وذلت واستكانت وأنابت واستسلمت .

وقوله[٤] : ﴿ **وألقوا إلىٰ اللَّه يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ أي : ذهب واضمحل ما كانوا يعبدونه افتراء علىٰ اللَّه ، فلا ناصر لهم ولا معين ولا مجير .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللَّه زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون** ﴾ . أي : عذابًا علىٰ كفرهم ، وعذابًا علىٰ صدهم الناس عن اتباع الحق ، كقوله[٥] تعالىٰ : ﴿ **وهم ينهون عنه وينأون عنه** ﴾ أي : ينهون الناس[٦] عن اتباعه ، ويتعدون هم منه أيضًا ﴿ **وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ .

وهذا دليل علىٰ تفاوت الكفار في عذابهم ، كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم ، كما قال تعالىٰ : [﴿ **قال لكل**][٧] **ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ .

وقد قال الحافظ أبو يعلى(٣٨) : حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا

---

(٣٨) - أخرجه أبو يعلى (٥/٦٦) حديث (٢٣٣٢ - ٢٣٣٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ما » .
[٢] - في ز : « و » . وهي سقط من : خ .
[٣] - في خ : « كما قال » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « كما قال » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله في قول الله : ﴿ **زدناهم عذابًا فوق العذاب** ﴾ قال : زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال .

و[١] حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا إبراهيم بن سليمان ، حدثنا الأعمش ، عن الحسن ، عن ابن عباس [في الآية][٢] أنه قال : ﴿ **زدناهم عذابًا فوق العذاب** ﴾ قال : هي خمسة أنهار تحت[٣] العرش ، يعذبون ببعضها بالليل ، وببعضها بالنهار .

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **ويوم نبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدًا علىٰ هؤلاء** ﴾ يعني : أمته . أي : اذكر ذلك اليوم وهوله ، وما منحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع ، وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهىٰ إليها عبد الله بن مسعود ، حين قرأ علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم صدر سورة[٤] النساء ، فلما وصل إلىٰ قوله : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيدًا** ﴾ فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **حسبك** » . فقال[٥] ابن مسعود رضي الله عنه : فالتفتُ فإذا عيناه تذرفان(٣٩) .

وقوله : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء** ﴾ قال ابن مسعود : قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء . وقال مجاهد : كل حلال وكل[٦] حرام .

وقول ابن مسعود أعم وأشمل ، فإن القرآن اشتمل علىٰ كل علم نافع ؛ من خبر ما سبق ، وعلم ما سيأتي ، وحكم[٧] كل حلال وحرام ، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ، ومعاشهم ومعادهم .

﴿ **وهدى** ﴾ أي : للقلوب[٨] ﴿ **ورحمة وبشرىٰ للمسلمين** ﴾ .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « فوق » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « قال » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز ، خ : « القلوب » .

وقال الأوزاعي : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء** ﴾ أي : بالسنة .

ووجه اقتران قوله : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب** ﴾ مع قوله ﴿ **وجئنا بك شهيدًا علىٰ هؤلاء** ﴾ أن[١] المراد - والله أعلم - إن الذي فرض عليك تبليغ الكتاب الذي أنزله عليك ، سائلك عن ذلك يوم القيامة ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين** ﴾ ، ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ ، ﴿ **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلىٰ معاد** ﴾ أي : إن[٢] الذي أوجب عليك[٣] تبليغ القرآن لرادّك إليه ، ومعيدك يوم القيامة ، وسائلك عن أداء ما فرض عليك . هذا أحد الأقوال ، وهو متجه حسن .

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

يخبر تعالىٰ أنه يأمر عباده بالعدل : وهو القسط والموازنة ، ويندب إلىٰ الإحسان ، كقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ ، وقوله[٥] : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره علىٰ الله** ﴾ ، وقال : ﴿ **والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له** ﴾ ، إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ شرعية العدل والندب إلىٰ الفضل .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل** ﴾ قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

وقال سفيان بن عيينة : العدل في هذا الموضع هو[٦] استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملًا ، والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته ، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته .

وقوله : ﴿ **وإيتاء ذي القربىٰ** ﴾ أي : يأمر بصلة الأرحام ، كما قال : ﴿ **وآتِ ذا القربىٰ حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا** ﴾ .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « كما قال » .
[٥] - في ز ، خ : « وقال » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر** ﴾ فالفواحش : المحرمات ، والمنكرات : ما ظهر منها [من فاعلها ، ولهذا قال في الموضع الآخر : ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها**][١] **وما بطن** ﴾ وأما البغي : فهو العدوان علىٰ الناس ، وقد جاء في الحديث : « **ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا ، مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة ؛ من البغي وقطيعة الرحم** »(٤٠) .

وقوله : ﴿ **يعظكم** ﴾ أي : يأمركم بما يأمركم به من الخير ، وينهاكم [عما ينهاكم][٢] عنه من الشر ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾ . و[٣] قال الشعبي : عن [شتير بن شكل][٤] ، سمعت ابن مسعود يقول : إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ الآية . رواه بن جرير .

وقال سعيد : عن قتادة قوله : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ الآية . ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به ، وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهىٰ الله عنه وقدم فيه ، وإنما نهىٰ عن سفاسف[٥] الأخلاق ومذامها[٦] .

قلت : ولهذا جاء في الحديث : « **إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره**

---

(٣٩) - حديث قراءة عبد الله بن مسعود على النبي - صلى الله عليه وسلم - من سورة النساء ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾ ، حديث (٤٥٨٢) (٨/٢٥٠) وأطرافه في (٥٠٤٩ ، ٥٠٥٠ ، ٥٠٥٥ ، ٥٠٥٦) . ومسلم في صلاة المسافرين ، حديث (٢٤٧ ، ٢٤٨ / ٨٠٠) (٦/١٢٤ - ١٢٦) .

(٤٠) - أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في النهى عن البغى ، حديث (٢٩٠٢) (٤/٢٧٦) . والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب : (٥٧) ، حديث (٢٥١١) (٤/٥٧٣) . وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : البغى ، حديث (٤٢١١) (٢/١٤٠٨) . والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٩) كما في صحيح الأدب المفرد للألباني برقم (٢٣) . والحاكم (٢/٣٥٦) وصححه ووافقه الذهبى ، (٤/١٦٢، ١٦٣) وقال عقب الثاني : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . كلهم من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - فذكره قال الترمذي : حسن صحيح . وانظر السلسة الصحيحة برقم (٩١٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، « عن الذي ينهى ذي » ، خ : « عن الذي ينهاني » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « بشير سكُل » ، خ : « بشير سكنك » .

[٥] - في ز ، خ : « سفاسفة » . [٦] - في ز : « مذاقها » .

سفسافها[١] »(٤١) .

و[٢]قال الحافظ أبو نعيم في كتابه : « كتاب معرفة الصحابة » : حدثنا أبو بكر محمد بن الفتح الحنبلي ، حدثنا يحيىٰ بن محمد مولى بني هاشم ، حدثنا الحسن بن داود المنكدري ، حدثنا عمر بن علي المقدمي ، عن علي بن عبد اللّٰه[٣] بن عمير ، عن أبيه قال : بلغ أكثم ابن صيفي مخرج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأراد أن يأتيه ، فأبىٰ قومه أن يَدَعُوه ، وقالوا : أنت[٤] كبيرنا لم تكن لتخف إليه . قال : فليأته من يبلغه عني ويبلغني عنه . فانتدب رجلان فأتيا النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقالا : نحن رسل أكثم بن صيفي ، وهو يسألك من أنت وما أنت[٥] ؟ فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أما من أنا : فأنا محمد ابن عبد اللّٰه ، وأما ما أنا : فأنا عبد اللّٰه ورسوله** » . قال : ثم تلا عليهم هذه الآية : ﴿ **إن اللّٰه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ . قالوا : اردد علينا هذا القول . فردده عليهم حتىٰ حفظوه ، فأتيا أكثم ، فقالا : أبىٰ أن يرفع نسبه ، فسألنا عن نسبه فوجدناه زاكي النسب ، وَاسطًا . في مضر وقد رمىٰ إلينا بكلمات قد سمعناها ، فلما سمعهن أكثم قال : إني [ ][٦] أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهىٰ عن ملائمها ، فكونوا في هذا الأمر رءوسًا ولا تكونوا فيه أذنابًا .

وقد ورد في نزول هذه الآية الكريمة[٧] حديث حسن رواه الإمام أحمد(٤٢) :

حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر ، حدثني عبد اللّٰه بن عباس قال : بينما رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بفناء بيته جالس ، إذ مرّ به عثمان بن مظعون ، فكشر إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ألا**

---

(٤١) - أخرجه الحاكم (٤٨/١) وصححه ، والطبراني في الأوسط (٢١٠/٣) حديث (٢٩٤٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٣٣) . والبيهقي (١٩١/١٠) كتاب الشهادات ، باب : بيان مكارم الأخلاق ومعاليها ...، كلهم من حديث سهل بن سعد فذكره بنحوه . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩١/٨) . وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه إلا أنه قال : يحب معالى الأخلاق ، ورجال الكبير ثقات . والحديث صححه الحافظ العراقى أيضًا في تخريج أحاديث الإحياء برقم (٢٠٧٨) . وصححه الألبانى في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٧٨) .

(٤٢) - أخرجه أحمد (٣١٨/١) .

---

[١] - في خ : « سفاسفها » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « الملك » .

[٤] - في ز : « ائت » .

[٥] - في ز، خ : « جئت به » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قد » .

[٧] - زيادة من : ز .

تجلس ؟ » فقال : بلىٰ . قال : فجلس رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مستقبله ، فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ببصره إلىٰ السماء ، فنظر ساعة [إلىٰ السماء][١] ، فأخذ يضع بصره حتىٰ وضعه علىٰ يمنته في الأرض ، فتحرف رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن جليسه عثمان إلىٰ حيث وضع بصره ، فأخذ ينغض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له ، وابن مظعون ينظر ، فلما قضىٰ حاجته ، واستفقه ما يقال له ، شخص [ ][٢] بصر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ السماء كما شخص أول مرة ، فأتبعه بصره حتىٰ توارىٰ في السماء ، فأقبل إلىٰ عثمان بجلسته الأولىٰ ، فقال : يا محمد؛ فيما كنت أجالسك ، ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة . فقال[٣] : « **وما رأيتني فعلت ؟** » قال : رأيتك شخص بصرك إلىٰ السماء ، ثم وضعته حيث وضعته علىٰ يمينك ، فتحرفت إليه وتركتني ، فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئًا يقال لك . قال : « **وفطنت لذلك ؟** » فقال عثمان : نعم . قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أتاني رسول اللَّه آنفًا وأنت جالس** » . قال : رسول اللَّه ؟ قال : « **نعم** » . قال : فما قال لك ؟ قال : ﴿ **إن اللَّه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ . قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي ، وأحببت محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

إسناد جيد متصل حسن ، قد بين فيه السماع المتصل ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصرًا .

حديث آخر عن عثمان بن أبي العاص الثقفي في ذلك ؛ قال الإمام أحمد(٤٣) :

حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا هريم ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن عثمان بن أبي العاص[٤] قال : كنت عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم جالسًا إذ شخص بصره ، فقال : « **أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة : ﴿ إن اللَّه يأمر بالعدل والإحسان ﴾** الآية » . وهذا إسناد لا بأس به ، ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين ، واللَّه أعلم .

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ

(٤٣) - أخرجه أحمد (٢١٨/٤) رقم (١٧٩٧٢) . وقال الهيثمي في المجمع (٤٨/٧) : رواه أحمد والطبراني ، وشهر وثقه أحمد وجماعة وفيه ضعف لا يضر ، وبقية رجاله ثقات . اهـ .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « إليّ » .
[٢] - في خ : بصره .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - في خ : « العاصي » .

جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

وهذا مما[١] يأمر الله[٢] تعالىٰ به[٣] : وهو الوفاء بالعهود والمواثيق ، والمحافظة علىٰ الأيمان المؤكدة ، ولهذا قال : ﴿ **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** ﴾ .

ولا تعارض بين هذا[٤] وبين قوله : ﴿ **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا** ﴾ . وبين قوله تعالىٰ : ﴿ **ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم** ﴾ أي : لا تتركوها بلا كفارة[٥] ، وبين قوله عليه السلام فيما ثبت عنه في الصحيحين(٤٤) [أنه عليه الصلاة والسلام قال][٦] : « **إني والله إن شاء الله لا أحلف علىٰ يمين فأرىٰ غيرها خيرًا منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها** - وفي رواية - **وكفرت عن يميني** » . لا تعارض بين هذا كله ، ولا بين الآية المذكورة هاهنا وهي[٧] قوله : ﴿ **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** ﴾ ؛ لأن هذه الأيمان المراد بها : الداخلة[٨] في العهود والمواثيق ، لا الأيمان التي هي واردة علىٰ حث أو منع ، ولهذا قال مجاهد في قوله : ﴿ **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** ﴾ يعني : الحلف . أي : حلف الجاهلية ، ويؤيده ما رواه الإمام أحمد(٤٥) :

(٤٤) - صحيح البخاري ، كتاب الأيمان والنذور ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ....** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾ ، حديث (٦٦٢٣) (٥١٧/١١) وطرفه في (٦٧١٨) .

ومسلم ، كتاب الأيمان ، باب : ندب من حلف يمينًا ، فرأى غيرها خيرًا منها ، أن يأتي الذى هو خير ويكفر عن يمينه ، حديث (١٦٤٩/٧) (١٥٦/١١) .

كلاهما من حديث أبي موسى الأشعرى - رضي الله عنه - وفيه قصة .

(٤٥) - المسند (٨٣/٤) رقم (١٦٨١١) .

[١] - في ز ، خ : « إنما » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - زيادة في « خ » .
[٤] - في ز ، خ : « هذه » .
[٥] - في ز ، خ: « تكفير » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « وفي » .
[٨] - في ز : « المداخلة » .

حدثنا عبد اللّٰه بن محمد - هو ابن أبي شيبة - حدثنا ابن نمير وأبو أسامة ، عن زكريا - هو ابن أبي زائدة - عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جبير بن مطعم قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا حلف في الإِسلام ، وأيما حلف كان في الجاهلية [فإنه لا يزيده][١] الإِسلام إلا شدّة** » .

وكذا رواه مسلم(٤٦) عن ابن أبي شيبة به . ومعناه : أن الإِسلام لا يحتاج معه إلىٰ الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه ، فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه .

وأما ما ورد في الصحيحين(٤٧) عن عاصم الأحول ، عن أنس رضي اللّٰه عنه أنه قال : حالف رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دارنا . فمعناه : أنه آخىٰ بينهم فكانوا يتوارثون به ، حتىٰ نسخ اللّٰه ذلك ، واللّٰه أعلم .

وقال ابن جرير(٤٨) : حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، حدثنا عبد اللّٰه بن موسىٰ ، [أخبرنا ابن أبي][٢] ليلىٰ ، عن مزيدة في قوله : ﴿ **وأوفوا بعهد اللّٰه إذا عاهدتم** ﴾ [ ][٣] قال : نزلت في بيعة[٤] النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كان من أسلم بايع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ الإِسلام فقال[٥] : ﴿ **وأوفوا بعهد اللّٰه إذا عاهدتم** ﴾ هذه البيعة التي بايعتم علىٰ الإِسلام ﴿ **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** ﴾ : البيعة ، لا يحملنكم قلة محمد وأصحابه[٦] وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم علىٰ الإِسلام .

وقال الإِمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا صخر بن جويرية ، عن نافع قال : لما خلع الناس يزيد بن معاوية ، جمع ابن عمر بنيه وأهله ، ثم تشهد ، ثم قال : أما بعد ، فإنا قد بايعنا هذا الرجل علىٰ بيعة[٧] اللّٰه ورسوله ، وإني سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم

(٤٦) - صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : مؤاخاة النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - بين أصحابه ، حديث (٢٠٦/٢٥٣٠) (١٢٣/١٦) .

(٤٧) - أخرجه البخاري في كتاب الكفالة ، باب : قول اللّٰه عز وجل : ﴿ **والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم** ﴾ ، حديث (٢٢٩٤) (٤٧٢/٤) وطرفاه في (٦٠٨٣ - ٧٣٤٠) . ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مؤاخاة النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - بين أصحابه - رضي اللّٰه تعالى عنهم - حديث (٢٠٤/٢٥٢٩) (١٢٢/١٦) .

(٤٨) - تفسير الطبرى (١٦٤/٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لم يزده » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « أنبأنا أبو ليلى » . [٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « ثم » .

[٤] - في خ : « بيع » . [٥] - في ز : « فقالوا » .

[٦] - سقط من : ز ، خ . [٧] - في ز ، خ : « بيع » .

يقول : « **إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة ، فيقال : هذه غدرة فلان وإن من أعظم الغدر - إلا أن يكون الإشراك بالله - أن يبايع رجل رجلًا علىٰ بيعة**[١] **الله ورسوله ثم ينكث بيعته** » فلا يخلعنّ[٢] أحد منكم يزيد ، ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر ، فيكون [صيلم](*) بيني وبينه (٤٩) .

المرفوع منه في الصحيحين(٥٠) .

وقال الإمام أحمد(٥١) : حدثنا يزيد ، حدثنا حجاج ، عن عبد الرحمن بن عابس ، عن أبيه ، عن حذيفة قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من شرط لأخيه شرطًا لا يريد أن يفي له به ، فهو كالمدلي جاره إلىٰ غير منعة** » .

وقوله : ﴿ **إن الله يعلم ما تفعلون** ﴾ تهديد ووعيد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها .

وقوله : ﴿ **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا** ﴾ قال عبد الله بن كثير والسدي : هذه امرأة خرقاء كانت بمكة ، كلما غزلت شيئًا نقضته بعد إبرامه .

وقال مجاهد وقتادة وابن زيد : هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده .

وهذا القول أرجح وأظهر ، وسواء كان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا .

وقوله ﴿ **أنكاثًا** ﴾ يحتمل أن يكون اسم مصدر ﴿ **نقضت غزلها** [**من بعد قوّة**][٣] **أنكاثًا** ﴾ أي : أنقاضًا ، ويحتمل أن يكون بدلًا عن خبر كان ، أي : لا تكونوا أنكاثًا ، جمع نكث من ناكث ، ولهذا قال بعده : ﴿ **تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم** ﴾ أي : خديعة ومكرًا ﴿ **أن تكون أمّة هي أربىٰ من أمّة** ﴾ أي : تحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا إليكم ، فإذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم ، فنهىٰ الله عن ذلك ؛ لينبه بالأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ ، إذا كان قد نهىٰ عن الغدر والحالة هذه ، فلأن ينهىٰ عنه مع التمكن والقدرة بطريق

(*) - الصيلم القطيعة .

(٤٩) - المسند (٤٨/٢) (٥٠٨٨) .

(٥٠) - أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة ، باب : إثم الغادر للبر والفاجر ، حديث (٣١٨٨) (٦/ ٢٨٣) ، وأطرافه في (٦١٧٧ ، ٦١٧٨ ، ٦٩٦٦ ، ٧١١١) . ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب : تحريم الغدر ، حديث (٩ ، ١٠ ، ١٧٣٥/١١) (٦٢/١٢ - ٦٤).

(٥١) - أخرجه أحمد (٤٠٤/٥) رقم (٢٣٥٤٥) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٥/٤) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه الحجاج بن أرطاة ، وهو ثقة مدلس ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

[١] - في ز ، خ : « بيع » . [٢] - في ز : « يجعلن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الأولىٰ .

وقد قدمنا ولله الحمد في سورة الأنفال قصة معاوية لما كان بينه وبين ملك الروم أمد ، فسار معاوية إليهم في آخر الأجل ، حتىٰ إذا انقضىٰ وهو قريب من بلادهم أغار عليهم ، وهم غارون[١] و[٢] لا يشعرون ، فقال له عمرو بن عبسة[٣] : الله أكبر يا معاوية ، وفاء لا غدرًا ، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من كان بينه وبين قوم أجل فلا يحلن عقدة حتىٰ ينقضي أمدها** » . فرجع معاوية [بالجيش رضي الله عنه وأرضاه][٤] .

قال ابن عباس : ﴿ **أن تكون أمّة هي أربىٰ من أمّة** ﴾ أي : أكثر .

وقال مجاهد : كانوا يحالفون الحلفاء ، فيجدون أكثر منهم وأعز ، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز ، فنهوا عن ذلك .

وقال الضحاك وقتادة وابن زيد نحوه .

وقوله ﴿ **إنما يبلوكم الله به** ﴾ قال سعيد بن جبير : يعني بالكثرة . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير : أي : بأمره إياكم بالوفاء بالعهد .

﴿ **وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون** ﴾ فيجازي كل عامل بعمله من خير وشر .

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن
يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ
فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ
صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

---

[١] - في ز ، خ : « عادون » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « عتبة » .
[٤] - في ت : « رضي الله عنه بالجيش » .

يقول الله[١] تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء الله لجعلكم** ﴾ أيها الناس أمّة واحدة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا** ﴾ أي : لوفق بينكم ، ولما جعل اختلافًا ولا تباغضًا ولا شحناء ﴿ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمّة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾ ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم ، فيجازيكم عليها ؛ علىٰ الفتيل والنقير والقطمير ، ثم حذر تعالىٰ عباده من[٢] اتخاذ الأيمان دخلًا أي : خديعة ومكرًا ؛ لئلا تزل قدم بعد ثبوتها ، مثل لمن كان علىٰ الاستقامة[٣] فحاد عنها ، وزل عن طريق الهدىٰ بسبب الأيمان الحانثة المشتملة علىٰ الصد عن سبيل الله ، لأن الكافر إذا رأىٰ أن المؤمن قد عاهده ثم غدر به ، لم يبق له وثوق بالدين فانصد بسببه عن الدخول في الإسلام ، ولهذا قال : ﴿ **وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم** ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله ثمنًا قليلًا** ﴾ أي : لا تعتاضوا عن الأيمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها فإنها قليلة ، ولو حيزت لابن آدم الدنيا بحذافيرها لكان ما عند الله هو خير له ، أي : جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به ، وطلبه وحفظ عهده[٤] رجاء موعوده ، ولهذا قال : ﴿ **إن كنتم تعلمون * ما عندكم ينفد** ﴾ أي : يفرغ وينقضي ، فإنه إلىٰ أجل معدود محصور مقدر متناه ﴿ **وما عند الله باق** ﴾ أي : وثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع [ولا نفاد له] ، فإنه دائم لا يحول ولا يزول ﴿ **ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ قسم من الرب تعالىٰ[٥] مؤكد[٦] باللام : أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم ، أي : ويتجاوز عن سيئها .

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

هذا وعد من الله تعالىٰ لمن عمل صالحًا - وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه [صلىٰ الله عليه وسلم] من ذكر أو أنثىٰ من بني آدم ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله ، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله - بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه[٧]

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « عن » ، والمثبت من : ز .
[٣] - في ز : « استقامة » .
[٤] - في ز ، خ : « عهد الله » .
[٥] - في خ : « عز وجل » .
[٦] - في ز : « متلقى » .
[٧] - في ز : « يجزى » .

بأحسن [ما عمله][١] في الدار الآخرة .

والحياة الطيبة تشتمل[٢] وجوه الراحة من أي جهة كانت ، وقد روي عن ابن عباس وجماعة أنهم فسروها : بالرزق الحلال الطيب .

وعن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه أنه فسرها : بالقناعة ، وكذا قال ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : إنها هي[٣] السعادة .

وقال الحسن ومجاهد وقتادة : لا يطيب لأحد حياة[٤] إلا في الجنة .

وقال الضحاك : هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا ، وقال الضحاك أيضًا : هي[٥] العمل بالطاعة والانشراح بها .

والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٥٢) :

حدثنا عبد اللَّه بن يزيد ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني شرحبيل بن شريك ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافًا ، وقنعه اللَّه بما آتاه** » .

ورواه مسلم(٥٣) من حديث عبد اللَّه بن يزيد المقري به .

وروىٰ الترمذي(٥٤) والنسائي(٥٥) من حديث أبي هانيء ، عن أبي علي الجنبي[٦] ، عن فضالة بن عبيد ، أنه سمع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **قد أفلح من هدي**

---

(٥٢) - المسند (٢/١٦٨) .

(٥٣) - صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، حديث (١٠٥٤) (٧/٢٠٤ - ٢٠٥) .

(٥٤) - سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب : ما جاء في الكفاف والصبر عليه ، حديث (٢٣٤٩) (٤/٤٩٧ - ٤٩٨) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٥٥) - سنن النسائي الكبرى ، كتاب الرقائق ، حديث (١١٠٣٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « تشمل » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « الحياة » .

[٥] - في ز : « هو » .

[٦] - في ز : « الجهني » .

للإسلام[١] ، **وكان عيشه كفافًا ، وقنع به »** . وقال الترمذي : هذا[٢] حديث صحيح .

وقال الإمام أحمد(٥٦) : حدثنا يزيد ، حدثنا همام ، عن يحيىٰ ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله لايظلم المؤمن حسنة ، [يعطىٰ بها في الدنيا][٣] ، [ويثاب عليها في الآخرة ، وأما الكافر فيعطيه حسناته في الدنيا][٤] ، حتىٰ إذا أفضىٰ إلىٰ الآخرة لم تكن له حسنة يعطىٰ بها خيرًا »** . انفرد بإخراجه مسلم(٥٧) .

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠ ﴾

هذا أمر من الله تعالىٰ لعباده[٥] ، علىٰ لسان نبيه صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا أرادوا قراءة القرآن : أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم ، وهو أمر ندب ليس بواجب ، حكىٰ [الإجماع علىٰ ذلك][٦] أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة ، وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الاستعاذة مبسوطة في أول التفسير ، ولله الحمد والمنة .

والمعنىٰ في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس علىٰ القارئ قراءته ، ويخلط عليه ، ويمنعه من التدبر والتفكر . ولهذا ذهب الجمهور إلىٰ أن الاستعاذة إنما تكون قبل[٧] التلاوة ، وحكي عن حمزة وأبي حاتم السجستاني أنها تكون بعد التلاوة ، واحتجا بهذه الآية ، ونقل النووي[٨] في شرح المهذب مثل ذلك عن أبي هريرة أيضًا ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعي ، والصحيح الأول لما تقدم من الأحاديث الدالة علىٰ تقدمها علىٰ التلاوة ، والله

(٥٦) - أخرجه أحمد (١٢٣/٣) .

(٥٧) - أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة ، وتعجيل حسنات الكافر في الدينا ، حديث (٥٦ ، ٢٨٠٨/٥٧) (٢١٩/١٧) .

[١] - في ز : « إلى الإسلام » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « عباده » .
[٦] - في ز ، خ : « على ذلك الإجماع الإمام » .
[٧] - في ز ، خ : « قبيل » .
[٨] - في ز : « النواوي » .

أعلم .

وقوله : ﴿ **إنه ليس له سلطان علىٰ الذين آمنوا وعلىٰ ربهم يتوكلون** ﴾ قال الثوري : ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب [ ][١] لا يتوبون منه .

وقال آخرون : معناه لا حجة له عليهم . [وقال آخرون : كقوله : ﴿ **إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ .

﴿ **إنما سلطانه علىٰ الذين يتولونه** ﴾ قال مجاهد : يطيعونه][٢] .

وقال آخرون : اتخذوه وليًا من دون اللّٰه .

﴿ **والذين هم به مشركون** ﴾ أي : أشركوه في عبادة اللّٰه ، ويحتمل أن تكون الباء سببية ، أي : صاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين باللّٰه تعالىٰ .

وقال آخرون : معناه أنه شركهم في الأموال والأولاد .

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

يخبر تعالىٰ عن ضعف عقول المشركين ، وقلة ثباتهم وإيقانهم ، وأنه لا يتصور منهم الإيمان ، وقد كتب عليهم الشقاوة ، وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول[٣] [اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][٤] : ﴿ **إنما أنت مفتر** ﴾ أي : كذاب ، وإنما هو الرب تعالىٰ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

و[٥]قال مجاهد : ﴿ **بدلنا آية مكان آية** ﴾ أي : رفعناها وأثبتنا غيرها .

وقال قتادة : هو كقوله تعالىٰ : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها** ﴾ الآية .

قال[٦] تعالىٰ مجيبًا لهم : ﴿ **قل نزله روح القدس** [ ][٧] ﴾ أي : جبريل ﴿ **من ربك**

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة في : ت .
[٣] - في خ : « للرسول » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « فقال » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « من ربك » .

﴿ بالحق ﴾ أي : بالصدق والعدل ﴿ ليثبت الذين آمنوا ﴾ فيصدقوا بما أنزل[١] أولًا وثانيًا ، وتخبت له قلوبهم ﴿ وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ أي : وجعله هاديًا وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسله[٢] .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت : أن محمدًا إنما يعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشر ، ويشيرون إلىٰ رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش ، وكان بياعًا يبيع عند الصفا ، وربما[٣] كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء ، وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية[٤] ، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لابد منه ، فلهذا قال الله تعالىٰ رادًّا عليهم في افترائهم ذلك : ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ يعني[٥] : القرآن[٦] أي : فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ، ومعانيه التامّة الشاملة ، التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على [نبيّ أُرْسِلَ][٧] ، كيف يتعلم من رجل أعجمي ؟ لا يقول هذا من له أدنىٰ مسكة من العقل .

قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرًا ما يجلس عند المروة إلىٰ مبيعة[٨] غلام نصراني يقال له جبر ، عبد لبعض[٩] بني الحضرمي [فكانوا يقولون : والله ما يعلم محمدًا كثيرًا مما يأتي به إلا جبرٌ النصراني غلام بني الحضرميّ][١٠] ، فأنزل الله : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ .

وكذا قال عبد الله بن كثير ، و[١١]عن عكرمة وقتادة : كان اسمه يعيش .

---

[١] - في ز : « نزل » .
[٢] - في ز ، خ : « ورسوله » .
[٣] - في ز : « فربما » .
[٤] - في ز : « بالعربية » .
[٥] - في خ : « أي » ، والمثبت من : ز .
[٦] - في خ : « بالقرآن » .
[٧] - في خ : « بنى إسرائيل » .
[٨] - في ز : « سبيعة » .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١١] - سقط من : ز .

وقال ابن جرير(٥٨) : حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا إبراهيم ابن طهمان ، عن مسلم بن عبد اللَّه الملائي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يعلم[١] قينا بمكة ، وكان اسمه بلعام ، وكان أعجمي اللسان ، وكان المشركون يرون رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده ، فقالوا : إنما يعلمه بلعام ، فأنزل اللَّه هذه الآية : ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾ .

وقال الضحاك بن مزاحم : هو سلمان[٢] الفارسي . وهذا القول ضعيف ؛ لأن هذه الآية مكية ، وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، وقال عبيد اللَّه بن مسلم : كان لنا غلامان[٣] روميان يقرآن كتابًا[٤] لهما بلسانهما ، فكان النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يمر بهما فيقوم فيسمع منهما ، فقال المشركون : يتعلم منهما ، فأنزل اللَّه هذه الآية .

وقال الزهري ، عن سعيد بن المسيب : الذي قال ذلك من المشركين رجل كان يكتب الوحي لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فارتد بعد ذلك عن الإسلام ، وافترىٰ هذه المقالة قبحه اللَّه .

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٠٥)

يخبر تعالىٰ : أنه لا يهدي من أعرض عن ذكره ، وتغافل عما أنزله علىٰ رسوله [صلىٰ اللَّه عليه وسلم] ، ولم يكن له قصد إلىٰ الإيمان بما جاء من عند اللَّه ، فهذا الجنس من الناس لا يهديهم اللَّه إلىٰ الإيمان بآياته وما أرسل به رسله في الدنيا ، ولهم عذاب أليم موجع في الآخرة .

ثم أخبر تعالىٰ أن رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليس بمفتر ولا كذاب ؛ لأنه إنما يفتري الكذب علىٰ اللَّه وعلىٰ رسوله [صلىٰ اللَّه عليه وسلم] شرار الخلق ﴿ **الذين لا يؤمنون بآيات**

(٥٨) - أخرجه الطبرى (١٧٧/١٤) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « لسلمان » .
[٣] - في ز : « عاملان » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

الله ﷻ من الكفرة و[١]الملحدين المعروفين[٢] بالكذب عند الناس ، والرسول محمد صلىٰ الله عليه وسلم كان أصدق الناس وأبرهم ، وأكملهم علمًا وعملًا وإيمانًا وإيقانًا ، معروفًا بالصدق في قومه ، لا يشك في ذلك أحد منهم ، بحيث لا يدعى بينهم إلا بالأمين محمد ، ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سألها من صفة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، كان فيما قال له : هل[٣] كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا . فقال هرقل : فما كان ليدع الكذب علىٰ الناس ويذهب فيكذب علىٰ الله - عز وجل -(٥٩) .

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩﴾

أخبر تعالىٰ عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر ، وشرح صدره بالكفر واطمأن به - أنه قد غضب عليه ؛ لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه ، وأن لهم عذابًا عظيمًا في الدار الآخرة ؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا علىٰ الآخرة ، فأقدموا علىٰ ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا ، ولم يهد الله قلوبهم ، ويثبتهم علىٰ الدين الحق ، فطبع علىٰ قلوبهم [فهم لا][٤] يعقلون بها شيئًا ينفعهم ، وختم علىٰ سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها ، ولا أغنت عنهم شيئًا

(٥٩) - أخرج القصة بطولها وفيها كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ، البخاري في كتاب بدء الوحي ، باب (٧) ، حديث (٦) (١/٣١ - ٣٣) وأطرافه في (٥١ ، ٢٦٨١ ، ٢٨٠٤ ، ٢٩٤١ ، ٢٩٧٨ ، ٣١٧٤ ، ٤٥٥٣ ، ٥٩٨٠ ، ٦٢٦٠ ، ٧١٩٦ ، ٧٥٤١) . ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب : كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، حديث (١٧٧٣/٧٤) (١٢/١٤٧ - ١٥٣) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « المعروفون » .
[٣] - في ز : « أو » .
[٤] - في ز : « فلا » .

فهم[١] غافلون عما يراد بهم .

﴿ **لا جرم** ﴾ أي : لابد ولا عجب أن من هذه صفته ﴿ **أنهم في الآخرة هم الخاسرون** ﴾ أي : الذين خسروا أنفسهم وأهليهم[٢] يوم القيامة .

وأما قوله : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ فهو استثناء ممن[٣] كفر بلسانه ، ووافق المشركين بلفظه ، مكرهًا لما ناله من ضرب وأذىٰ ، وقلبه يأبىٰ[٤] ما يقول ، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله .

وقد روىٰ العوفي ، عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر ، حين عذبه المشركون حتىٰ يكفر بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم ، فوافقهم علىٰ ذلك مكرهًا ، وجاء معتذرًا إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فأنزل الله هذه الآية . وهكذا قال الشعبي [وقتادة وأبو مالك] .

وقال ابن جرير(٦٠) : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري[٥] ، عن أبي عبيدة بن[٦] محمد بن عمار بن ياسر ، قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر ، فعذبوه حتىٰ قاربهم في بعض ما أرادوا ، فشكا ذلك إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **كيف تجد قلبك ؟** » قال : مطمئنًا بالإيمان . قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن عادوا فعد** » .

ورواه البيهقي(٦١) بأبسط من ذلك ، وفيه أنه سب النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وذكر آلهتهم بخير ، [فشكا ذلك إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال][٧] : يا رسول الله ، ما تُرِكْتُ حتىٰ سببتك ، وذكرت آلهتهم بخير . قال : « **كيف تجد قلبك ؟** » قال : مطمئنًا بالإيمان . فقال[٨] : « **إن عادوا فعد** » . وفي ذلك أنزل الله : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ .

ولهذا اتفق العلماء : علىٰ [أن المكره علىٰ الكفر يجوز له أن يوالي][٩] إبقاء لمهجته ،

(٦٠) - أخرجه الطبرى (١٤/١٨٢) .

(٦١) - أخرجه البيهقي (٨/٢٠٨ - ٢٠٩) كتاب المرتد ، باب : المكره على الردة .

[١] - في خ : « ولاهم » .
[٢] - في ز ، خ : « أهاليهم » .
[٣] - في ز : « فيمن » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « الحوزى » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وأنه قال » .
[٨] - في ز : « وقال » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أنه يجوز أن يوالى المكره على الكفر » .

ويجوز له أن يستقتل ، كما كان بلال رضي اللَّه عنه يأبىٰ عليهم ذلك ، وهم يفعلون به الأفاعيل ، حتىٰ أنهم ليضعوا الصخرة العظيمة علىٰ صدره في شدة الحر ، ويأمرونه بالشرك[١] باللَّه فيأبىٰ عليهم ، وهو يقول : أحد أحد . ويقول : واللَّه لو أعلم كلمة هي[٢] أغيظ لكم منها لقلتها . رضي اللَّه عنه وأرضاه . وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب : أتشهد أن محمدًا رسول اللَّه ؟ فيقول : نعم . فيقول : أتشهد[٣] أني رسول اللَّه ؟ فيقول لا أسمع . فلم يزل يقطعه إربًا إربًا وهو ثابت علىٰ ذلك .

وقال الإمام أحمد(٦٢) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة : أن عليًا رضي اللَّه عنه حرق ناسًا ارتدّوا عن الإسلام ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لم أكن لأحرقهم بالنار ، إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال[٤] : « **لا تعذبوا بعذاب اللَّه** » . وكنت أقاتلهم[٥] بقول رسول اللَّه [ ][٦] صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من بدل دينه فاقتلوه** » . فبلغ ذلك عليًا فقال : ويح [أم ابن][٧] عباس . رواه البخاري(٦٣) .

وقال الإمام أحمد(٦٤) أيضًا : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن أيوب ، عن حميد ابن هلال العدوي ، عن أبي بردة قال : قدم علىٰ أبي موسىٰ معاذ بن جبل باليمن ، فإذا رجل عنده ، قال : ما هذا ؟ قال : رجل كان يهوديًا فأسلم ، ثم تهود ، ونحن نريده علىٰ الإسلام منذ - قال أحسبه - شهرين . فقال : واللَّه لا أقعد حتىٰ تضربوا عنقه . [فضربت عنقه][٨] ، فقال : قضىٰ اللَّه ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه أو قال : « **من بدل دينه فاقتلوه** » .

وهذه القصة في الصحيحين بلفظ آخر(٦٥) .

---

(٦٢) - أخرجه أحمد (٢١٧/١) .

(٦٣) - أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب : حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ، حديث (٦٩٢٢) (٢٦٧/١٢) .

(٦٤) - أخرجه أحمد (٢٣١/٥) .

(٦٥) - أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب : حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ، حديث (٦٩٢٣) (٢٦٨/١٢) . ومسلم في كتاب الإمارة ، حديث (١٧٣٣/١٥) (٢٨٧/١٢ - ٢٨٨) .

---

[١] - في ز ، خ : « أن يشرك » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « أشهد » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز : « قاتلهم » .

[٦] - في ز : « قال رسول الله » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ابن أم » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

والأفضل والأولىٰ أن يثبت المسلم علىٰ دينه ولو أفضىٰ إلىٰ[١] قتله ، كما ذكر[٢] الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد اللّٰه بن حذافة السهمي أحد الصحابة : أنه أسرته الروم ، فجاءوا به إلىٰ ملكهم ، فقال له : تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي . فقال له : لو أعطيتني جميع ما تملك ، وجميع ما تملكه العرب ، علىٰ أن أرجع عن دين محمد [صلىٰ اللّٰه عليه وسلم] طرفة عين ما فعلت . فقال : إذًا أقتلك . فقال[٣] : أنت وذاك . قال[٤] : فأمر به فصلب ، وأمر الرماة فرموه قريبًا من يديه ورجليه ، وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبىٰ ، ثم أمر به فأنزل ، ثم أمر بقدر - وفي رواية : ببقرة من نحاس - فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر ، فإذا هو عظام يلوح ، وعرض عليه فأبىٰ ، فأمر به أن يلقىٰ فيها ، فرفع في البكرة ليلقىٰ فيها فبكىٰ ، فطمع فيه ودعاه ، فقال له[٥] : إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقىٰ في هذه القدر الساعة [في اللّٰه][٦] ، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في اللّٰه . وفي بعض الروايات : أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أيامًا ، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه ، ثم استدعاه فقال : ما منعك أن تأكل ؟ فقال : أما إنه قد حل لي ولكن لم أكن لأشمتك في . فقال له الملك : فقبل رأسي وأنا أطلقك فقال[٧] : [وتطلق معي جميع أسارى المسلمين ؟ قال :][٨] نعم[٩] . فقبل رأسه ، فأطلقه وأطلق معه[١٠] جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - : حق علىٰ كل مسلم أن يقبل رأس عبد اللّٰه بن حذافة وأنا أبدأ . فقام فقبل رأسه [- رضي اللّٰه عنهما] - .

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَٰهَدُوا وَصَبَرُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾

هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة مهانين في قومهم ، قد واتوهم علىٰ الفتنة ، ثم إنهم أمكنهم الخلاص بالهجرة ، فتركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم ابتغاء رضوان اللّٰه وغفرانه ،

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « قال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - زيادة من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « وأطلق جميع أسارى المسلمين قال » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : خ .

وانتظموا في سلك المؤمنين ، وجاهدوا معهم الكافرين وصبروا ، فأخبر الله[١] تعالىٰ أنه ﴿ **من بعدها** ﴾ أي : تلك الفعلة وهي الإجابة إلىٰ الفتنة ﴿ **لغفور** ﴾ لهم ﴿ **رحيم** ﴾ بهم يوم معادهم ﴿ **يوم تأتي كل نفس تجادل** ﴾ أي : تحاج ﴿ **عن نفسها** ﴾ ليس أحد يحاج عنها ؛ لا أب ولا ابن ، ولا أخ ولا زوج[٢] ﴿ **وتوفىٰ كل نفس ما عملت** ﴾ أي : من خير وشر ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ أي لا[٣] ينقص من ثواب الخير ، ولا يزاد علىٰ ثواب الشر، ولا يظلمون نقيرًا .

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

هذا مثل أريد به أهل مكة ؛ فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة ، يتخطف الناس من حولها ، ومن دخلها [كان آمنًا][٤] لا يخاف ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا إن نتبع الهدىٰ معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنا** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **يأتيها رزقها رغدًا** ﴾ أي : هنيئًا سهلًا ﴿ **من كل مكان فكفرت بأنعم الله** ﴾ أي : جحدت آلاء الله عليها ، وأعظمها[٥] بعثة محمد صلىٰ الله عليه وسلم إليهم ، كما قال تعالىٰ ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس[٦] القرار** ﴾ ولهذا بدلهم الله بحاليهم الأولين خلافهما ، فقال : ﴿ **فأذاقها الله لباس الجوع والخوف** ﴾ أي : ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شيء ، ويأتيها رزقها رغدًا من كل مكان ، وذلك لما استعصوا علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وأبوا إلا خلافه ، فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف ، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم ، فأكلوا العلهز[٧] : وهو وبر البعير يخلط[٨] بدمه إذا نحروه .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز : « زوجة » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « أمن » .
[٥] - في ز : « أعظم ذلك » .
[٦] - في ز ، خ : « فبئس » .
[٧] - في ز : « العهر » ، خ : « العهن » .
[٨] - في خ : « يحبل » .

وقوله : ﴿ **والخوف** ﴾ وذلك أنهم بدلوا بأمنهم خوفًا من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأصحابه حين هاجروا إلىٰ المدينة ، من سطوة[١] سراياه وجيوشه ، وجعل[٢] كل مالهم في [دمار وسفال] ، حتىٰ فتحها اللَّه عليهم ، وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم ، وتكذيبهم الرسول صلىٰ اللَّه عليه وسلم الذي بعثه اللَّه فيهم[٣] ، وامتن به عليهم في قوله : ﴿ **لقد منّ اللَّه علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم** ﴾ الآية . وقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **فاتقوا اللَّه يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل اللَّه إليكم ذكرًا * رسولًا** ... ﴾ الآية . وقوله[٥] : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ولا تكفرون** ﴾ .

وكما أنه انعكس علىٰ الكافرين حالهم ؛ فخافوا بعد الأمن ، وجاعوا بعد الرغد ، فبدل اللَّه المؤمنين من بعد خوفهم أمنًا ، ورزقهم بعد العيلة ، وجعلهم أمراء الناس وحكامهم وسادتهم وقادتهم وأئمتهم .

وهذا[٦] الذي قلناه من أن هذا المثل مضروب[٧] لمكة[٨] قاله العوفي عن ابن عباس ، وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وحكاه مالك عن الزهري رحمهم اللَّه .

وقال ابن جرير(٦٦) : حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا نافع ابن يزيد ، حدثنا عبد الرحمن بن شريح : أن عبد الكريم بن الحارث الحضرمي حدثه : أنه سمع [مشرح بن هاعان][٩] يقول : سمعت سليم بن عَتْر[١٠] يقول : صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وعثمان رضي اللَّه عنه محصور بالمدينة ، فكانت تسأل عنه ما فعل ؟ حتىٰ رأت راكبين : فأرسلت إليهما تسألهما[١١] ، فقالا : قتل . فقالت حفصة : والذي نفسي بيده إنها القرية - التي قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وضرب اللَّه مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم اللَّه** ﴾ . قال[١٢]

---

(٦٦) - أخرجه الطبرى (١٤/١٨٦) .

---

[١] - في خ : « سطوته و » ، المثبت من : ز .
[٢] - في خ : « جعلوا » .
[٣] - في ز ، خ : « منهم » .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - في ز ، خ : « هكذا » .
[٧] - في خ : « ضربوه » .
[٨] - في ت : لأهل مكة .
[٩] - ما بين المعكوفتين في خ : « شرح بن عاهان » .
[١٠] - في خ : « عنبر » .
[١١] - في ز ، خ : « فسألتهما » .
[١٢] - في خ : « وقال » .

ابن[١] شريح : وأخبرني عبيد الله بن المغيرة ، عمن حدثه ، أنه كان يقول : إنها المدينة .

﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٥) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) ﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب ، وبشكره علىٰ ذلك ، فإنه المنعم المتفضل به ابتداء ، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له .

ثم ذكر تعالىٰ ما حرمه عليهم ، مما[٢] فيه مضرة لهم في دينهم ودنياهم ؛ من الميتة والدم ولحم الخنزير .

﴿ وما أهل [ ][٣] لغير الله به[٤] ﴾ أي : ذبح علىٰ غير اسم الله ، ومع هذا فمن اضطر إليه ، أي : احتاج من[٥] غير بغي ولا عدوان فإن الله غفور رحيم .

وقد تقدم الكلام علىٰ مثل هذه الآية في سورة البقرة ، بما فيه كفاية عن إعادته ولله الحمد .

ثم نهىٰ تعالىٰ عن [سلوك سبيل][٦] المشركين : الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وضعوه ، واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم ؛ من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وغير ذلك مما كان شرعًا لهم ابتدعوه في جاهليتهم ، فقال : **﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا علىٰ الله الكذب ﴾** ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي ، أو حلل شيئًا مما[٧] حرم الله ، [أو حرم شيئًا مما أباح الله][٨] ،

---

[١] - في ز : « أبو » .
[٢] - في خ : « بما » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « به » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « في » .
[٦] - في خ : « سبل سلوك » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

بمجرد رأيه وتشهيه .

«**وما**» في قوله : ﴿ **لما تصف**[١]﴾ مصدرية ، أي : ولا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم .

ثم توعد علىٰ ذلك فقال : ﴿ **إن الذين يفترون علىٰ الله الكذب لا يفلحون** ﴾ أي : في الدنيا ولا في الآخرة ، أما في الدنيا فمتاع قليل ، وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم ، كما قال : ﴿ **نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلىٰ عذاب غليظ** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن الذين يفترون علىٰ الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون** ﴾ .

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

لما ذكر تعالىٰ : أنه حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، وإنه أرخص فيه عند الضرورة - وفي ذلك توسعة لهذه الأمة التي يريد الله بها اليسر ولا يريد بها العسر - ذكر سبحانه وتعالىٰ ما كان حرمه علىٰ اليهود في شريعتهم قبل أن ينسخها ، وما كانوا فيه من الآصار والتضييق[٢] والأغلال والحرج ، فقال : ﴿ **وعلىٰ الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل** ﴾ أي[٣] : في سورة الأنعام ؛ في قوله : ﴿ **وعلىٰ الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لصادقون** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وما ظلمناهم** ﴾ أي : فيما ضيقنا عليهم ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ أي : فاستحقوا ذلك كقوله[٤] : ﴿ **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدّهم عن سبيل الله كثيرًا** ﴾ ثم أخبر تعالىٰ تكرمًا وامتنانًا في حق العصاة المؤمنين : أن من تاب منهم إليه تاب عليه ، فقال : ﴿ **ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة** ﴾ قال بعض السلف : كل من عصىٰ الله فهو جاهل .

﴿ **ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا** ﴾ أي : أقلعوا عما كانوا فيه من المعاصي ، وأقبلوا علىٰ فعل الطاعات ﴿ **إن ربك من بعدها** ﴾ أي : تلك الفعلة والزلة ﴿ **لغفور رحيم** ﴾ .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : مكانها بعد كلمة « والحرج » .

[٣] - في خ : « يعني » .

[٤] - في خ : « كما قال » .

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾

يمدح تعالىٰ عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء ، ووالد الأنبياء ، ويبرئه[١] من المشركين ، ومن اليهودية والنصرانية ، فقال : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتًا للّٰه حنيفًا** ﴾ فأما الأمة : فهو الإمام الذي يقتدى به ، والقانت : هو الخاشع المطيع ، و[٢] الحنيف : المنحرف قصدًا عن الشرك إلىٰ التوحيد ، ولهذا قال : ﴿ **ولم يك من المشركين** ﴾ .

قال سفيان الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين[٣] : أنه سأل عبد اللّٰه بن مسعود عن الأمة القانت ؟ فقال : الأمة : معلم الخير ، والقانت : المطيع للّٰه ورسوله . وعن مالك قال : قال ابن عمر : الأمة الذي يعلم الناس دينهم .

وقال الأعمش [عن الحكم][٤] عن يحيىٰ بن الجزار ، عن أبي العبيدين : أنه جاء إلىٰ عبد اللّٰه فقال : من نسأل إذا لم نسألك ؟ فكأن ابن مسعود رق له ، فقال : أخبرني عن الأمة ؟ فقال : الذي يعلم الناس الخير .

وقال الشعبي : حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال : قال ابن مسعود : إن معاذًا كان أمة قانتًا للّٰه حنيفًا . فقلت في نفسي : غلط أبو عبد الرحمن ، وقلت[٥] : إنما قال اللّٰه : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة** ﴾ فقال : أتدري[٦] ما الأمة وما القانت ؟ قلت : اللّٰه أعلم . فقال[٧] الأمة الذي يعلم الخير ، والقانت : المطيع للّٰه ورسوله .

وكذلك كان معاذ [معلم الخير وكان مطيعًا لله ورسوله][٨] . وقد روي من غير وجه عن ابن مسعود . أخرجه[٩] ابن جرير(٦٧) .

---

(٦٧) - أخرجه الطبرى (١٤/١٩١) .

---

[١] - في ز : « تبريه » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « العبدين » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ : « فقال » .
[٦] - في ز : « تدري » .
[٧] - في ز : « قال » .
[٨] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٩] - في ز : « حرره » .

وقال مجاهد : أمة أي : أمة وحده ، والقانت : المطيع . وقال مجاهد أيضًا : كان إبراهيم أمة : أي : مؤمنًا وحده ، والناس كلهم إذ ذاك كفار .

وقال قتادة : كان إمام هدى ، والقانت : المطيع للّه .

وقوله : ﴿ **شاكرًا لأنعمه** ﴾ أي : قائمًا بشكر نعم اللّه عليه كقوله تعالىٰ : ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ أي : قام بجميع ما أمره اللّه تعالىٰ به .

وقوله : ﴿ **اجتباه** ﴾ أي : اختاره واصطفاه ، كقوله[١] : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين** ﴾ ثم قال : ﴿ **وهداه إلىٰ صراط مستقيم** ﴾ وهو عبادة اللّه وحده لا شريك له علىٰ شرع مرضي .

وقوله : ﴿ **وآتيناه في الدنيا حسنة** ﴾ أي : جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة ﴿ **وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **وآتيناه في الدنيا حسنة** ﴾ أي : لسان صدق .

و[٢] قوله : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا** ﴾ أي : ومن كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه أنَّا أوحينا إليك يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء ﴿ **أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾ كقوله[٣] في الأنعام : ﴿ **قل إنني هداني ربي إلىٰ صراط مستقيم * دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾ ثم قال تعالىٰ منكرًا علىٰ اليهود .

إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

لا شك أن اللّه تعالىٰ[٤] شرع في كل ملة يومًا من الأسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة ، فشرع تعالىٰ لهذه الأمة يوم الجمعة ؛ لأنه اليوم[٥] السادس الذي أكمل اللّه فيه الخليقة ، واجتمعت فيه وتمت النعمة علىٰ عباده ، ويقال : [إن اللّه][٦] تعالىٰ شرع ذلك لبني إسرائيل علىٰ لسان موسىٰ ، فعدلوا عنه واختاروا السبت ؛ لأنه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئًا من المخلوقات الذي كمل خلقها يوم الجمعة ، فألزمهم تعالىٰ به في شريعة التوراة ،

---

[١] - في خ : « كما قال » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « كما قال » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « إنه » .

ووصاهم أن يتمسكوا به ، وأن يحافظوا عليه ، مع أمره إياهم بمتابعة محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا بعثه ، وأخذ[١] مواثيقهم وعهودهم علىٰ ذلك ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إنما جعل السبت علىٰ الذين اختلفوا فيه** ﴾ .

قال مجاهد : اتبعوه وتركوا الجمعة .

ثم إنهم لم يزالوا متمسكين به حتىٰ بعث اللَّه عيسىٰ بن مريم ، فيقال : إنه[٢] حولهم إلىٰ يوم الأحد ، ويقال : [إنه لم يترك شريعة التوراة إلا ما نسخ من بعض أحكامها ، و][٣] إنه لم يزل محافظًا علىٰ السبت حتىٰ رفع ، وإن النصارىٰ بعده في زمن[٤] قسطنطين هم الذين تحولوا إلىٰ يوم الأحد مخالفة لليهود ، وتحولوا إلىٰ الصلاة شرقًا عن الصخرة ، واللَّه أعلم .

وقد ثبت في الصحيحين(٦٨) : من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، [عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - [أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال][٥] : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم هذا يومهم الذي فرض اللَّه عليهم ، فاختلفوا فيه فهدانا اللَّه له ، فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدًا ، والنصارىٰ بعد غد** » لفظ البخاري .

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي اللَّه عنهما قالا : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أضل اللَّه عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارىٰ يوم الأحد ، فجاء اللَّه بنا فهدانا اللَّه ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة ، والمقضي بينهم قبل الخلائق** » رواه مسلم(٦٩) .

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

(٦٨) - أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب : هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث (٨٥٥) (٦/٢٠٥) .
ولم أجده في البخاري من هذا الطريق ، بيد أنه أخرجه في كتاب الجمعة ، بهذا اللفظ من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة فذكره .

(٦٩) - أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب : هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث (٨٥٦) (٦/٢٠٦) .

[١] - في ز : « وأخذه » .
[٢] - في خ : « لأنه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « زمان » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول » .

يقول تعالىٰ : آمرًا رسوله محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يدعو الخلق إلىٰ اللَّه بالحكمة ،

قال ابن جرير : وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة . أي : بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ، ذكرهم بها ليحذروا بأس اللَّه تعالىٰ .

وقوله : ﴿ **وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ [أي : من احتاج منهم إلىٰ مناظرة وجدال ، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**][1] **إلا الذين ظلموا منهم** ﴾ الآية[2] ، فأمره تعالىٰ بلين الجانب ، كما أمر به[3] موسىٰ وهارون عليهما السلام ، حين بعثهما إلىٰ فرعون في قوله : ﴿ **فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشىٰ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ ، أي : قد علم الشقي منهم والسعيد ، وكتب ذلك عنده وفرغ منه ، فادعهم إلىٰ اللَّه ، ولا تذهب نفسك علىٰ من ضل منهم حسرات ، فإنه ليس عليك هداهم ، إنما أنت نذير ، عليك البلاغ و[4] علينا الحساب ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ ، و ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن اللَّه يهدي من يشاء** ﴾ .

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

يأمر تعالىٰ بالعدل في القصاص[5] ، والمماثلة في استيفاء الحق ، كما قال عبد الرزاق : عن الثوري ، عن خالد ، عن ابن سيرين أنه قال في قوله تعالىٰ : ﴿ **فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ إن أخذ منك رجل شيئًا فخذ منه[6] مثله . وكذا قال مجاهد وإبراهيم والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير .

وقال ابن زيد : كانوا قد أمروا بالصفح عن المشركين ، فأسلم رجال ذوو[7] منعة ،

---

[1] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[2] - سقط من : خ .
[3] - سقط من : ز ، خ .
[4] - سقط من : خ .
[5] - في ز ، خ : « الاقتصاص » .
[6] - سقط من : ز ، خ .
[7] - في خ : « ذو » ، والمثبت من : ز .

فقالوا : يا رسول اللَّه ، لو أذن اللَّه لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب . فنزلت هذه الآية ، ثم نسخ ذلك بالجهاد .

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار قال : نزلت سورة النحل كلها بمكة ، وهي مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة ، بعد أحد حين[١] قتل حمزة رضي اللَّه عنه ومثل به ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لئن ظهرنا اللَّه**[٢] **عليهم لنمثلن بثلاثين رجلاً منهم** » . فلما سمع المسلمون ذلك ، قالوا : واللَّه لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط . فأنزل اللَّه : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ إلىٰ آخر السورة(٧٠) .

وهذا مرسل ، وفيه رجل[٣] مبهم لم يسم ، وقد روي هذا من وجه آخر متصل ؛ فقال الحافظ أبو بكر البزار(٧١) :

حدثنا الحسن بن يحيىٰ ، حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا صالح المري[٤] ، عن سليمان التيمي عن أبي عثمان ، عن أبي هريرة -رضي اللَّه عنه- : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وقف علىٰ حمزة بن عبد المطلب -رضي اللَّه عنه- حين[٥] استشهد ، فنظر إلىٰ منظر لم ينظر أوجع للقلب منه - أو قال : لقلبه - فنظر إليه وقد مثل به ، فقال : « **رحمة اللَّه عليك . إن كنت لما علمتُ لوصولاً للرحم ، فعولاً للخيرات ، واللَّه لولا حزن من بعدك عليك ، لسرني أن أتركك حتىٰ يحشرك اللَّه من بطون السباع** - أو كلمة نحوها - **أما واللَّه علىٰ ذلك لأمثلن بسبعين كمثلتك** » . فنزل جبريل عليه السلام علىٰ محمد [صلىٰ اللَّه عليه وسلم][٦] بهذه السورة ، وقرأ : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، فكفّر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يعني عن يمينه وأمسك عن ذلك .

وهذا إسناد فيه ضعف ؛ لأن صالحًا هو[٧] ابن[٨] بشير المري[٩] ضعيف عند الأئمة ، وقال البخاري : هو منكر الحديث .

---

(٧٠) - أخرجه الطبرى (١٤/١٩٥ - ١٩٦) .

(٧١) - أخرجه البزار في كتاب الهجرة والمغازي ، باب : غزوة أحد ، حديث (١٧٩٥) (٣٢٧/٢) .

---

[١] - في خ : « حيث » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « المزي » .
[٥] - في خ : « حيث » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في ز : « وهو » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : « المزي » .

وقال الشعبي وابن جريج : نزلت في قول المسلمين يوم أحد فيمن مثل بهم : [لنربينَّ عليهم][١] . فأنزل الله فيهم ذلك .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه(٧٢) : حدثنا هدية بن عبد الوهاب[٢] المروزي ، حدثنا الفضل بن موسىٰ ، حدثنا عيسىٰ بن عبيد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : لما كان يوم أحد قتل من الأنصار ستون رجلًا ، ومن المهاجرين ستة ، فقال أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين [لنربين عليهم][٣] . فلما كان يوم الفتح ، قال رجل : لا نعرف قريش بعد اليوم . [فنادىٰ مناد][٤] : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد[٥] أمن الأسود والأبيض ، إلا فلانًا وفلانًا - ناسًا سماهم - فأنزل الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ [إلىٰ آخر السورة][٦] . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **نصبر ولا نعاقب** » .

وهذه الآية الكريمة لها أمثال في القرآن ، فإنها مشتملة علىٰ مشروعية العدل ، والندب إلىٰ الفضل ، كما في قوله : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾ ثم قال : ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره علىٰ الله** ﴾ الآية[٧] ، وقال : ﴿ **والجروح قصاص** ﴾ ثم قال ﴿ **فمن تصدق به فهو كفارة له** ﴾ ، وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ ثم قال : ﴿ **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **واصبر وما صبرك إلا بالله** ﴾ تأكيد للأمر بالصبر ، وإخبار بأن ذلك لا[٨] ينال إلا[٩] بمشيئة الله وإعانته ، وحوله وقوته .

---

(٧٢) - أخرجه أحمد (١٣٥/٥) (٢١٣٠٩) . وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النحل (٥/ ٢٩٩، ٣٠٠/ رقم : ٣١٢٩) . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من حديث أبي ابن كعب . ورواه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ (٦/ ٣٧٦/ رقم : ١١٢٧٩) . - كلاهما من طريق أبي عمار الحسين بن حريث عن الفضل ابن موسى به . ورواه الحاكم (٣٥٨/٢ - ٤٤٦) . واختاره الضياء في مختارته حديث ١١٤٤ (٣٥١/٣ - ٣٥٢) وقال : ورواه أبو حاتم البستي - يعني ابن حبان - مثل حديث الحسين بن حريث ، عن عبد الله بن محمد ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن الفضل بن موسى . الإحسان حديث ٤٨٧ (٣٥٤/١) .

---

[١] - في ز ، خ : « لنمثلن بهم » .
[٢] - في خ : « الوالب »
[٣] - في ت : « لنمثلن بهم » .
[٤] - في خ : « فناد » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « الآية » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « إنما » .
[٩] - سقط من : خ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تحزن عليهم** ﴾ أي : علىٰ من خالفك لا تحزن عليهم ؛ فإن اللَّه قدر ذلك ﴿ **ولا تك في ضيق** ﴾ أي : غم ﴿ **مما يمكرون** ﴾ أي : مما يجهدون أنفسهم في عداوتك وإيصال الشر إليك ، فإن اللَّه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظهرك ومظفرك بهم .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ أي : معهم[١] بتأييده ونصره ومعونته [وهديه وسعيه][٢] ، [وهذه معية][٣] خاصة ، كقوله : ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا** ﴾ ،وقوله لموسىٰ وهارون : ﴿ **لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى** ﴾ ، وقول النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم للصدّيق وهما في الغار : « **لا تحزن إن اللَّه معنا** »(٧٣) ، وأما المعية العامة[٤] فبالسمع والبصر والعلم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم واللَّه بما تعملون بصير** ﴾ ، وكقوله تعالىٰ : ﴿ **ألم تر أن اللَّه يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا** ﴾ ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ **وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا** ﴾ الآية .

ومعنىٰ : ﴿ **الذين اتقوا** ﴾ أي : تركوا المحرمات ﴿ **والذين هم محسنون** ﴾ أي : فعلوا الطاعات ، فهؤلاء [اللَّه يحفظهم] ويكلؤهم ، وينصرهم ويؤيدهم ، ويظفرهم علىٰ أعدائهم ومخالفيهم .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا محمد بن بشار ، ثنا أبو أحمد الزبيري ، ثنا مسعر ، عن ابن عون ، عن محمد بن حاطب قال : كان عثمان رضي اللَّه عنه من الذين آمنوا والذين اتقوا والذين هم محسنون .

آخر تفسير[٥] سورة النحل ولله الحمد أجمعه والمنة

وبه المستعان [وهو حسبنا ونعم الوكيل][٦] .

☆ ☆ ☆

(٧٣) - أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة ، حديث (٣٦١٥) (٦٢٢/٦) ، وطرفه في (٣٦٥٢) . ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ، حديث (٢٠٠٩) (١٩٩/١٨) . كلاهما من حديث البراء عن أبي بكر - رضي اللَّه عنهما - في حديث الهجرة الطويل .

[١] - في خ : « مع » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[تفسير سورة سبحان وهي مكية][١]

قال الإمام البخاري(١) : حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن يزيد ، سمعت ابن مسعود رضي اللّه عنه [ ][٢] قال في بني إسرائيل والكهف ومريم : إنهن من العِتاق الأول ، وهُن من تِلادي (*) .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدّثنا عبد الرحمن ، حدثنا حماد بن زيد ، عن مَرْوان أبي لبابة ، سمعت عائشة تقول : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يصوم حتىٰ نقول : ما يريد أن يُفطِر ، ويفطرُ حتىٰ نقول : ما يريد أن يصوم ، وكان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١)

يمجد تعالىٰ نفسه ، ويعظم شأنه ، لقدرته علىٰ مالا يقدر عليه أحد سواه ، فلا إله غيره [ولا رب سواه][٣] ، ﴿ **الذي أسرىٰ بعبده** ﴾ يعني محمدًا صلوات اللّه وسلامه عليه ﴿ **ليلا** ﴾ ، أي : في جنح الليل ، ﴿ **من المسجد الحرام** ﴾ ، وهو مسجد مكة ، ﴿ **إلىٰ المسجد الأقصىٰ** ﴾ ، وهوبيت المقدس الذي [بإيلياء][٤] ، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ ولهذا جُمعوا له هنالك كلهم ، فأمَّهم في محلتهم ودارهم ، فدل علىٰ

(١) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة بني إسرائيل حديث رقم (٤٧٠٨) .

(*) - أي من أول ما أخذته وتعلمته بمكة . والتالد : المال القديم الذي ولد عنك . وهو نقيض الطارف . (النهاية ١/١٩٤) .

(٢) - « المسند » (٦/١٨٩) وأخرجه أيضًا (٦/٦٨،١٢٢) ، والترمذي ، كتاب : ثواب القرآن ، باب : فضل سورة الإسراء والزمر والمسبحات (٢٩٢١) ، وكتاب : الدعوات (٣٤٠٢) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٧١٢) . وابن خزيمة في صحيحه (٢/١١٦٣) والمروزي في « قيام الليل » (ص ١٥٣ - المختصر) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/٤٣٤-٤٣٥) والمزي في « تهذيب الكمال » (٢٧/٤١٣) من طرق عن حماد بن زيد به ، وسكت عنه الحاكم والذهبي ، وترجم للحديث ابن خزيمة فقال : « باب استحباب قراءة بني إسرائيل .... إن كان أبو لبابة هذا يجوز الاحتجاج بخبره فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح » .

قلت : أبو لبابة اسمه مروان الورّاق وقد وثقه ابن معين كما في التهذيب ، وابن حبان في « الثقات » (٥/٤٢٤،٤٢٥) ، والذهبي في « الكاشف » (٣/ت٥٤٦٥) ، وابن حجر في « التقريب » ، وقال الترمذي عقب الحديث : « حديث حسن غريب : وأبو لبابة شيخ بصري قد روى عنه حماد بن زيد غير =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « يقول » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ ، ز .

[٤] - في ت : « هو إيلياء » .

أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدَّم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وقوله تعالىٰ: ﴿ **الذي باركنا حوله** ﴾ أي: في الزروع والثمار، ﴿ **لنريه** ﴾، أي: محمدًا، ﴿ **من آياتنا** ﴾، أي: العظام، كما قال تعالىٰ: ﴿ **لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ** ﴾ وسنذكر من ذلك ما وردت به السنة من[١] الأحاديث عنه، صلوات الله عليه وسلامه.

وقوله: ﴿ **إنه هو السميع البصير** ﴾، أي: السميع لأقوال[٢] عباده؛ مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم، البصير بهم، فيعطي كلًّا[٣] ما يستحقه في الدنيا والآخرة.

[ذكر الأحاديث الواردة في الإسراء. رواية أنس بن مالك]

[قال الإمام أبو عبد الله البخاري(٣): حدثني عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا سليمان - هو ابن بلال - عن شريك بن عبد الله؛ قال: سمعت أنس بن مالك][٤] يقول ليلة أسري برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من مسجد الكعبة: إنه جاءه ثلاثةُ نفرٍ قبل أن يوحىٰ إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيُّهم هو؟ فقال أوسطُهم: هو خيرُهم، وقال آخرهم: خذوا خيرهم[٥] فكانت تلك الليلة، فلم يَرَهُم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه. ولا ينام قلبه - وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم - فلم يكلموه حتىٰ احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريلُ، فشق جبريل ما بين نحره إلىٰ لَبَّتِهِ[٦] حتىٰ فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزمَ بيده، حتىٰ أنقىٰ جوفه، ثم أتَىٰ بِطَسْتٍ من ذهب فيه تَوْرٌ[٧] من ذهب محشوٌ إيمانًا وحكمةً، فحشا به صدرَه ولغاديدَه - يعني عروق حلقه - ثم أطبقه ثم عرج به إلىٰ السماء الدنيا، فضرب بابًا من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبريل. قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد صلى الله عليه وسلم. قالوا: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحبًا به وأهلًا[٨]، يستبشر به أهل

= حديث ويقال اسمه مروان .. » وجوَّد إسناده الألباني في « الصحيحة » (٢/٦٤١).

(٣) - صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في قوله عز وجل: ﴿ **وكلم الله موسى تكليمًا** ﴾ (٧٥١٧) وقد وقع لشريك بن عبد الله بن أبي نمر فيه أوهام خالف فيها غيره في زيادة على عشرة مواضع قد نبه عليها غير واحد من الحفاظ كما في « فتح الباري » (١٣/٣٨٠،٤٨٥) و« زاد المعاد » (٣/٤٢).

[١] - في ز، خ: « في ».
[٢] - في ز: « لاقول ».
[٣] - في ت: كلًّا منهم.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز، خ.
[٥] - في خ: « أخيرهم ».
[٦] - اللَّبة: الهزمة التي فوق الصدر.
[٧] - التور: الإناء
[٨] - سقط من: خ.

السماء ، لايعلم أهل السماء بما يريد اللّٰه به في الأرض حتىٰ يُعلمَهم .

ووجد في السماء الدنيا آدم ، فقال له جبريل : هذا أبوك آدم ، فسلِّمْ عليه . فسلَّمَ عليه ، وردَّ عليه آدم فقال : مرحبًا وأهلًا بابني[١] ، نعم الابن أنت ! فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطَّردان ، فقال : « **ما هذان النهران يا جبريل ؟** » قال : هذان[٢] النيل والفرات عُنصرُهما ، ثم مضىٰ به في السماء ، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر[٣] فقال : « **ما هذا يا جبريل ؟** » قال : هذا الكوثر الذي خَبَأَ لك ربُّكَ ، ثم عَرَجَ إلىٰ السماء الثانية ، فقالت الملائكة له[٤] مثل ما قالت له الأولىٰ[٥] : من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قالوا : مرحبًا وأهلًا وسهلًا ، ثم عَرَجَ به إلىٰ السماء الثالثة ، فقالوا له مثل ما قالت الأولىٰ والثانية . ثم عرج به إلىٰ السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلىٰ السماء الخامسة ، فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلىٰ السماء السادسة ، فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلىٰ السماء[٦] السابعة ، فقالوا له مثل ذلك ، كلُّ سماءٍ فيها أنبياء قد سَمَّاهم ، قد وعيت منهم إدريس في الثانية ، وهارون في الرابعة ، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمَه ، وإبراهيم في السادسة ، وموسىٰ في السابعة بفضل[٧] كلام اللّٰه - فقال موسىٰ : ربِّ ؛ لم أظنّ أن ترفع[٨] عليّ أحدًا ، ثم علا به[٩] فوق ذلك ، بما لايعلمه إلا اللّٰه - عز وجل - حتىٰ جاء سدرة المنتهىٰ ، ودنا الجبار ربُّ العزة فتدلىٰ ، حتىٰ كان منه قاب قوسين أو أدنىٰ ، فأوحىٰ اللّٰه إليه فيما يوحى خمسين صلاة علىٰ أمتك كل يوم وليلة ، ثم هبط به حتىٰ بلغ موسىٰ ، فاحتبسه موسىٰ فقال : يا محمد ؛ ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : « **عهد إليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة** » . قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك ، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم ، فالتفت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ جبريل ، كأنه يستشيره في ذلك ، فأشار إليه جبريل : أن نعم ، إن شئت . فَعَلا به إلىٰ الجبار تعالىٰ ، فقال[١٠] وهو في مكانه : « **ياربِّ ؛ خفف عنا ؛ فإن أمتي لا تستطيع هذا** » . فوضع عنه عشر صلوات ، ثم رجع إلىٰ موسىٰ فاحتبسه ، فلم يزل يردده موسىٰ [إلىٰ ربه][١١] حتىٰ صارت إلىٰ[١٢] خمس صلوات ، ثم احتبسه موسىٰ عند الخمس فقال : يا محمد ؛ واللّٰه لقد راودت

---

[١] - في خ : « يا بني » .
[٢] - في (ز ، خ) : « هذا » .
[٣] - في ز : « أدفر » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « الملائكة الأولى » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في (ز ، خ) : « بتفضيل » .
[٨] - في ز : « يرفع » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٢] - سقط من : خ .

بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا ، فضعُفوا[١] فتركوه[٢] ، فأمتك أضعفُ أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا ، فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ، ولا يكره ذلك جبريل ، فرفعه عند الخامسة فقال : « **يارِبِّ ؛ إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم ، فخفف عنا** » . فقال الجبار : يا محمد ؛ قال : « **لبيك وسعديك** » . قال : إنه لا يبدل القول لديّ ؛ كما فرضت عليك في أمّ الكتاب ، كل حسنة بعشر أمثالها ، فهي[٣] خمسون في أمّ الكتاب ، وهي خمس عليك ، فرجع إلى موسى فقال : كيف فعلت ؟ فقال : « **خفَّفَ عنا ، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها** » . فقال موسى : قد والله راودت بني إسرائيل على[٤] أدنى من ذلك فتركوه ، فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضًا . قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يا موسى ؛ قد - والله - استحييت من ربي مما أختلف إليه** » . قال : فاهبط باسم الله ، قال[٥] : فاستيقظ وهو في المسجد الحرام . هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ، ورواه في صفة النبي(٤) صلى الله عليه وسلم ، عن إسماعيل بن أبي أويس ، عن أخيه أبي بكر عبد الحميد ، عن سليمان [بن بلال .

ورواه مسلم(٥) عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان][٦] قال ، فزاد ونقص ، وقدم وأخّر ، وهو كما قاله مسلم - رحمه الله - فإن شريك بن عبد الله بن أبي نَمِر اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ولم يضبطه ، كما سيأتي بيانه في الأحاديث الأخر .

ومنهم من يجعل هذا منامًا توطئة لما وقع بعد ذلك ، والله أعلم .

[وقد قال الحافظ أبو بكر][٧] البيهقي(٦) : في حديث شريك زيادة تفرد بها ، على

---

(٤) - صحيح البخاري كتاب : المناقب ، باب كان النبي - صلى الله عليه وسلم - تنام عينه ولا ينام قلبه (٣٧٥٠) .

(٥) - صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات ، وفرض الصلوات (٢٦١) (١٦٢) .

(٦) - في « دلائل النبوة » (٢/٣٨٥) .

---

[١] - في ز ، خ : « وضعفوا » .

[٢] - في خ : « وتركوه » .

[٣] - في ز ، خ : « وهي » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « به » .

[٧] - بياض في ز ، وفي خ : « وقال » .

مذهب من زعم أنه صلىٰ اللَّه عليه وسلم رأىٰ ربه[١] يعني قوله : ثم دنا الجبار رب العزة فتدلىٰ ، فكان قاب قوسين أو أدنىٰ - قال : وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة - في حملهم هذه الآيات علىٰ رؤيته جبريل - عليه السلام - أصح .

وهذا الذي قاله البيهقي في هذه المسألة هو الحق ؛ فإن أبا ذر قال : يارسول اللَّه ؛ هل[٢] رأيت ربك ؟ قال : « نور أنَّىٰ أراه » . وفي رواية : « رأيت نورًا » . أخرجه مسلم(٧) ، رحمه اللَّه .

وقوله : ﴿ ثم دنا فتدلىٰ ﴾ إنما هو جبريل - عليه السلام - كما ثبت ذلك في الصحيحين ، عن عائشة أمّ المؤمنين(٨) ، وعن ابن مسعود(٩) ، وكذلك هو في صحيح مسلم(١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا .

وقال[٣] الإمام أحمد(١١) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت البُنَاني ، عن أنس بن مالك - رضى اللَّه عنه - أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « أُتيتُ بالبراق ، وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهىٰ طرفه ، فركبته ، فسار بي حتىٰ أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت . فأتاني جبريل بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن قال جبريل : أصبت الفطرة . قال : ثم عَرَجَ بي إلىٰ السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل[٤] : وقد

---

(٧) - صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : في قوله عليه السلام : « **نور أنى أراه** » وفي قوله : « **رأيت نورًا** » (٢٩١،٢٩٢) (١٧٨) ، وأخرجه أيضًا أحمد (١٤٧/٥،١٥٧،١٧٠،١٧٥) والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب ومن سورة النجم (٣٢٧٨) ، وسيذكره المصنف هنا بأسانيده (رقم ٢٥،٢٦) .

(٨) - تقدم تخريجه [المائدة / آية ٦٧] .

(٩) - يأتي تخريجه [النجم / آية ٩] .

(١٠) - صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى ... (٢٨٣) (١٧٥) .

(١١) - « المسند » (١٤٨/٣-١٤٩) و(١٥٣/٣) مختصرًا ، وأخرجه أيضًا (٢٨٦/٣) ومسلم ، كتاب : الإيمان باب : الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات ... (٢٥٩) (١٦٢) والنسائي في « التفسير » من الكبرى (١١٥٣٠/٦) من طرق عن حماد بن سلمة به مختصرًا ومطولًا .
وتقدم [سورة يوسف / آية ٣٤/ رقم ٥٩] مقتصرًا على حسن يوسف عليه السلام .

---

[١] - في ت : الله .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - مكانها بياض في : ز .

[٤] - في ت : « فقيل » .

أرسل إليه ؟ [قال : قد أرسل إليه][١] ، ففتح لنا ؛ فإذا أنا بآدم ، فرحب ، ودعا[٢] لي بالخير[٣] ، ثم عرج بنا إلىٰ السماء الثانية ، فاستفتح جبريل فقيل له[٤] : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بابنَي الخالة : يحيىٰ ، وعيسىٰ ، فرحبا بي ودعَوَا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا[٥] إلىٰ السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ فقال : محمد صلى الله عليه وسلم . فقيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف – عليه السلام – ، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن ، فرحب ، ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلىٰ السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : قد أرسل إليه ؟ قال : [قد أرسل إليه][٦] . ففتح الباب ؛ فإذا أنا بإدريس ، فرحب ، ودعا لي بخير . ثم قال[٧] : يقول الله : ﴿ ورفعناه مكانًا عليًا ﴾ .

ثم عرج بنا إلىٰ السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : [قد بعث إليه][٨] ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ؛ فإذا أنا بهارون فرحب ، ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلىٰ السماء السادسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ فقال[٩] : محمد . فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بموسىٰ – عليه السلام – فرحب ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلىٰ السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل[١٠] : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] – في ز ، خ : « فدعا » .
[٣] – في خ : « بخير » .
[٤] – سقط من : خ .
[٥] – في خ : « بي » .
[٦] – ما بين المعكوفتين في (ز ، خ) : « قد بعث إليه » ، والمثبت من المسند .
[٧] – سقط من : ز ، خ .
[٨] – ما بين المعكوفتين في (ز ، خ) : « قد أرسل إليه » ، والمثبت من : المسند .
[٩] – في خ : « قال » .
[١٠] – في خ : « قيل » .

لنا ، فإذا أنا بإبراهيم ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لايعودون إليه .

ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى ، فإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال . فلما غشيها من أمر اللّه ماغشيها تغيرت ، فما أحد من خلق اللّه تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها ، قال : فأوحى اللّه إليّ ما أوحى ، و[١] فرض عليَّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة ، فنزلتُ حتى انتهيت إلى موسى قال : ما فرض ربك على أمّتك ؟ قال : قلت[٢] : خمسين صلاة في كل يوم وليلة . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمّتك لاتطيق ذلك ، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخَبَرتهم . قال : فرجعت إلى ربي ؛ فقلت : أيْ ربِّ ! خَفِّفْ عن أمّتي . فحطّ عني خمسًا ، فرجعت إلى موسى ؛ فقال : ما فعلت ؟ قلت : قد حطّ عني خمسًا . قال : إن أمّتك لا تطيق ذلك ، فارجع[٣] إلى ربك ؛ فاسأله التخفيف لأمّتك . قال : فلم أزل أرجع بين ربي ، وبين موسى ، ويحطّ عني خمسًا خمسًا حتى[٤] قال : يا محمد ؛ هي[٥] خمس صلوات في كل يوم وليلة ، بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ؛ ومن همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت حسنة ، فإن عملها كتبت عشرًا . ومن همّ بسيئة ، ولم[٦] يعملها لم تكتب ، فإن عملها كُتبت سيئة واحدة . فنزلتُ حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمّتك ؛ فإنّ أمّتك لاتطيق ذلك ؛ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت » . ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ ، عن حماد بن سلمة بهذا السياق ، وهو أصحُّ من سياق شريك .

قال البيهقي(١٢) : « وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسري به - عليه الصلاة والسلام - من مكة إلى بيت المقدس » . وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ، ولا مرية .

وقال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا[٧] عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس - رضى اللّه عنه - : أن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم أُتي بالبراق ليلة أُسري به مسرجًا ملجمًا ليركبه ،

(١٢) - « دلائل النبوة » للبيهقي (٣٨٥/٢) .
(١٣) - « المسند » (١٦٤/٣) والحديث عند عبد الرزاق في تفسيره (٣٧٢/٢) ومن طريق عبد الرزاق =

[١] - زيادة من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : «وقد » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ت : « هنّ » .
[٦] - في خ : « فلم » .
[٧] - في خ : « حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان » .

فاستصعب عليه ، فقال له جبريل : ما يحملك على هذا ؟! فواللّٰه ما ركبك قط أكرم على اللّٰه منه . قال : فَارْفَضَّ عَرَقًا .

ورواه الترمذي ، عن إسحاق بن منصور ، عن عبد الرزاق ، وقال : [غريب لانعرفه إلا من حديثه](*) .

وقال أحمد أيضًا(١٤) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثني راشد بن سعد[١] ، وعبد الرحمن بن جبير ، عن أنس قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « لما عرج بي إلى[٢] ربي - عز وجل - مررت بقوم لهم أظفار من نُحاس ، يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم » .

وأخرجه أبو داود من حديث صفوان بن عمرو به . ومن وجه آخر ليس فيه أنس ، فاللّٰه أعلم .

وقال أيضًا(١٥) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن أنس قال : قال

= أخرجه أيضًا الترمذي كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بني إسرائيل . (٣١٣٠) وعبد بن حميد في « المنتخب » (١١٨٥) وأبو يعلى في مسنده (٣١٨٤/٥) ، والآجري في « الشريعة » (١٠٨٧/٢) وابن جرير (١٥/١٥) والبيهقي في « الدلائل » (٣٦٢/٢-٣٦٣) وأبو نعيم في « الدلائل » وابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٢٧٦/٤) ، وصححه ابن حبان (١/رقم ٤٧) من طريق أحمد ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق » وأشار إليه الحافظ في « الفتح » (٢٠٦/٧-٢٠٧) وقال « أخرجه الترمذي وقال حسن غريب . وصححه ابن حبان » ، وصحح إسناده الألباني في « صحيح الترمذي » (٢٥٠٣/٣) رجاله ثقات وإسناده على شرط الشيخين لكن قتادة مدلس ولم أجده صرح بالسماع عند الجميع والله أعلم . وروى من طريق آخر عن أنس وهو الآتي برقم (٢٠) .

(١٤) - « المسند » (٢٢٤/٣) وأخرجه أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : في الغيبة (٤٨٧٨،٤٨٧٩) وابن أبي الدنيا في « كتاب الصمت » (رقم ٥٧٧) من طريق أبي المغيرة به . وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضًا (رقم ١٦٥) من طريق أبي المغيرة به ليس فيه راشد بن سعد . وأخرجه أبو داود من طريق يحيى بن عثمان عن بقية عن صفوان به ليس فيه أنس . ومثل هذا لا يعله لأن أبا المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج ثقة من رجال الجماعة . ثم إن الناس رووه عن بقية موصولًا - انظر « الصحيحة » للألباني (٢/رقم ٥٣٣) - « وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء » (١٧٣٤/٤ - المستخرج) . « رواه أبو داود مسندًا ومرسلًا ، والمسند أصح » .

(١٥) - « المسند » (١٢٠/٣) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل موسى - صلى الله عليه وسلم - (١٦٥) (٢٣٧٥) من طريق عبدة بن سليمان عن سفيان عن سليمان التيمي ، سمعت =

(*) ما بين المعكوفتين في النسخة المطبوعة « وتحفة الأشراف » (١/رقم١٣٤١) : « حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق .

[١] - في خ : « سعيد » . [٢] - سقط من ز .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسري بي علىٰ موسىٰ - عليه السلام - قائما يصلي في قبره »

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن سليمان بن طرخان التيمي وثابت البناني ، كلاهما عن أنس .

[قال النسائي : وهذا أصح من رواية من قال : سليمان ، عن ثابت ، عن أنس][١] .
وقال أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده(١٦) : حدثنا وهب بن بقية ، حدثنا خالد ، عن التيمي ، عن أنس قال : أخبرني بعض أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ليلة أسري به مرّ علىٰ موسىٰ ، وهو يصلي في قبره .

وقال أبو يعلىٰ(١٧) : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عَرْعَرة ، حدثنا معتمر ، عن أبيه قال : سمعت أنسًا : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ليلةَ أُسْرِي به مَرَّ بموسىٰ ، وهو يصلي في قبره - قال أنس : ذكر أنه حمل علىٰ البراق ، فَأَوْثَقَ الدَّابةَ ، أو قال : الفرس ، قال أبو بكر : صفها لي ! فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : [« هي كذه وذه »][٢] .
فقال : أشهد أنك رسول الله ، وكان أبو بكر - رضي الله عنه - قد رآها .

= أنسًا يقول ... فذكره وأخرجه مسلم (١٦٥) والنسائي (٣/٢١٦) من طرق عن سليمان التيمي به ، وأخرجه أحمد (٣/١٤٨،٢٤٨) ومسلم (١٦٤،١٦٥) (٢٣٧٥) والنسائي (٣/٢١٥،٢١٦) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني وسليمان التيمي عن أنس به وقال النسائي (٣/٢١٥-٢١٦) : « هذا أولى بالصواب عندنا من حديث معاذ بن خالد » - حيث قال : أنبأنا حماد بن سلمة عن سليمان التيمي عن ثابت عن أنس الحديث .

(١٦) - مسند أبي يعلى (٧/٤٠٦٧) ، وخالد هو ابن عبد الله الواسطي ، ثقة ثبت . والتيمي هو سليمان بن طرخان ، وانظر ما قبله وما بعده .

(١٧) - كسابقه ، مسند أبي يعلى (٧/٤٠٨٤) وشيخ أبي يعلى ثقة حافظ لكن تكلم أحمد في بعض سماعه ، ومعتمر هو ابن سليمان التيمي ، ثقة وانظر ما قبله ، وأخرجه أبو يعلى أيضًا (٦/٣٣٢٥) وعنه أبو حاتم بن حبان في « صحيحه » (١/رقم ٥٠) حدثنا هدبة وشيبان قالا : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ... فذكره بنحو اللفظ المتقدم برقم (١٥) .

وقال أبو حاتم عقبه : « الله جَلَّ وعلا قادرٌ على ما يشاءُ ، ربما يَعِدُ الشيءَ لوقتٍ معلوم ، ثُمَّ يقضي كونَ بعضِ ذلك الشيءِ قبلَ مجيءِ ذلكَ الوقت ، كوعدِه إحياءَ الموتى يومَ القيامة وجعله محدودًا ، ثم قضى كونَ مثله في بعضِ الأحوال ، مثل مَنْ ذكرهُ اللّهُ وجعله اللّه جلَّ وعلا في كتابِهِ حيثُ يقولُ : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ إلى آخر الآية [البقرة : ٢٥٩] =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ذكر كلمة » ، وسقط من مسند أبي يعلى .

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسنده(١٨) : حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « [بينا أنا نائم][١] إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي ، فقمت إلىٰ شجرة فيها كوَكْرَي الطير ، فقعد في أحدهما ، وقعدت في الآخر ، فَسَمَتْ وارتفعت حتىٰ سدّت الخافقين ، وأنا أقلب طرفي ،

= وكإحياء اللَّهِ جلَّ وعلا لعيسى ابنِ مريم صلواتُ اللَّهِ عليه بعضَ الأموات .

فلما صحَّ وجودُ كونِ هذه الحالةِ في البشر ، إذا أراده اللَّهُ جلَّ وعلا قبل يومِ القيامة ، لم يُنْكَرْ أَنَّ اللَّه جلَّ وعلا أحيا موسى في قبره حتى مرَّ عليه المصطفى صلى اللَّه عليه وسلم ليلةَ أُسري به ، وذاك أَنَّ قبرَ موسى بمدين بين المدينة وبين بيتِ المقدس ، فرآه صلى اللَّهُ عليه وسلم يَدْعُو في قَبْرِهِ - إذ الصَّلَاةُ دُعَاءٌ - فَلَمَّا دَخَلَ صلى اللَّهُ عليه وسلم بَيْتَ المَقْدِسِ وأُسري به ، أُسري بموسى حتى رآه في السماء السادسة ، وجرى بينه وبينه من الكلام ما تقدَّم ذكرنا له ، وكذلك رؤيتُه سائرَ الأنبياء الذين في خبر مالك بن صَعْصَعَة .

(١٨) - أخرجه البزار (١/رقم ٥٨- كشف الأستار) ، وأخرجه ابن خزيمة في « التوحيد » (٥٢٠/٢) والطبراني في « الأوسط » (٦٢١٤/٦) وأبو نعيم في « الحلية » (٣١٦/٢) ، والبيهقي في « الدلائل » (٢/ ٣٦٨-٣٦٩) وفي « شعب الإيمان » (١/رقم ١٥٥) من طريق سعيد بن منصور به ، وأخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١٣٥/١) أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، أخبرنا الحارث بن عبيد به ، وزاد نسبته السيوطي في « الخصائص الكبرى » (١٥٧/١) إلى ابن مردويه وابن عساكر وقال البزار : « وهذا لا نعلم رواه إلا أنس ولا رواه عن أبي عمران إلا الحارث بن عبيد ، وكان بصريًّا مشهورًا » ، وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن أبي عمران الجوني إلا الحارث » وقال أبو نعيم : « غريب لم نكتبه إلا من حديث أبي عمران عن أنس تفرد به عنه الحارث بن عبيد أبو قدامة » .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (٨٠/١) وقال : « رواه البزار والطبراني في « الأوسط » ورجاله رجال الصحيح » وقال ابن حجر في « الفتح » (٦٠٩/٨) : « أخرجه البزار وقال : تفرد به الحارث بن عمير وكان بصريا مشهورًا . قلت : وهو من رجال البخاري » .

قلت : البخاري إنما أخرج له متابعة في موضعين - كما في « التهذيب » (٣٣٤/١) - ، والحارث هذا ضعفه ابن معين ، وقال أحمد : مضطرب الحديث . وقال أبو حاتم والنسائي : ليس بالقوي . وقال ابن حبان في « المجروحين » : كان شيخًا صالحًا ممن كثر وهمه ، حتى خرج عن جملة من يحتج بهم إذا انفردوا » ، وقال الساجي : « صدوق عنده مناكير » .

وقد رواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطارد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان في ملأ من أصحابه ، فذكر الحديث بنحوه أخرجه البيهقي في « الشعب » (١/رقم١٥٦) - وعلقه في « الدلائل » (٣٦٩/٢) - والبغوي في « شرح السنة » (٣٦٨٢/١٣) وقال : « هذا حديث مرسل » .

قلت : ومحمد بن عمير ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٤٠/٨) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ ، وفي كشف الأستار و « المجمع » وغيرهما : « بينا أنا قاعد » .

ولو شئت أن أمس السماء لمسست ، فالتفت إلى جبريل عليه السلام كأنه حِلْسٌ لاطٍ(*) ، فعرفت فضل علمه بالله عليّ ، وفُتح لي بابٌ من أبواب السماء ، فرأيت النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب رفرف الدر و الياقوت ، وأوحي إليّ ماشاء الله أن يوحىٰ » . ثم قال : [ولا نعلم روىٰ هذا الحديث] إلا أنس ، ولا نعلم رواه عن أبي عمران الجوني إلا الحارث بن عبيد ، وكان رجلًا مشهورًا من أهل البصرة .

ورواه الحافظ البيهقي في الدلائل ، عن أبي بكر القاضي ، عن أبي جعفر محمد بن علي ابن دحيم ، عن محمد بن الحسين بن أبي الحسين[١] ، عن سعيد بن منصور .. فذكر بسنده مثله . ثم قال : وقال غيره في هذا الحديث في آخره : « ولُطَّ دوني ، أو قال : دون الحجاب ، رفرف الدر والياقوت » . ثم قال : هكذا رواه الحارث بن عبيد ، ورواه حماد بن سلمة ، عن أبي عمران الجوني ، عن محمد بن عمير بن عطارد : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان في مَلأ من أصحابه ، فجاءه جبريل ، فنكت في ظهره ، فذهب به إلىٰ الشجرة ، وفيها مثل وَكْرَي الطير ، فقعد في أحدهما ، وقعد جبريل في الآخر فتسامت[٢] بنا حتىٰ بلغت الأفق ، فلو بسطت يدي إلىٰ السماء لنلتها ، فدُلّيَ بسبب ، وهبط [ ][٣] النور ، فوقع جبريل مغشيًّا عليه كأنه حِلْسٌ ، فعرفت فضل خشيته علىٰ خشيتي ، فأوحىٰ إليّ نبيًّا ملكًا ، أو نبيًّا عبدًا ، وإلىٰ الجنة ما أنت ؟ فأومأ إليَّ جبريل ، وهو مضطجع ؛ أن تواضع - قال : قلت : لا ، بل نبيًّا عبدًا .

قلت : وهذا إن صح يقتضي أنها واقعة غير ليلة الإسراء ؛ فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ، ولا الصعود إلىٰ السماء ، فهي كائنة غير ما نحن فيه ، والله أعلم .

وقال البزار أيضًا : حدثنا عمرو بن عيسىٰ ، حدثنا أبو بحر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس - رضي الله عنه - أن محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم رأىٰ ربه - عز وجل - و[٤]هذا غريب .

وقال أبو جعفر بن جرير(١٩) : حدثنا يونس ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثنا

(*) أي لاصق بالأرض .

(١٩) - تفسير ابن جرير (٦/١٥) ، وأخرجه البيهقي في « الدلائل » (٣٦٢/٢) من طريق عبد الله بن وهب به ، ورجاله ثقات غير عبد الرحمن بن هاشم هذا فإني لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من الكتب ، والعلم عند الله تعالى ، والحديث فيه غرابة ونكارة كما قال « المصنف » : ولعلها من عبد الرحمن هذا ؛ لأن من دونه ثقات ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٦٢/٤) إلى ابن مردويه .

---

[١] - في خ : « الحنين » . [٢] - في خ : « إلى » .

[٣] - في ز ، خ « فنشأت » . [٤] - سقط من : خ .

يعقوب بن عبد الرحمن الزهري ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بالبراق فكأنها أمرّت ذنبها ، فقال لها جبريل :مه يا براق . فوالله إنْ رَكِبَكَ مثله[١] . وسار رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، فإذا هو بعجوز علىٰ جانب الطريق ، فقال : « **ما هذه يا جبريل ؟** » قال : سر يا محمد ؛ قال : فسار ماشاء اللّٰه أن يسير ، [فإذا شيء يدعوه متنحيًا عن الطريق يقول[٢] : هلمَّ يامحمد ؛ فقال له جبريل : سر يامحمد . فسار ما شاء اللّٰه أن يسير][٣] ، قال : فلقيه خلق من الخلق فقالوا : السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر ، فقال له جبريل : اردد السلام يامحمد ، فرد السلام ، ثم لقيه الثانية[٤] فقال له مثل مقالته الأولىٰ[٥] ، ثم الثالثة كذلك ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ بيت المقدس . فعرض عليه الماء والخمر واللبن ، فتناول رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم اللبن ، فقال له جبريل : أصبت الفطرة ، ولو شربتَ الماء لغرقْتَ وغرقَتْ أمتك ، ولو شربت الخمر لغَوَيت ولَغَوَتْ أمتك ، ثم بُعِثَ له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام ، فأمَّهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تلك الليلة . ثم قال له جبريل : أما العجوز التي[٦] رأيت علىٰ جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز ، وأما الذي أراد أن تميل إليه ، فذاك عدو اللّٰه إبليس ، أراد أن تميل إليه . وأما الذين سلّموا عليك ؛ فإبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ عليهم الصلاة والسلام .

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في « دلائل النبوة » من حديث ابن وهب ، وفي بعض ألفاظه نكارة وغرابة .

(طريق أخرىٰ) عن أنس بن مالك ، وفيها غرابة ونكارة جدًّا ، وهي في سنن النسائي المجتبىٰ ، ولم أرها في الكبير ، قال(٢٠) : أخبرنا عمرو[٧] بن هشام ، حدثنا مخلد - هو ابن الحسين - عن سعيد بن عبد العزيز، حدثنا يزيد بن أبي مالك ، حدثنا أنس بن مالك : أن رسول اللّٰه صلي اللّٰه عليه وسلم قال : « أُتيت بدابة فوق الحمار ، ودون البغل ، خَطْوُها عند

(٢٠) - « السنن الصغرى » للنسائي (٢٢٣:٢٢١/١) ورجاله ثقات غير يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك وسمه الحافظ في « التقريب » بأنه « صدوق وربما وهم » ، وقد أفاد المصنف بأن الحديث فيه غرابة ونكارة جدًّا . وزاد نسبته السيوطي « في الدر المنثور » (٢٦٠/٤) إلى ابن مردويه .

[١] - في ت : « مثاله » .
[٢] - في خ : « قال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في تفسيره : « الثاني » .
[٥] - في تفسيره : « الأولين » .
[٦] - في ز : « الذي » .
[٧] - في ز : « عمر » .

منتهىٰ طرفها ، فركبت ومعي جبريل - عليه السلام - فسرتُ فقال : انزل فَصَلِّ فصليت[١] ، فقال أتدري أين صليت ؟ صليت[٢] [بِطَيْبَة وإليها المُهَاجَر ثمّ قال : انزل فصلِّ ، فصليت فقال : أتدري أين صليت ؟][٣] صليت بطور سيناء حيث كلّم اللّٰه موسىٰ . ثم قال : انزل فصل ، فنزلت[٤] فصليت فقال : أتدري أين صليت ؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسىٰ - عليه السلام - ، ثم دخلت[٥] بيت المقدس ، فجمع لي الأنبياء - عليهم السلام - فقدمني جبريل - عليه السلام - حتىٰ أممتهم ، ثم صُعد بي إلىٰ السماء [الدنيا ، فإذا فيها آدم - عليه السلام - ثم صعد بي إلىٰ السماء][٦] الثانية[٧] ، فإذا فيها ابنا الخالة عيسىٰ ويحيىٰ - عليهما السلام - ثم صعد بي إلىٰ السماء الثالثة ، فإذا فيها يوسف - عليه السلام - ثم صعد بي إلىٰ السماء الرابعة ، فإذا فيها هارون ، عليه السلام ، ثم صعد بي إلىٰ السماء الخامسة ، فإذا فيها إدريس - عليه السلام - ثم صعد بي إلىٰ السماء السادسة ، فإذا فيها موسىٰ - عليه السلام - ثم صعد بي إلىٰ السماء السابعة ، فإذا فيها إبراهيم - عليه السلام - ثم صعد بي فوق سبع سماوات ، وأتيت سدرة المنتهىٰ ، فغشيتني ضبابة ، فخررت[٨] ساجدًا ، فقيل لي : إني يوم خلقتُ السماوات والأرض ، فرضتُ عليك ، وعلىٰ أمتك خمسين صلاة ، فقم بها[٩] أنت وأمتك ؛ [فرجعت إلى إبراهيم فلم يسألني عن شيء ، ثم أتيت موسىٰ فقال : كم فرض اللّٰه عليك وعلىٰ أمتك ؟][١٠] [قلت : خمسين صلاة][١١] قال : فإنك[١٢] لاتستطيع [ ][١٣] أن تقوم بها ، لا أنت ولا أمتك ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف . فرجعت إلىٰ ربي ، فخفف عني عشرًا ، ثم أتيت موسىٰ فأمرني بالرجوع ، فرجعت فخفف عني عشرًا ، ثم رُدَّتْ[١٤] إلىٰ خمس صلوات ، قال : فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ، فإنه فرض علىٰ بني إسرائيل صلاتين ، فما قاموا بهما[١٥] . فرجعت إلىٰ ربي - عز وجل - فسألته التخفيف ، فقال : إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك ، وعلى أمتك خمسين[١٦] صلاة[١٧] ،

---

[١] - في المجتبى : « ففعلت » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - زيادة من المجتبى .
[٥] - في ز ، خ : « أدخل » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز : « خررت » .
[٩] - في ز ، خ : « فيها » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١١] - مكرر في ز .
[١٢] - مكانها بياض في خ .
[١٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « بها » .
[١٤] - في ز : « ردبت » .
[١٥] - في خ : « بها » .
[١٦] - في ز ، خ : « خمس » .
[١٧] - في ز ، خ : « صلوات » .

فخمس بخمسين ، فقم بها أنت وأمتك ، قال[١] : فعرفت أنها من اللَّه - عز وجل - صِرَّىٰ فرجعت إلىٰ موسىٰ - عليه السلام - فقال : ارجع . فعرفت أنها من اللَّه - عز وجل - صِرَّىٰ ، يقول : أي : حتم - فلم أرجع » .

(طريق أخرىٰ) وقال ابن أبي حاتم(٢١) : حدثني أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : لما كان ليلة أسري برسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ بيت المقدس ، أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل ، حمله جبريل عليها ، ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس ، وبلغ[٢] المكان الذي يقال له : « باب محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم » أتىٰ إلىٰ الحجر الذي ثَمَّة ، فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ، ثم ربطها ، ثم صعد ، فلما استويا في صرحة المسجد ، قال جبريل : يا محمد ؛ هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ فقال : « نعم » فقال : فانطلق إلىٰ أولئك النسوة ، فسلِّم عليهن ، وهن جلوس عن يسار الصخرة ، قال : « فأتيتهن فسلمت عليهن ، فرددن عليّ السلام ، فقلت : من أنتن ؟ » فقلن : نحن خَيْرات حسان ، نساء قوم أبرار ، نَقُوا فلم يَدْرَنوا . وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا . قال : ثم انصرفت ، فلم ألبث إلا يسيرًا حتىٰ اجتمع ناس كثير ، ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة - قال : فقمنا صفوفًا ننتظر من يؤُمُّنا . فأخذ بيدي جبريل - عليه السلام - فقدمني ، فصليت بهم . فلما انصرفت قال جبريل : يا محمد ؛ أتدري من صلىٰ خلفك ؟ قال : قلت : « لا » . قال : صلىٰ خلفك كل نبي بعثه اللَّه ، عز وجل .

قال : ثم أخذ بيدي جبريل ، فصعد بي إلىٰ السماء ، فلما انتهينا إلىٰ الباب استفتح ، فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بُعث ؟ قال : نعم . قال : ففتحوا له ، وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك . قال : فلما استوىٰ علىٰ ظهرها إذا فيها آدم ، فقال لي جبريل : يا محمد ؛ ألا تسلِّم علىٰ أبيك آدم ؟ قال : قلت : بلىٰ ، فأتيته فسلمت عليه ، [فرد عليّ][٣] وقال : مرحبًا بابني ، والنبي الصالح - قال : ثم عرج بي إلىٰ السماء الثانية فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث إليه[٤] ؟ قال : نعم . ففتحوا له وقالوا : مرحبًا بك ، وبمن معك . فإذا فيها عيسىٰ ، وابن خالته يحيىٰ عليهما السلام . قال : ثم

---

(٢١) - غير موجود في تفسيره المطبوع و وقد عزاه إليه أيضًا السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٢٦١-٢٦٢) ، وانظر ما قبله .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « فبلغ » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من ز .

عرج بي إلىٰ السماء الثالثة ، فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث إليه[١] ؟ قال : نعم . ففتحوا له[٢] وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك . فإذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم عرج بي إلىٰ السماء الرابعة ؛ فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث إليه[٣] ؟ قال : نعم [ ][٤] ، ففتحوا له ، وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك . فإذا فيها إدريس – عليه السلام – قال : [فعرج بي][٥] إلىٰ السماء الخامسة فاستفتح قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث إليه[٦] ؟ قال : نعم ، ففتحوا له[٧] ، وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك . فإذا فيها هارون – عليه السلام – قال[٨] : ثم عرج بي إلىٰ السماء السادسة فاستفتح قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم . ففتحوا له[٩] وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك ، [وإذا فيها موسىٰ – عليه السلام – ثم عرج بي إلىٰ السماء السابعة فاستفتح جبريل ، فقالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . ففتحوا له وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك][١٠] ، وإذا[١١] فيها إبراهيم[١٢] – عليه السلام – فقال جبريل : يا محمد ؛ ألا تسلِّم علىٰ أبيك إبراهيم ؟ قال : قلت[١٣] : بلىٰ . فأتيته فسلمت عليه ، فرد عليَّ السلام وقال : مرحبًا بك يا بني ، والنبي الصالح .

ثم انطلق بي علىٰ ظهر السماء السابعة ، حتىٰ انتهىٰ بي إلىٰ نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد ، وعليه طير خضر ، أنعم طير رأيت . فقلت : ياجبريل ؛ إن هذا الطير لناعم ؟ قال : [يامحمد ،][١٤] آكله أنعم منه . ثم قال : يا محمد ، أتدري أيّ نهر هذا ؟ قال[١٥] : قلت : لا قال : هذا الكوثر الذي أعطاك اللّٰه إياه . فإذا فيه آنية الذهب والفضة ، يجري علىٰ رَضْرَاض[١٦] من الياقوت والزمرد ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن . قال : فأخذت منه آنية من الذهب ، فاغترفت من ذلك الماء فشربت ، فإذا هو أحلىٰ من العسل ،

---

[١] – سقط من ز .
[٢] – سقط من ز .
[٣] – سقط من ز .
[٤] – ما بين المعكوفتين في خ : « معًا » .
[٥] – ما بين المعكوفتين في خ : « ثم عرج به » .
[٦] – سقط من ز .
[٧] – سقط من : ز .
[٨] – سقط من : ت .
[٩] – سقط من ز .
[١٠] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١١] – في ز ، خ : « فإذا » .
[١٢] – « لعله موسى » على هامش المخطوط .
[١٣] – سقط من : ز ، خ .
[١٤] – سقط من : خ .
[١٥] – سقط من : ز ، خ .
[١٦] – الرضراض : الحصى الصغار .

وأشد[١] رائحة من المسك ، ثم انطلق بي حتىٰ انتهيت إلىٰ الشجرة ، فغشيتني سحابة فيها من كل لون ، فرفضني جبريل ، وخررت ساجدًا للَّه - عز وجل - فقال اللَّه لي : يامحمد ؛ إني يوم خلقت السموات والأرض ، فرضت عليك وعلىٰ أمتك خمسين صلاة ، فقم بها أنت وأمتك . قال : ثم انجلت عني السحابة ، وأخذ بيدي جبريل ، فانصرفت سريعًا . فأتيت علىٰ إبراهيم فلم يقل لي شيئًا ، ثم أتيت علىٰ موسىٰ ، فقال ما صنعت يا محمد ؟ فقلت[٢] : فرض ربي عليّ وعلىٰ أمتي خمسين صلاة . قال : فلن تستطيعها أنت ولا أمتك ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله أن يخفف عنك فرجعت سريعًا حتىٰ انتهيت إلىٰ الشجرة ، فغشيتني السحابة ، ورفضني جبريل ، وخررت ساجدًا ، وقلت : ربِّ ، إنك فرضت عليّ وعلىٰ أمتي خمسين صلاة ، ولن أستطيعها أنا ولا أمتي ، فخفف عنا . قال : قد وضعت عنكم عشرًا . قال[٣] : ثم انجلت عني السحابة ، وأخذ بيدي جبريل ، فانصرفت[٤] سريعًا ، حتىٰ أتيت علىٰ إبراهيم فلم يقل لي شيئًا ، ثم أتيت علىٰ موسىٰ فقال لي : ما صنعت يا محمد ؟ فقلت : وضع ربي عني عشرًا . قال أربعون صلاة ! لن تستطيعها أنت ولا أمتك ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله أن يخفف عنكم » . فذكر الحديث كذلك إلىٰ خمس صلوات ، وخمس بخمسين ، ثم أمره موسىٰ أن يرجع فيسأله التخفيف فقلت : « إني قد استحييت منه تعالىٰ » .

قال : ثم انحدر فقال[٥] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لجبريل : « مالي لم آت على سماء إلا رحبوا بي ، وضحكوا إليّ غير رجل واحد ، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ، ورحب[٦] بي ، ولم يضحك إليّ ؟ قال : يا محمد ؛ ذاك مالك خازن جهنم ، لم يضحك منذ خلق ، ولو ضحك إلىٰ أحد لضحك إليك » .

قال : ثم ركب منصرفًا ، فبينا[٧] هو في بعض طريقه مر بعير لقريش تحمل طعامًا ، منها جمل عليه غرارتان : وغرارة[٨] سوداء ، وغرارة بيضاء ، فلما حاذىٰ بالعير نفرت منه واستدارت ، وصرع ذلك البعير وانكسر .

ثم إنه مضىٰ فأصبح ، فأخبر عما كان ، فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر فقالوا : يا أبا بكر ؛ هل لك في صاحبك ؟ يخبر[٩] أنه أتىٰ في ليلته هذه مسيرة شهر ثم رجع في

---

[١] - في ز ، خ : « وألذ » .
[٢] - في خ : « فقال » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « وانصرفت » .
[٥] - فيخ : « قال » .
[٦] - في ز ، خ : « فرحب » .
[٧] - في ز : « فبينما » ، خ : « فينما » .
[٨] - في خ : «وغرارة» .
[٩] - في ز : « غير » .

ليلته ، فقال أبو بكر - رضي اللَّه عنه - : إن كان قاله فقد صدق ، وإنا لنصدقه[١] فيما هو أبعد من هذا ، نصدقه على خبر السماء .

فقال المشركون لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ما علامة ما تقول ؟ قال : « مررت بعير لقريش ، وهي في مكان كذا وكذا ، فنفرت العير منا واستدارت ، وفيها [بعير عليه][٢] غرارتان : غرارة سوداء وغرارة بيضاء ، فصرع ؛ فانكسر » . فلما قدمت العير سألوهم ؛ فأخبروهم الخبر علىٰ مثل[٣] ما حدثهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، [ومن ذلك][٤] سُمي أبو بكر الصديقَ .

وسألوه فقالوا[٥] : هل كان معك فيمن حضر موسىٰ وعيسىٰ ؟ قال : « نعم » . قالوا : فصفهم ؟ قال : « نعم . أما موسىٰ : فرجل آدم ، كأنه من رجال أزدعمان[٦] ، وأما عيسىٰ فرجل ربعة ، سبط ، تعلوه[٧] حمرة[٨] ، كأنما يتحادر من شعره الجُمَان » . هذا[٩] سياق فيه غرائب عجيبة .

(رواية أنس - رضي اللَّه عنه - عن مالك بن صعصعة) قال الإمام أحمد(٢٢) :

حدثنا عفان ، حدثنا همام قال : سمعت قتادة يحدث ، عن أنس بن مالك : أن مالك ابن صَعْصَعَة حدثه : أن [نبي اللَّه][١٠] صلىٰ اللَّه عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به ، قال : « بينما أنا في الحَطِيم - وربما قال قتادة : في الحِجْر - مضطجعًا ، إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة ، قال : فأتاني فقدّ[١١] - وسمعت قتادة يقول : فشق - ما بين هذه إلىٰ هذه » . وقال قتادة : فقلت للجارود ، وهو إلىٰ جنبي : ما يعني ؟ قال : من ثُغرة نحره إلىٰ شعرته ، وقد سمعته يقول[١٢] له[١٣] : من قصته إلىٰ شعرته - قال :

(٢٢) - « المسند » (٢٠٨/٤) وأخرجه أيضًا (٢٠٧/٤،٢٠٨،٢١٠) ، والبخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة (٣٢٠٧) ومسلم : كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات - (٢٦٤) (١٦٤) ، والترمذي : كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ألم نشرح (٣٣٤٣) ، والنسائي ، كتاب : الصلاة ، باب : فرض الصلاة ... (٢١٧/١) من طرق عن قتادة به مطولًا مختصرًا .

[١] - في ز ، خ : « لنصدقنه » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في خ : « وقالوا » .
[٦] - في ز : « أرعمان » ، خ : « أروعمان » .
[٧] - في ز : « يعلوه » .
[٨] - في ت : « حمزة » .
[٩] - في ت : « هذه » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في خ : « النبي » .
[١١] - في خ : « وقد » .
[١٢] - مكررة في خ .
[١٣] - زيادة من : خ .

« فاستخرج قلبي - قال : فأتيت بطست من ذهب مملوء إيمانًا وحكمة ، فغسل قلبي ، ثم حشي ، ثم أعيد ؛ ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض - قال : فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : نعم ، يقع خطوه عند أقصىٰ طرفه - قال : « فحملت عليه ، فانطلق بي جبريل عليه السلام ، حتىٰ أتىٰ بي إلىٰ السماء الدنيا ، فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو[١] قد أرسل [ ][٢] إليه ؟ قال : نعم . فقيل[٣] : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء ! قال : ففتح ، فلما خلصت ؛ فإذا فيها آدم - عليه السلام - فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه [فرد السلام][٤] ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتىٰ أتىٰ السماء الثانية ، فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو[٥] قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء قال : ففتح ، فلما خلصت ، فإذا عيسىٰ ويحيىٰ وهما ابنا الخالة قال : هذان[٦] يحيىٰ وعيسىٰ ؛ فسلم عليهما قال : فسلمت فردا السلام ، [ثم قالا][٧] : مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتىٰ أتىٰ السماء الثالثة ، فاستفتح ؛ فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو[٨] قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء ! قال : ففتح لنا[٩] ، فلما خلصت ؛ فإذا يوسف[١٠] - عليه السلام - قال : هذا يوسف[١١] . قال : فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتىٰ أتىٰ السماء الرابعة فاستفتح جبريل[١٢] فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو[١٣] قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء قال : ففتح لهما[١٤] ، فلما خلصت ؛ فإذا إدريس قال : هذا إدريس

---

[١] - في خ : « و » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « عليه » .
[٣] - في خ : « قال » .
[٤] - في خ : « ثم رد » .
[٥] - في خ : « و » .
[٦] - في خ : هذا .
[٧] - في خ : « قالا ثم » .
[٨] - في خ : « و » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - [١١] - في ز ، خ : « إدريس » وعلى هامش المخطوط « لعله يوسف » .
[١٢] - سقط من ز .
[١٣] - في خ : « و » .
[١٤] - سقط من ز .

[فسلم عليه][١] . قال : فسلمت عليه . فردّ السلام ، ثم[٢] قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم صعد حتىٰ أتىٰ السماء الخامسة ؛ فاستفتح ؛ فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوَ[٣] قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء ، قال : ففتح لنا ، فلما خلصت ؛ فإذا هارون - عليه السلام - قال : هذا هارون فسلِّم عليه . قال[٤] : فسلمت عليه . فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

قال : ثم صعد حتىٰ أتىٰ السماء السادسة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء ؛ ففتح لهما[٥] ، فلما خلصت ؛ فإذا أنا بموسىٰ قال : هذا موسىٰ - عليه السلام - [فسلم عليه][٦] . فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبي الصالح . قال[٧] : فلما تجاوزته[٨] بكىٰ ، قيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي ، لأن غلامًا بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي .

قال : ثم صعد حتىٰ أتىٰ السماء السابعة ؛ فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء قال : ففتح لنا[٩] ، فلما خلصت فإذا إبراهيم - عليه السلام - فقال : هذا إبراهيم عليه السلام فسلم عليه . قال : فسلمت عليه ؛ فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح ، والنبي الصالح .

قال : ثم رفعت إلى سدرة المنتهىٰ ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفِيَلَة ، فقال[١٠] : هذه سدرة المنتهىٰ ، قال : وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذا ياجبريل ؟ قال : أما الباطنان : فنهران في الجنة ، وأما الظاهران : فالنيل والفرات .

قال : ثم رفع إلى البيت المعمور -

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « و » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز ، خ : « تجاوزت » .
[٩] - سقط من : ز ، في خ : « لهما » .
[١٠] - في خ : « قال » .

قال قتادة : وحدثني الحسن ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه رأىٰ البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون فيه ، ثم رجع إلىٰ حديث أنس - [قال : ثم][١] أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل - قال : فأخذت اللبن ، قال : هذه الفطرة ، وأنت عليها وأمّتك .

قال : ثم فرضت الصلاة خمسين صلاة كل يوم قال - : فنزلت حتىٰ انتهيت إلى موسىٰ قال : ما فرض ربك علىٰ أمتك ؟ قال : فقلت[٢] : خمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ، وإني قد خَبَرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف عن أمتك . قال : فرجعت فوضع عني عشرًا ، قال : فرجعت إلىٰ موسىٰ ؛ فقال : بم أمرت ؟ قلت[٣] : بأربعين صلاة كل يوم . قال[٤] : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، و[٥]إني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فوضع عني عشرًا أُخَر ، فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال : بم أمرت ؟ فقلت : أمرت بثلاثين صلاة . قال : إن أمتك لاتستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك[٦] وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فوضع عني عشرًا أخر ، فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال : بم أمرت ؟ قلت[٧] : بعشرين صلاة كل يوم . فقال : إن أمتك لاتستطيع عشرين[٨] صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك[٩] . قال : فرجعت فوضع عني عشرًا أخر ، فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال : بم أمرت ؟ فقلت : أمرت بعشر صلوات في كل يوم . فقال : إن أمتك لا تستطيع عشر[١٠] صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، [فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال : بم أمرت ؟ فقلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم][١١] . فقال[١٢] : إن أمتك لاتستطيع خمس[١٣] صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلىٰ

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « قال » .
[٤] - مكرر في خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز : « قال » .
[٨] - في ز ، خ : « لعشرين » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز ، خ : « لعشر » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٢] - في خ : « قال » .
[١٣] - في ز : « لخمس » .

ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : قلت : قد[١] سألت ربي حتىٰ استحييت منه ، ولكني أرضىٰ وأسلم ، فنفذت فنادىٰ مناد : قد أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي » .
وأخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة بنحوه .

رواية أنس عن أبي ذر .

قال البخاري(٢٣) : حدثنا يحيىٰ بن بكير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر - رضي اللَّه عنه - يحدث : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال[٢] : « فرج سقف بيتي ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، ففرج[٣] صدري [ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا ، فأفرغه في صدرى][٤] ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى فعرج بي إلى السماء ، فلما جئت إلىٰ السماء قال جبريل لخازن السماء : افتح . قال : من هذا ؟ قال : جبريل . قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معي محمد . فقال : أرسل إليه ؟ قال : نعم[٥] . فلما فتح علونا السماء الدنيا ، وإذا رجل قاعد علىٰ يمينه أسودة(*) ، وعلىٰ يساره أسودة ، فإذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكىٰ ، فقال : مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا[٦] آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه ، وعن شماله نَسَمُ[٧] بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر عن شماله بكىٰ .

ثم عرج بي إلىٰ السماء الثانية ؛ فقال لخازنها : افتح [ ][٨] فقال [له خازنها][٩] مثل ماقال له[١٠] الأول ففتح ، قال أنس : فذكر أنه وجد في السماوات آدم ، وإدريس ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، وإبراهيم ، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه [ذكر أنه][١١] وجد آدم

---

(٢٣) - أخرجه البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : كيف فرضت الصَّلواتُ في الإسراء (٣٤٩) ، وأخرجه أيضًا ، كتاب : الحج ، باب : ما جاء في زمزم ، (١٦٣٦) وكتاب : الأنبياء ، باب : ذكر إدريس عليه السلام ... (٣٣٤٢) ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... (٢٦٣) (١٦٣) والنسائي في « الكبرى » (١/رقم ٣١٤) من طرق عن يونس به .

---

[١] - في ز : « لقد » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - بعده في ز ، خ : في .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - بعده في خ : قال .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز ، خ : « نطف » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في خ : « قال : من هذا . قال : جبريل . قال : هل معك أحد قال نعم. معي محمد » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة ، قال أنس : فلما مر جبريل بالنبيّ صلىٰ اللّه عليه وسلم بإدريس قال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح ! فقلت : من هذا ؟ قال : هذا[١] إدريس ، [ثم مررت بموسىٰ فقال : مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : موسىٰ][٢] ، ثم مررت بعيسىٰ ؛ فقال : مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : عيسى ابن مريم ، ثم مررت بإبراهيم فقال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والابن الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم .

قال الزهري : فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس ، وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان : قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « ثم عرج بي حتىٰ ظهرت[٣] لمستوىٰ أسمع فيه صريف الأقلام » . قال ابن حزم ، وأنس بن مالك : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « ففرض اللّه علىٰ أمتي خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتىٰ مررت علىٰ موسىٰ ؛ فقال : مافرض اللّه علىٰ أمتك ؟ قلت : فرض[٤] خمسين صلاة . قال : فارجع إلىٰ ربك ؛ فإن أمتك لاتطيق ذلك ، فرجعت [فوضع شطرها ، فرجعت إلىٰ موسىٰ قلت : وضع شطرها فقال : ارجع إلىٰ ربك ؛ فإن أمتك لاتطيق ، فرجعت فوضع شطرها فرجعت إليه فقال : ارجع إلىٰ ربك ؛ فإن أمتك لاتطيق ذلك فراجعته][٥] فقال : هي خمس وهي خمسون ، لا يُبَدَّلُ القولُ لديّ ، فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال : ارجع إلىٰ ربك . قلت : قد استحييت من ربي ، ثم انطلق بي حتىٰ انتهىٰ إلىٰ سدرة المنتهىٰ ، فغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة ؛ فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » .

هذا لفظ البخاري في « كتاب الصلاة » ، ورواه في ذكر بني إسرائيل(*) ، وفي الحج ، وفي أحاديث الأنبياء من طرق أخرىٰ عن يونس به ، ورواه مسلم في صحيحه في « كتاب الإيمان» منه عن حرملة ، عن ابن وهب ، عن يونس به نحوه .

وقال الإِمام أحمد(٢٤) : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عبد اللّه بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم لسألته ، قال : وماكنت تسأله ؟ ، قال : كنت أسأله : هل رأىٰ ربه ؟ فقال : إني قد سألته ؛ فقال : « **إني قد رأيته**

(*) الحديث في صحيح البخاري في ثلاثة مواضع فقط ، [الصلاة ، الحج ، الأنبياء] وداخل كتاب : الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل وليس فيه الحديث ، والله أعلم .

(٢٤) - « المسند » ، (١٤٨/٥) وقد تقدم تخريجه (رقم ٧) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في ز : « طهرت » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

نورًا أنّى أراه » . هكذا[١] وقع في رواية الإمام أحمد .

وأخرجه مسلم في صحيحه(٢٥) ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن عبد اللَّه بن شقيق [عن أبي ذر قال : سألت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : « **نور أنّىٰ أراه** » .

وعن محمد بن بشار عن معاذ بن هشام ، حدثنا أبى عن قتادة عن عبد الله بن شقيق][٢] قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لسألته ، فقال : عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله : هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألت ؛ فقال : « **رأيت نورًا** » .

رواية أنس عن أبي بن كعب الأنصاري - رضي اللَّه عنه -

قال عبد اللَّه ابن الإمام أحمد(٢٦) : حدثنا محمد بن إسحاق بن محمد المسيبي ، حدثنا أنس بن عياض ، عن يونس ابن يزيد قال : قال ابن شهاب قال : قال أنس بن مالك : كان أبي بن كعب يُحدِّثُ : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « فرج سقف بيتي ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا ، فأفرغها في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي ، فعرج بي إلىٰ السماء ، فلما جاء السماء الدنيا [فافتتح فقال : من هذا ؟ قال : جبريل . قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معي محمد . قال : أرسل إليه ؟ قال : نعم ، فافتح . فلما علونا السماء الدنيا][٣] ، إذا رجل عن يمينه أسودة ، وعن يساره أسودة ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى - قال : مرحبًا بالنبي الصالح . والابن الصالح ، قال : قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا[٤] آدم ، وهذه الأسودة التي عن اليمين وعن[٥] شماله نسم بنيه ؛ فأهل يمينه هم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله هم أهل النار ، فإذا نظر قبل يمينه

---

(٢٥) - صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : في قوله عليه السلام : « **نور أنى أراه** ... » (٢٩١، ٢٩٢) (١٧٨) ، وأخرجه أيضًا من طريق حجاج بن الشاعر حدثنا عفان بن مسلم حدثنا همام عن قتادة به ، وانظر السابق .

(٢٦) - **صحيح** « المسند » (١٤٣/٥) ومن طريقه اختاره الضياء في « المختارة » (١١٢٦/٣) ، وأخرجه عبد الله بن أحمد أيضًا « المسند » (١٢٢/٥) وأبو يعلى في مسنده (٣٦١٤/٦) ومن طريقهما الضياء (٣/ ١١٢٧، ١١٢٨) عن محمد بن عباد المكي حدثنا أبو ضمرة - أنس بن عياض - به مختصرًا . =

---

[١] - بعده في خ : وقد .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكىٰ ، قال : ثم عرج بي جبريل حتىٰ أتىٰ السماء الثانية فقال لخازنها : افتح ، فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ؛ ففتح له ، قال أنس : فذكر أنه وجد في السموات آدم ، وإدريس ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، وإبراهيم ، ولم يثبت لي كيف منازلهم ، غير أنه ذكر أنه وجد آدم - عليه السلام - في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة ، قال أنس[١] : فلما مر جبريل - عليه السلام - ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بإدريس قال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح ، قال : « قلت : من هذا ياجبريل ؟ » قال : هذا إدريس . قال : ثم مررت بموسىٰ فقال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح . فقلت : من هذا ؟ قال : هذا موسىٰ ، ثم مررت بعيسىٰ فقال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسىٰ بن مريم . قال : ثم مررت بإبراهيم ؛ فقال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والابن الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم » .

قال ابن شهاب : وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ثم عرج بي حتىٰ ظهرت لمستوىٰ أسمع صريف الأقلام » قال ابن حزم ، وأنس بن مالك : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « فرض الله علىٰ أمتي خمسين صلاة ، قال : فرجعت بذلك حتىٰ أمر علىٰ موسىٰ ؛ فقال موسىٰ : ماذا فرض ربك علىٰ أمتك ؟ قلت : فرض عليهم خمسين صلاة . فقال لي موسىٰ : راجع ربك ؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك ، قال : فراجعت ربي فوضع شطرها ، فرجعت إلىٰ موسىٰ ؛ فأخبرته ؛ فقال : ارجع إلىٰ ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك . فرجعت ؛ فقال : هي خمس ، وهي خمسون ، لايبدل القول لديّ ، قال : فرجعت إلىٰ موسىٰ ؛ فقال : راجع ربك . فقلت : قد استحييت من ربي ، قال : ثم انطلق بي حتىٰ أتىٰ سدرة المنتهىٰ قال : فغشيها ألوان ما أدري ما هي ؟ قال : ثم أدخلت الجنة ؛ فإذا فيها جنابذ[٢] اللؤلؤ ؛ وإذا ترابها المسك » .

هكذا رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه ، وليس هو في شيء من الكتب الستة ، وقد تقدم في الصحيحين من طريق يونس ، عن الزهري ، عن أنس ، عن أبي ذر مثل هذا السياق سواء ، فالله أعلم(*) .

= وذكر الهيثمي في « المجمع » (١/٧٠-٧١) الطريق المطولة هذه وقال : « رواه عبد الله مِن زياداته على أبيه ورجاله رجال الصحيح » .

(*) وقد أعلَّ حديث أُبَيّ بذلك ، فقال ابن أبي حاتم في « العلل » (١/رقم٣١٥) ، (٢/٢٧١٤) : =

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - الجنابذ : جمع جنبذة ، وهي القبة . النهاية [١/ ٣٠٥] .

رواية بريدة بن الحصيب الأسلمي :

قال الحافظ أبوبكر البزار(٢٧) : حدثنا عبد الرحمن ابن المتوكل ، ويعقوب بن إبراهيم واللفظ له قالا : حدثنا أبو تميلة ، أخبرنا الزبير بن جنادة ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لما كان ليلة أسري بي[١] - قال : فأتىٰ جبريل الصخرة التي ببيت المقدس قال : فوضع أصبعه فيها ، فخرقها فشد بها البراق » .

ثم قال البزار : لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو تميلة ، ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة . وقد رواه الترمذي في التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي به ، وقال : غريب .

= « سألت أبي عن حديث رواه يونس عن الزهري عن أنس عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم في المعراج ، ورواه قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فقيل لأبي : أيهما أشبه ؟ قال : أنا لا أعدل بالزهري أحدًا من أهل عصره ، ثم قال : إني أرجو أن يكونا جميعًا صحيحين . وقال مرة : حديث الزهري أصح . قلت لأبي : وقد اختلفوا على الزهري ؟ قال : نعم منهم من يقول عن الزهري عن أنس عن أبي بن كعب والزهري عن أنس عن أبي ذر أصح ، وقال الدارقطني في « العلل » (٦/ س ١٠٩٥) : « يرويه الزهري عن أنس ، حدَّث به عنه عقيل ويونس واختلف عن يونس ، فقال أبو ضمرة : عن يونس عن الزهري عن أنس عن أبي وأحسبه سقط عليه « ذر » فجعله عن أبي بن كعب ، ووهم فيه ، وروى هذا الحديث قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة وأتى به ، بطوله وروى بعضه شعبة عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قصة النهرين حدث به إبراهيم بن طهمان عن شعبة ، ويشبه أن يكون الأقاويل كلها صحاحًا لأن رواتهم أثبات » وقال ابن حجر في « أطراف المسند » (١٨٣/١) : « هكذا أورده ، وهو وَهَمٌ نشأ عن تصحيف ، والمحفوظ حديث الزُّهري عن أنس ، عن أبي ذر ، كأنها كانت كذلك فسقطت . (ذرّ) من السياق فَصُحِّفَت (أُبَيّ) ، قاله أبو حاتم وغيره والله أعلم » .

ولم يوافق الضياء على إعلال حديث أبي بذلك ، فنقل كلام الدارقطني السابق ثم قال : « وحديث أبي ذر يُشْبِهُ حديث أُبيّ بن كعب الذي أثبتناه ، فلذلك قال الدارقطني : (أحسبه سقط عليه ذرّ) غير أن قوله الأخير (ويُشْبِه أن تكون الأقاويل كلُّها صحاحًا ، لأن رواتهم أثبات) عندي أولى . قلت - الضياء - : وكونُ حديث أُبي مثلَ حديث أبي ذر لا يؤثر فيه ، ثم الرواية فيها عن أبي بن كعب ، فكيف يشتبه ابن كعب بذر ؟ وإذا كانت قد صَحَّتْ الرواية عن أنس ، وروايته عن أبي ذر عنه ، وعن مالك بن صعصعة ، فتصح روايته عن أُبي ابن كعب ، والله أعلم » ! .

(٢٧) - وعزاه له السيوطي في « الدر المنثور » (٢٧٨/٤) وأخرجه الترمذي : كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بني إسرائيل ، حديث (٣١٣٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٣٦٠/٢) والمزي في « تهذيب الكمال » [(٣٠٠/٩ - ٣٠١)/ ترجمة الزبير بن جنادة] من طريق أبي تميلة به ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب » وفي رواية استغربه دون أن يحسنه ، وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأبو تميلة والزبير مروزيان ثقتان » ووافقه الذهبي . وهو كما قالا ، وأبو تميلة اسمه يحيى بن واضح وثقه =

[١] - في خ : « به » .

رواية جابر بن عبد اللّٰه - رضي اللّٰه عنه - :

قال الإمام أحمد(٢٨) : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن شهاب قال : قال أبو سلمة : سمعت جابر بن عبد اللّٰه يحدث : أنه سمع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول[١] : « لما كذبتني قريش حين أسري بي إلىٰ بيت المقدس ؛ قمت في الحجر فجلىٰ اللّٰه لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه » أخرجاه في الصحيحين من طرق عن الزهرى به .

وقال البيهقي(٢٩) : أخبرنا أحمد ابن الحسن[٢] القاضي ، حدثنا أبو العباس الأصم ، [حدثنا العباس][٣] بن محمد الدوري ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب قال : سمعت سعيد[٤] بن المسيب يقول : إن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حين[٥] انتهىٰ إلىٰ بيت المقدس ، لقي فيه إبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، وإنه أُتي بقدحين ؛ قدح من لبن ، وقدح خمر ، فنظر إليهما[٦] ، ثم أخذ قدح اللبن ؛ فقال جبريل : أصبت ، هديت للفطرة ، لو اخترت الخمر لغوت أمتك ، ثم رجع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ مكة ؛ فأخبر أنه أُسري به فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه .

وقال ابن شهاب : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : فتجهز - أو كلمة نحوها - ناس من قريش إلىٰ أبي بكر فقالوا[٧] : هل لك في صاحبك ؟ يزعم أنه جاء إلىٰ بيت المقدس ، ثم رجع إلىٰ مكة في ليلة واحدة ! فقال أبو بكر : أوَ قال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : فأشهد[٨] لئن[٩] كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : فتصدقه بأن[١٠] يأتي الشام في ليلة واحدة ثم

= ابن معين - في رواية - وابن سعد والنسائي وأبو حاتم وغيرهم . والزبير بن جنادة وإن قال فيه أبو حاتم : « شيخ ليس بالمشهور » فقد وثقه ابن معين في رواية ابن الجنيد وكذا ابن حبان في « الثقات » وذكره ابن الجوزي في « الضعفاء » فتعقبه الذهبي في « الميزان » فقال : « وأخطأ من قال : فيه جهالة ، ،لولا أن ابن الجوزي ذكره لما ذكرته » والحديث زاد نسبته السيوطي إلى ابن مردويه وأبي نعيم في « الدلائل » .

(٢٨) - أخرجه أحمد في « المسند » : (٣٧٧/٣) وأخرجه البخاري كتاب التفسير ، سورة بني إسرائيل باب : « أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام » ، حديث (٤٧١٠) .

ومسلم : كتاب الإيمان ، باب : « الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث (٢٧٦/١٧٠) .

(٢٩) - « دلائل النبوة » للبيهقي (٣٥٩/٢ ، ٣٦٠) .

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - في ت : « الحسين » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « إليها » .
[٧] - في خ : « قالوا » .
[٨] - في ز ، ت : « فأنا أشهد » .
[٩] - في خ : « إن » .
[١٠] - في ز : « أن » .

يرجع إلىٰ مكة قبل أن يصبح ؟ قال : نعم ، إني[١] أصدقه بأبعد من ذلك ؛ أصدقه بخبر السماء . قال أبو سلمة : فبها سُمي أبو بكر الصديق .

قال أبو سلمة : فسمعت جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما يحدث : أنه سمع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « لما كذبتني قريش حين أُسري بي إلىٰ بيت المقدس قمت في الحجر ، فجلىٰ اللَّه لي بيت المقدس ؛ فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه » .

رواية حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه :

قال الإمام أحمد(٣٠) ثنا أبو النضر ، ثنا شيبان ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش قال : أتيت علىٰ حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه ، وهو يحدث عن ليلة أُسري بمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو يقول : فانطلقا[٢] حتىٰ أتيا[٣] علىٰ بيت المقدس فلم يدخلاه . قال : قلت : بل دخله رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليلتئذ ، وصلىٰ فيه . قال : ما اسمك يا أصلع ؟ فإني أعرف وجهك ، ولا أدري ما اسمك ، قال : قلت : أنا زر بن حبيش . قال : فما علمك بأن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم صلَّىٰ فيه ليلتئذ ؟ قال : قلت : القرآن يخبرني بذلك ، قال : فمن[٤] تكلم بالقرآن فلج ، اقرأ . قال : فقلت : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ** ﴾ قال : يا أصلع ؛ هل تجد صلى فيه ؟ قلت : لا . قال : واللَّه ما صلى فيه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليلتئذ ، ولو صلى فيه ، لكتب عليكم صلاة فيه ؛ كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق ، واللَّه ما زايلا البراق حتىٰ فتحت لهما أبواب السماء ؛ فرأيا الجنة والنار ، ووعد الآخرة أجمع ، ثم عادا عودهما على بدئهما قال : ثم ضحك حتى رأيت نواجذه قال : وتحدثوا[٥] أنه ربطه لا يفر منه ، ، وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة . قلت : أبا[٦] عبد اللَّه ، أي : دابة

(٣٠) - أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٧/٥) .

وأخرجه أيضًا (٣٩٢/٥، ٣٩٤) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم به نحوه ، وأخرجه أبو داود الطيالسي في « مسنده » : برقم (٤١١) ص (٥٥) . وأخرجه الترمذي : كتاب التفسير ، باب : سورة بني إسرائيل ، حديث (٣١٤٧) والنسائي في « السنن الكبرى » : كتاب التفسير ، باب : سورة الإسراء ، حديث (١١٢٨٠) (٣٧٦/٦) من طريقين عن عاصم بن أبي النجود به مطولًا ومختصرًا وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

[١] - في ت : « أنا » .
[٢] - في ز ، خ : « فانطلقنا » .
[٣] - في ز ، خ : « أتينا» .
[٤] - في ز ، خ : « من » .
[٥] - في خ : « ويحدثون » .
[٦] - في ز ، خ : « يا » .

البراق ؟ قال : دابة أبيض طويل ، هكذا خطوه مد البصر . ورواه أبو داود الطيالسي ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم به ، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث عاصم ، وهو[١] ابن أبي النجود ، به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وهذا الذي قاله حذيفة رضي اللّٰه عنه نفي[٢] ، وما أثبته غيره عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من ربط الدابة بالحلقة ، ومن الصلاة بالبيت المقدّس مما[٣] سبق ، وما سيأتي مقدَّم على قوله ، والله أعلم بالصواب .

رواية أبي سعيد ؛ سعد بن مالك بن سنان الخدري :

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب « دلائل النبوة(٣١) » : أخبرنا أبو عبد اللّٰه محمد بن عبد اللّٰه الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو بكر يحيىٰ بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، أخبرنا أبو محمد راشد الحماني ، عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري - رضي اللّٰه عنه - عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال له أصحابه : يا رسول اللّٰه ؛ أخبرنا عن ليلة أُسري بك فيها قال : « قال اللّٰه عز وجل : ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىٰ الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ . قال : فأخبرهم فقال[٤] : « فبينا أنا نائم عشاء في المسجد الحرام ؛ إذ أتاني آت ؛ فأيقظني ؛ فاستيقظت ، فلم أر شيئًا ، وإذا أنا بكهيئة خيال فأتبعته بصري حتىٰ خرجت من المسجد ، فإذا أنا بدابة أدنىٰ شبهًا[٥] بدوابكم هذه ، بغالكم هذه - مضطرب الأذنين يقال له : البراق ، وكانت الأنبياء تركبه قبلي ؛ يقع حافره عند مد بصره ، فركبته ، فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داع عن يميني : يا محمد ؛ انظرني أسألك ، يامحمد ؛ انظرني أسألك ، [فلم أجبه][٦] ولم أقم عليه [فبينما أنا أسير][٧] عليه[٨] إذا[٩] [دعاني داع عن يساري : يامحمد انظرني أسألك ! فلم أجبه ولم

(٣١) - أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » : (٢/٣٩٠) ، باب : الدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم عُرج به إلى السماء فرأى جبريل عليه السلام في صورته عند سدرة المنتهى ، وقبل ذلك كان قد رأى جبريل عليه السلام في صورته وهو بالأفق الأعلى ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره - (١١/١٥ - ١٤) .
وأبو هارون العبدي هو عمارة بن جوين ضعفة أئمة هذا الشأن .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - بعده في ت : « سيأتي وما » .
[٤] - في ز : « فقال » .
[٥] - في خ : « شبهة » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : خ .

أقم عليه][١] ، [فبينما أنا أسير][٢] إذا[٣] أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها ، وعليها من كل زينة خلقها اللّٰه ؛ فقالت : يا محمد انظرني ، أسألك ، فلم ألتفت إليها ، ولم أقم عليها حتىٰ أتيت بيت المقدس ، فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء توثقها بها ، فأتاني[٤] جبريل - عليه السلام - بإناءين ؛ أحدهما خمر ، والآخر لبن ، فشربت اللبن ، وتركت الخمر ، فقال جبريل : أصبت الفطرة ! فقلت : اللّٰه أكبر اللّٰه أكبر ! فقال جبريل : ما رأيت في وجهك هذا ؟ قال : فقلت : بينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يميني : يا محمد ؛ انظرني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، قال : ذاك داعي اليهود ، أما إنك لو أجبته أو وقفت عليه لتهودت أمتك . قال : فبينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يساري قال : يا محمد ؛ انظرني أسألك ، فلم ألتفت إليه ، ولم أقم عليه ، قال : ذاك داعي النصارىٰ ، أما إنك لو أجبته ، لتنصرت أمتك . قال : فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها اللّٰه تعالى ، تقول : يا محمد ؛ انظرني أسألك ، فلم أجبها ، ولم أقم عليها ، قال : تلك الدنيا ، أما إنك لو أجبتها ، أو أقمت عليها ؛ لاختارت أمتك الدنيا علىٰ الآخرة .

قال[٥] : ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، فصلى كل واحد منا ركعتين . ثم أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم ، فلم ير[٦] الخلائق أحسن من المعراج ، أما رأيتَ الميت حين يشق بصره طامحًا إلىٰ السماء ، فإنما يشق بصره طامحًا إلىٰ السماء عُجْبُهُ بالمعراج ، قال : فصعدت أنا وجبريل ؛ فإذا أنا بملك يقال له : إسماعيل ، وهو صاحب سماء الدنيا ، وبين يديه سبعون ألف ملك ، مع كل ملك جنده مائة ألف ملك ، قال : وقال اللّٰه عز وجل : ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ﴾ فاستفتح جبريل باب السماء قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : نعم . فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه اللّٰه عز وجل علىٰ صورته ، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : روح طيبة ، ونفس طيبة ، اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول : روح خبيثة ، ونفس خبيثة ، اجعلوها في سجين .

ثم مضيتُ هنية فإذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد ، وإذا أنا بأخونة أخرىٰ عليها لحم قد أروح(*) وأنتن عندها أناس يأكلون منها ، قلت : يا جبريل ؛ من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام .

(*) - أي : تغيرت رائحته .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ت : « إذ » .

[٤] - في ز ، خ : « أتاني » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ز ، خ : « تر » .

قال : ثم مضيت هنية ؛ فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت ، كلما نهض أحدهم خرّ يقول : اللهم ؛ لا تُقم الساعة . قال : وهم على سابلة آل فرعون ، قال : فتجيء السابلة فتطؤهم ، قال : فسمعتهم يضجون إلى اللّه - عز وجل - قال : قلت : يا جبريل ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك **﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾** .

قال : ثم مضيتُ هُنَيَّةً ؛ فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل قال : فتفتح[١] على أفواههم ويلقمون من ذلك الجمر[٢] ، ثم يخرج من أسافلهم ، فسمعتهم يضجون إلىٰ اللّه عز وجل . فقلت : [من هؤلاء][٣] يا جبريل ؟ قال : هؤلاء من أمتك : **﴿ الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا ﴾** .

قال : ثم مضيت هنية ؛ فإذا أنا بنساء يعلقن بثُدُيهن ، فسمعتهن يضججن إلىٰ اللّه عز وجل ، قلت : يا جبريل من هؤلاء النساء ؟ قال : هؤلاء الزناة من أمتك .

قال : ثم مضيت هنية ؛ فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه[٤] ؛ فيقال له : كُلْ ؛ كما كنت تأكل من لحم أخيك ، قلت : ياجبريل ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون .

قال : ثم صعدنا إلىٰ السماء الثانية ؛ فإذا أنا برجل أحسن ما خلق اللّه عز وجل ، قد فَضَل الناس في الحسن ، كالقمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب ، قلت : ياجبريل ، من هذا ؟ قال : هذا أخوك يوسف ، ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم عليّ .

ثم صعدت إلىٰ السماء الثالثة ؛ فإذا أنا بيحيىٰ ، وعيسىٰ - عليهما السلام - ومعهما نفر من قومهما ، فسلمت عليهما ، وسلما عليّ .

ثم صعدت إلى السماء الرابعة ؛ فإذا أنا[٥] بإدريس قد رفعه الله مكانًا عليًّا ، فسلمت عليه ، وسلم عليّ .

قال : ثم صعدت إلىٰ السماء الخامسة فإذا أنا[٦] بهارون ، ونصف لحيته بيضاء ، ونصفها سوداء ، تكاد لحيته تصيب سرته من طولها قلت : يا جبريل ، من هذا ؟ قال : هذا المحبب في قومه ، هذا هارون بن عمران ، ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم عليّ .

---

[١] - في خ : « فيفتح » .
[٢] - في ز ، خ : « اللحم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « فيلقمون » .
[٥] - سقط من ز.
[٦] - سقط من ز .

ثم صعدت[١] إلىٰ السماء السادسة ؛ فإذا أنا بموسىٰ بن عمران ؛ رجل آدم ، كثير الشعر ، لو كان عليه قميصان : لنفذ شعره دون القميص ، [وإذا][٢] هو يقول : يزعم الناس أني أكرم علىٰ الله من هذا ؛ بل هذا أكرم علىٰ الله تعالىٰ مني . قال : قلت : ياجبريل ، من هذا ؟ قال : هذا أخوك موسىٰ بن عمران عليه السلام ، ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه ، وسلم عليّ .

ثم صعدت إلىٰ السماء السابعة ؛ فإذا أنا [بأبينا إبراهيم][٣] خليل الرحمن ، سانذا ظهره إلىٰ البيت المعمور كأحسن الرجال ، قلت : ياجبريل ؛ من هذا ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم[٤] خليل الرحمن عليه السلام ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه ، وسلم[٥] عليّ ، وإذا أنا بأمتي شطرين ؛ شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس ، وشطر عليهم ثياب رمد ، قال : فدخلت البيت المعمور ، ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض ، وحجب الآخرون الذين عليهم ثياب رمد - وهم علىٰ خير - فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور ، ثم خرجت أنا ، ومن معي - قال : والبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون فيه إلىٰ يوم القيامة .

قال : ثم دفعت[٦] لي سدرة المنتهىٰ ؛ فإذا كل ورقة منها تكاد أن تغطي هذه الأمة ؛ وإذا فيها عين تجري يقال لها : سلسبيل ، فينشق منها نهران (أحدهما) : الكوثر (والآخر) يقال له : نهر الرحمة ، فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر .

ثم إني دُفعت[٧] إلىٰ الجنة ؛ فاستقبلتني[٨] جارية فقلت : لمن أنت يا جارية ؟ قالت[٩] : لزيد بن حارثة ، وإذا أنا[١٠] بأنهار [من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ؛ وأنهار][١١] من عسل مصفى ، وإذا رمانها كأنه[١٢] الدلاء عظمًا ، وإذا أنا بطيرها كأنها بختيكم(*) هذه » فقال عندها صلىٰ الله عليه وسلم : « إن الله تعالىٰ قد أعد لعباده الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب

(*) - جمع بختية : وهي جِمال طوال الأعناق .

[١] - في ز : « صعد بي » .
[٢] - في ز : « فإذا » .
[٣] - في ز ، خ : « بإبراهيم » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في ز : « فسلم » .
[٦] - في ز ، خ : « رفعت » .
[٧] - في ز : « رفعت » .
[٨] - في ز : « واستقبلتني » ، خ : « فاستقبلني » .
[٩] - في ز : « فقالت » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٢] - في خ : « كأنها » .

بشر » .

قال : ثم عُرِضَتْ عليَّ النارُ ، فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ، لو[١] طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها ، ثم أغلقت[٢] دوني .

ثم إني دفعت إلى سدرة المنتهى فتغشاني ؛ فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنىٰ . قال : ونزل علىٰ كل ورقة ملك من الملائكة قال : وفرضت عليّ خمسون ، وقال : لك بكل حسنة عشر[٣] ، إذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة ، فإذا عملتها كتبت لك عشرًا ؛ وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب[٤] عليك شيء ، فإن عملتها كتبت عليك سيئة واحدة .

ثم دفعت إلىٰ موسىٰ فقال : بم أمرك ربك ؟ قلت : بخمسين صلاة . قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك ؛ فإن أمتك لا يطيقون[٥] ذلك ، ومتىٰ لا تطيقه[٦] تكفر . فرجعت إلىٰ ربي فقلت : يا رب ، خفف عن أمتي ؛ فإنها أضعف الأمم ! فوضع عني عشرًا ، وجعلها أربعين ، فما زلت أختلف بين موسىٰ وربي ، كلما أتيت عليه قال لي مثل مقالته حتىٰ رجعت إليه ؛ فقال لي : بم أمرت ؟ فقلت : أمرت بعشر صلوات قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت إلىٰ ربي ، فقلت : أيْ ربِّ ؛ خفف عن أمتي فإنها أضعف الأمم ! فوضع عني خمسًا ، وجعلها خمسًا ، فناداني ملك عندها : تمت[٧] فريضتي ، وخففت عن عبادي ، وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها .

ثم رجعت إلىٰ موسىٰ فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بخمس صلوات . قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإنه لايئوده شيء ، فاسأله التخفيف لأمتك . فقلت : رجعت إلىٰ ربي حتىٰ استحييت » .

ثم أصبح بمكة يخبرهم بالأعاجيب : « إني أتيت[٨] البارحة بيت المقدس ، وعرج بي إلىٰ السماء ، ورأيت كذا وكذا ، فقال أبو جهل - يعني : ابن هشام - : ألا تعجبون مما يقول محمد ؟! يزعم[٩] أنه أتىٰ البارحة بيت المقدس ، ثم أصبح فينا ؛ وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهرًا ومقفلة[١٠] شهرًا ، فهذه مسيرة شهرين في ليلة واحدة ، قال : فأخبرهم بِعِيرٍ

---

[١] - في خ : «ولو» .
[٢] - في ز ، خ : « علقت » .
[٣] - في ز ، خ : « عشرا » .
[٤] - في ز ، خ : « تكتب » .
[٥] - في ز : « تطيق » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « تممت » .
[٨] - في خ : « رأيت » .
[٩] - في ز : « زعم » .
[١٠] - في خ : « ومقبلة » .

لقريش ؛ لما كانت[١] في مصعدي[٢] رأيتها في مكان كذا وكذا ، وأنها نفرت ، فلما رجعت رأيتها عند العقبة ، وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا ، ومتاعه كذا وكذا ، فقال أبو جهل : يخبرنا بأشياء ، فقال رجل من المشركين : أنا أعلم الناس ببيت المقدس ، وكيف بناؤه ، و[٣]كيف هيئته ، وكيف قربه من الجبل ، [فإن يك محمد صادقًا فسأخبركم ، وإن يك كاذبًا فسأخبركم ، فجاء ذلك المشرك فقال : يامحمد ، أنا أعلم الناس ببيت المقدس ، فأخبرني كيف بناؤه ؟ وكيف هيئته ؟ وكيف قربه من الجبل ؟][٤] قال : فرُفع لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بيت المقدس من مقعده ، فنظر إليه كنظر أحدنا إلىٰ بيته : بناؤه كذا وكذا ، وهيئته كذا وكذا ، وقربه من الجبل كذا وكذا » فقال الآخر : صدقت !! فرجع إلى أصحابه فقال : صدق محمد فيما قال ، أو [نحوه من][٥] هذا الكلام .

وكذا رواه الإمام أبو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، عن محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي هارون العبدي ، وعن الحسن بن يحيىٰ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أبي هارون العبدي به ، ورواه أيضًا من حديث محمد بن إسحاق ، حدثني روح ابن القاسم عن أبي هارون به ، نحو سياقه المتقدم .

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن أحمد بن عبدة ، عن أبي عبد الصمد ، عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ، فذكره بسياق طويل حسن أنيق ، أجود مما ساقه غيره ؛ علىٰ غرابته ، ومافيه من النكارة .

ثم ذكره البيهقي أيضًا : من رواية نوح بن قيس الحداني ، وهشيم ، ومعمر عن أبي هارون العبدي ، واسمه عمارة بن جوين ، وهو مضعف عند الأئمة .

[ ][٦] وإنما سقنا حديثه هاهنا ، لما [في حديثه][٧] من الشواهد لغيره ، ولما رواه البيهقي(٣٢) : أخبرنا الإمام[٨] أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن ، أنبأنا أبو نعيم أحمد ابن محمد بن إبراهيم البزاز[٩] ، حدثنا أبو حامد بن بلال ، حدثنا أبو الأزهر ، حدثنا يزيد ابن أبي حكيم قال : رأيت في النوم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قلت : يارسول الله ؛

(٣٢) - « دلائل النبوة » للبيهقي - (٢/٤٠٥) .

[١] - في ت : « كنت » .
[٢] - في خ : « مصعري » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ت : « نحو » .
[٦] - كلمتان غير واضحتين في الأصل .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « فيه » .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - في ز : « البزار » .

رجل من أمتك يقال له : سفيان الثوري لابأس به ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لابأس به[١] » ، حدثنا عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ، عنك ليلة أسري بك قلتَ : « رأيت في السماء » فحدثته بالحديث فقال لي : « نعم » فقلت له : يارسول الله ؛ إن ناسًا من أمتك يحدثون عنك في المسرىٰ[٢] بعجائب ؟ فقال لي : « ذاك حديث القصاص » .

رواية شداد بن أوس :

قال الإمام أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي : حدثنا إسحاق ابن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك الزبيدي ، حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله ابن سالم[٣] الأشعري ، عن محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي ، حدثنا أبو[٤] الوليد بن عبد الرحمن ، عن[٥] جبير ابن نفير ، حدثنا شداد بن أوس قال : قلنا : يا رسول الله ؛ كيف أسري بك ؟ قال : « صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة معتمًا ، فأتاني جبريل - عليه السلام - بدابة أبيض - أو قال : بيضاء - فوق الحمار ودون البغل ، فقال : [ ][٦] اركب ، فاستصعبت[٧] عليَّ فرازها بأذنها ، ثم حملني عليها ، فانطلقت تهوي بنا ، يقع حافرها [حيث أدرك][٨] طرفها ، حتىٰ بلغنا أرضًا ذات نخل فأنزلني فقال : صلِّ ، فصليت ثم ركبنا ، فقال : أتدري أين صليت ؟ قلت : الله أعلم ، قال : صليت بيثرب ، صليت بطيبة ، فانطلقت تهوي بنا ، يقع حافرها حيث أدرك طرفها ، ثم بلغنا أرضًا فقال[٩] : انزل ، فنزلت[١٠] ، ثم قال : صلِّ ، فصليت ، ثم ركبنا ؛ فقال : أتدري أين صليت ؟ قلت : الله أعلم ، قال : صليت بمدين ، صليت عند شجرة موسىٰ . ثم انطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ، ثم بلغنا أرضًا بدت لنا قصور ؛ فقال : انزل[١١] ، فنزلت فقال : صل ، فصليت ، ثم ركبنا فقال : أتدري أين صليت ؟ قلت : الله أعلم ، قال : صليت ببيت[١٢] لحم ؛ حيث ولد عيسىٰ المسيح[١٣] ابن مريم ، ثم انطلق بي حتىٰ دخلنا المدينة من بابها اليماني ، فأتىٰ قبلة المسجد ، فربط فيه دابته ، ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر ، فصليت من

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : « السرىٰ » .
[٣] - في ز ، خ : « سلام » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « بن » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[٧] - في ز ، خ : « فاستصعب » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في خ : « عند منتهى » .
[٩] - في خ : « قال » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز : « انزلت » .
[١٢] - في خ : « ببطن » .
[١٣] - سقط من : ت .

المسجد حيث شاء الله ، وأخذني من العطش أشد ما أخذني ، فأتيت بإناءين ؛ في أحدهما لبن ، وفي الآخر عسل ، أرسل إلي بهما جميعًا ، فعدلت بينهما ، ثم هداني الله - عز وجل - ، فأخذت اللبن ، فشربت حتى قرعت به جبيني ، وبين يدي شيخ متكئ على مثواة له ؛ فقال : أخذ صاحبك الفطرة إنه ليهدى ، ثم انطلق بي حتىٰ أتينا الوادي الذي فيه المدينة ، فإذا جهنم تنكشف[١] عن مثل الزرابي ، قلت : يا رسول الله ، كيف وجدتها ؟ قال : مثل الحمة السخنة ، ثم انصرف بي ، فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا ، قد أضلوا بعيرًا لهم قد جمعه فلان ، فسلمت عليهم ، فقال بعضهم : هذا صوت محمد ، ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة ، فأتاني أبو بكر -رضي الله عنه- فقال : يا رسول الله ؛ أين كنت الليلة ؟ فقد التمستك في مظانك[٢] ، فقال : علمتَ أني أتيت بيت المقدس الليلة ؟ فقال : يا رسول الله ، إنه مسيرة شهر ، فصفه لي ، قال : ففتح لي صراط كأني أنظر إليه ، لا يسألني عن شيء إلا أنبأته عنه ، قال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله ، فقال المشركون : انظروا إلىٰ ابن أبي كبشة ، يزعم أنه أتىٰ بيت المقدس الليلة ! قال : فقال : إن من آية ما أقول لكم : أني مررت بعير لكم بمكان[٣] كذا وكذا ، قد أضلوا بعيرًا لهم ، فجمعه[٤] فلان ، وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ، ويأتونكم[٥] يوم كذا وكذا ، يقدمهم جمل آدم ، عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان[٦] » ، فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى كان قريب[٧] من نصف النهار ، حتىٰ أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

هكذا رواه البيهقي(٣٣) من طريقين عن أبي إسماعيل الترمذي به ، ثم قال بعد تمامه : هذا إسناد صحيح ، وروي ذلك مفرقًا في أحاديث غيره ، ونحن نذكر من ذلك - إن شاء الله - ما حضرنا . ثم ساق أحاديث كثيرة في الإسراء كالشاهد لهذا الحديث .

(٣٣) - « دلائل النبوة » للبيهقي (٢/٣٥٥ : ٣٥٧) وأخرجه البزار في مسنده (٨/٣٤٨٤) والطبراني في « المعجم الكبير » (٧/٧١٤٢) من طريق إسحاق بن إبراهيم به ، وقال البزار : « هذا الحديث لا نعلمه يروى عن شداد بن أوس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا بهذا الإسناد » . قال البيهقي : « وهذا إسناد صحيح ، وروى ذلك مفرقًا في أحاديث غيره ونحن نذكر من ذلك إن شاء الله تعالى ما حضرنا ... ثم ذكر أحاديث » . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (١/٧٨ ، ٧٩) وقال : « رواه البزار والطبراني في « الكبير » ... وفيه إسحاق بن إبراهيم بن العلاء وثقه يحيى بن معين وضعفه النسائي » وانظر كلام المصنف أعلاه . والحديث زاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٦٣) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « مضانك » .
[٣] - في ت : «في مكان » .
[٤] - في خ : « فجمعه لهم » .
[٥] - في ز : « يأتوكم » .
[٦] - في خ : « سوداوتان » .
[٧] - في خ : « قريبا » .

وقد روىٰ هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الإمامُ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي به ، ولاشك أن هذا الحديث - أعني الحديث المروي عن شداد بن أوس - مشتمل علىٰ أشياء ؛ منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي ، ومنها ما هو منكر كالصلاة في بيت لحم ، وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس ، وغير ذلك ، والله أعلم .

رواية عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -»

قال الإمام أحمد(٣٤) : حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه قال : حدثنا ابن عباس قال : ليلة أسري برسول[١] الله صلىٰ الله عليه وسلم ، دخل الجنة ، فسمع في جانبها وجسًا(*)[٢] فقال : « يا جبريل ؛ ما هذا ؟ قال : هذا بلال المؤذن ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين جاء إلىٰ الناس : قد أفلح بلال ! قد رأيت له كذا وكذا . قال : فلقيه موسىٰ عليه السلام فرحب به ؛ وقال : مرحبًا بالنبي الأمي ، قال : وهو رجل آدم ، طويل سبط ، شعره مع أذنيه ، أو فوقهما ، فقال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا موسىٰ [قال : فمضىٰ فلقيه عيسى ، فرحب به وقال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا عيسىٰ قال][٣] : فمضى ، فلقيه شيخ جليل متهيب ، فرحب به وسلم عليه ، وكلهم يسلم عليه ، قال : « من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم » قال : ونظر في النار ؛ فإذا قوم يأكلون الجيف ، قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحم[٤] الناس ، ورأىٰ رجلًا أحمر أزرق جدًّا ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال هذا عاقر الناقة . قال : فلما أتىٰ رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم المسجد الأقصىٰ قام يصلي ، [فالتفت ثم التفت][٥] فإذا النبيون أجمعون يصلون معه ، فلما انصرف جيء بقدحين ؛ أحدهما : عن اليمين ، والآخر : عن الشمال ، في أحدهما : لبن ، وفي الآخر : عسل ، فأخذ اللبن فشرب منه ، فقال الذي كان معه القدح : أصبت الفطرة » إسناد صحيح ، ولم يخرجوه .

---

(٣٤) - أخرجه أحمد - (١/٢٥٧) .

وصحح إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٢٧٩) وزاد نسبته إلى ابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل والضياء في المختارة .

---

[١] - في خ : « بنبي » .

[٢] - في ز ، خ : « وخشا » . والوجس : الصوت الخفي .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - في خ : « لحوم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

طريق أخرى : » وقال الإمام أحمد(٣٥) حدثنا حسن ، حدثنا ثابت أبو زيد ، حدثنا هلال ، حدثني عكرمة ، عن ابن عباس قال : أُسري بالنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره ، وبعلامة بيت المقدس ، وبعيرهم ، فقال ناس : نحن لانصدق محمدًا بما يقول ، فارتدوا كفارًا ؛ فضرب اللّٰه رقابهم مع أبي جهل ، وقال أبو جهل : يخوفنا محمد بشجرة الزقوم ، هاتوا تمرًا وزبدًا فتزقموا ؛ ورأىٰ الدجال في صورته رؤيا عين – ليس برؤيا منام – وعيسىٰ ، وموسىٰ ، وإبراهيم ، فسئل النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن الدجال ؟ فقال : « رأيته فيلمانيًا[١] ، أقمر ، هجانًا[٢] ، إحدى عينيه قائمة ؛ كأنها كوكب دري ، كأن شعر رأسه أغصان شجرة ، ورأيت عيسىٰ – عليه السلام – أبيض ، جعد الرأس ، حديد البصر ، مبطن الخلق ، ورأيت موسى أسحم[٣] آدم ، كثير الشعر ، شديد الخلق . ونظرت إلىٰ إبراهيم – عليه السلام – فلم[٤] أنظر إلىٰ إرْب[٥] منه إلا نظرت إليه مني ، حتى كأنه صاحبكم ، قال جبريل : [سلم على مالك][٦] فسلمت عليه . [ورواه النسائي من حديث أبى زيد ثابت بن يزيد عن هلال ، وهو ابن خباب به . وهو إسناد صحيح][٧] .

(طريق أخرىٰ) : قال البيهقي(٣٦) : أنبأنا أبو عبد اللّٰه الحافظ ، أنبأنا أبو بكر الشافعي ، أنبأنا إسحاق بن الحسن ، حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا شيبان ، عن قتادة عن أبي العالية قال[٨] : حدثنا ابن عم نبيكم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ابن عباس – رضي اللّٰه عنهما – قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « رأيت ليلة أُسري بي موسىٰ بن عمران ؛ رجلا

(٣٥) – أخرجه أحمد (٣٧٤/١) . وأخرجه أبو يعلى في مسنده – (٢٧٢٠) (١٠٨/٥) حدثنا زهير حدثنا الحسن بن موسى به ، وأخرجه النسائي في الكبرى – كتاب التفسير ، – « سورة الإسراء » – (١١٢٨٣) (٣٧٧/٦) ، « وسورة الدخان » – (١١٤٨٤) – (٤٥٦/٦) .

أخبرنا أبو داود سليمان بن سيف قال : نا أبو النعمان ، نا : ثابت به مختصرًا . وابن جرير في « تهذيب الآثار » (١٧) (٤٠٨/١) من طريق محمد بن إسحاق قال : أخبرنا أبو النعمان ، قال : أخبرنا ثابت به ، وصحح إسناده المصنف . وذكره الهيثمي في المجمع – (٧١/١-٧٢) وقال : « رواه أحمد ورجاله ثقات ، إلا أن هلال بن خباب قال يحيى القطان : إنه تغير قبل موته ، وقال يحيى بن معين : لم يتغير ، ولم يختلط ، ثقة مأمون ...» وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٧٩/٤) إلى ابن مردويه وأبي نعيم .

[١] – الفيلم : العظيم الجثة ، والفيلماني : منسوب إليه بزيادة الألف والنون للمبالغة (النهاية) .

[٢] – في ز : « هجان » . والهجان : الأبيض ، ويقع على الاثنين ، والواحد والجمع .

[٣] – الاسحم : الأسود .

[٤] – في ز ، خ : « فلا » .

[٥] – الإرب : العضو .

[٦] – كذا في ز ، خ ، ومسند أحمد ، وعند أبي يعلى : [سلم على أبيك] .

[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : ر ، خ .

[٨] – سقط من : خ .

طوالًا جعدًا كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسىٰ ابن مريم عليه السلام ؛ مربوع الخلق إلىٰ الحمرة والبياض ، سبط الرأس » وأري[١] مالكا خازن جهنم والدجال في آيات أراهن الله إياه قال : ﴿ فلا تكن في مرية من لقائه ﴾ فكان قتادة يفسرها أن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم قد لقي موسىٰ عليه السلام ﴿ وجعلناه هدىً لبني إسرائيل ﴾ قال : جعل الله موسىٰ هدىً لبني إسرائيل .

رواه مسلم(٣٧) في الصحيح عن عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن شيبان ، وأخرجاه(٣٨) من حديث شعبة عن قتادة مختصرًا .

طريق أخرى : [قال البيهقي(٣٩) :

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار ، ثنا دبيس المعدل ، ثنا عفان][٢] قال[٣] : ثنا[٤] حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لما أُسري بي مرت بي رائحة طيبة فقلت : ما هذه الرائحة ؟ قالوا : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط مشطها من يدها فقالت : بسم الله ! فقالت ابنة فرعون : أبي ؟ قالت : ربي وربك ورب أبيك ! قالت : أوَ لك رب غير أبي ؟ قالت : نعم ، ربي وربك ورب أبيك الله ! قال : فدعاها فقال : ألك رب غيري ؟ قالت : نعم ، ربي وربك الله عز وجل . قال : فأمر ببقرة[٥] من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها لتلقىٰ فيها قالت : إن لي إليك[٦] حاجة ، قال : ما[٧] هي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع ، قال : ذاك لك ؛ لما لك علينا من الحق ، قال : فأمر

(٣٦) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة - (٢/٣٨٦) .

(٣٧) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات ، وفرض الصلوات - (٢٧٦) - (٢/٢٩٥) .

(٣٨) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **وهل أتاك حديث موسى** ... ﴾ - (٣٣٩٦) (٦/٤٢٩) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات - (٢٦٦) - (١٦٥) - (٢/٢٩٣-٢٩٤) .

(٣٩) - أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » - (٢/٣٨٩) . وتقدم تخريجه موسعًا [سورة يوسف/آية٢٩/ رقم (٥٥،٥٦)] .

[١] - في ز : « رأى » ، سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في خ : « بنقرة » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في خ : « وما » .

بهم فألقوا واحدًا واحدًا، حتىٰ بلغ رضيعًا فيهم، فقال: ياأمه قعي ولا تقاعسي؛ فإنك علىٰ الحق. قال: وتكلم أربعة[١] وهم صغار: هذا، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسىٰ ابن مريم عليه السلام. إسناد لا بأس به ولم يخرجوه.

(طريق أخرىٰ): [ ][٢] وقال الإمام أحمد(٤٠): حدثنا محمد بن جعفر وروح المعنىٰ قالا: حدثنا عوف عن زرارة بن أوفى، عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «لما كان ليلة أسري بي وأصبحت[٣] بمكة فَظِعْتُ(*) بأمرى[٤]، وعرفت أن الناس مكذبي» فقعد معتزلًا حزينًا فمر به عدو اللَّه أبو جهل، فجاء حتىٰ جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: [هل كان من شيء][٥]؟ فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «نعم». قال: وما هو؟ قال: «إني أسري بي الليلة». قال: إلىٰ أين[٦]؟ قال: «إلىٰ بيت المقدس». قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «نعم». قال: فلم يره أنه يكذبه؛ مخافة أن يجحده[٧] الحديث إن[٨] دعا قومه إليه، فقال[٩]: أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «نعم». فقال[١٠]: هيا معشر بني كعب بن لؤي، قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتىٰ جلسوا إليهما، قال: حدِّث قومك بما حدثتني؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «إني أسري بي

(٤٠) - أخرجه أحمد - (٣٠٩/١). وأخرجه النسائي في الكبرى - كتاب التفسير، باب: «سورة الإسراء» - (١١٨٥) (٣٧٧/٦-٣٧٨). والطبراني في «الكبير» - (١٢٧٨٢) - (١٦٧/١٢-١٦٨) وفي «الأوسط»(٢٤٤٧) (٥٢/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣٦٣/٢-٣٦٤). والبزار - (٥٦) - (٤٥/١-٤٦ كشف). من طرق عن عوف الأعرابي به، وقال الطبراني: «لا يروي هذا الحديث عن عبد الله ابن عباس إلا بهذا الإسناد، تفرد به عوف». وقال البزار: «لا نعلم أحدًا حدث به إلا عوف عن زرارة». قلت: وعوف ثقة، وثقه أحمد وابن معين والنسائي وابن سعد وغيرهم، وروى له الجماعة، فلا يضر بعد ذلك تفرده الحديث والعلم عند الله تعالى. وذكره الهيثمي في «المجمع» (٦٩/١، ٧٠) وقال: «رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجال أحمد رجال الصحيح» وحسن =

[١] - بعده في خ: المهد.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «رواه النسائي من حديث أبي زيد ثابت بن زيد عن هلال، وهو ابن حباب وهو إسناد صحيح، خ: «رواه النسائي من حديث زيد ثابت بن زيد عن هلال وهو ابن حبان وهو إسناد صحيح».

[٣] - غير واضحة في خ.

[٤] - ما بين المعكوفتين مكانه بياض في: ز.

[٥] - في ز قبل قوله: بيت المقدس.

[٦] - في ز: «أن».

[٧] - في خ: «يجحد».

[٨] - سقط من: خ.

[٩] - في خ: «قال».

[١٠] - في خ: «قال».

الليلة » . فقالوا : إلىٰ أين ؟ قال : « إلىٰ بيت المقدس » . قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : « نعم » . قال : فمن بين مصفق ، ومن بين واضع يده علىٰ رأسه متعجبًا للكذب - زعم - قالوا : وتستطيع أن تنعت لنا[١] المسجد - وفي القوم من قد سافر إلىٰ ذلك البلد ورأىٰ المسجد -؟ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتىٰ التبس[٢] عليّ بعض النعت ، قال : فجيء بالمسجد - وأنا أنظر إليه - حتىٰ وُضع دون دار عقيل ، [أو عقال][٣] فنعتُّه ، وأنا أنظر إليه ، قال : وكان مع هذا نعت[٤] لم أحفظه ، يقول عوف : قال : فقال القوم[٥] : أما النعت فواللَّه لقد أصاب » . و[٦]أخرجه النسائي من حديث عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي [به ، ورواه البيهقي من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي][٧] ، أحد الأئمة الثقات به .

رواية عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه -

قال الحافظ أبو بكر البيهقي(٤١) : أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ ، أخبرنا أبو عبد اللَّه محمد بن يعقوب ، حدثنا السري بن خزيمة ، حدثنا يوسف بن بهلول ، حدثنا عبد اللَّه بن نمير ، عن مالك بن مغول[٨] ، عن الزبير بن عدي ، عن طلحة بن مصرف ، عن مرة الهمداني ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : لما أسري برسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فانتهىٰ إلىٰ سدرة المنتهىٰ - وهي في السماء السادسة ، وإليها ينتهي[٩] ما يُصعد به حتىٰ يقبض منها[١٠] ، وإليها ينتهي ما يُهبط به[١١] من فوقها حتىٰ يقبض منها[١٢] ﴿ **إذ يغشىٰ السدرة مايغشىٰ** ﴾ - قال : غشيها فراش من ذهب ، وأعطي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تسليمًا[١٣] الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لايشرك باللَّه المقحمات ،

= إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري - (١٩٩/٧) واختاره الضياء « المختارة » (١٠/رقم ٣٤ : ٣٧) . وصحح إسناده السيوطي في « الدر المنثور » - (٢٨٤/٤) وزاد عزوه إلى ابن أبي شيبة وابن مردويه وأبي نعيم في « الدلائل » وابن عساكر .

(٤١) - أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » - (٣٧٢/٢-٣٧٣) ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : في ذكر سدرة المنتهى (٢٧٩) (١٧٣) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « ألبس » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « نعتا » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « مغلول » .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - سقط من : خ .
[١٢] - سقط من : ز .
[١٣] - سقط من خ .

يعني : الكبائر .

ورواه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد اللَّه بن نمير وزهير بن حرب ، كلاهما عن عبد اللَّه بن نمير به .

ثم قال البيهقي : وهذا الذي ذكره عبد اللَّه بن مسعود طرف من حديث المعراج ، وقد رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم(٤٢) ، ثم عن أبي ذر عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم(٤٣) . ثم رواه مرة مرسلًا دون ذكرهما(٤٤) ، ثم إن البيهقي ساق الأحاديث الثلاثة كما تقدم .

قلت : وقد روي عن ابن مسعود بأبسط من هذا وفيه غرابة ، وذلك فيما رواه الحسن بن عرفة(٤٥) في جزئه المشهور : حدثنا مروان بن معاوية ، عن قنان بن عبد اللَّه النهمي ، حدثنا أبو ظبيان الجنبي قال : كنا جلوسًا عند أبي عبيدة بن عبد اللَّه - يعني : ابن مسعود - ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وهما جالسان ، فقال محمد بن سعد لأبي عبيدة : حدِّثنا عن أبيك ليلة أُسري بمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال أبو عبيدة : لا ، بل حدثنا أنت عن أبيك ؟ فقال محمد : لو سألتني قبل أن أسألك لفعلت ، قال : فأنشأ أبو عبيدة يحدث - يعني عن أبيه - كما سئل قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « أتاني جبريل - عليه السلام - بدابة فوق الحمار ودون البغل ، فحملني عليه ، ثم انطلق يهوي بنا ، كلما صعد عقبة استوت ، رجلاه كذلك مع يديه ، وإذا هبط استوت يداه مع رجليه ، حتىٰ مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال أزد شنوءة ، وهو يقول ، فيرفع صوته يقول : أكرمته وفضلته . قال : فدفعنا[١] إليه فسلمنا عليه ، فرد السلام فقال : من هذا معك يا جبريل ؟ قال : هذا أحمد ، قال : مرحبًا بالنبي الأمي العربي ، الذي بلغ رسالة ربه ، ونصح لأمته[٢] . قال : ثم اندفعنا فقلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا موسىٰ بن عمران قال : قلت : ومن يعاتب ؟ قال : يعاتب ربه فيك ، قلت : فيرفع صوته علىٰ ربه ؟! قال : إن اللَّه قد عرف له حدته . قال : ثم اندفعنا حتىٰ مررنا بشجرة كأن ثمرها السرج[٣] ، تحتها شيخ وعياله ، قال : فقال لي جبريل : اعمد[٤] إلىٰ أبيك إبراهيم ، فدفعنا إليه فسلمنا عليه ، فرد

---

(٤٢) - تقدم تخريجه .

(٤٣) - تقدم تخريجه .

(٤٤) - تقدم تخريجه .

(٤٥) - وعزاه له السيوطي في « الدر المنثور » - (٢٧٣/٤) وزاد عزوه إلى أبي نعيم في « الدلائل » وابن عساكر في تاريخه .

---

[١] - في ز ، خ : « فدعنا » .

[٢] - في خ : « أمته » .

[٣] - في خ : « السرح » .

[٤] - في ز : « اعهد » .

السلام ، فقال إبراهيم : من هذا معك ياجبريل ؟ قال : هذا ابنك أحمد . قال : فقال : مرحبًا بالنبي الأمي ، الذي بلغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، يابني إنك لاقٍ ربك الليلة ، وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها ، فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جُلَّها في أمتك فافعل . قال : ثم اندفعنا حتىٰ انتهينا إلىٰ المسجد الأقصىٰ فنزلت فربطت الدابة [في الحلقة][١] التي في باب المسجد التي كانت الأنبياء تربط بها ، ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين راكع وقائم وساجد ، قال : ثم أُتيت بكأسين من عسل ولبن ، فأخذت اللبن فشربت ، فضرب جبريل – عليه السلام – منكبي وقال : أصبت الفطرة ورب محمد . قال : ثم أقيمت الصلاة فأممتهم ، ثم انصرفنا فأقبلنا » .

إسناد غريب ولم يخرجوه ، فيه من الغرائب : سؤال الأنبياء عنه – عليه السلام – ابتداء ، ثم سؤاله عنهم بعد انصرافه ، والمشهور في الصحاح – كما تقدم – أن جبريل كان يعلمه بهم أولًا ؛ ليسلِّم عليهم سلام معرفة . وفيه أنه اجتمع بالأنبياء – عليهم السلام – قبل دخوله المسجد ؛ والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السموات ، ثم نزل إلىٰ بيت المقدس ثانيًا ، وهم معه ، وصلىٰ بهم فيه ، ثم إنه ركب البراق وكرّ راجعًا إلىٰ مكة ، والله أعلم .

(طريق أخرىٰ) : قال الإمام أحمد(٤٦) : حدثنا هشيم ، أخبرنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مؤثر[٢] بن عفازة[٣] ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة قال : فردوا أمرهم إلىٰ إبراهيم عليه السلام فقال : لا علم لي بها . فردوا أمرهم إلىٰ موسىٰ فقال : لا علم لي بها . فردوا أمرهم[٤] إلىٰ عيسىٰ فقال : أما وجبتها ، فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل ، و[٥]فيما عهد إليّ ربي أن الدجال خارج قال : ومعي قضيبان ، فإذا رآني ، ذاب كما يذوب الرصاص قال : فيهلكه[٦] الله[٧] حتىٰ إن الحجر والشجر يقول : يا مسلم إن تحتي[٨] كافرًا فتعال فاقتله . قال : فيهلكهم الله ، ثم يرجع الناس إلىٰ بلادهم وأوطانهم ، قال : فعند ذلك يخرج[٩] يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيطئون بلادهم ، فلا يأتون علىٰ شيء إلا أهلكوه ، ولا يمرون علىٰ ماء إلا شربوه ، قال : ثم يرجع الناس إليّ فيشكونهم ، فأدعو الله عليهم ؛ فيهلكهم ويميتهم حتىٰ تَجْوَىٰ[١٠] الأرض من

(٤٦) – تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ١٨٧] .

[١] – ما بين المعكوفتين في ز : « بالحلقة » .
[٢] – في ز ، خ : « مرثد » .
[٣] – في ز ، خ : « عفارة » .
[٤] – في خ : « علمها » .
[٥] – سقط من : ز ، خ .
[٦] – في خ : « فهلكه » .
[٧] – بعده في ز : « إذا رآني » .
[٨] – في ز : « تحت » .
[٩] – في ز : « فيخرج » .
[١٠] – في خ : « تحوي » .

نتن[١] ريحهم - أي : تنتن - قال : فيُنزل اللّه المطر ، فيجترف أجسادهم حتىٰ يقذفهم في البحر ، ففيما[٢] عهد إليّ ربي : أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم ، لايدري أهلها متىٰ[٣] تفجؤهم بولادها ليلًا أو نهارًا .

وأخرجه ابن ماجة عن بندار عن يزيد بن هارون عن العوام[٤] بن حوشب .

(رواية عبد الرحمن بن قرط أخي عبد اللّه[٥] بن قرط الثمالي) : قال سعيد بن منصور(٤٧) : حدثنا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة ، حدثني عروة بن رويم ، عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ليلة أُسري به من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ - كان[٦] بين زمزم والمقام ، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فطارا به حتىٰ بلغ السماوات العلا ، فلما رجع قال : سمعت تسبيحًا في السماوات العلا مع تسبيح كثير ، سبحت السماوات العلا من ذي المهابة مشفقات[٧] من ذي العلو بما علا ، سبحان العلي الأعلىٰ ! سبحانه وتعالىٰ .

ونذكر هذا الحديث عند قوله تعالىٰ من هذه السورة : ﴿ **تسبح له السموات السبع** ﴾ ... الآية .

(رواية عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه) : قال الإمام أحمد(٤٨) : حدثنا أسود[٨] بن

---

(٤٧) - أخرجه الطبراني في الكبير - وهو في الجزء المفقود - وفي الأوسط - (٣٧٤٢) - (٤/١١١-١١٢) .

وأبو نعيم في « الحلية » - (٢/٧) ، والذهبي في الميزان - (٥/٢٢٦) من طريق سعيد بن منصور به . وقال الطبراني : « لا يروى هذا الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا بهذا الإسناد تفرد به سعيد ابن منصور » .

قلت : مسكين بن ميمون قال عنه الذهبي في الميزان : (لا أعرفه ، وخبره منكر) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١/٨٣) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه مسكين بن ميمون ذكر له الذهبي هذا الحديث ، وقال : إنه منكر » . والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٨٠) إلى ابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة ، ويذكره المؤلف مرة أخرى عند قوله : « تسبح له السموات السبع ... » .

(٤٨) - أخرجه أحمد - (١/٣٨) وحسن إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٦) (١/٢٦٨) .

---

[١] - في خ : « نتنهم و » .
[٢] - في خ : « وفيما » .
[٣] - في ز : « كيف » .
[٤] - في ت : «شهر » .
[٥] - في خ : « عبد الرحمن » .
[٦] - في ز ، خ : « مِنْ » .
[٧] - في خ : « شفقات » .
[٨] - في خ : « أحمد » .

عامر ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي سنان ، عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب : أن عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - كان بالجابية ، فذكر فتح بيت المقدس قال : قال أبو سلمة : فحدثني أبو سنان ، عن عبيد بن آدم قال : سمعت عمربن الخطاب يقول لكعب : أين ترىٰ أن أصلي ؟ قال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، فكانت القدس كلها بين يديك . فقال عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - : ضاهيت اليهودية ، لا[١] ، ولكن أصلي حيث صلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فتقدم إلىٰ القبلة فصلىٰ ، ثم جاء فبسط رداءه ، وكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناس .

[فلم يعظم][٢] الصخرة تعظيمًا[٣] يصلي وراءها وهي بين يديه ، كما أشار به[٤] كعب الأحبار ، وهو من قوم يعظمونها حتىٰ جعلوها قبلتهم ، ولكن منّ اللّٰه عليه بالإسلام ، فهُدي إلىٰ الحق ؛ ولهذا لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين : ضاهيت اليهودية ، ولا أهانها إهانة النصارىٰ الذين كانوا قد جعلوها مزبلة من أجل أنها قبلة اليهود ، ولكن أماط الأذىٰ وكنس عنها الكناسة بردائه . وهذا شبيه بما جاء في صحيح مسلم(٤٩) عن أبي مرثد الغنوي قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها » .

(رواية أبي هريرة رضي الله عنه وهي مطولة جدًّا وفيها غرابة) . قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٥٠) في تفسير سورة سبحان : حدثنا علي بن سهل ، ثنا حجاج ، ثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحي[٥] ، عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - في قول اللّٰه عز وجل : ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ ، قال :

(٤٩) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجنائز ، باب : النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه (٩٧) (٩٧٢) . وأبو داود - كتاب الجنائز ، باب : في كراهية القعود علىالقبر - (٣٢٢٩) ، والنسائي - كتاب القبلة - باب : النهي عن الصلاة إلى القبر - (٦٧/٢) . والترمذي - كتاب الجنائز ، باب : ما جاء في كراهية المشي على القبور والجلوس عليها ... (١٠٥٠) .

(٥٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١١:٦/١٥) . وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣٩٧/٢-٤٠٣) . والبزار « كشف الأستار » (٥٢) (٥٥) (٣٨/١-٤٥) . من طرق عن أبي جعفر الرازي به . وأبو جعفر الرازي حسن الحديث إذا لم يخالف ، وفيما تفرد به نظر لأنه يهم كثيرًا ويخالف . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » - (٧٢/١ : ٧٨) وقال : « رواه البزار ورجال موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال : عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول » . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٦٨/٤) إلى أبي يعلى ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة وابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في خ : « الرباحي » .

[جاء جبريل][١] [إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ومعه ميكائيل ، فقال][٢] جبريل[٣] لميكائيل[٤] : ائتني بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه ، وأشرح له صدره . قال : فشق[٥] عنه بطنه فغسله ثلاث مرات ، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طساس من ماء زمزم ، فشرح صدره ، ونزع ما كان فيه من غل ، وملأه [ ][٦] وعلمًا وحلمًا[٧] وإيمانًا ويقينًا وإسلامًا ، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة .

ثم أتاه بفرس فحُمل عليه ، كل خطوة منه[٨] منتهىٰ بصره أو أقصىٰ بصره ، قال : فسار وسار معه جبريل -عليه[٩] السلام- قال : فأتىٰ علىٰ قوم يزرعون في يوم ، ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ياجبريل ؛ ما هذا ؟ » قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل اللَّه ، تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا[١٠] من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين .

ثم أتىٰ علىٰ قوم ترضخ رءوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : « ماهؤلاء ياجبريل ؟ » قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة .

ثم أتى على قوم على[١١] أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كماتسرح الإبل والنعم ، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف[١٢] جهنم وحجارتها ، قال : « فما هؤلاء يا جبريل ؟ » قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم ، وما ظلمهم اللَّه تعالىٰ شيئًا ، وما اللَّه بظلام للعبيد .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ، ولحم آخر نيء[١٣] قذر خبيث ، فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ، ويَدَعون النضيج الطيب ، فقال : « ما هؤلاء يا جبريل ؟ » فقال :

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « لميكال » .
[٥] - في ز : « فشقق » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « حكمة » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ت : « عليهما » .
[١٠] - في ت : « أنفقتم » .
[١١] - سقط من ز ، خ .
[١٢] - في ز : « وصف » . والرضف : الحجارة المحماة على النار . (النهاية ٢٣١/٢) .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .
[١٤] - في ز ، خ : في قدر . والمثبت من الطبري.

هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتىٰ يصبح ، [والمرأة تقوم من عند زوجها حلالًا طيبًا ، فتأتي رجلًا خبيثًا فتبيت معه حتى تصبح][١]

قال : ثم أتىٰ علىٰ خشبة علىٰ الطريق ، لا يمر بها ثوب إلا شقته ، ولا شيء إلا خرقته ، قال : [« ما هذا ياجبريل ؟][٢] » قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون علىٰ الطريق يقطعونه ، ثم تلا : ﴿ **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون** ﴾ ... الآية .

قال : ثم أتىٰ علىٰ رجل قد[٣] جمع[٤] حزمة حطب[٥] عظيمة ، لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، فقال : « ما هذا[٦] يا جبريل ؟ » قال : هذا الرجل من أمتك ، يكون عليه أمانات الناس ، لا يقدر علىٰ أدائها ، وهو يريد أن يحمل عليها

ثم أتىٰ علىٰ قوم تُقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : « ما هؤلاء ياجبريل ؟ » فقال : هؤلاء خطباء الفتنة . ثم أتى على جحرٍ صغير ، يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث[٧] خرج فلا يستطيع فقال : « ماهذا يا جبريل ؟ » فقال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها .

ثم أتىٰ علىٰ واد ، فوجد ريحًا طيبة باردة وريحَ مسكٍ ، وسمع صوتًا ، فقال : « ياجبريل ما هذه[٨] الريح الطيبة الباردة ؟ وما هذا المسك ؟ وما هذا الصوت ؟ » قال : هذا صوت الجنة تقول : يارب ، آتني ما[٩] وعدتني ، فقد كثرت غرفي وإستبرقي وحريري وسندسي ؛ وعبقرين[١٠] ولؤلؤي ومرجاني ، وفضتي وذهبي ، وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبى ؛ وعسلي ومائي ولبني وخمري ، فآتني ما وعدتني ، فقال : لكِ كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحًا ، ولم يشرك بي ، ولم يتخذ من دوني أندادًا ، ومن خَشِيَني فهو آمن ؛ ومن سألني أعطيته ؛ ومن أقرضني جزيته ؛ ومن توكل عليّ كفيته ، إني أنا اللّٰه لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد ؛ وقد أفلح المؤمنون وتبارك اللّٰه أحسن الخالقين ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - مكررة في خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « حمل » ، خ : « يحمل » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ت : « هؤلاء » .
[٧] - في ز : « موضع » .
[٨] - في ز : « هذا » .
[٩] - في ز : « بما » .
[١٠] - في خ : « وعبقري » .

قالت[١] : قد[٢] رضيت .

قال : ثم أتىٰ علىٰ واد فسمع صوتًا منكرًا ، ووجد ريحًا منتنة ، فقال :« ما هذه الريح يا جبريل ؟ وما هذا الصوت ؟ » فقال : هذا صوت جهنم تقول : يارب ، آتني ما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي ، وسعيري وحميمي ؛ وضريعي[٣] وغساقي وعذابي ، وقد بَعُدَ قَعْري واشتد حرِّي ، فآتني كل ما وعدتني . قال : لكِ كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب . قالت : قد رضيت .

قال : ثم سار حتىٰ أتىٰ بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلىٰ صخرة ، ثم دخل فصلىٰ مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبريل ، من هذا معك ؟ قال : محمد صلىٰ الله عليه وسلم . قالوا : أو قد أرسل [إليه][٤] ؟ قال : نعم . قالوا : حيّاه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء .

قال : ثم لقي أرواح الأنبياء ، فأثنوا على ربهم ، فقال إبراهيم : الحمد لله الذي اتخذني خليلًا ، وأعطاني ملكا عظيمًا ، وجعلني أمة قانتًا يؤتم بي ، وأنقذني من النار وجعلها عليّ بردًا وسلامًا ! ثم إن موسىٰ - عليه السلام - أثنىٰ على ربه فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليمًا ، وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني إسرائيل علىٰ يدي ، وجعل من أمتي قومًا يهدون بالحق وبه يعدلون ! ثم إن داود - عليه السلام - أثنىٰ علىٰ ربه فقال : الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيمًا ، وعلمني الزبور ، وألان لي الحديد ، وسخر لي الجبال يسبحن والطير ، وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ! ثم إن سليمان - عليه السلام - أثنىٰ علىٰ ربه فقال : الحمد لله الذي سخر لي الرياح ، وسخر لي الشياطين ، يعملون لي[٥] ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب[٦] وقدور راسيات ، وعلمني منطق الطير ، وآتاني من كل شيء فضلًا ، وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطير ، وفضلني علىٰ كثير من عباده المؤمنين ، وآتاني ملكا عظيمًا لا ينبغي لأحد من بعدي ، وجعل ملكي ملكًا طيبًا ليس فيه حساب ! ثم إن عيسىٰ - عليه السلام - أثنىٰ علىٰ ربه - عز وجل - فقال : الحمد لله الذي جعلني كلمته ، وجعل مثلي[٧] مثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له « كن » فيكون ، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير ، [فأنفخ فيه][٨] فيكون طيرًا بإذن الله ، وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص ، وأحيي الموتىٰ [بإذن الله][٩] ،

---

[١] - في خ : « قال » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز ، خ : « مربعي » .

[٤] - في ز : « محمد » ، خ : « إليه » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ز : كالجوابي » .

[٧] - في خ : « مثيلي » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « بإذنه » .

ورفعني وطهرني، وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان علينا سبيل . قال[١] : ثم إن محمدًا صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أثنىٰ علىٰ ربه -عز وجل- فقال : « وكلكم[٢] أثنىٰ علىٰ ربه، وإني مُثْنٍ علىٰ ربي فقال : الحمد للّٰه الذي أرسلني رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرًا ونذيرًا، وأنزل عليّ الفرقان، فيه بيان لكل شيء، وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمتي أمة وسطًا، وجعل أمتي هم الأولين وهم الآخرين، وشرح لي صدري، ووضع عني وزري، ورفع لي[٣] ذكري، وجعلني فاتحًا وخاتمًا » فقال إبراهيم -عليه السلام- : بهذا فضلكم محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

قال أبو جعفر الرازي : خاتم النبوة[٤] فاتح بالشفاعة يوم القيامة .

ثم أُتي بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها ؛ فأُتي بإناء منها فيه ماء، فقيل : اشرب، فشرب منه يسيرًا، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن، فقيل [له : اشرب، فشرب منه][٥] حتىٰ روي، ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر، فقيل له : اشرب فقال : لا أريده قد رويت، فقال له جبريل : أما إنها ستحرم علىٰ أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا قليل .

قال : ثم صعد به إلىٰ السماء فاستفتح فقيل : من هذا يا جبريل ؟ فقال : محمد، قالوا[٦] : أو قد أرسل إليه[٧] ؟ قال : نعم، قالوا : حياه اللّٰه من أخ ومن خليفة[٨] ؛ فنعم الأخ، ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، [ففتح لهما][٩] فدخل، فإذا هو برجل تام الخلق، لم ينقص من خلقه شيء، كما ينقص من خلق الناس، عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، إذا نظر إلىٰ الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر إلىٰ[١٠] الباب الذي عن يساره بكىٰ وحزن .

فقلت : يا جبريل، من هذا الشيخ التام الخلق، الذي لم ينقص من خلقه شيء ؟ وما هذان البابان ؟ فقال : هذا أبوك آدم، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة، إذا نظر إلىٰ من يدخله[١١] من ذريته ضحك واستبشر، والباب الذي عن شماله باب جهنم، إذا نظر إلىٰ من يدخله[١٢] من ذريته بكىٰ وحزن .

---

[١] - سقط من : ز، خ .
[٢] - في ز : « فكلكم » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « بالنبوة » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في خ : « فقالوا » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في خ : « ونعم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .
[١٠] - في خ : « على » .
[١١] - في ز : « يدخل » .
[١٢] - في خ : « يدخلها » .

ثم صعد به جبريل إلىٰ السماء الثانية ، فاستفتح ، فقيل : من هذا معك ؟ فقال : محمد رسول اللَّه ، قالوا : أو قد أرسل محمد ؟ قال : نعم . قالوا : حياه اللَّه من أخ ومن خليفة ! فلنعم الأخ ، ونعم الخليفة ! ونعم المجيء جاء ! قال : فدخل فإذا هو بشابين ، فقال : يا جبريل ، من هذان الشابان ؟ قال[١] : هذا عيسىٰ ابن مريم ، ويحيى بن زكريا ابنا الخالة عليهما السلام .

قال : فصعد به إلىٰ السماء الثالثة ، فاستفتح ، فقالوا : من هذا ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أرسل ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه اللَّه من أخ ومن خليفة ! فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ! ونعم المجيء جاء ! قال : فدخل فإذا هو برجل قد فضل علىٰ الناس في الحسن [كما فضل القمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب ، قال : من هذا يا جبريل الذي قد فضل علىٰ الناس في الحسن ؟][٢] قال : هذا أخوك يوسف - عليه السلام - .

قال : ثم صعد به إلىٰ السماء الرابعة ، فاستفتح فقالوا : من هذا ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أرسل إليه[٣] ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه اللَّه من أخ ومن خليفة ! فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ! ونعم المجيء جاء ! قال : فدخل فإذا هو برجل ، قال[٤] : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا إدريس عليه السلام رفعه اللَّه مكانًا عليا .

ثم صعد به إلىٰ السماء الخامسة ، فاستفتح ، فقالوا : من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : أو قد أرسل إليه[٥] ؟ قال : نعم . قالوا : حياه اللَّه من أخ ومن[٦] خليفة ! فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ! قال[٧] : فدخل فإذا هو برجل جالس ، وحوله قوم يقص عليهم ، قال : من هذا يا جبريل ؟ ومن هؤلاء حوله ؟ قال : هذا[٨] هارون المحبب [في قومه][٩] ، وهؤلاء بنو إسرائيل .

ثم صعد به إلىٰ السماء السادسة ، فاستفتح ، قيل[١٠] : من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : أو قد أرسل إليه[١١] ؟ قال : نعم . قالوا : حياه اللَّه من

---

[١] - في خ : « فقال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من: ت .
[٤] - في ز : « فقال » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « ثم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز : « قيل له » ، خ : « فقالوا » .
[١١] - سقط من : ت .

أخ ومن خليفة ! فنعم الأخ، ونعم الخليفة ! ونعم المجيء جاء[١] ! فإذا هو برجل جالس، فجاوزه فبكىٰ الرجل فقال : يا جبريل ! من هذا ؟ قال : موسىٰ . قال : فما باله يبكي ؟ قال : زعم بنو[٢] إسرائيل أني أكرم بني آدم علىٰ الله -عز وجل- ، وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا وأنا في أخرىٰ ، فلو أنه بنفسه لم أبال ، ولكن مع كل نبي أمته .

قال : [ثم صعد][٣] به إلىٰ السماء السابعة ، فاستفتح ، [فقيل له][٤] : من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا[٥] : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أرسل إليه[٦] ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ! فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء ، قال : فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي ، وعنده قوم جلوس ، بيض الوجوه ، أمثال[٧] القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء ، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فدخلوا نهرًا ، فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهرًا آخر ، فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من[٨] ألوانهم [شيء ، ثم دخلوا نهرًا آخر ، فاغتسلوا فيه ، فخرجوا][٩] [ ][١٠] وقد[١١] خلصت[١٢] ألوانهم[١٣] فصارت مثل ألوان أصحابهم ، فجاءوا فجلسوا إلىٰ أصحابهم ، فقال : يا جبريل ! من هذا الأشمط ؟ ثم من هؤلاء البيض[١٤] الوجوه ؟ ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ؟ [وما هذه الأنهار التي دخلوا فيها فجاءوا وقد صفت ألوانهم ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم أول من شمط علىٰ الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه ، فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء][١٥] ، فقوم[١٦] خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا ، فتابوا فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار ؛ فأولها : رحمة الله . والثانى : نعمة[١٧] الله . والثالث : سقاهم ربهم شرابًا طهورًا .

قال : ثم انتهىٰ إلىٰ السدرة فقيل له : هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك

---

[١] - سقط من : ت . وبعده في خ : « قال :فدخل » .
[٢] - في خ : « بنى » والصواب المثبت .
[٣] - في خ :« فصعد » .
[٤] - في خ : « قالوا » .
[٥] - في ز : « قيل » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في خ : « مثل » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] - في خ : منه .
[١١] - سقط من : ز .
[١٢] - سقط من : ز ، في خ : « خلفي » .
[١٣] - سقط من : ز .
[١٤] - في خ : « بيض » .
[١٥] - سقط من ز ، خ .
[١٦] - في خ : « فقومًا » .
[١٧] - في ز ، خ : « نعم » .

علىٰ سنتك ، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذّة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها ، والورقة منها مغطية للأمة كلها ، قال : فغشيها نور الخلاق - عز وجل - وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين[١] يقعن[٢] علىٰ الشجرة ، [قال : فكلمه الله][٣] عند ذلك ، فقال[٤] له : سل . قال : إنك اتخذت إبراهيم خليلًا ، وأعطيته ملكًا عظيمًا ، وكلمت موسىٰ تكليمًا ، وأعطيت داود ملكًا عظيمًا ، وألنت له الحديد ، [وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكًا ، وسخرت له الجن والإنس والشياطين][٥] ، وسخرت له الرياح ، وأعطيته ملكًا عظيمًا لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتىٰ بإذنك ، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل . فقال له ربه - عز وجل - : وقد اتخذتك خليلًا .-وهو مكتوب في التوراة : حبيب الرحمن - وأرسلتك إلىٰ الناس كافة بشيرًا ونذيرًا ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا أُذكر إلا ذكرتَ معي ، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس ، وجعلت أمتك أمة وسطًا ، وجعلت أمتك هم الأولين[٦] الآخرين ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتىٰ يشهدوا أنك عبدي ورسولي ، وجعلت من أمتك أقوامًا قلوبهم أناجيلهم ، وجعلتك أول النبيين خلقًا ، وآخرهم بعثًا[٧] وأولهم[٨] يقضىٰ له ، وأعطيتك سبعًا من المثاني لم [يعطها نبي][٩] قبلك ، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيًا قبلك ، وأعطيتك الكوثر ، وأعطيتك ثمانية أسهم : الإسلام ، والهجرة ، والجهاد ، والصدقة ، والصلاة[١٠] ، وصوم رمضان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . وجعلتك فاتحًا وخاتمًا ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « فضَّلني ربي بست : أعطاني فواتح الكلام وخواتيمه ، وجوامع الحديث ، وأرسلني إلىٰ الناس كافة بشيرًا ونذيرًا ، وقذف في قلوب عدوي الرعب من مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض كلها طهورًا ومسجدًا » .

قال : وفرض عليه خمسين صلاة ، فلما رجع إلىٰ موسىٰ قال : بم أمرت يا محمد ؟ قال : بخمسين صلاة ، قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك أضعف الأمم ،

---

[١] - في ز ، خ : « حتى » .

[٢] - في ز خ : « تقع » .

[٣] - في خ : « فكلمه تعالى » .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - بعده في ت : «وهم » .

[٧] - سقط من : خ .

[٨] - في ز : « وآخرهم » ، سقط من خ .

[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « أعطها نبيًا » .

[١٠] - سقط من : ز .

فقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ ربه -عز وجل- فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرًا ، [ثم رجع][١] إلىٰ موسىٰ فقال : بكم أمرت ؟ قال[٢] : بأربعين ، قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك أضعف الأمم ، قد[٣] لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرًا ، فرجع إلىٰ موسىٰ فقال : بكم أمرت ؟ قال : أمرت بثلاثين ، فقال له موسىٰ : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ؛ قال : فرجع إلىٰ ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرًا ، فرجع إلىٰ موسىٰ عليه السلام فقال : بكم أمرت ؟ قال : أمرت بعشرين ، قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ؛ قال : فرجع إلىٰ ربه عز وجل فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرًا ، فرجع إلىٰ موسىٰ فقال : بكم أمرت ؟ قال[٤] : بعشر ؛ قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع [علىٰ حياء][٥] إلىٰ ربه ، فسأله التخفيف ، فوضع عنه خمسًا ، فرجع إلىٰ موسىٰ -عليه السلام- فقال : بكم أمرت ؟ قال[٦] : بخمس ، قال : ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : قد رجعت إلىٰ ربي حتىٰ استحييت ، فما أنا [راجع][٧] إليه ؛ قيل : [أما إنك كما][٨] صبرت نفسك علىٰ خمس صلوات ؛ فإنهن يجزين عنك خمسين صلاة ؛ فإن كل حسنة بعشر أمثالها ، قال : فرضي محمدصلىٰ اللَّه عليه وسلم كل الرضا ؛ قال : وكان موسىٰ -عليه السلام- من أشدهم عليه حين مر به ، وخيرهم له حين رجع إليه .

ثم رواه ابن جرير ، عن محمد بن عبيد اللَّه ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية أو غيره - شك أبو جعفر - عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذكره بمعناه ، وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي ، عن أبي سعيد الماليني ، عن ابن عدي ، عن محمد بن الحسن السكوني البالسي بالرملة ، حدثنا علي بن سهل ، فذكر مثل مارواه ابن جرير عنه .

وذكر البيهقي أن الحاكم أبا عبد اللَّه رواه عن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد

---

[١] - في خ : « فرجع » .
[٢] - في خ : « فقال » .
[٣] - في خ : « لقد » .
[٤] - بعده في خ : أمرت .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - بعده في خ : أمرت .
[٧] - في ت : « براجع » .
[٨] - في ز ، خ : « إنه كما أنك » .

الشعراني ، عن جده ، عن [إبراهيم بن][١] حمزة الزبيري ، عن حاتم بن إسماعيل ، حدثني عيسىٰ بن ماهان - يعني أبا جعفر الرازي - عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم فذكره .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر[٢] أبو زرعة : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، حدثنا يونس بن بكير ، [حدثنا عيسىٰ بن][٣] عبد الله التميمي - عن[٤] أبا جعفر الرازي - عن الربيع بن أنس البكري[٥] ، عن أبي العالية أو غيره - شك عيسىٰ - عن أبي هريرة ، أن [رسول الله][٦] صلىٰ الله عليه وسلم قال [في قوله تعالىٰ][٧] : ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلًا من المسجد الحرام** ﴾ ... فذكر الحديث بطوله كنحوٍ مما سقناه .

قلت : أبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازي : يهم في الحديث كثيرًا ، وقد ضعفه غيره أيضًا ووثقه بعضهم ، والأظهر أنه سيئ الحفظ ، ففيما تفرد به نظر . وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة ، وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة ابن جندب في المنام الطويل عند البخاري ، ويشبه أن يكون مجموعًا من أحاديث شتىٰ ، أو منام ، أو[٨] قصة أخرىٰ غير الإسراء ، والله أعلم .

وقد روىٰ البخاري ومسلم في الصحيحين(٥١) من حديث عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن الزهري ، أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال [رسول الله][٩] صلىٰ الله عليه وسلم حين أسري به : « لقيت موسىٰ - عليه السلام قال[١٠] فنعته فإذا رجل حسبته قال : مضطرب ، رَجْلَ الرأسِ كأنه من رجال شنوءة ، قال : ولقيت عيسىٰ ، فنعته النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس - يعني : حمام - قال : ولقيت[١١] إبراهيم وأنا أشبه ولده به ، قال : وأتيت بإناءين ، في أحدهما لبن وفي الآخر

(٥١) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأنبياء ، باب : قول الله ﴿ **واذكر في الكتاب مريم** ... ﴾ (٣٤٣٧) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى = السماوات وفرض الصلوات (٢٧٢) (١٦٨) ، وأخرجه البخاري أيضًا (٣٣٩٤) من طريق هشام بن يوسف عن معمر به .

[١] - في خ : « أبي » .
[٢] - في ز: « ذكره » ، خ : « فذكره » .
[٣] - في خ : « عن » .
[٤] - في ز : «يعني» .
[٥] - في خ : « اليشكري » .
[٦] - في خ : « النبي » .
[٧] - في خ : « الله » .
[٨] - في خ : « و » .
[٩] - في خ : « النبي » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في ز ، خ : « ورأيت » .

خمر ، قيل لي : خذ أيهما شئت ؟ فأخذت اللبن فشربت فقيل لي[١] : هديت الفطرة - أو أصبت الفطرة - أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك » . وأخرجاه من وجه آخر عن الزهري به نحوه .

وفي صحيح مسلم(٥٢) عن محمد بن رافع عن حجين بن المثنىٰ ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن عبد اللّٰه بن الفضل الهاشمي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لقد رأيتني في الحجر ، وقريش تسألني عن مسراي ، فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربًا ما كربت مثله قط ، فرفعه اللّٰه لي أنظر إليه ، ما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ، وقدرأيتني في جماعة من الأنبياء ، وإذا موسىٰ قائم يصلي ، [وإذا هو رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسىٰ [ابن مريم][٢] قائم يصلي][٣] ، أقرب الناس شبهًا به عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم قائم يصلي [أشبه الناس به][٤] صاحبكم - يعني : نفسه - فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت قال قائل : يامحمد ؛ هذا مالك صاحب النار[٥] ، [فسلِّم عليه][٦] فالتفتُّ إليه ، فبدأني بالسلام » .

وقال ابن أبي حاتم(٥٣) : حدثنا أبي ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي الصلت ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « رأيت ليلة أسري بي لما انتهينا إلىٰ السماء السابعة فنظرت فوق فإذا رعد وبرق وصواعق ، قال : وأتيت علي قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترىٰ من خارج بطونهم ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا ، فلما نزلت إلىٰ السماء[٧] الدنيا نظرت أسفل مني ، قال :[٨] فإذا أنا برهج ودخان وأصوات ، فقلت : [ما هذا][٩] ياجبريل ؟ قال : هذه الشياطين ، يحرفون[١٠] علىٰ أعين بني آدم ، [ألّا يتفكروا][١١] في ملكوت

(٥٢) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان باب : ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (٢٧٨) (١٧٢) . وقد جعل ابن كثير - رحمه الله تعالى - شيخ مسلم في هذا الحديث « محمد بن رافع » وفي المطبوع « وحدثني زهير بن حرب حدثنا حجين به » .

(٥٣) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف آية ١٨٥] .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « أقرب الناس شبهًا به » .
[٥] - في ت : « جهنم » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من: ت .
[٩] - في ت : « من هؤلاء » ، خ : « هاهذا » .
[١٠] - في ز ، خ : « يحرقون » .
[١١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لا يتفكروا » ، خ : « لا يتفكرون » .

السموات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا العجائب » .

ورواه الإمام أحمد عن حسن وعفان - كلاهما عن حماد بن سلمة به .

ورواه ابن ماجة من حديث حماد به .

رواية جماعة من الصحابة ممن تقدم وغيرهم ، قال الحافظ البيهقي(٥٤) : حدثنا أبو عبد الله - يعني : الحاكم - حدثنا عبدان بن يزيد بن يعقوب الدقاق بهمذان[١] ، حدثنا إبراهيم ابن الحسين الهمذاني[٢] ، حدثنا أبو محمد - هو إسماعيل بن موسىٰ[٣] الفزاري - حدثنا عمر بن سعد النصري[٤] من بني نصر[٥] بن قعين[٦] ، حدثني عبد العزيز ، وليث بن أبي سليم ، وسليمان الأعمش ، وعطاء بن السائب - بعضهم يزيد في الحديث علىٰ بعض - عن علي بن أبي طالب ، وعن[٧] عبد الله بن عباس - ومحمد بن إسحاق بن يسار ، عمّن حدثه ، عن ابن عباس - وعن سليم بن مسلم العقيلي ، عن عامر الشعبي ، عن عبد الله بن مسعود وجويبر ، عن الضحاك بن مزاحم قالوا : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في بيت أم هانئ راقدًا ، وقد صلىٰ العشاء الآخرة . قال أبو عبد الله الحاكم : قال لنا هذا الشيخ ... وذكر الحديث فكتب[٨] المتن من نسخة مسموعة منه ، فذكر حديثًا طويلًا يذكر فيه عدد الدرج والملائكة وغير ذلك مما لا ينكر شيء[٩] منها في قدرة الله إن صحت الرواية .

قال البيهقي : فيما ذكرنا قبل في[١٠] حديث أبي هارون العبدي في إثبات الإسراء والمعراج كفاية ، وبالله التوفيق .

قلت : وقد أرسل هذا الحديث غير واحد من التابعين ، وأئمة المفسرين ، رحمة الله عليهم أجمعين .

(رواية عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -) قال البيهقي(٥٥) : أخبرنا أبو عبد الله

(٥٤) - « دلائل النبوة » للبيهقي - (٢/٤٠٤-٤٠٥) .
(٥٥) - « دلائل النبوة » للبيهقي - (٢/٣٦٠-٣٦١) .

[١] - في ز : خ : « بهمدان » .
[٢] - في ز ، خ : « الهمداني » .
[٣] - في خ : « محمد » .
[٤] - في ز ، خ : « النضري » .
[٥] - في ز ، خ : « نضر » .
[٦] - في ز ، خ : « معين » .
[٧] - سقط من : ت .
[٨] - في خ : « فكتبت » .
[٩] - في خ : « شيئًا » .
[١٠] - في خ : « من » .

الحافظ ، أخبرني مكرم بن أحمد القاضي ، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي[١] ، حدثني محمد ابن كثير الصنعاني ، حدثنا معمر[٢] بن راشد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة [رضي الله عنها][٣] قالت : لما أسري [برسول الله][٤] صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المسجد الأقصىٰ أصبح يحدث الناس بذلك ، فارتد ناس ممن[٥] كانوا آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلىٰ أبي بكر فقالوا : هل لك في صاحبك[٦] ؟ يزعم أنه أسري به الليلة إلىٰ بيت المقدس ، فقال : أوَ قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : فتصدقه[٧] أنه ذهب الليلة[٨] إلىٰ بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم ، إني لأصدقه فيما[٩] هو أبعد من ذلك ؛ أصدقه [في خبر][١٠] السماء في غدوة أو روحة ؛ فلذلك سمي أبو بكر : الصديق [رضي الله عنه][١١] .

(رواية أم هانئ بنت أبي طالب [رضي الله عنها][١٢]) قال محمد بن إسحاق(٥٦) : حدثني محمد بن [ ][١٣] السائب الكلبى عن أبي صالح باذان عن أم هانئ بنت أبي طالب في مسرىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : ما أسري برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة ، فصلىٰ العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبّنا [رسول الله صلى الله عليه وسلم][١٤] فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : « يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ، ثم

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٦٢-٦٣) وقال : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

مع أن في إسناده محمد بن كثير الصنعاني : قال البخاري : لينٌ جدًّا ، وقال النسائي : ليس بالقوي كثير الخطأ ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : ذكره أبي محمد بن كثير ، وضعفه جدًّا ، وضعف حديثه عن معمر جدًّا ، وقال : هو منكر الحديث ، وقال : يروى أشياء منكرة .

وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٢٨٤) إلى ابن مردويه .

(٥٦) - أخرجه ابن هشام في سيرته - (٢/٤٢٧) . وأخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/٢) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق به .

---

[١] - في ز ، خ : « البكري » .
[٢] - في ز : « محمد » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في خ : « بالنبي » .
[٥] - في ت : « مما » .
[٦] - في ز ، خ : « صاحب » .
[٧] - في ز : « تصدقه » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : « بما » .
[١٠] - في ز ، خ : « بخبر » .
[١١] - سقط من : ت .
[١٢] - سقط من : ت .
[١٣] - في ز ، خ : محمد بن .
[١٤] - سقط من : ت .

جئت بيت المقدس فصليت فيه ، [ثم صليت][1] صلاة الغداة معكم الآن كما ترين » .

الكلبي : متروك بمرة ساقط . لكن رواه أبو يعلىٰ(٥٧) في مسنده عن محمد بن إسماعيل الأنصاري ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن يحيىٰ بن أبي عمرو السيباني[2] ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ بأبسط من هذا السياق فليكتب ههنا .

وروىٰ الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥٨) من حديث عبد الأعلي بن أبي المساور ، عن عكرمة ، عن أم هانئ قالت : بات رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ليلة أسري به في بيتي ، ففقدته من الليل ، فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إن جبريل -عليه السلام- أتاني ، فأخذ بيدي فأخرجني ، فإذا علىٰ الباب دابة[3] دون البغل وفوق الحمار ، فحملني عليها ، ثم انطلق حتىٰ انتهىٰ بي إلىٰ بيت المقدس ، فأراني إبراهيم عليه السلام ، يشبه خلقُه خلقي ، ويشبه خلقي خلقَه ، وأراني موسىٰ آدم ، طويلًا ، سبط الشعر ، شبهته برجال أزد شنوءة ، وأراني عيسىٰ ابن مريم ربعة ، أبيض ، يضرب إلىٰ الحمرة ، شبهته بعروة بن مسعود الثقفي ، وأراني الدجال ممسوح العين اليمنىٰ ، شبهته بقطن بن عبد العزىٰ - قال : وأنا أريد أن أخرج إلىٰ قريش فأخبرهم بما رأيت » . فأخذت بثوبه فقلت : إني أذكرك اللّٰه إنك تأتي قومك يكذبونك ، وينكرون مقالتك ، فأخاف أن يسطوا بك ، قالت[4] : فضرب ثوبه من يدي ، ثم خرج إليهم فأتاهم - وهم جلوس - فأخبرهم ما أخبرني ، فقام جبير بن مطعم فقال : يا محمد لو[5] كنت شابًا كما كنت ؛ ما تكلمت بما تكلمت به وأنت بين ظهرانينا . فقال رجل من القوم : يا محمد ؛ هل مررت بإبل لنا [ ][6] في مكان كذا وكذا ؟ قال : « نعم ، واللّٰه قد[7] وجدتهم قد أضلوا بعيرًا لهم ، فهم في طلبه » . قال : فهل[8] مررت بإبل لبني

(٥٧) - ذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (٤٢٨٧) وعزاه إلى أبي يعلى . وقال الشيخ - حبيب الرحمن الأعظمى - في الحاشية - [سكت عليه البوصيري ، وقال الحافظ في الإصابة : هذا أصح من رواية الكلبي - الرواية السابقة - فإن في روايته من المنكر أنه صلى العشاء والصبح معهم ، وإنما فرضت الصلاة ليلة المعراج .... قلت (الشيخ حبيب) هذا المنكر في هذه الرواية أيضًا] .

والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٧٤/٤) إلى ابن عساكر .

(٥٨) - أخرجه الطبراني في الكبير - (١٠٩٥) - (٤٣٤:٤٢٢/٢٤) . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (٨٠/١-٨١) وقال : « رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور متروك الحديث » . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور - (٢٧٤/٤) إلى ابن مردويه .

[١] - في خ : « فصليت » .
[٢] - في ز ، خ : « الشيباني » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في ز ، خ : « إن لم » .
[٦] - في ز ، خ : قال .
[٧] - زيادة من : خ.
[٨] - في ت : « هل » ، سقط من : خ .

فلان ؟ قال : « نعم ، وجدتهم في مكان كذا وكذا ، وقد انكسرت لهم ناقة حمراء ، وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها » . قالوا : فأخبرنا عدتها وما فيها من الرعاة . [قال : قد كنت عن عدتها مشغولًا فنام فأُتي بالإبل ، فعدها وعلم ما فيها من الرعاة][١] ، ثم أتىٰ قريشًا فقال لهم : « سألتموني عن إبل بني فلان ، فهي كذا وكذا ، وفيها من الرعاة [فلان وفلان ، وسألتموني عن إبل بنى فلان ، فهي كذا وكذا ، وفيها من الرعاة][٢] ابن أبي قحافة وفلان وفلان ، وهي مصبحتكم بالغداة[٣] علىٰ[٤] الثنية » . قال : فقعدوا[٥] علىٰ الثنية ينظرون أَصَدَقَهم ما قال ؟ فاستقبلوا الإبل فسألوهم[٦] : هل ضل لكم بعير ؟ فقالوا[٧] : نعم ، فسألوا الآخر : هل انكسرت لكم ناقة حمراء ؟ قالوا[٨] : نعم . قالوا : فهل كانت[٩] عندكم قصعة ؟ قال أبو بكر : أنا واللّٰه وضعتها ، فما شربها أحد ، ولا أهراقوه في الأرض . فصدقه أبو بكر ، وآمن به ، فسُمي يومئذ : الصديق .

فصل

وإذا حصل الوقوف علىٰ مجموع هذه الأحاديث ، صحيحها وحسنها وضعيفها ، يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من مكة إلىٰ بيت المقدس ، وأنه مرة واحدة ؛ وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه ، أو زاد بعضهم فيه[١٠] أو نقص منه ؛ فإن الخطأ جائز علي من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرىٰ مرةً علىٰ حدة ؛ فأثبت إسراءات متعددة ، فقد أبعد وأغرب ، وهرب إلىٰ غير مهرب ، ولم يتحصل[١١] علىٰ مطلب . وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه - عليه السلام - أُسري به مرة من مكة إلىٰ بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلىٰ السماء فقط ، ومرة إلىٰ بيت المقدس ومنه إلىٰ السماء ، وفرح[١٢] بهذا المسلك ، وأنه قد [ظفر بشيء][١٣] يخلص به من الإشكالات ، وهذا بعيد جدًا ، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ، ولو تعدّد هذا التعدد لأخبر[١٤] النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم به أمته ، ولنقلته[١٥] الناس علىٰ التعدد والتكرر .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « من الغداة » .
[٤] - في خ : « مع » .
[٥] - في خ : « فغدوا » .
[٦] - في خ : « فسألهم » .
[٧] - في خ : « قالوا » .
[٨] - في ز : « قال » .
[٩] - في خ : « كان » .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - في خ : « يحصل » .
[١٢] - في خ : « فرح » .
[١٣] - في خ : « ظهر لشيء » .
[١٤] - في ز ، خ : « أخبر » .
[١٥] - في ت : « ونقله » .

قال موسى بن عقبة عن الزهرى : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة ، وكذا قال عروة .

وقال السدي : بستة عشر شهرًا .

والحق : أنه - عليه السلام - أُسري به يقظة لا منامًا ، من مكة إلىٰ بيت المقدس ، راكبًا البراق ، فلما انتهىٰ إلىٰ [بيت المقدس][١] باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله[٢] ، فصلىٰ في قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أتى المعراج - وهو كالسلم ذو درج يرقىٰ فيها - فصعد فيه إلىٰ السماء الدنيا ثم إلىٰ بقية السموات السبع ، فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم عليه الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم ، حتىٰ مر بموسىٰ الكليم في السادسة ، وإبراهيم الخليل في السابعة ، ثم جاوز منزلتهما صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وعليهما[٣] وعلىٰ سائر الأنبياء حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مستوىٰ يسمع فيه صريف الأقلام ، أي : أقلام القدر بما هو كائن ، ورأىٰ سدرة المنتهىٰ ، وغشيها من أمر اللّٰه تعالىٰ عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة ، وغشيتها الملائكة ، ورأىٰ هنالك جبريل علىٰ صورته ، له ستمائة جناح ، ورأىٰ رفرفًا أخضر قد سد الأفق ، ورأىٰ البيت المعمور[٤] ، و[٥]إبراهيم الخليل - باني[٦] الكعبة الأرضية - مسندًا[٧] ظهره إليه ؛ لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة يتعبدون فيه ، ثم لا يعودون إليه إلىٰ يوم القيامة ، ورأىٰ الجنة والنار ، وفرض اللّٰه عليه هنالك الصلوات خمسين ، ثم خففها إلىٰ خمس[٨] ، رحمة منه ولطفًا بعباده ، وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها ، ثم هبط إلىٰ بيت[٩] المقدس ، وهبط معه الأنبياء ، فصلىٰ بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء ، والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس ، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه ، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه ؛ لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحدًا واحدًا ، وهو يخبره بهم ، وهذا هو اللائق ، لأنه كان أولًا مطلوبًا[١٠] إلىٰ الجناب العلوي ، ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء اللّٰه تعالىٰ ، ثم لما فرغ من الذي أريد به ، اجتمع به[١١] هو وإخوانه من النبيين ، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة ، وذلك عن إشارة جبريل - عليه السلام - له في ذلك ، ثم خرج من البيت[١٢]

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في خ : « ودخل » .

[٣] - زيادة من : ت .

[٤] - في خ : « المعمور الذي » .

[٥] - في ز : « الذي » .

[٦] - في خ : « باذي » .

[٧] - في ز : « مسند » .

[٨] - في خ : « خمسة » .

[٩] - في ز : « البيت » .

[١٠] - في ز ، خ : « مطلوب » .

[١١] - سقط من : ت .

[١٢] - في خ : « بيت » .

المقدس فركب البراق وعاد إلىٰ مكة بغلس ، واللّه سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل ، أو[١] اللبن والخمر ، أو اللبن والماء ، أو الجميع فقد ورد أنه في البيت المقدس ، وجاء أنه في السماء ، ويحتمل أن يكون هاهنا وهاهنا لأنه كالضيافة للقادم ، واللّه أعلم .

ثم اختلف الناس : هل كان الإسراء ببدنه - عليه السلام - وروحه[٢] ، أو بروحه فقط ؟ علىٰ قولين : فالأكثرون من العلماء علىٰ أنه أُسري ببدنه وروحه يقظة لا منامًا ، ولا ينكر أن يكون رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم رأىٰ قبل ذلك منامًا ؛ ثم[٣] رآه بعده[٤] يقظة ؛ لأنه [ﷺ كان] لايرىٰ رؤيا إلا جاءت [مثل فلق][٥] الصبح ، والدليل علىٰ هذا قوله تعالىٰ : ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ الذي باركنا حوله** ﴾ فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام ، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظمًا ، ولمَّا بادرت كفار قريش إلىٰ تكذيبه ، ولمَّا ارتد جماعة ممن كان قد أسلم ، وأيضًا فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال : ﴿ **أسرىٰ بعبده ليلًا** ﴾ . وقد قال تعالىٰ : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم . رواه البخاري(٥٩) . وقال تعالىٰ : ﴿ **ما زاغ البصر وما طغى** ﴾ والبصر من آلات الذات لا الروح ، وأيضًا فإنه حمل علىٰ البراق ، وهو دابة بيضاء ، برّاقة لها لمعان ، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح ؛ لأنها لاتحتاج في حركتها إلىٰ مركب تركب عليه ، واللّه أعلم .

وقال آخرون : بل[٦] أُسري برسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم بروحه لا بجسده ، قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة(٦٠) : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : كانت رؤيا من اللّه صادقة .

---

(٥٩) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » (٤٧١٦) (٣٩٨/٨) حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فذكره .

(٦٠) - ذكره ابن هشام في سيرته (٤٢٤/٢) . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/١٥) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق به .

---

[١] - في خ : « و » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « كفلق » .
[٦] - سقط من : خ .

وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أسري بروحه .

قال ابن إسحاق : فلم ينكر ذلك من قولها ؛ لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ ولقول اللّه في الخبر عن إبراهيم : ﴿ **إني أرىٰ في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترىٰ** ﴾ قال[١] : ثم مضىٰ علىٰ ذلك فعرفت أن الوحي يأتي للأنبياء من اللّه أيقاظًا ونيامًا .

فكان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « **تنام عيناي وقلبي يقظان** »(٦١) ، فالله أعلم أيَّ ذلك كان قد جاءه وعاين فيه[٢] من اللّه فيه ما عاين علىٰ أي حالاته ، كان نائمًا أو يقظانًا ، كل ذلك حق وصدق . انتهىٰ كلام ابن إسحاق

وقد تعقبه أبو جعفر بن جرير في تفسيره بالرد والإنكار والتشنيع ، بأن هذا خلاف ظاهر سياق القرآن ، وذكر من[٣] الأدلة علىٰ رده بعض ما تقدم ، والله أعلم .

فائدة حسنة جليلة

روىٰ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب « دلائل النبوة » من طريق محمد بن عمر الواقدي ، حدثني مالك بن أبي الرجال ، عن عمرو بن عبد اللّه ، [عن محمد][٤] بن كعب القرظي قال : بعث رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم دحية بن خليفة إلىٰ قيصر ، فذكر وروده عليه وقدومه إليه . وفي السياق دلالة عظيمة علىٰ وفور عقل هرقل ، ثم استدعىٰ مَن بالشام من التجار ، فجيء بأبي سفيان صخر بن حرب وأصحابه ، فسألهم عن[٥] تلك المسائل المشهورة التي رواها البخاري ومسلم كما سيأتي بيانه(٦٢) ، وجعل أبو[٦] سفيان

(٦١) - أخرجه أحمد (٦/ ٣٦، ٧٣،١٠٤) . والبخاري في صحيحه - كتاب التهجد ، باب : قيام النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان وغيره (١١٤٧) - (٣/٣٣) . ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم - في الليل - (١٢٥) - (٧٣٨) - (٦/٢٩) . وأبو داود - كتاب الصلاة باب : في صلاة الليل - (١٣٤١ - (٢/٤٠) . والترمذي - كتاب الصلاة ، باب : ما جاء في وصف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم - بالليل - (٤٣٩) - (٢/٣٠٢-٣٠٣) كلهم من حديث عائشة مرفوعًا بلفظ « يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي » وفي الباب عن عدد من الصحابة - انظر الصحيحة للألباني (٦٩٦) .

(٦٢) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٥٤] .

[١] - في ز : « فكان » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - في خ : « عنه » .

[٦] - في خ : « أبا» .

يجهد أن يحقر أمره ، ويصغره عنده ، قال في هذا السياق عن أبي سفيان : والله ما بمنعني[١] أن أقول عليه قولًا أسقطه من عينه ؛ إلا أني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها عليّ ، ولايصدقني [في شيء][٢] ، قال : حتىٰ ذكرت قوله ليلة أسري به قال : فقلت : أيها الملك ، ألا أخبرك خبرًا تعرف أنه قد كذب ؟ قال : وما هو ؟ قال : قلت : إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة ، فجاء مسجدكم هذا ، مسجد إيلياء ، ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح . قال : وبطريق إيلياء عند رأس قيصر؟ فقال[٣] : بطريق إيلياء ، قد علمت تلك الليلة . قال : فنظر إليه[٤] قيصر وقال : وما[٥] علمك بهذا ؟ قال : إني كنت لا أنام ليلة حتىٰ أغلق أبواب المسجد ، فلما كان تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبني ، فاستعنت [عليه بعمالي][٦] ومن يحضرني كلهم ، فعالجته[٧] فغلبني ، فلم نستطع أن نحركه ، كأنما نزاول به جبلًا ، فدعوت إليه النجاجرة ، فنظروا إليه فقالوا[٨] : إن هذا باب سقط عليه النجاف والبنيان ، ولا نستطيع أن نحركه حتىٰ نصبح فننظر من أين أتىٰ ؟ قال : فرجعت ، وتركت البابين مفتوحين ، فلما أصبحت غدوت عليهما فإذا الحجر الذي [في زاوية][٩] المسجد مثقوب ، وإذا فيه أثر مربط الدابة قال : فقلت لأصحابي : ما حُبس هذا الباب الليلة إلا على نبي ، وقد صلىٰ[١٠] الليلة في مسجدنا ... وذكر تمام الحديث .

(فائدة)

قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه « التنوير في مولد السراج المنير » وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس ، وتكلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال : وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ؛ و مالك بن صعصعة ؛ وأبي هريرة وأبي سعيد ؛ وابن عباس وشداد بن أوس وأبيّ بن كعب وعبد الرحمن بن قرط ؛ وأبي حبة وأبي ليلىٰ الأنصاريين ؛ وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة ؛ وأبي أيوب وأبي أمامة وسمرة بن جندب ؛ وأبي الحمراء وصهيب الرومي ؛ وأم هانئ ، وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم أجمعين - منهم من ساقه بطوله ، ومنهم من اختصره علىٰ ما وقع في المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم علىٰ شرط الصحة فحديث

---

[١] - في ت : « منعني » .
[٢] - في خ : « شيء » .
[٣] - في خ : « قال » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « ما » .
[٦] - في خ : « عمالي » .
[٧] - في ز : « فجالجته » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز ، خ : « من وراء » .
[١٠] - في ز ، خ : « وصل » .

الإسراء أجمع عليه المسلمون واعترض فيه الزنادقة الملحدون ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ .

[قوله تعالى][١]

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾

لما ذكر تعالىٰ أنه أسرىٰ بعبده محمد صلىٰ الله عليه وسلم عطف بذكر موسىٰ عبده ورسوله[٢] وكليمه أيضًا ؛ فإنه تعالىٰ كثيرًا ما يقرن بين ذكر موسىٰ ومحمد - عليهما [من الله الصلاة و][٣]السلام - وبين ذكر التوراة والقرآن ؛ ولهذا قال بعد ذكر الإسراء : ﴿ **وآتينا موسىٰ الكتاب** ﴾ يعني : التوراة ﴿ **وجعلناه** ﴾ أي : الكتاب ﴿ **هدىٰ** ﴾ أي : هاديًا ﴿ **لبني إسرائيل ألّا تتخذوا**[٤] ﴾ أي : لئلا تتخذوا ﴿ **من دونى وكيلا** ﴾ أي : وليًّا ولا نصيرًا ولا معبودًا دوني ؛ لأن الله تعالىٰ أنزل علىٰ كل نبي أرسله أن يعبده وحده لا شريك له .

ثم قال ﴿ **ذرية من حملنا مع نوح** ﴾ تقديره : يا ذرية من حملنا مع نوح ، فيه تهييج وتنبيه علىٰ المنة . أي : يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة ، تشبهوا بأبيكم ﴿ **إنه كان عبدًا شكورًا** ﴾ فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بإرسالي إليكم محمدًا صلى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم ، وقد ورد في الحديث(٦٣) وفي الأثر عن السلف(٦٤) أن نوحًا - عليه السلام -

(٦٣) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان - (٤٤٦٩) (١١٣/٤) . والعقيلي في الضعفاء - (٢١٤/١) . من طريق الحارث بن شبل قال : حدثتنا أم النعمان عن عائشة رضي الله عنها حدثتها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن نوحًا عليه السلام لم يقم عن خلاء قط إلا قال الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى منفعته في جسدي ، وأخرج عني أذاه » . والحارث بن شبل هذا - قال فيه : أبو حاتم : منكر الحديث ، وقال العقيلي ضعيف . وقال البخاري : ليس بمعروف في الحديث ، وضعفه الدارقطني . [ميزان الاعتدال - (٤٣٤/١) - والكامل لابن عدي (٦١٣/٢)] . والحديث ذكره السيوطي في « الدر المنثور » - (٢٩٤/٤) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا . وفي الباب عن أبي فاطمة ومعاذ بن أنس عند ابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٢٩٥،٢٩٤/٤) ، وفتح الباري لابن حجر (٣٩٦/٨) . وقال ابن حجر « الفتح » (٣٧٣/٦) ... وروى عبد الرزاق بسند مقطوع أن نوحًا كان إذا ذهب إلى الغائط قال ... فذكره » وأما الآثار فمنها ؟! .

(٦٤) - أثر سلمان الفارسي ، أخرجه الحاكم في مستدركه - (٣٦٠/٢) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وعنه البيهقي في شعب « الإيمان » - (٤٤٧١) (١١٣/٤) . وابن جرير في =

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « يتخذوا » .

كان يحمد اللّٰه علىٰ طعامه وشرابه ولباسه ، وشأنه كله ؛ فلهذا سمي عبدًا شكورًا .

قال الطبراني(٦٥) : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن عبد اللّٰه بن سنان ، عن سعد بن مسعود الثقفي قال : إنما سُمي نوح عبدًا شكورًا ؛ لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد اللّٰه .

وقد[١] قال الإمام أحمد(٦٦) : حدثنا أبو أسامة ، حدثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن سعيد ابن أبي بردة ، عن أنس بن مالك - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إن اللّٰه ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة ، أو يشرب الشربة ، فيحمد اللّٰه عليها » .

وهكذا رواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي من طريق أبى أسامة به[٢] وقال مالك عن زيد ابن أسلم : كان يحمد الله على كل حال .

وقد ذكر البخاري(٦٧) هنا[٣] حديث أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال[٤] : « أنا سيد الناس يوم القيامة - بطوله ، وفيه : - فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح ، إنك[٥] أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض ، وقد سماك اللّٰه عبدًا شكورًا ،

= تفسيره - (١٥/١٩) . من طريق سفيان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان موقوفًا فذكره وصححه ابن حبان نقله عنه الحافظ في « الفتح » (٣٩٦/٨) . وفي الباب عن عدد من الصحابة موقوفًا - انظر الدر المنثور (٢٩٤/٤،٢٩٥) .

(٦٥) - أخرجه الطبراني في « الكبير » (٥٤٢٠) (٣٢/٦) . وأخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/١٩) حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا : ثنا سفيان به . وذكره الهيثمي « المجمع » (٣٢/٥) وقال : « رواه الطبراني وتابعه سعد بن سنان - هكذا سماه سعد وفي المعجم « عبد الله » فلا ندري هل هو وهم أم تصحيف - لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٩٤/٤) إلى ابن أبي حاتم .

(٦٦) - أخرجه أحمد (١١٧/٣) . وأخرجه أيضًا (١٠٠/٣) . ومسلم في صحيحه - كتاب الذكر والدعاء التوبة والاستغفار ، باب : استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (٨٨) (٢٧٣٤) . والترمذي - كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في الحمد على الطعام إذا فرغ منه (١٨١٦) . والنسائي في الكبرى كتاب الدعاء بعد الأكل ، باب : ثواب الحمد لله - (٦٨٩٩) من طرق عن أبي أسامة به .

(٦٧) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا » (٤٧١٢) حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير عن أبي هريرة فذكره .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في خ : « هاهنا » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

اشفع لنا إلىٰ ربك » وذكر الحديث بكماله

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ: إنه قضىٰ إلىٰ بني إسرائيل في الكتاب أي : تقدم إليهم ، وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ، ويعلون[١] علوًا كبيرًا أي : يتجبرون[٢] ، ويطغون[٣] ، ويفجرون[٤] علىٰ الناس ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين** ﴾ أي : تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به .

وقوله : ﴿ **فإذا جاء وعد أولاهما** ﴾ أي : أُولىٰ الإفسادتين ﴿ **بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد** ﴾ أي : سلطنا عليكم جندًا من خلقنا ، أولي بأس شديد ، أي : قوة وعُدَّة وسلطة شديدة ﴿ **فجاسوا خلال الديار** ﴾ أي : تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم ، أي : سلكوا[٥] بينها ووسطها ، وتصرفوا[٦] ذاهبين وجائين ، لا يخافون[٧] أحدًا . ﴿ **وكان وعدًا مفعولاً** ﴾

وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم[٨] : من هم ؟ فعن ابن عباس وقتادة : أنه جالوت الجزري ، وجنوده سلط عليهم أولاً ، ثم أديلوا عليه بعد

---

[١] - في ز ، خ : « ويعلن » .

[٢] - في ز : « يتجبروا » ، خ : « يتكبروا » .

[٣] - في ز ، خ : « ويطغوا » .

[٤] - في ز : « ويفجروا » ، خ : « ويغجروا » .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - في ت : « انصرفوا » .

[٧] - في خ : « تخافون » .

[٨] - في خ : « منهم » .

ذلك ، وقتل داود جالوت ؛ ولهذا قال : ﴿ **ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا** ﴾

وعن سعيد بن جبير : أنه ملك الموصل سنحاريب[١] وجنوده ، وعنه أيضًا وعن غيره : أنه بُخْتُنَصَّر ملك بابل .

وقد ذكر ابن أبي حاتم له قصة عجيبة ؛ في كيفية ترقيه من حال إلىٰ حال ، إلىٰ أن[٢] ملك البلاد ، وأنه كان فقيرًا مقعدًا ضعيفًا ، يستعطي الناس ويستطعمهم ، ثم آل به الحال إلىٰ ما آل ، وأنه سار إلىٰ بلاد بيت المقدس ، فقتل بها خلقًا كثيرًا من بني إسرائيل .

وقد روى ابن جرير(٦٨) في هذا المكان حديثًا أسنده عن حذيفة مرفوعًا مطولًا ، وهو حديث موضوع لا محالة ، لا يستريب في ذلك من عنده أدنىٰ معرفة بالحديث ، والعجب كل العجب ، كيف راج عليه مع إمامته وجلاله وقدره ؟! وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي[٣] - رحمه الله - بأنه موضوع مكذوب ، وكتب ذلك علىٰ حاشية الكتاب .

وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية ، لم أر تطويل الكتاب بذكرها ؛ لأن منها[٤] ما هو موضوع من وضع زنادقتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحًا ، ونحن في غنية عنها ، ولله الحمد . وفيما قص الله تعالىٰ علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم . وقد أخبر الله[٥] تعالىٰ عنهم[٦] أنهم لما طغوا وبغوا

(٦٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢/١٥) حدثنا عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا : أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال : سمعت حذيفة يقول فذكره وقد ذكر ابن جرير أيضًا جزءًا منه في تفسيره (١٠٨/٢٢) وقال : حدثنا محمد بن خلف العسقلاني قال : سألت رواد بن الجراح لمن الحديث الذي حدث به عنه عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربعي ، عن حذيفة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عن قصة ذكرها في الفتن ، قال : فقلت له : أخبرني عن هذا الحديث سمعته من سفيان الثوري ؟ قال : لا ، قلت : فقرأته عليه ، قال : لا ، قلت ، فقرئ عليه وأنت حاضر ؟ قال : لا ، قلت : فما قصته ، فما خبره ؟ قال : جاءني قوم فقالوا : معنا حديث عجيب ، أو كلام هذا معناه ، قلت لهم : هاتوه ، فقرءوه علي ، ثم ذهبوا فحدثوا به عني أو كلام هذا معناه ، قال أبو جعفر : وقد حدثني ببعض هذا الحديث محمد بن خلف ، قال : ثنا عبد العزيز بن أبان ، عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربعي ، عن حذيفة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث طويل ، قال : رأيته في كتاب الحسين بن علي الصدائي ، عن شيخ ، عن رواد ، عن سفيان بطوله .

[١] - في ز : « سنجاريب » .
[٢] - في خ : « أنه » .
[٣] - في خ : « المرى » .
[٤] - في ز ، خ : « فيها » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : خ .

سلط اللَّه عليهم عدوهم ، فاستباح بيضتهم ، وسلك خلال بيوتهم ، وأذلهم وقهرهم ، جزاءً وفاقًا ، وما ربك بظلام للعبيد ، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقًا من الأنبياء والعلماء .

وقد روىٰ ابن جرير(٦٩) : حدثني يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني سليمان بن بلال ، عن يحيىٰ بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ظهر بُخْتُنَصَّرَ علىٰ الشام ، فخرب بيت المقدس وقتلهم ، ثم أتىٰ دمشق فوجد بها دمًا يغلي علىٰ كِبًا[١] ، فسألهم : ماهذا الدم ؟ فقالوا : أدركنا آباءنا علىٰ هذا ، وكلما ظهر ، عليه الكِبَا[٢] ظهر . قال : فقتل علىٰ ذلك الدم سبعين ألفًا من المسلمين وغيرهم فسكن .

وهذا صحيح إلىٰ سعيد بن المسيب ، وهذا هو المشهور ، وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم ، حتىٰ إنه لم يبق من[٣] يحفظ[٤] التوراة ، وأخذ معه خلقًا منهم أسرىٰ من أبناء الأنبياء وغيرهم ، وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها ، ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه ، لجاز كتابته وروايته ، واللَّه أعلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها** ﴾ أي : فعليها كما قال تعالىٰ : ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها** ﴾

وقوله[٥] : ﴿ **فإذا جاء وعد الآخرة** ﴾ أي : المرة الآخرة ، أي : إذا أفسدتم المرة الثانية ، وجاء أعداؤكم ﴿ **ليسوءوا وجوهكم** ﴾ أي : يهينوكم ويقهروكم ﴿ **وليدخلوا[٦] المسجد** ﴾ أي : بيت المقدس ﴿ **كما دخلوه أول مرة** ﴾ أي : في التي جاسوا فيها خلال الديار ﴿ **وليتبروا** ﴾ أي : يدمروا ويخربوا ﴿ **ما علوا** ﴾ أي : ما ظهروا عليه ﴿ **تتبيرًا * عسىٰ ربكم أن يرحمكم** ﴾ أي : فيصرفهم عنكم ﴿ **وإن عدتم عدنا** ﴾ أي : متىٰ[٧] عدتم إلىٰ الإفساد ﴿ **عدنا** ﴾ إلىٰ الإدالة[٨] عليكم في الدنيا ، مع ما ندخره لكم في الآخرة من العذاب والنكال ، ولهذا قال : ﴿ **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا** ﴾ أي : مستقرًا ومحصرًا ، وسجنًا لا محيد لهم عنه .

قال ابن عباس : حصيرًا ، أي : سجنا .

---

(٦٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/٢٩-٣٠) .

---

[١] - في خ : « كنائسهم » والكِبا : الكناسة .
[٢] - في خ : « الكناسة » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « تحفظ » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « ويدخلوا» .
[٧] - في خ : « ما » .
[٨] - في خ : « الإمالة » .

وقال مجاهد : يحصرون فيها وكذا قال غيره[١] .

وقال الحسن : فراشًا ومهادًا .

وقال قتادة : قد عاد[٢] بنو إسرائيل ، فسلط الله عليهم هذا الحي ، محمد صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه ، يأخذون منهم الجزية عن يد وهم صاغرون .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠) ﴾

يمدح تعالىٰ كتابه العزيز ، الذي أنزله علىٰ رسوله محمدصلىٰ الله عليه وسلم وهو القرآن ؛ بأنه يهدي لأقوم الطرق ، وأوضح السبل ، ﴿ **ويبشر المؤمنين** ﴾ به ، الذين يعملون الصالحات علىٰ مقتضاه ﴿ **أن لهم أجرًا كبيرًا** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة** ﴾ أي : ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿ **أن لهم عذابًا أليمًا** ﴾ أي يوم القيامة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ .

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا (١١) ﴾

يخبر تعالىٰ عن عجلة الإنسان ، ودعائه في بعض الأحيان علىٰ نفسه أو ولده أو ماله بالشر ، أي : بالموت ، أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك ، فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه ، كما قال تعالى : ﴿ **ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم** ﴾... الآية ، وكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة وقد تقدم في هذا الحديث(٧٠) : « **لا تدعوا علىٰ أنفسكم ، ولا علىٰ أموالكم – أن توافقوا من الله ساعة إجابة[٣] يستجيب فيها** » وإنما يحمل ابن آدم على ذلك[٤] عجلته وقلقه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **وكان الإنسان عجولاً** ﴾ .

وقد ذكر سلمان الفارسي وابن عباس(٧١) – رضي الله عنهما – هلهنا قصة آدم عليه

(٧٠) – تقدم تخريجه [سورة يونس / آية ١١] .

(٧١) – أما أثر سلمان : فأخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٨/١٥) حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا =

[١] – في ت : « غيرهم » .

[٢] – في خ : « عاينوا » .

[٣] – سقط من : ز ، خ .

[٤] – سقط من : ت .

السلام حين همّ بالنهوض قائمًا قبل أن تصل الروح إلىٰ رجليه ، وذلك أنه جاءته النفخة من قبل رأسه فلما وصلت إلىٰ دماغه عطس ، فقال : الحمد لله . فقال[١] الله : يرحمك ربك يا آدم ، فلما وصلت إلىٰ عينيه فتحهما ، فلما سرت إلىٰ أعضائه وجسده جعل ينظر إليه ويعجبه ، فهمّ بالنهوض قبل أن تصل إلىٰ رجليه فلم[٢] يستطع ؛ وقال : يا رب عَجِّلْ قبل الليل

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ (١٢)

يمتن تعالىٰ علىٰ خلقه بآياته العظام ؛ فمنها مخالفته بين الليل والنهار ؛ ليسكنوا في الليل ، وينتشروا في النهار للمعايش[٣] والصنائع[٤] والأعمال والأسفار ، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام ، ويعرفوا[٥] مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات ، وغير ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ **لتبتغوا فضلًا من ربكم** ﴾ أي : في معايشكم[٦] وأسفاركم ونحو ذلك ﴿ **ولتعلموا عدد السنين والحساب** ﴾ فإنه لو كان الزمان كله نسقًا واحدًا وأسلوبًا متساويًا ؛ لما عرف شيء من ذلك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا إلىٰ يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلىٰ يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **تبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها**

= محمد ابن جعفر قال : ثنا شعبة عن الحكم عن إبراهيم أن سلمان الفارسي قال : ... ذكره وإسناده صحيح وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٣٠١/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن عساكر .

وأما أثر ابن عباس : فأخرجه ابن جرير في تفسيره - (٤٨/١٥) حدثنا أبو كريب : قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة عن أبي رَوْق عن الضحاك عن ابن عباس ذكره والضحاك لم يسمع من ابن عباس .

وبشر بن عمارة هو الخثْعَمي المُكتب : ضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : « وقال » .

[٢] - في ز : « قبل أن » ، خ : « قبل » .

[٣] - في ز ، خ : « للمعاش » .

[٤] - في ت : « الصناعات » .

[٥] - في خ : « ويعلموا » .

[٦] - في ز ، خ : « معاشكم » .

سراجًا وقمرًا منيرًا * وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا ﴾ وقال تعالى: **﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾** وقال: **﴿ يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار ﴾** وقال تعالى: **﴿ فالق الإصباح وجعل[١] الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾** وقال تعالى: **﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾**

ثم إنه تعالى جعل لليل آية، أي: علامة يعرف بها، وهي الظلام وظهور القمر فيه، [وللنهار علامة، وهي النور وظهور الشمس][٢] النيرة[٣] فيه[٤]، وفاوت بين [نور القمر وضياء الشمس][٥]؛ ليعرف هذا من هذا، كما قال تعالى: **﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق ﴾** إلى قوله: **﴿ لآيات لقوم يتقون ﴾**... الآية. كما قال تعالى: **﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾** الآية.

قال ابن جريج: عن عبد الله بن كثير في قوله: **﴿ فمحونا آية الليل، وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾** قال: ظلمة الليل وسدفة[٦] النهار وقال ابن جريج: عن مجاهد: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، [**﴿ فمحونا آية الليل ﴾**][٧] قال: السواد الذي في القمر، و كذلك خلقه الله تعالى.

وقال ابن جريج: قال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل: السواد الذي في القمر.

وقد روى أبو جعفر بن جرير(٧٢) من طرق متعددة جيدة - أن ابن الكواء سأل [أمير المؤمنين][٨] علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين ما هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك! أما تقرأ القرآن؟ **﴿ فمحونا آية الليل ﴾** فهذه محوه.

وقال قتادة في قوله **﴿ فمحونا آية الليل ﴾**: كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر

---

(٧٢) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/٤٩). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣٠٣/٤) إلى ابن عساكر.

---

[١] - في ز، خ: «وجاعل».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٣] - في ز: «المنيرة».
[٤] - سقط من: خ.
[٥] - في خ: «ضياء القمر وبرهان الشمس».
[٦] - في ز: «سدف»، خ: «صدق».
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٨] - زيادة من: ت.

الذي فيه ، ﴿ **وجعلنا آية النهار مبصرة** ﴾ أي : منيرة ، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم .

وقال ابن أبي نجيح : عن ابن عباس : ﴿**وجعلنا الليل والنهار آيتين**﴾ قال : ليلًا ونهارًا ، كذلك خلقهما الله - عز وجل - .

وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ بعد ذكر الزمان وذكر[١] ما يقع فيه من أعمال بني آدم : ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ وطائره : هو ما طار عنه من عمله - كما قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد - من خير وشر ، ويلزم[٢] به ، ويجازىٰ عليه ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ وقال تعالى : ﴿**عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد**﴾ وقال تعالى : ﴿ **وإن عليكم لحافظين * كرامًا كاتبين * يعلمون ما تفعلون * إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم** ﴾ وقال : ﴿**إنما تجزون ما كنتم تعملون**﴾ وقال : ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به** ﴾ والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه ، قليله وكثيره ، ويكتب عليه ليلًا ونهارًا ، صباحًا ومساء .

وقال الإمام أحمد(٧٣) : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « لَطائرُ كل إنسان في عنقه » قال ابن لهيعة : يعني[٣] الطيرة وهذا القول من ابن لهيعة في تفسير هذا الحديث غريب جدًّا ، والله أعلم وقوله : ﴿ **ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا** ﴾ أي : نجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة ؛ إما بيمينه إن كان سعيدًا ، أو بشماله[٤] إن كان شقيًا .

(٧٣) - **حسن** ، أخرجه أحمد (٣/٣٦٠) . وأخرجه عبد بن حميد في مسنده - يذكره المصنف هنا - وأحمد أيضًا (٣/٣٤٢،٣٤٩) .

من طريقين عن ابن لهيعة به ، وهذا إسناد ضعيف ، لسوء حفظ ابن لهيعة ، وعنعنة أبي الزبير . وقال الهيثمي في المجمع (٧/٥٢) « رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف بقية رجاله رجال الصحيح » وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٥٠-٥١) حدثني محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام قال : ثنى أبي ، عن قتادة عن جابر فذكره .

قال الألباني في « الصحيحة » (١٩٠٧) (٤/٥٣٤) « .... رجاله ثقات رجال الشيخين ، لكن قتادة لم يسمع من جابر ، وروايته عنه صحيفة ، قال أحمد : « قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها »=

[١] - زيادة من : ت .
[٢] - في خ : « يلزم » .
[٣] - في خ : « حتى » .
[٤] - في خ : « شماله » .

﴿ منشورًا ﴾ أي : مفتوحًا يقرؤه هو وغيره ، فيه جميع عمله من أول عمره إلىٰ آخره ﴿ **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الإنسان علىٰ نفسه بصيرة * ولو ألقىٰ معاذيره** ﴾ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا** ﴾ أي : إنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك غير ما عملت ؛ لأنك ذكرت جميع ما كان منك ، ولا ينسىٰ أحد شيئًا مما كان منه ، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي .

وقوله : ﴿ **ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ إنما ذكر العنق لأنه عضو لا نظير له في[١] الجسد ، ومن ألزم بشيء فيه فلا محيد له عنه كما قال الشاعر :

اذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمام[٢]

قال قتادة : عن جابر بن عبد اللّٰه ، عن نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **لا عدوىٰ ولا طيرة ، وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** » كذا رواه ابن جرير .

وقد رواه الإمام عبد بن حميد رحمه الله ، في مسنده متصلًا فقال : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : سمعت [رسول اللّٰه][٣] صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول[٤] : « طير كل عبد في عنقه » .

وقال الإمام أحمد(٧٤) : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد اللّٰه ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني يزيد أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر رضي اللّٰه عنه يحدث عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « ليس من عَمَلِ يومٍ إلا وهو يختم عليه ، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة[٥] : يا ربنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب جل جلاله : اختموا له علىٰ مثل

= ولعل أحد الإسنادين يتقوى بالآخر ، والحديث صحيح على كل حال ، فإنه مقتبس من قوله تعالى في سورة الإسراء : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ... » وحسن إسناده السيوطي في الدر المنثور - (٣٠٣/٤) .

(٧٤) - أخرجه أحمد - (١٤٦/٤) وكذا أخرجه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (١٥٨/٢) - كما في « الصحيحة » للألباني (٢١٩٣/٥) ثنا أحمد بن جميل ، قال : أنبأ عبد الله بن المبارك به وهذا إسناد صحيح لأن الراوي عن ابن لهيعة أحد العبادلة وأخرجه الطبراني في الكبير - (٧٨٢) - (٢٨٤/١٧) والبغوي في شرح السنة (١٤٢٨) (٢٤٠/٥) . من طريقين عن ابن لهيعة به . والحاكم - (٣٠٨/٤-٣٠٩) من طريق عبد الله بن المبارك ، أخبرني رشدين ، عن عمرو بن الحارث ، أخبرني يزيد بن أبي حبيب به . وقال : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه »، وتعقبه الذهبي بقوله « رشدين واه » . وذكره الهيثمي في المجمع - (٣٠٦/٢) - وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام » : وفاته أن الراوي عنه عبد الله بن المبارك .

[١] - في ز : « من » .
[٢] - في ز : « الحمامة » .
[٣] - في خ : « النبي » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

عمله حتىٰ يبرأ أو يموت » .

إسناد جيد قوي ، ولم يخرجوه وقال معمر عن قتادة : ألزمناه طائره في عنقه . قال : عمله ﴿ **ونخرج له يوم القيامة** ﴾ قال : نخرج ذلك العمل ﴿ **كتابًا يلقاه منشورًا** ﴾ قال معمر: وتلا الحسن البصري ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد** ﴾: يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك[١] ، ووكل بك ملكان كريمان ، أحدهما : عن يمينك ، والآخر : عن يسارك ، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل[٢] ماشئت أقلل أو أكثر حتىٰ إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتىٰ تخرج[٣] يوم القيامة كتابا تلقاه[٤] منشورًا ﴿ **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا** ﴾ الآية ، فقد[٥] عدل [– والله –][٦] من جعلك حسيب نفسك . هذا من حسن كلام الحسن رحمه الله .

مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

يخبر تعالىٰ أن من اهتدىٰ واتبع الحق واقتفىٰ آثار النبوة فإنما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه ﴿ **ومن ضل** ﴾ أي : عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فإنما يجني علىٰ نفسه ، وإنما يعود وبال ذلك عليه .

ثم قال : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ** ﴾ أي : لا يحمل أحد ذنب أحد ، ولا يجني جان إلا علىٰ نفسه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن تدع مثقلة إلىٰ حملها لا يحمل منه شيء** ﴾ ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم** ﴾ وقوله : ﴿ **ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم** ﴾ فإن الدعاة عليهم إثم ضلالهم[٧] في أنفسهم ، وإثم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك ولا يحملوا عنهم شيئًا ، وهذا من عدل الله ورحمته بعباده .

وكذا قوله : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا** ﴾ إخبار عن عدله تعالىٰ ، وأنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كلما ألقي**

---

[١] – في ز ، خ : « صحيفة » .
[٢] – في ز ، خ : « فاملك » .
[٣] – في خ : « تجد » .
[٤] – في خ : « يلقاه » .
[٥] – في ز : « قد » .
[٦] – في ز ، خ : « الله عليك » .
[٧] – في خ : « ضلالتهم » .

فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلىٰ قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل اللّٰه من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ وكذا قوله : ﴿ **وسيق الذين كفروا إلىٰ جهنم زمرًا حتىٰ إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلىٰ ولكن حقت كلمة العذاب علىٰ الكافرين** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير** ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أن اللّٰه تعالىٰ لا يدخل أحدًا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه ، ومن ثم طعن جماعة من العلماء في اللفظة التي جاءت مقحمة في صحيح البخاري(٧٥) عند قوله تعالىٰ : ﴿ **إن رحمة اللّٰه قريب من المحسنين** ﴾ .

حدثنا [عبيد اللّٰه][١] بن سعد ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن صالح بن كيسان ، عن الأعرج [بإسناده إلىٰ][٢] أبي هريرة عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **اختصمت الجنة والنار** » فذكر الحديث إلىٰ أن قال : « **وأما الجنة فلا يظلم اللّٰه من خلقه أحدًا ، وإنه ينشئ للنار خلقًا فيلقون فيها . فتقول : هل من مزيد ؟ [ويلقون فيها . وتقول : هل من مزيد ؟][٣] ثلاثًا** » وذكر تمام الحديث .

فإن هذا إنما جاء في الجنة لأنها دار فضل ، وأما النار فإنها دار عدل[٤] ، لا يدخلها أحد إلا بعد الإعذار إليه وقيام الحجة عليه ، وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة وقالوا : لعله انقلب علىٰ الراوي بدليل ما أخرجاه في الصحيحين(٧٦) - واللفظ للبخاري - [من حديث عبد الرزاق][٥] ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه

---

(٧٥) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد ، باب : ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ (٧٤٤٩) . وقال ابن حجر في الفتح - (١٣/٤٣٧) . قال جماعة من الأئمة إن هذا الموضع مقلوب ، وجزم ابن القيم بأنه غلط واحتج بأن الله تعالى أخبر بأن جهنم تمتلئ من إبليس وأتباعه وكذا أنكر الرواية شيخنا البلقيني واحتج بقوله : ﴿ **ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾ ثم قال : وحمله على أحجار تلقى في النار أقرب من حمله على ذي روح يعذب بغير ذنب انتهى ، ويمكن التزام أن يكونوا من ذوي الأرواح ولكن لا يعذبون كما في الخزنة ، ويحتمل أن يراد بالإنشاء ابتداء إدخال الكفار النار ، وعبر عن ابتداء الإدخال بالإنشاء ، فهو إنشاء الإدخال لا الإنشاء بمعنى ابتداء الخلق بدليل قوله فيلقون فيها وتقول هل من مزيد وأعادها ثلاث مرات ثم قال حتى يقع فيها قدمه فحينئذ تمتلئ فالذي يملؤها حتى تقول حسبي هو القدم كما هو صريح الخبر .

(٧٦) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « **وتقول هل من مزيد** » (٤٨٥٠) =

---

[١] - في خ : « عبد الله » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في خ : « العدل » .
[٥] - في خ : « وعبد الرزاق » .

عليه وسلم : « **تحاجت الجنة والنار** » فذكر الحديث إلىٰ أن قال : « **فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع فيها قدمه ، فتقول : قط قط : فهنا لك تمتلئ ويُزوى بعضها إلىٰ بعض ، ولا يظلم اللّٰه من خلقه أحدًا ، وأما الجنة فينشئ الله لها خلقًا** » .

بقي هاهنا مسألة قد اختلف الأئمة - رحمهم اللّٰه تعالىٰ - فيها قديمًا وحديثًا ، وهي : الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار ماذا حكمهم ؟ وكذا المجنون والأصم والشيخ الخرف ، ومن مات في الفترة و[١]لم تبلغه الدعوة ؟، وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا ذاكرها لك بعون اللّٰه وتوفيقه ، ثم نذكر فصلًا ملخصًا من كلام الأئمة في هذا واللّٰه[٢] المستعان .

فالحديث الأول : عن الأسود بن سريع : قال الإمام أحمد(٧٧) :

حدثنا عليّ بن عبد اللّٰه ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، عن الأحنف ابن قيس ، عن الأسود بن سريع : أن نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لايسمع شيئًا ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة ؛ فأما الأصم فيقول : رب ، قد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا . وأما الأحمق فيقول : رب ، لقد جاء الإسلام والصبيان يَحْذفوني[٣] بالبعر . وأما الهرم فيقول : رب ، لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا . وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ، ما أتاني لك رسول . فيأخذ مواثيقهم : ليطيعنه . فيرسل إليهم : أن ادخلوا النار ، فوالذي نفس محمد بيده ، لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا** » وبالإسناد : عن قتادة ، عن الحسن ، [عن أبي رافع][٤] ، عن أبي هريرة(٧٨) : مثل هذا الحديث غير أنه قال في آخره : « **من دخلها**

= حدثنا عبد الله بن محمد . ومسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، الجنة يدخلها الضعفاء (٣٦) (٢٨٤٦) حدثنا محمد بن رافع (عبد الله ، محمد) حدثنا عبد الرزاق به .

(٧٧) - أخرجه أحمد - (٢٤/٤) . وأخرجه الطبراني في الكبير - (٨٤١) - (٢٨٧/١) . وابن حبان في صحيحه - (٧٣٥٧) - (٣٥٦/١٦-٣٥٧) وفي الموارد - (١٨٢٧) - (٦٧/٦-٦٨) . أبو نعيم في « معرفة الصحابة » - (٩٠٠) (٢٨١/٢) والبيهقي في الاعتقاد (ص١٦٩) . والبزار في مسنده - (٢١٧٤) . من طريق معاذ بن هشام به وهذا إسناد صحيح

وأخرجه أبو نعيم في « أخبار أصفهان » - (٢٥٥/٢) من طريق معاذ بن هشام حدثنا أبي ، عن قتادة عن الأسود به ، حيث سقط من إسناده الأحنف بن قيس . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (٢١٨/٧-٢١٩) وقال : « ..... رجال أحمد في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة (يأتي) رجال الصحيح ، وكذل رجال البزار فيهما » وحديث الأسود عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠٥/٤) إلى إسحاق بن راهويه وابن مردويه .

(٧٨) - أخرجه أحمد (٢٤/٤) . والبيهقي في « الاعتقاد » (ص١٦٩) . والبزار في مسنده - (٢١٧٥) (٣/

[١] - في ز : « ومن » . [٢] - في خ : « وبالله » .
[٣] - في ز ، خ : « يقذفوني » . [٤] - سقط من : خ .

كانت عليه بردًا وسلامًا ، ومن لم يدخلها يسحب إليها » .

وكذا رواه إسحاق بن راهويه عن معاذ بن هشام . ورواه البيهقي في **كتاب الاعتقاد** من حديث حنبل بن إسحاق ، عن عليّ بن عبد اللَّه المديني به ، وقال : هذا إسناد صحيح ، وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أربعة كلهم يدلي علىٰ اللَّه بحجة** » ، فذكر نحوه ، ورواه ابن جرير(٧٩) من حديث معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، فذكره موقوفًا ، ثم قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ **وما كنا معذبين حتىٰ نبعث رسولًا** ﴾ .

وكذا رواه معمر عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة موقوفًا .

الحديث الثاني : عن أنس بن مالك ، قال أبو داود الطيالسي(٨٠) :

حدثنا الربيع ، عن يزيد بن أبان قال : قلنا لأنس : يا أبا حمزة ، ما تقول في أطفال المشركين ؟ فقال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لم يكن لهم سيئات فيعذبوا[١] فيكونوا من أهل النار ، ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من ملوك[٢] أهل الجنة ، هم من[٣] خدم أهل الجنة** » .

الحديث الثالث : عن أنس أيضًا : قال الحافظ أبو يعلىٰ(٨١) : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا

٣٣-٣٤) . وأبو نعيم في « أخبار أصفهان » - (٢/٢٥٥) . من طريق معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة به . « وسقط من المطبوع من المسند في هذا الإسناد - قتادة - فليستدرك - وقال الألباني في حاشية «السنة» لابن أبي عاصم - (٤٠٤) (١/١٧٦) ... وهذا إسناد صحيح . رجاله ثقات كلهم ، والحسن البصري ، وإنما يخشى من تدليسه إذا عنعن عن الصحابة وأما إذا عنعن عن أقرانه من التابعين كما هنا فما علمت أنهم يخشون هذه العنعنة » . وأخرجه ابن أبي عاصم - (٤٠٤) من طريق حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن أبي رافع به . وعلي بن زيد ضعيف ، لكنه توبع تابعه « الحسن » كما تقدم . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٣٠٦) لابن راهويه وابن مردويه .

(٧٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٥/٥٤) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان عن معمر عن همام به . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٣٠٥) إلى عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨٠) - أخرجه الطيالسي في مسنده - (٢١١١) وأبو يعلى في مسنده - (٤٠٩٠) (٧/١٣٠-١٣١) وابن عبد البر في التمهيد - (١٨/١١٨) وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٠٨) . ويزيد بن أبان ، ضعيف . وأشار إلى ضعف هذا الحديث الحافظ ابن حجر في الفتح - (٣/٢٤٦) .

(٨١) - أخرجه أبو يعلى - (٤٢٢٤) (٧/٢٢٥) والبزار (٢١٧٧) وابن عبد البر في التمهيد ، =

[١] - في ز ، خ : « ليعذبوا » . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

جرير ، عن ليث ، عن عبد الوارث ، عن أنس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يؤتىٰ بأربعة يوم القيامة : بالمولود ، والمعتوه ومن مات في الفترة ، والشيخ الفاني الهِمّ[١] كلهم يتكلم بحجته ، فيقول [الرب تبارك و][٢]تعالى لعنق [من النار][٣] : ابرز . ويقول لهم : إني كنت أبعث إلىٰ عبادي رسلًا من أنفسهم ، وإني رسول نفسي إليكم ، ادخلوا هذه . قال : فيقول من كُتب عليه الشقاء : يارب ، أنىٰ ندخلها ومنها كنا نفر ؟ . قال : ومن كتبت عليه[٤] السعادة [ ][٥] يمضي فيقتحم فيها مسرعًا ، قال : فيقول اللّٰه تعالىٰ[٦] : أنتم لرسلي أشد تكذيبًا ومعصية ، فيدخل هؤلاء الجنة ، وهؤلاء النار** » .

وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد بإسناده مثله .

الحديث الرابع : عن البراء بن عازب - رضي اللّٰه عنه - : قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده أيضًا(٨٢) : حدثنا القاسم[٧] بن أبي شيبة ، حدثنا عبد اللّٰه - يعني ابن داود - عن عمر بن ذر ، عن يزيد بن أبي[٨] أمية ، عن البراء قال : سئل[٩] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن أطفال المسلمين ، قال[١٠] : « **هم مع آبائهم** » ، وسئل عن أولاد المشركين فقال : « هم مع آبائهم » ، فقيل : يا رسول اللّٰه ، ما يعملون ؟ قال : « **اللّٰه أعلم بهم**[١١] » .

وروا عمر بن ذر عن يزيد بن[١٢] أمية عن[١٣] رجل عن البراء عن عائشة فذكره

= (١٢٨/١٨) وعبد الوارث هو مولى أنس ، قال الذهبي في « المغني » « ضعفه الدارقطني » . وقال البخاري « منكر الحديث » والراوي عنه هو ليث بن أبي سليم ضعيف . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/ ٢١٩) وقال : « رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس ، وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح » . ويعقب الهيثمي بأن عبد الوارث ليس من رجال الصحيح وجَلَّ من لا يسهو . وزاد نسبة الحديث السيوطي في « الدر المنثور » (٣٠٦/٤) إلى قاسم بن أصبغ .

(٨٢) - لم نقف عليه في المطبوع من مسند أبي يعلى - والعلم عند الله تعالى .

[١] - زيادة من : ت.
[٢] - في خ : « الله » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - زيادة من : ت .
[٥] - في ز ، خ : له .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز ، خ : « قاسم » .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - زيادة من : ت .
[١٠] - زيادة من : ت .
[١١] - زيادة من : ت .
[١٢] - في خ : « عن » .
[١٣] - سقط من : خ .

الحديث الخامس : عن ثوبان : قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده(٨٣) : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا ريحان بن سعيد ، حدثنا عباد بن منصور ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي[١] أسماء ، عن ثوبان : أن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم عظم شأن المسألة ، قال : « **إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم علىٰ ظهورهم ، فيسألهم ربهم ، فيقولون** : ربنا ، **لمْ ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولاً لكنا أطوع عبادك . فيقول لهم ربهم : أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيقولون : نعم . فيأمرهم أن يعمدوا إلىٰ جهنم فيدخلوها ، فينطلقون حتىٰ إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظًا وزفيرًا ، فرجعوا إلىٰ ربهم فيقولون** : ربنا **أخرجنا – أو : أجرنا – منها . فيقول لهم : ألم تزعموا أني إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيأخذ علىٰ ذلك مواثيقهم ، فيقول** : اعمدوا إليها فادخلوها . **فينطلقون حتىٰ إذا رأوها فَرِقوا ورجعوا ، فقالوا** : ربنا فرقنا منها ، **ولا نستطيع أن ندخلها . فيقول : ادخلوها داَخرين** » . فقال نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردًا وسلامًا** » ثم قال [ ][٢] البزار : ومتن هذا الحديث غير معروف إلا من هذا الوجه ، لم يروه عن أيوب إلا عباد ، ولا عن[٣] عباد إلا [ ][٤] ريحان بن سعيد .

قلت : وقد ذكره ابن حبان في ثقاته[٥] ، وقال يحيىٰ بن معين والنسائي : لابأس به . ولم يرضه أبو داود ، وقال أبو حاتم : شيخ لا بأس به ، يكتب حديثه ولا يحتج به][٦] .

(٨٣) – ذكره الهيثمي في « المجمع » – (١٠/٣٥٠) وقال « رواه البزار بإسنادين ضعيفين ». وأخرجه الحاكم في المستدرك – (٤/٤٤٩ – ٤٥٠) .

من طريق أبان بن يزيد ، ثنا يحيى بن أبي كثير ، ثنا أبو قلابة به مطولًا .

وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ، وإنما أخرج مسلم حديث معاذ بن هشام عن قتادة عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبى عن ثوبان مختصرًا » وانظر ما تقدم [سورة الأنعام/ آية ٦٥] .

وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٢٣) من طريق أيوب عن أبي قلابة قال : فذكره موقوفًا عليه .

قال الحافظ في الفتح (٣/٢٤٦) – بعد أن ذكر مذاهب أهل العلم في أولاد المشركين – : « ...... سابعها أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم نار ، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا ، ومن أبي عذب ، أخرجه البزار من حديث أنس وأبي سعيد (يأتي بعد هذا) وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل (يأتي ٨٧) وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ، ومن مات في الفترة من طرق صحيحة ......» .

[١] – سقط من : خ .

[٢] – ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « كذا » .

[٣] – سقط من : خ .

[٤] – في ت : عن.

[٥] – في خ : « بيانه » .

[٦] – وقع ما بين المعكوفتين في ز ، خ : بعد هامش (*) بعد كلمة الخدري .

الحديث السادس : عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري(*) : قال الإمام محمد ابن يحيى الذهلي : حدثنا سعيد[١] بن سليمان ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **الهالك في الفترة والمعتوه والمولود : يقول الهالك في الفترة : لم يأتني كتاب . ويقول المعتوه : رب ، لم تجعل لي عقلًا أعقل به خيرًا ولا شرًّا . ويقول المولود : رب ، لم أدرك العقل . فترفع لهم نار ، فيقال لهم : رِدُوها . قال : فيردُها من كان في علم اللّٰه سعيدًا لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كانَ في علم اللّٰه شَقيًا لو أدرك العمل ، فيقول**[٢] : **إياي عصيتم ، فكيف لو أن**[٣] **رسلي أتتكم ؟!** » .

وكذا رواه البزار(٨٤) ، عن محمد بن عمر بن[٤] هياج الكوفي ، عن عبيد[٥] اللّٰه بن موسىٰ ، عن فضيل بن مرزوق به ، ثم قال : لا يعرف من حديث أبي سعيد إلا من طريقه ، عن عطية ، عنه ، وقال في آخره : « **فيقول اللّٰه : إياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب ؟!** » .

الحديث السابع : عن معاذ بن جبل(٨٥) - رضي اللّٰه عنه - قال هشام بن عمار ، ومحمد بن المبارك الصوري : حدثنا عمرو بن واقد ، عن يونس بن حَلْبَس ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن معاذ بن جبل ، عن نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **يؤتىٰ يوم القيامة بالممسوخ**[٦] **عقلًا وبالهالك في الفترة ، وبالهالك صغيرًا ، فيقول الممسوخ**[٧] : [**يا رب لو آتيتني عقلًا ما كان من آتيته**][٨] **عقلًا بأسعد مني** » . وذكر في الهالك في الفترة

(٨٤) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه البزار في مسنده - كما في مختصر الزوائد لابن حجر - (١٦١٦) (٢/ ١٥٩-١٦٠) والبغوي في حديث ابن الجعد - (٢١٢٦) (٢/٧٩٣-٧٩٤) . من طريق فضيل بن مرزوق به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٨/٢١٩) وقال : « رواه البزار وفيه عطية وهو ضعيف » .

(٨٥) - **إسناده ضعيف جدًا** ، أخرجه الطبراني في الكبير - (١٥٨) (٢٠/٨٤٠٣) .

وفي الأوسط (٧٩٥٥) (٨/٥٧) ، وفي مسند الشاميين (٢٢٠٥) . وابن عدي في الكامل - (٥/١٧٧٠) مختصرًا . من طريق عمرو بن واقد به .

وذكره الهيثمي في المجمع - (٧/٢١٩-٢٢٠) وقال : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه عمرو بن واقد وهو متروك عند البخاري وغيره ، ورمى بالكذب ، وقال : محمد بن المبارك الصورى كان يتبع السلطان ، وكان صدوقًا ، وبقية رجال الكبير رجال الصحيح » .

وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٣٠٦) إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبي نعيم .

[١] - في ز ، خ : « منصور » .
[٢] - في خ : « فقال » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « عن » .
[٥] - في خ : « عبد » .
[٦] - في ز ، خ : « بالممسوح » .
[٧] - في ز ، خ : « الممسوح » .
[٨] - سقط من : خ .

والصغير نحو ذلك - « **فيقول الرب عز وجل : إني آمركم بأمر ، فتطيعوني ؟ فيقولون : نعم . فيقول : اذهبوا فادخلوا النار . قال : ولو دخلوها ما ضرّتهم ، فتخرج عليهم قوابض فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء ، فيرجعون سراعًا**[١] ، **ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك**[٢] ، **فيقول الرب عز وجل : قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون ، وعلىٰ علمي خلقتكم ، وإلىٰ علمي تصيرون ، ضُمِّيهم . فتأخذهم النار** » .

الحديث الثامن : عن أبي هريرة(٨٦) ، رضي الله عنه وأرضاه[٣] : قد تقدم روايته مندرجة مع رواية الأسود بن سريع - رضي الله عنه - .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة(٨٧) - رضي الله عنه - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة ، فأبواه يهوّدانه و**[٤]**ينصّرانه ويمجّسانه ، كما تنتج**[٥] **البهيمة بهيمة جمعاء**[٦] ، **هل تحسون فيها من جدعاء ؟** » وفي رواية(٨٨) قالوا : يارسول الله ، أفرأيت من يموت صغيرًا ؟ قال : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** »

وقال الإمام أحمد(٨٩) : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت ، عن عطاء ابن قرة ، عن عبد الله بن ضمرة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي صلىٰ الله

---

(٨٦) - **صحيح** ، - تقدم - .

(٨٧) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٧٩] .

(٨٨) - أخرجها البخاري في صحيحه - كتاب القدر ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين - (٦٦٠٠) . ومسلم في صحيحه - كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة - (٢٤) (٢٦٥٨) من طريق عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه ، قال هذا ما حدثنا أبو هريرة ... فذكره .

(٨٩) - أخرجه أحمد (٣٢٦/٢) . وأخرجه ابن حبان في صحيحه - (٧٤٤٦) (٤٨١/١٦) وفي الموارد - (١٨٢٦) (٦٦/٦) والحاكم في مستدركه - (٣٧٠/٢) وصححه ووافقه الذهبي . وابن عساكر في تاريخه - (٦٥٥/١١) ترجمة عطاء بن قرة . وابن أبي داود في « البعث » (١٦) .من طرق عن عبد الرحمن بن ثابت به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٢/٧) وقال : « رواه أحمد ، وفيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه المديني وجماعة وضعفه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله ثقات » . وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٦٠٣) (١٥٦/٢) وأخرجه الحاكم في المستدرك - (٣٨٤/١) . والبيهقي في البعث - (٢١٠) (ص١٥٥) . وأبو نعيم في تاريخ أصبهان - (٢٦٣/٢) . من طريق مؤمل بن إسماعيل ، عن سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعًا - بلفظ « **أولاد المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة** » .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « أو » .

[٥] - في ز ، خ : « تولد » .

[٦] - في خ : « حمقا » .

عليه وسلم فيما أعلم - شك موسىٰ - قال : « **ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام** » وفي صحيح مسلم(٩٠) عن عياض بن حمار[١] عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عن اللّٰه - عز وجل - أنه قال : « **إني خلقت عبادي حنفاء** » وفي رواية لغيره(٩١) : « **مسلمين** » .

الحديث التاسع : عن سمرة - رضي اللّٰه عنه - : رواه الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه : « المستخرج علىٰ البخاري » من حديث عوف الأعرابي ، عن أبي رجاء العطاردي ، عن سمرة [- رضي اللّٰه عنه -][٢] عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة** » فناداه الناس : يا رسول اللّٰه ، وأولاد المشركين ؟ قال : « **وأولاد المشركين** » .

و[٣]قال الطبراني(٩٢) : حدثنا عبد اللّٰه بن أحمد ، حدثنا عقبة بن مكرم الضبي ، عن عيسىٰ بن شعيب ، عن عباد بن منصور ، عن أبي رجاء ، عن سمرة قال : سألنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن أطفال المشركين فقال : « **هم خدم أهل الجنة** » .

= وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٩٠) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية٧٩] .

(٩١) - لم أقف عليها : « وقال الحافظ في الفتح (٢٤٨/٣) ... وقد رواه غيره (عياض) فزاد فيه « حنفاء مسلمين) والحديث أخرجه أيضًا أحمد (١٦٢/٤،٢٦٦) . وابن حبان في صحيحه - (٦٥٣،٦٥٤) (٢/ ٤٢٢،٤٢٦) .

والطيالسي في مسنده (١٠٧٩) ، والطبراني في الكبير (٩٩٢/١٧،٩٩٣،٩٩٤،٩٩٥) ، وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٠٨) .

كلهم من حديث عياض بلفظ مسلم .

(٩٢) - أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٩٩٣) (٢٩٥/٧) . وفي «الأوسط» (٢٠٤٥) (٣٠٢/٢) حدثنا أحمد بن زهير ، قال : نا أبو حفص عمرو بن علي ، قال : أنا عيسى بن شعيب به . وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٤٠٥/٦ ، ٤٠٦) والبزار - مختصر الزوائد لابن حجر - (١٦١٨) (١٦١/٢) من طريق عيسى بن شعيب به وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن أبي رجاء ، إلا عباد بن منصور . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (٢٢٢/٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وفيه عباد بن منصور وثقه يحيى القطان ، وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات » . وضعف إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح - (٣/ ٢٤٦) . قال أبو القاسم الطبراني - رحمه الله تعالى - وقد روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم في أطفال المشركين ، أنه قال لعائشة : « إن شئت دعوت الله عز وجل أن يسمعك تضاغيهم في النار » وروى عنه - صلى الله عليه وسلم ، أنه سئل - عن أطفال المشركين ، فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين » ،=

---

[١] - في خ : « حماد » .

[٢] - سقط من : خ . [٣] - سقط من : خ .

الحديث العاشر : عن عم حسناء [١] قال الإمام[٢] أحمد(٩٣) : حدثنا [إسحاق - يعني : الأزرق - أخبرنا][٣] روح ، حدثنا عوف ، عن حسناء[٤] بنت معاوية - من بني صريم - قالت : حدثني عمي قال[٥] : قلت : يارسول اللّه ، من في الجنة ؟ قال : « **النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة ، والوئيد [في الجنة][٦]** » .

فمن العلماء من ذهب إلىٰ التوقف[٧] فيهم لهذا الحديث ، ومنهم من جزم لهم بالجنة ؛ لحديث سمرة بن جندب في صحيح البخاري(٩٤) أنه - عليه الصلاة والسلام - قال في جملة ذلك المنام ، حين مر علىٰ ذلك الشيخ ، تحت الشجرة وحوله ولدان ، فقال له جبريل : « هذا إبراهيم عليه السلام ، وهؤلاء أولاد المسلمين وأولاد المشركين » . قالوا : يارسول اللّه ، وأولاد المشركين ؟ قال : « **نعم ، وأولاد المشركين** » .

ومنهم من جزم لهم بالنار لقوله عليه السلام : « **هم مع[٨] آبائهم** »(٩٥)

= فرجع الأمر إلى قوله - صلى الله عليه وسلم « الله أعلم بما كانوا عاملين » فمن سبق علم الله - عز وجل - فيه أنه لو كبر لم يؤمن ، فهو الذي قال لعائشة « إن شئت دعوت الله أن يسمعك تضاغيهم في النار » ومن سبق علم الله فيه لو كبر آمن ، فهم الذين قال - صلى الله عليه وسلم - « هم خدم أهل الجنة » فقد صحت معاني الأحاديث الثلاثة ، وهو قول أهل السنة .

(٩٣) - أخرجه أحمد - (٥٨/٥) . وأخرجه أيضًا - (٥٨/٥،٤٠٩) . وأبو داود - كتاب الجهاد ، باب : في فضل الشهادة - (٢٥٢١) - (١٥/٣) . والبيهقي في الكبرى - كتاب السير ، باب : فضل الشهادة في سبيل الله - (١٦٣/٩) . وابن سعد في الطبقات - (٥٨/٧) وابن عبد البر في التمهيد - (١١٦/١٨) . وابن أبي شيبة في المصنف - كتاب الجهاد ، باب : ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه - (٥٩١/٤) من طرق عن عوف، حدثتنا حسناء بنت معاوية ... فذكرته .

(٩٤) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التعبير ، باب : تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٧٠٤٧) ومسلم في صحيحه كتاب الرؤيا ، باب : رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم (٢٣) (٢٢٧٥) . والترمذي كتاب الرؤيا ، باب : ما جاء في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم - (٢٢٩٤) (٤٧١/٤) ، رواية مسلم والترمذي مختصرة . قال الحافظ في الفتح - (٤٤٥/١٢) .

« .... وظاهره أنه - صلى الله عليه وسلم - ألحقهم بأولاد المسلمين في حكم الآخرة ، ولا يعارض قوله « **هم من آبائهم** » لأن ذلك حكم الدنيا .

(٩٥) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد ، باب : أهل الدار يبيتون ، فيصاب الولدان والذراري (٣٠١٢) . =

[١] - في ز ، خ : « خنساء » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « خنساء » .
[٥] - في خ : « قالت » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز ، خ : « الوقف » .
[٨] - في ز ، خ : « مِنْ » .

ومنهم من ذهب إلىٰ أنهم يمتحنون يوم القيامة في العَرَصَات ؛ فمن أطاع دخل الجنة ، وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ، ومن عصىٰ دخل النار داخرًا ، وانكشف علم الله فيه بسابق[١] الشقاوة .

وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها ، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض . وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري - رحمه الله - عن أهل السنة والجماعة ، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي - رحمه الله - في كتاب « الاعتقاد » ، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ النقاد .

وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري(٩٦) بعض ما تقدم من أحاديث الامتحان ، ثم قال : وأحاديث هذا الباب ليست قوية ، ولا تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها ؛ لأن الآخرة دار جزاء و[٢]ليست دار عمل ولا ابتلاء ، وكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين ، والله لا يكلف نفسًا إلا وسعها ؟!

والجواب عما قال : أن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح - كما قد[٣] نص علىٰ ذلك غير واحد من أئمة العلماء - ومنها ما هو حسن ، ومنها ما هو ضعيف يَقْوَىٰ بالصحيح والحسن ، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متعاضدة علىٰ هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها .

وأما قوله : إن الآخرة دار جزاء ، فلا شك أنها دار جزاء ، ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار ، كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الأطفال ، وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلىٰ السجود فلا يستطيعون** ﴾ ، وقد ثبتت السنة في الصحاح وغيرها أن المؤمنين

= ومسلم في صحيحه - كتاب الجهاد والسير ، باب : جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد - (٢٦،٢٧،٢٨) (١٧٤٥) . وأبو داود - كتاب الجهاد ، باب : في قتل النساء (٢٦٧٢) . والترمذي - كتاب السير ، باب : ما جاء في النهي عن قتل النساء والصبيان - (١٥٧٠) . والنسائي في الكبرى - كتاب السير ، باب : إصابة أولاد المشركين في البيات بغير قصد - (٨٦٢٣،٨٦٢٤) . وابن ماجه - كتاب الجهاد ، باب : الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان - (٢٨٣٩) (٢/٩٤٧) كلهم من حديث الصعب بن جَثَّامة .. بلفظ « **هم من آبائهم** » .

(٩٦) انظر « التمهيد » - (١٨/١٣٠) .

---

[١] - في ز ، خ : « بتقدم » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

يسجدون لله يوم القيامة(٩٧) ، وأما المنافق فلا يستطيع ذلك ويعود ظهره [ ][١] طبقًا واحدًا[٢] كلما أراد السجود[٣] خرَّ لقفاه . وفي الصحيحين(٩٨) في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجًا منها ؛ أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه أن لايسأل غير ما هو فيه ، ويتكرر ذلك مرارًا ، ويقول الله تعالىٰ : يا بن آدم ، ما أغدرك ! ثم يأذن له في دخول الجنة .

وأما قوله : وكيف يكلفهم دخول النار وليس ذلك في وسعهم ؟ فليس هذا بمانع من صحة الحديث ؛ فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز علىٰ الصراط ، وهو جسر علىٰ جهنم ، أحدّ من السيف وأدق من الشعرة ، ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق ، وكالريح ، وكأجاويد الخيل والركاب ، ومنهم[٤] الساعي ، ومنهم الماشي ، ومنهم من يحبو حبوًا ، ومنهم المكدوش على وجهه في النار وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا ؛ بل هذا أطم وأعظم ، وأيضًا فقد ثبتت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار ، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرىٰ أنه نار ؛ فإنه يكون عليه بردًا وسلامًا(٩٩)، فهذا نظير ذلك ، وأيضًا فإن الله تعالىٰ أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم ، فقتل بعضهم بعضًا حتىٰ قتلوا - فيما قيل - في غداة واحدة سبعين ألفًا ، يقتل الرجل أباه وأخاه وهم في[٥] عماية[٦] غمامة أرسلها الله عليهم ، وذلك عقوبة لهم علىٰ عبادتهم العجل ، وهذا أيضًا شاق علىٰ النفوس جدًّا لايتقاصر عما ورد في الحديث المذكور ، والله أعلم .

---

(٩٧) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « يوم يكشف عن ساق » (٤٩١٩) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية (٣٠٢) (١٨٣) مطولًا مختصرًا . من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاءً وسمعة ، فيذهب ليسجد ، فيعود ظهره طبقًا واحدًا » .

(٩٨) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان ، باب : فضل السجود - (٨٠٦) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية - (٢٩٩) - (١٨٢) من حديث أبي هريرة مطولًا .

(٩٩) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٥٠) . ومسلم في صحيحه - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب : ذكر الدجال وصفته وما معه (١٠٧) - (٢٩٣٤/ ٢٩٣٥) . من حديث - حذيفة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول « إن مع الدجال ، إذا خرج ، ماءً ونارًا ، فأما الذي يرى الناس أنها النار ، فماء بارد ، وأما الذي يرى الناس أنه ماء بارد ، فنار تحرق ، فمن أدرك منكم ، فليقع في الذي يرى أنها نار فإنه عذب بارد » .

---

[١] - في خ : « كالصفيحة الواحدة » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « سجودها » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : خ .

فصل

فإذا تقرر هذا ، فقد اختلف الناس في ولدان المشركين على أقوال ؛ **أحدها** : أنهم في الجنة ، واحتجوا بحديث سمرة : أنه عليه السلام رأىٰ مع إبراهيم [عليه السلام][١] أولاد المسلمين وأولاد[٢] المشركين ، وبما تقدم في رواية أحمد عن حسناء[٣] عن عمها : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **والمولود في الجنة** » ، وهذا استدلال صحيح ، ولكن أحاديث الامتحان أخص منه ، فمن علم الله منه أنه يطيع جعل روحه في البرزخ مع إبراهيم وأولاد المسلمين الذين ماتوا علىٰ الفطرة ، ومن علم منه أنه لايجيب فأمره إلىٰ الله تعالىٰ ، ويوم القيامة يكون في النار كما دلت عليه أحاديث الامتحان ، ونقله الأشعري عن أهل السنة ، ثم إن[٤] هؤلاء القائلين بأنهم في الجنة منهم[٥] من يجعلهم مستقلين فيها ، ومنهم من يجعلهم خدمًا لهم ، كما جاء في حديث عليّ بن زيد عن أنس عند أبي داود الطيالسي(١٠٠) . وهو ضعيف ، والله أعلم .

و[٦]**القول الثاني** : أنهم مع آبائهم في النار ، واستدل عليه [بما رواه][٧] الإمام أحمد ابن حنبل(١٠١) ، عن أبي المغيرة ، حدثنا عتبة بن ضمرة بن حبيب ، حدثني عبد الله بن أبي قيس - مولىٰ غطيف - أنه أتىٰ عائشة فسألها عن ذراري الكفار ، فقالت[٨] : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **هم تبع لآبائهم** » . فقلت : يا رسول الله ، بلا عمل ؟

(١٠٠) - لم أجده عند الطيالسي من هذه الطريق وإنما أخرجه في مسنده (٢١١١) حدثنا الربيع عن يزيد قال : قلنا لأنس يا أبا حمزة ما تقول في أطفال المشركين فقال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لم تكن لهم سيئات فيعاقبوا بها فيكونوا من أهل النار ولم تكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة هم خدم أهل الجنة » وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٠٨/٦) من طريق الربيع بن صبيح به والربيع صدوق سيئ الحفظ كما في التقريب . وقد ضعف الحافظ في « الفتح » حديث أنس وأخرجه أبو يعلى (١٣٠/٧ - ١٣١) وتمام في فوائده (١٧٨٢/٥ الروض البسام) من طريق الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعًا بلفظ « الوالدن والأطفال خدم أهل الجنة » وأخرجه الطبراني في « الأوسط» (٥٣٥٥) - (٢٩٤/٥) . والبزار في مسنده - كما في مختصر الزوائد - (١٦٢٠) (١٦٢/٢) وذكره ابن عبد البر في التمهيد (١١٨/١٨) . من طريق مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أنس فذكره . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٢/٧) وقال : رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ... وفي إسناد أبي يعلى يزيد الرقاشي وهو ضعيف ، وقال فيه ابن معين : رجل صدوق ، ووثقه ابن عدي ، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(١٠١) - أخرجه أحمد - (٨٤/٦) وانظر ما بعده .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « خنساء » .
[٤] - في ز ، خ : « مِنْ » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « فقال » .

فقال[١] : « **اللَّه أعلم بما كانوا عاملين** » .

وأخرجه أبو داود(١٠٢) من حديث محمد بن حرب ، عن محمد بن زياد الألهاني ، سمعت عبد اللَّه بن أبي قيس ، سمعت عائشة تقول : سألت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم عن ذراري المؤمنين قال : « هم من[٢] آبائهم » . قلت : فذراري المشركين ؟ قال : « **هم من آبائهم** » . قلت : بلا عمل ؟ قال : « **اللَّه أعلم بما كانوا عاملين** » .

ورواه أحمد(١٠٣) أيضًا[٣] ، عن وكيع ، عن أبي عقيل - يحيىٰ بن المتوكل ، وهو متروك - عن مولاته : بهية ، عن عائشة : أنها ذكرت لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أطفال المشركين فقال : « **إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار** » .

وقال عبد اللَّه بن الإمام أحمد(١٠٤) : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، عن محمد بن فضيل ابن غزوان ، عن محمد بن عثمان ، عن زاذان ، عن عليّ - رضي اللَّه عنه - قال : سألتْ خديجةُ رضي الله عنها [رسولَ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم][٤] عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال : « **هما في النار** » . قال : فلما رأىٰ الكراهية في وجهها قال : « **لو رأيت**

(١٠٢) - أخرجه أبو داود - كتاب السنة ، باب : في ذراري المشركين - (٤٧١٢) حدثنا عبد الوهاب بن نجدة ، ثنا بقية ، ح وثنا موسى بن مروان الرقي وكثير بن عبيد المذحجي ، قالا : ثنا محمد بن حرب ... فذكره . وذكره ابن عبد البر في « التمهيد » - (١٢١/١٨) من طريق محمد بن زياد الألهاني به . وهو في صحيح أبي داود للألباني - (٣٩٤٣) - (٨٩٣/٣) .

(١٠٣) - أخرجه أحمد - (٢٠٨/٦) والطيالسي في مسنده (١٥٧٦) وابن عبد البر في التمهيد (١٢٢/١٨) وذكره الهيثمي في « المجمع » - (٢٢٠/٧) وقال : « رواه أحمد ، وفيه أبو عقيل يحيى بن المتوكل . ضعفه جمهور الأئمة أحمد وغيره ويحيى بن معين ونقل عنه توثيقه في رواية من ثلاثة » .

وقال ابن عبد البر . « أبو عقيل هذا صاحب بهية ، لا يحتج بمثله عند أهل العلم بالنقل ، وهذا الحديث لو صح أيضًا احتمل من الخصوص ما احتمل غيره في هذا الباب ، ومما يدل على أنه خصوص لقوم من المشركين ، قوله : لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار ، وهذا لا يكون إلا فيمن قد مات ، وصار في النار أو قد عارض هذا الحديث ما هو أقوى منه من الآثار ولله الحمد » .

(١٠٤) - أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند - (١٣٤/١) . وابن أبي عاصم في السنة - (٢١٣) - (٩٤/١) ثنا عثمان بن أبي شيبة . وذكره الهيثمي في المجمع - (٢٢٠/٧) وقال : رواه عبد الله بن أحمد وفيه محمد بن عثمان ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح . والحديث ضعفه الشيخ الألباني في « ظلال الجنة » - فانظره هناك ففيه بحث جيد .

[١] - في خ : « قال » .

[٢] - في ت : « مع » ، وفي خ : «مع» مكتوب فوقها « من » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

مكانهما لأبغضتهما » . قالت : فولديّ منك ؟ قال : [قال : « **في الجنة** » . قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم][١] : « **إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، وإن المشركين وأولادهم في النار** » ، ثم قرأ : ﴿ **والذين آمنوا [واتبعتهم ذريتهم][٢] بإيمان [ألحقنا بهم ذريتهم][٣]** ﴾ . وهذا حديث غريب ؛ فإن محمد بن عثمان هذا مجهول الحال ، وشيخه زاذان[٤] لم يدرك عليًا ، والله أعلم .

وروىٰ أبو داود(١٠٥) من حديث ابن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن الشعبي قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الوائدة[٥] والموءودة[٦] في النار** » ، ثم قال الشعبي : حدثني به[٧] علقمة ، عن أبي وائل ، عن[٨] ابن مسعود .

وقد رواه جماعة(١٠٦) عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن سلمة بن قيس الأشجعي قال : أتيت أنا وأخي النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم فقلنا : إن أمنا ماتت في الجاهلية ، وكانت تقري الضيف وتصل الرحم ، وإنها وأدت أختًا لنا في الجاهلية [لم تبلغ الحنث][٩] فقال : « **الوائدة والموءودة في النار إلا أن تدرك[١٠] الوائدة الإسلام فتسلم** » ، وهذا إسناد حسن .

والقول الثالث : التوقف فيهم ، واعتمدوا علىٰ قوله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** » ، وهو في الصحيحين(١٠٧) من حديث جعفر بن أبي[١١] إياس ، عن

(١٠٥) - أخرجه أبو داود - كتاب السنة ، باب : في ذراري المشركين - (٤٧١٧) (٢٣٠/٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود - (٣٩٤٨) (٨٩٤/٣) .

(١٠٦) - أخرجه أحمد - (٤٧٨/٣) . والبخاري في التاريخ الكبير - (٧٣/٤) . والطبراني في الكبير - (٦٣١٩) (٤٤/٧) . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (١٢٣/١-١٢٤) وقال : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، والطبراني في الكبير بنحوه » . كلهم من حديث سلمة بن يزيد الجعفي (وليس سلمة بن قيس كما هنا) - وذكره أيضًا ابن الأثير في أسد الغابة - (٤٣٦/٢) - في ترجمة (سلمة بن يزيد) . وسماه ابن سعد في الطبقات - (٢٤٥/١-٢٤٦) قيس بن سلمة وجعله أخو سلمة بن يزيد لأم لكن في إسناد ابن سعد محمد بن السائب الكلبي وهو متروك .

(١٠٧) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز ، باب : ما قيل في أولاد المشركين . (١٣٨٣) =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وأتبعناهم ذرياتهم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « زادان » .

[٥] - في ز ، خ : « العائدة » .

[٦] - في خ : « والمرودة » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في خ : « ابن » .

[٩] - سقط من : خ .

[١٠] - في ز ، خ : « يدرك » .

[١١] - سقط من : خ .

سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : سئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن أولاد المشركين ، قال[١] : « الله أعلم بما كانوا عاملين » . [وكذلك هو في الصحيحين(١٠٨) من حديث الزهري ، عن عطاء بن يزيد ، وعن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه سئل عن أطفال المشركين فقال : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** »][٢] . ومنهم من جعلهم من أهل الأعراف ، وهذا القول يرجع إلىٰ قول من ذهب إلىٰ[٣] أنهم من أهل الجنة ؛ لأن الأعراف ليس دار قرار ، ومآل أهلها إلىٰ الجنة ، كما تقدم تقرير ذلك في سورة الأعراف ، والله أعلم .

[فصل]

وليعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين ، فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء ، كما حكاه القاضي أبو يعلىٰ بن[٤] الفرّاء الحنبلي ، عن الإمام أحمد أنه قال : لايختلف فيهم أنهم من أهل الجنة. وهذا هو المشهور بين الناس ، وهو الذي نقطع به إن شاء الله - عز وجل - . فأما ما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر ، عن بعض العلماء أنهم توقفوا في ذلك ، وأن الولدان كلهم تحت مشيئة الله - عز وجل - ، قال أبو عمر(١٠٩) : ذهب إلىٰ هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث ، منهم : حماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، وإسحاق بن راهويه ، وغيرهم . قالوا[٥] : وهو يشبه ما رسم مالك في موطئه في أبواب القدر ، وما أورده من الأحاديث في ذلك ، وعلىٰ ذلك أكثر أصحابه ، وليس عن مالك فيه شيء منصوص ؛ إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلىٰ أن أطفال المسلمين في الجنة ، وأطفال الكفار[٦] خاصة في المشيئة . انتهىٰ كلامه ، وهو غريب جدًّا .

= ومسلم في صحيحه - كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة .... » (٢٨) (٢٦٦٠) . وأبو داود - كتاب السنة ، باب : في ذراري المشركين - (٤٧١١) . والنسائي - كتاب الجنائز ، باب : أولاد المشركين - (٤/٥٨-٥٩،٥٩-٦٠) .

(١٠٨) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز ، باب : ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٤) . ومسلم في صحيحه - كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ... (٢٦) - (٢٦٥٩) . والنسائي - كتاب الجنائز ، باب : أولاد المشركين - (٤/٥٨) .

من طريق محمد بن شهاب الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي - عن أبي هريرة ... فذكره وطريقه الثاني تقدم تخريجه .

[١] - في ز ، خ : « فقال » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « قال » .
[٦] - في ت : « المشركين » .

وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في كتابه[١] « التذكرة » نحو ذلك أيضًا ، والله أعلم .

وقد ذكروا في ذلك أيضًا[٢] حديث عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين(١١٠) قالت : دُعي النبي[٣] صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ جنازة صبي من الأنصار فقلت : يا رسول الله ، طوبىٰ له ، عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل السوء ولم يدركه ؛ فقال : « **أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلًا ، وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار ، وخلق لها أهلًا ، وهم في أصلاب آبائهم** » . رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه .

ولما كان الكلام في هذه المسألة يحتاج إلىٰ دلائل صحيحة جيدة ، وقد يتكلم فيها من لا علم عنده عن الشارع - كره جماعة [من العلماء][٤] الكلام فيها - روي ذلك عن ابن عباس ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن الحنفية ، وغيرهم . وأخرج ابن حبان(١١١) في صحيحه : عن جرير بن حازم ، سمعت أبا رجاء العطاردي ، سمعت ابن عباس وهو علىٰ المنبر يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لايزال أمر هذه الأمة مواتيًا - أو : مقاربًا - ما لم يتكلموا في الولدان والقدر** » .

قال ابن حبان : يعني : أطفال المشركين .

وهكذا رواه أبو بكر البزار ، من طريق جرير بن حازم ، به . ثم قال : وقد رواه جماعة

---

(١٠٩) - **التمهيد لابن عبد البر** - (١١١/١٨-١١٢) .

(١١٠) - أخرجه أحمد - (٤١/٦، ٢٠٨) . ، ومسلم في صحيحه - كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ... (٣٠، ٣١) - (٢٦٦٢) ، أبو داود - كتاب السنة ، باب : في ذراري المشركين - (٤٧١٣) . والنسائي - كتاب الجنائز ، باب : الصلاة على الصبيان - (٥٧/٤) . وابن ماجه - في المقدمة ، باب ، في القدر (٨٢) .

(١١١) - **صحيح** ، أخرجه ابن حبان في صحيحه - (٦٧٢٤) (١١٨/١٥-١١٩) .
والحاكم في «المستدرك» (٣٣/١) . والطبراني في «الكبير» (١٢٧٦٤) (١٦٢/١٢) . وفي «الأوسط» (٤٠٨٦) (٢٤١/٤) ، والبزار (٢١٨٠) . من طريق جرير بن حازم به . وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ، ولا نعلم له علة ، ولم يخرجاه » . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٠٥/٧) وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح . وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٥١٥) (١٩/٤) .

---

[١] - في ز : « كتاب » .

[٢] - زيادة من: خ .

[٣] - في خ : « رسول الله » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عن أبي رجاء ، عن ابن عباس موقوفًا(١١٢) .

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾

اختلف القراء في قراءة قوله : ﴿ أمرنا ﴾ ، فالمشهور قراءة التخفيف ، واختلف المفسرون في معناها ، فقيل : معناه : أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرًا قدريًا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **أتاها أمرنا ليلًا أو نهارًا** ﴾ ؛ فإن اللَّه لا يأمر بالفحشاء ، قالوا : معناه أنه سخرهم إلىٰ فعل الفواحش فاستحقوا العذاب .

وقيل : معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش ؛ فاستحقوا العقوبة . رواه ابن جريج[١] عن ابن عباس ، وقاله سعيد بن جبير أيضًا .

وقال ابن جرير : وقد[٢] يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء . قلت[٣] : إنما يجيء على قراءة من قرأ ﴿ **أمّرنا مترفيها** ﴾ قال علي بن أبي[٤] طلحة عن ابن عباس قوله : ﴿ **أمّرنا مترفيها ففسقوا فيها** ﴾ يقول : سلطنا أشرارها فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك [أهلكهم اللَّه][٥] بالعذاب ، وهو قوله : ﴿ **وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها** ﴾ ... الآية ، وكذا قال أبو العالية ، ومجاهد والربيع بن أنس .

وقال العوفى عن ابن عباس : ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها** ﴾ يقول : أكثرنا عددهم[٦] ، وكذا قال عكرمة ، والحسن ، والضحاك ، وقتادة . وعن مالك عن الزهرى ﴿ **أمرنا مترفيها** ﴾ أكثرنا ، وقد استشهد بعضهم بالحديث الذى رواه الإمام أحمد(١١٣) ، حيث قال : حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا أبو نعامة العدوي عن مسلم بن بديل ، عن إياس بن زهير ، عن سويد بن هبيرة ، عن النبى صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **خير مال امرئ له مهرة مأمورة ، أو سِكّة مأبورة**[٧] » قال الإمام أبو عبيد القاسم بن

(١١٢) - أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٧٠٣) . واللالكائي في « أصول الاعتقاد » (١١٢٧) (٤/ ٦٣١) . من طريق جرير بن حازم عن أبي رجاء عن ابن عباس موقوفًا عليه .

(١١٣) - أحمد - (٣/٤٦٨) . وأخرجه الطبراني في الكبير - (٦٤٠٧،٦٤٧١) (٧/١٠٧) والبخاري =

[١] - في ز ، خ : « جرير » .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - في خ : « فقلت » .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « أهلكتهم » .

[٦] - في خ : « عدوهم » .

[٧] - في خ : « مأسورة » .

سلام - رحمه الله - في كتابه الغريب : المأمورة : كثيرة النسل ، والسّكّة : الطريقة المصطفة من النخل ، والمأبورة : من التأبير ، وقال بعضهم : إنما جاء هذا متناسبًا ، كقوله : « مأزورات غير مأجورات »(١١٤) .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾

يقول تعالى منذرًا كفار قريش في تكذيبهم رسول الله محمدًا صلى الله عليه وسلم ، بأنه قد أهلك أممًا من المكذبين للرسل من بعد نوح ، ودل هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام ، كما قاله ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة[١] قرون ، كلهم على الإسلام . ومعناه : أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم ، وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق ؛ فعقوبتكم أولى وأحرى .

وقوله : ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيرًا بصيرًا ﴾ أي : هو عالم بجميع أعمالهم ، خيرها وشرها ، لا يخفى عليه منها خافية ، [سبحانه وتعالى] .

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

= في التاريخ الكبير (٤٣٨/١، ٤٣٩) . والبيهقي في الكبرى - (٦٤/١٠) . والبغوي في شرح السنة - (٢٦٤٧) (٣٨٧/١٠) . وابن سعد في الطبقات - (٥٥/٧) وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٤٩٤/٢-٤٩٥) من طريق مسلم بن بديل عن إياس بن زهير به . وقال الهيثمي في المجمع - (٢٦١/٥) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات . قلت : مسلم بن بديل وإياس بن زهير لم يوثقهما غير ابن حبان ، ناهيك على أن سويد بن هبيرة تابعي وليست له صحبة . وقد ذكر ابن الأثير الحديث - من رواية معاذ بن معاذ ، عن أبي نعامة عن إياس ، عن سويد قال : بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم ... الحديث .

(١١٤) - أخرجه ابن ماجه - كتاب الجنائز ، باب : ما جاء في اتباع النساء الجنائز - (١٥٧٨) (٥٠٢/١-٥٠٣) . والبيهقي في الكبرى - كتاب الجنائز ، باب : ما ورد في نهي النساء عن اتباع الجنائز - (٧٧/٤) من طريق إسماعيل بن سلمان ، عن دينار أبي عمر ، عن ابن الحنفية ، عن علي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - فإذا نسوة جلوس . فقال : « ما يجلسكن ؟ » قلن : ننتظر الجنازة . قال : « هل تغسلن » ؟ قلن : لا . قال « هل تحملن ؟ » قلن : لا . قال : « هل تدلين فيمن يُدلي » قلن : لا . قال ... فذكره .

وقال البوصيري في الزوائد : في إسناده دينار بن عمر أبو عمرو وهو ، وإن وثقه وكيع وذكره ابن حبان في « الثقات » ، فقد قال أبو حاتم : ليس بالمشهور وقال الأزدي : متروك ، وقال الخليلي في الإرشاد : كذاب . وإسماعيل بن سلمان : قال فيه أبو حاتم : صالح ، لكن ذكره ابن حبان في الثقات وقال : يخطئ ، وباقي رجاله ثقات .

[١] - في خ : « عشر » .

﴿ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴾ (١٩)

يخبر تعالى أنه ما كُلُّ من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له[١] ، بل إنما يحصل لمن أراد الله ما[٢] يشاء ، وهذه مُقيِّدة لإطلاق ما سواها من الآيات ؛ فإنه قال : ﴿ **عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم** ﴾ أي : في الدار[٣] الآخرة ﴿ **يصلاها** ﴾ أي : يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه ﴿ **مذمومًا** ﴾ أي : في حال كونه مذمومًا على سوء تصرفه وصنيعه ، إذ اختار الفاني على الباقي ﴿ **مدحورًا** ﴾ مبعدًا مقصيًّا حقيرًا ذليلًا مهانًا .

روى[٤] الإمام أحمد(١١٥) : حدثنا حسين ، حدثنا ذويد[٥] عن أبي إسحاق ، عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها[٦] يجمع من لا عقل له** » . وقوله ﴿ و[٧]**من أراد الآخرة** ﴾ أي : أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور ﴿ **وسعى لها سعيها** ﴾ أي : طلب ذلك من طريقه ، وهو متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ **وهو مؤمن** ﴾ أي : وقلبه مؤمن ، أي : مصدق موقن بالثواب والجزاء ﴿ **فأولئك كان سعيهم مشكورًا** ﴾ .

﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا (٢٠) ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا (٢١) ﴾

[يقول تعالى ﴿ **كُلًّا** ﴾ أي : كل واحد من الفريقين ، الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة - نمدهم فيما هم فيه ﴿ **من عطاء ربك** ﴾ أي : هو المتصرف ، الحاكم الذي لا

(١١٥) - أخرجه أحمد - (٧١/٦) . والبيهقي في « الشعب » (١٠٦٣٨) (٣٧٥/٧) من طريق أبي سليمان النصيبي عن أبي إسحاق به . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (٢٩١/١٠) وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير ذويد وهو ثقة » وهو كذلك إلا أن أبا إسحاق وهو السبيعي مدلس وقد عنعنه وأعله بذلك الألباني فكان من نصيب « الضعيفة » (١٩٣٣) (٤٠٣/٤) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « وما » .
[٣] - زيادة من : خ .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في ز، خ : « رويد » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من ز .

يجور ، **فيعطي كُلًّا** ما يستحقه من السعادة والشقاوة ، فلا راد لحكمه ، ولا مانع لما أعطى ، ولا مغير لما أراده ، لهذا قال ﴿ **وما كان عطاء ربك محظورًا** ﴾ أى : لا يمنعه أحد ولا يرده راد .

قال قتادة : وما كان عطاء ربك محظورًا أي : منقوصًا ، وقال الحسن وغيره : أى : ممنوعًا ، ثم قال ﴿ **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض** ﴾ أى : في الدنيا ، فمنهم الغني والفقير وبين ذلك ، والحسن والقبيح وبين ذلك ، ومن يموت صغيرًا ، ومن يعمر حتى يبقى شيخًا كبيرًا ، وبين ذلك ﴿ **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا** ﴾ أى : ولتفاوتهم فى الدار الآخرة أكبر من الدنيا ؛ فإن منهم من يكون فى الدركات فى جهنم وسلاسلها وأغلالها ، ومنهم من يكون فى الدرجات العلىٰ ونعيمها وسرورها ، ثم أهل الدركات يتفاوتون فيما هم فيه كما أن أهل الدرجات يتفاوتون ؛ فإن الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . وفى الصحيحين(١١٦) « **إن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر فى أفق السماء** » ؛ ولهذا قال تعالى ﴿ **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا** ﴾ وفى الطبرانى(١١٧) من رواية زاذان عن سلمان مرفوعًا « **ما من عبد يريد أن يرتفع فى الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله فى الآخرة أكبر منها** » ثم قرأ ﴿ **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا** ﴾][١] .

لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

يقول تعالىٰ – والمراد المكلفون من الأمة – : لا تجعل أيها المكلف في عبادتك ربَّك له شريكًا ﴿ **فتقعد مذمومًا** ﴾ علىٰ إشراكك ، ﴿ **مخذولًا** ﴾ لأن الرب تعالىٰ لا ينصرك ، بل يَكِلُك إلىٰ الذي عبدت معه ، وهو لا يملك لك ضرًا ولا نفعًا ؛ لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له .

---

(١١٦) – أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب بدء الخلق باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – (٣٢٥٦) . ومسلم في صحيحه – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : ترائي أهل الجنة أهل الغرف ، كما يرى الكوكب في السماء (١١) (٢٨٣١) . من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا ولفظه : « إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ......» .

(١١٧) – أخرجه الطبراني في الكبير – (٦١٠١) (٢٣٩/٦–٢٤٠) ، وأبو نعيم في الحلية – (٢٠٤/٤) . من طرق عبد الغفور بن سعيد الأنصاري عن أبي هاشم الرماني عن زاذان به . وعبد الغفور هذا كان ممن يضع الحديث كما قال ابن حبان ، وقال البخاري : تركوه . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٥٢/٧) « رواه الطبراني وفيه أبو الصباح عبد الغفور وهو متروك » .

---

[١] – سقط من : خ .

وقد قال الإمام أحمد(١١٨) : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا بشير بن سلمان عن سيار أبى الحكم

عن طارق بن شهاب ، عن عبد الله - هو ابن مسعود قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من أصابته فاقة فأنزلها بالناس**[١] ، **لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى ، إما أجل عاجل**[٢] ، **وإما غنى عاجل** » ورواه أبو داود والترمذي من حديث بشير بن سلمان به ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب[٣] [لا تجعل مع الله إلهًا آخر فتقعد مذمومًا مخذولًا][٤] .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

يقول تعالى آمرًا بعبادته وحده لا شريك له ؛ فإن القضاء هلهنا بمعنى الأمر.

قال مجاهد : ﴿ وقضى ﴾ يعني[٥] : وصى . وكذا قرأ ذلك أبيّ بن كعب ، وعبد الله

(١١٨) - أخرجه أحمد - (٤٠٧/١) . وأخرجه أبو داود - كتاب الزكاة ، باب : في الاستعفاف (١٦٤٥) . والترمذي - كتاب الزهد ، باب : ما جاء في الهم في الدنيا وحبها - (٢٣٢٦) ، وصححه الحاكم (٤٠٨/١) ووافقه الذهبي .

(١١٩) - أما حديث أنس فأخرجه البزار - مختصر الزوائد - (٢١٧٤) - (٤٤١/٢) حدثنا محمد بن معمر ، ثنا جعفر بن عون عن سلمة بن وردان عن أنس ذكره . وقال الهيثمي في « المجمع - (١٦٩/١٠) : « رواه البزار وفيه سلمة بن وردان وهو ضعيف وقد قال فيه البزار : صالح ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . قلت : وباقي كلام البزار ... وله أحاديث يستوحش بها » فلعل هذا الصلاح في نفسه ودينه - والعلم عند الله تعالى . لكن الحديث قد صح عن عدد من الصحابة ولله الحمد - ففي الباب : حديث أبي هريرة : أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٤٦) وابن حبان في صحيحه (٩٠٧) . وجابر بن عبد الله - عند البخاري في الأدب (٦٤٤) وصححه الألباني في صحيح الأدب (٥٠٠) . وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وكعب بن عجرة - انظر مجمع الزوائد (١٠/١٦٧-١٧٠) .

[١] - في ز : « الناس » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « بمعنى » .

ابن مسعود ، والضحاك بن مزاحم : (ووصىٰ ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) ، ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال : ﴿ **وبالوالدين إحسانًا** ﴾ ، أي : وأمر بالوالدين إحسانًا كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير** ﴾

وقوله[١] : ﴿ **إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف** ﴾ ، [أي : لا تسمعهما قولًا سيئًا حتى ولا التأفيف الذى هو أدنى مراتب القول السيئ][٢] ، ﴿ **ولا تنهرهما** ﴾ أي: ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح ، كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله : ﴿ **ولا تنهرهما** ﴾ ، أي : لا تنفُض يدك[٣] على والديك . ولما نهاه عن القول القبيح ، والفعل القبيح أمره بالقول الحسن ، والفعل الحسن ؛ فقال : ﴿ **وقل لهما قولًا كريمًا** ﴾ أى ليّنًا ، طيّبًا ، حسنًا بأدب ، وتوقير ، وتعظيم .

﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة** ﴾ ، أي : تواضع لهما بفعلك ، ﴿ **وقل رب ارحمهما** ﴾ ، أي : في كبرهما ، وعند وفاتهما ﴿ **كما ربياني صغيرًا** ﴾ .

قال[٤] ابن عباس : ثم أنزل اللَّه : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى** ﴾ .

وقد جاء في بر الوالدين أحاديث كثيرة ؛ منها الحديث المروي من طرق عن أنس(١١٩) وغيره ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لما صعد المنبر قال : « **آمين آمين آمين** » . فقالوا : يا رسول اللَّه ، علام أمَّنت ؟ قال : « **أتاني جبريل فقال : يا محمد ، رَغِم أنفُ امرئ ذُكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك ، فقل : آمين . فقلت : آمين . ثم قال : [ ][٥] رَغِم أنفُ امرئ دخل عليه شهر رمضان ثم خرج ولم يغفر له ، قل : آمين . فقلت : آمين . ثم قال : رَغِمَ أنفُ امرئ أدرك أبويه - أو أحدهما - فلم يدخلاه الجنة ، قل : آمين . فقلت : آمين** » .

حديث آخر : قال الإمام أحمد(١٢٠) : حدثنا هشيم ، حدثنا عليّ بن زيد ، أخبرنا زرارة ابن أوفىٰ عن مالك بن الحارث - رجل منهم - أنه سمع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم

(١٢٠) - المسند - (٣٤٤/٤) ، (٢٩/٥) . والطبراني في الكبير (٦٧٠) (٣٠٠/١٩) من طريق أبي الربيع الزهراني حدثنا هشيم به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٤٦/٤) وقال : « رواه أحمد والطبراني وفيه علي بن زيد وحديثه حسن وقد ضعف » . وقال في (١٦٣/٨-١٦٤) « رواه أحمد والطبراني وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله رجال الصحيح » والراجح في علي بن زيد الضعف والله أعلم .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « يديك » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « رغم أنف امرئ أدرك أبويه أو أحدهما » ولا أرى لها مكانًا .

يقول : « **من ضم يتيمًا**[١] **بين أبوين مسلمين إلىٰ طعامه وشرابه حتىٰ يستغني عنه ؛ وجبت له الجنة ألبتة**[٢] ، **ومن أعتق امرأ مسلمًا كان فكاكه من النار ، يجزي بكل عضو منه عضوًا منه** » .

ثم قال(١٢١) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت عليّ بن زيد ، فذكر معناه ، إلا أنه قال : عن رجل من قومه يقال له : مالك ، أو : ابن مالك ، وزاد : « **ومن أدرك والديه أو أحدهما**[٣] **فدخل النار فأبعده اللَّه** » .

حديث آخر : وقال الإمام أحمد(١٢٢) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عليّ ابن زيد ، عن زرارة بن أوفىٰ ، عن مالك بن عمرو القشيري ، سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار ؛ مكان كل عظم من عظامه محرّره بعظم من عظامه . ومن أدرك أحد والديه ، ثم**[٤] **لم يغفر له فأبعده اللَّه عز وجل . ومن ضم يتيمًا بين أبوين مسلمين إلىٰ طعامه وشرابه حتىٰ يغنيه اللَّه**[٥] **وجبت له الجنة** » .

حديث آخر : وقال الإمام أحمد(١٢٣) : حدثنا حجاج ومحمد بن جعفر قالا : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، سمعت زرارة بن أوفىٰ يحدث عن [أُبيّ بن][٦] مالك القشيري قال :

(١٢١) - أخرجه أحمد (٢٩/٥) والطيالسي في مسنده (١٣٢٢) حدثنا شعبة به . والطبراني في « الكبير » - (٣٠٠/١٩) (٦٦٨) من طريق أسد بن موسى ثنا شعبة به . وأبو يعلى في مسنده (٩٢٦) (٢٢٧/٢) حدثنا علي بن الجعد : حدثنا شعبة به وذكره الهيثمي (١٦٤/٨) « رواه أبو يعلى .. وأحمد باختصار والطبراني وهو حسن الإسناد » . قلت : فيه علي بن زيد وهو ضعيف - وانظر الحديث السابق .

(١٢٢) - أخرجه أحمد - (٣٤٤/٤) . والطبراني في «الكبير» (٦٦٦،٦٦٧) (٢٩٩/١٩،٣٠٠) من طريقين عن حماد ابن سلمة به . وتابع حماد بن سلمة على تسمية الصحابي « مالك بن عمرو » أو « عمرو بن مالك » سفيان أخرجه الطبراني - (٦٦٩) (٣٠٠/١٩) ، وابن المبارك في الزهد - (٦٥٦) وذكره الهيثمي في « المجمع » - (١٤٢/٨-١٤٣) من حديث مالك بن عمرو - وقال : «إسناد حسن» قلت . وعلته ما زالت قائمة ، فإنه من رواية علي بن زيد وهو ضعيف .

(١٢٣) - **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد (٣٤٤/٤) ، (٢٩/٥) . وأبو داود الطيالسي - (١٣٢١) حدثنا شعبة به دون قوله « وأسحقه » . والبخاري في التاريخ الكبير - (٤٠/٢) حدثنا عمرو حدثنا شعبة به . قال ابن السكن ، قال البخاري : يقال في هذا الحديث مالك بن عمرو ، ويقال ابن الحارث ، ويقال ابن مالك ، والصحيح من ذلك أُبيّ بن مالك . وحكى ابن أبي خيثمة عن ابن معين أنه : ضرب على أُبيّ بن مالك ، وقال : هذا خطأ ليس في الصحابة أبي بن مالك ، وإنما هو عمرو بن مالك . قال الحافظ =

[١] - في ز ، خ : « ما » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « واحدًا » ، خ : « واحد » .
[٤] - في ز ، خ : « و » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك فأبعده اللّٰه وأسحقه** » .

ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة به ، وفيه زيادات أخر .

حديث آخر : قال الإمام أحمد(١٢٤) : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف : رجل أدرك والديه- أحدهما أو كلاهما - عند الكبر و**[١]**لم يدخل الجنة** » صحيح من هذا الوجه ، ولم يخرجه سوىٰ مسلم من حديث أبي عوانة ، وجرير وسليمان بن بلال عن سهيل به .

حديث آخر : وقال الإمام أحمد(١٢٥) : حدثنا ربعيّ بن إبراهيم - قال أحمد : وهو أخو إسماعيل بن علية ، وكان يفضل على أخيه - عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فانسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبرَ فلم يدخلاه الجنة** » ، قال ربعي : و[٢]لا أعلمه[٣] إلا قال : « **أو أحدهما** » . ورواه الترمذي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن ربعي

ابن حجر في الإصابة - (١/٢٧-٢٨) : لعله اعتمد رواية شبابة ، ولكنها شاذة .. ثم نقل روايات على بن زيد المتقدمة ... وقال .. ومما يقوي رواية شعبة عن قتادة ما ذكر ابن إسحاق في أمر غنائم حنين - (انظر - سيرة بن هشام - (٤/١٣٣٧) قال : فقال أبي بن مالك القشيري : يا رسول الله فذكر قصته ... وفي الأخبار المنثورة لابن دريد قال : فقال أبي بن مالك بن معاوية القشيري ، وهو أخو نَهيك بن مالك الشاعر المشهور فذكر قصته وفيها أن الضحاك بن سفيان عتب على أبي بن مالك في شيء بعد ذلك فقال :

أتنسى بلائي يا أُبي بن مالك غداةَ الرسول مُعرض عنك أشوَسُ

.... وهذا كله يقوى ما رجحه البخاري والله أعلم . اهـ .

(١٢٤) - أخرجه أحمد - (٢/٣٤٦) . ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب ، باب : رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر ، فلم يدخل الجنة حديث (٢٥٥١) - (١٦/١٦٣) .

(١٢٥) - أخرجه أحمد - (٢/٢٥٤) . والترمذي كتاب الدعوات ، باب : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - « رغم أنف رجل » - (٣٥٤٥) حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن إبراهيم به . وقال « حديث حسن غريب من هذا الوجه » . وتابع ربعيَ بن إبراهيم « بشرُ بن المفضل » ، أخرجه ابن حبان في صحيحه - (٩٠٩) (١/١٨٩) . والحاكم في مستدركه - (١/٥٤٩) .

وعبد الرحمن بن إسحاق هو ابن عبد الله بن الحارث ، صدوق .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - في ز : « أعلم » .

ابن إبراهيم ، ثم قال : غريب من هذا الوجه .

حديث آخر : وقال الإمام أحمد(١٢٦) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل ، حدثنا أسيد بن عليّ ، عن أبيه ، عليّ[١] بن عبيد ، عن أبي أسيد[٢] - وهو مالك ابن ربيعة الساعدي[٣] - قال : بينما أنا جالس عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، هل بقي عليّ من برّ أبويّ شيء بعد موتهما أبرهما به ؟ قال : « **نعم ، خصال أربع : الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة[٤] الرحم التي لا رحم لك إلا من قِبلهما ، فهو الذي بقي عليك بعد موتهما من برهما** » و[٥]رواه أبو داود ، وابن ماجة من حديث عبد الرحمن بن سليمان - وهو ابن الغسيل - به .

حديث آخر : قال[٦] الإمام أحمد(١٢٧) : حدثنا روح ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني محمد ابن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن معاوية بن جاهمة السلمي : أن جاهمة جاء إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أردت الغزو وجئتك أستشيرك ؟ فقال : « **فهل[٧] لك من أم ؟** » قال[٨] : نعم . فقال : « **الزمها فإن الجنة**

---

(١٢٦) - أخرجه أحمد - (٣/٤٩٧-٤٩٨) . وأخرجه أبو داود - كتاب الأدب ، باب : في بر الوالدين - (٥١٤٢) - (٤/٣٣٦) . وابن ماجه - كتاب الأدب ، باب : صِلة من كان أبوك يصل - (٣٦٦٤) (٢/ ١٢٠٨) . والبخاري في «الأدب المفرد» - (٣٥) وفي «التاريخ الكبير» - (٦/٢٨٦-٢٨٧) . وابن حبان في صحيحه - (٤١٨) (٢/١٦٢) ، وفي «الموارد» - (٢٠٣٠) (٦/٣٥١-٣٥٢) والطبراني في «الكبير» - (٥٩٢) (١٩/٢٦٧-٢٦٨) . والحاكم (٤/١٥٤-١٥٥) ، والبيهقي في «الكبرى» - (٤/٢٨) . والروياني في مسنده - (١٤٦٠) (٢/٤٣٧) والمزي في «تهذيب الكمال» - (٢١/٥٧) كلهم من طريق عبد الرحمن ابن سليمان الغسيل به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . قلت : علي بن عبيد لم يوثقه غير ابن حبان على قاعدته المعروفة في توثيق المجاهيل . وقال الذهبي في « الميزان » : لا يعرف (٣/٥٨٨٧) ، وقال ابن حجر في «التقريب» : مقبول .

(١٢٧) - أخرجه أحمد - (٣/٤٢٩) . وأخرجه النسائي - كتاب الجهاد ، باب : الرخصة في التخلف لمن له والدة - (٦/١١) . وابن ماجه - كتاب الجهاد ، باب : الرجل يغزو وله أبوان - (٢٧٨١) - (٢/٩٢٩- ٩٣٠) والحاكم - (٢/١٠٤) ، (٤/١٥١) . من طرق عن ابن جريج به . وقال الحاكم ، صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وقال الشيخ الألباني في «الإرواء» - (١١٩٩) (٥/٢١) .... كذا قالا ، وطلحة بن عبد الله لم يوثقه غير ابن حبان ، لكن روى عنه جماعة ، فهو حسن الحديث إن شاء الله ...»اهـ .

---

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - في ز : « أسيل » ، خ : « أسد » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « والرام » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في ز : « وقال » .
[٧] - في ز : « هل » .
[٨] - في ز ، خ : « فقال » .

تحت رجليها[١] »، ثم الثانية، ثم الثالثة، في مقاعد شتى كمثل هذا القول. ورواه النسائي وابن ماجة من حديث ابن جريج به.

حديث آخر: قال الإمام أحمد(١٢٨): حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا ابن[٢] عياش، عن[٣] بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن المقدام بن معد يكرب الكندي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب** » وقد أخرجه ابن ماجه من حديث [ ][٤] ابن عياش[٥] به.

حديث آخر: قال الإمام أحمد(١٢٩): حدثنا يونس، حدثنا أبو عوانة، عن الأشعث بن سليم، عن أبيه، عن رجل من بني يربوع قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو يكلم الناس يقول: « **يد المعطي العليا**[٦]، **أمك وأباك، وأختك، وأخاك، ثم أدناك أدناك** ».

حديث آخر: قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده(١٣٠): حدثنا إبراهيم بن المستمر[٧] العُرُوقي، حدثنا عمرو بن سفيان، حدثنا الحسن[٨] بن أبي جعفر، عن ليث بن أبي سليم، عن علقمة[٩] بن[١٠] مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه: أن رجلًا كان في الطواف حاملًا أمه يطوف بها، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم: هل أديتُ حقها؟ قال: « **لا، ولا بزفرة واحدة** »، أو كما قال. ثم قال البزار: لا نعلمه يُروىٰ إلا من هذا الوجه. قلت: والحسن بن أبي جعفر ضعيف، والله أعلم.

(١٢٨) - أخرجه أحمد - (١٣٢،١٣١/٤). وأخرجه ابن ماجه - كتاب الأدب، باب: بر الوالدين - (٣٦٦١) (١٢٠٧/٢-١٢٠٨). والبخاري في الأدب المفرد (٦٠). والحاكم - (١٥١/٤)، والبيهقي في الكبرى (١٧٩/٤). من طريق إسماعيل بن عياش به. وقال الحاكم: « إسماعيل بن عياش أحد أئمة أهل الشام إنما نقم عليه سوء الحفظ فقط ». قلت: والنقمة عليه في روايته عن غير الشاميين، وأما إذا روى عنهم فروايته صحيحة كما حققه غير واحد من أهل العلم، وبحير بن سعد شامي فصح الإسناد ولله الحمد.

(١٢٩) - أخرجه أحمد (٦٤/٤-٦٥)، (٣٧٧/٥). وذكره الهيثمي في المجمع - (٢٨٦/٦) وقال: « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ».

(١٣٠) - أخرجه البزار - مختصر الزوائد - (١٧٧٧) (٢٣٨/٢). بلفظ « لا ولا بركزة واحدة ». =

---

[١] - في خ: « رجلها ».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز: « بن ».
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز: « إسماعيل ».
[٥] - في خ: « عباس ».
[٦] - سقط من: خ.
[٧] - في خ: « المؤتمر ».
[٨] - في خ: « عمرو ».
[٩] - في خ: « مسلمة ».
[١٠] - في خ: « عن ».

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

قال سعيد بن جبير : هو الرجل تكون[١] منه البادرة إلىٰ أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به ، وفي رواية : أنه[٢] لا يريد إلا الخير بذلك ، فقال : ﴿ **ربكم أعلم بما في نفوسكم** ﴾ وقوله : ﴿ **إنه كان للأوابين غفورًا** ﴾ قال قتادة : للمطيعين[٣] أهل الصلاة ، وعن ابن عباس : المسبحين[٤] ، وفي رواية عنه : المطيعين المحسنين .

وقال بعضهم: هم الذين يصلون بين العشاءين. وقال بعضهم: هم الذين يصلون الضحى .

وقال شعبة : عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في قوله : ﴿ **فإنه كان للأوابين غفورًا** ﴾ ، قال : الذي يصيب الذنب ، ثم يتوب ، ويصيب الذنب ، ثم يتوب ، وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري ومعمر عن[٥] يحيىٰ بن سعيد عن ابن المسيب ، به . وكذا قال عطاء بن يسار .

وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير : هم الراجعون إلى الخير

وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في قوله[٦] : ﴿ **فإنه كان للأوابين غفورًا** ﴾ ، قال : هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء ، فيستغفر الله منها ، ووافقه على ذلك مجاهد .

وقال عبد الرزاق(١٣١) : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، في قوله : ﴿ **فإنه كان للأوابين غفورًا** ﴾ ، قال : كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول : اللهم ؛ اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا .

= وذكره الهيثمي في « المجمع » - (١٤٠/٨) وقال : « رواه البزار وفيه الحسن بن أبي جعفر ، وهو ضعيف من غير كذب وليث بن أبي سليم مدلس » .

(١٣١) - « التفسير » لعبد الرزاق (٣٧٦/٢ ، ٣٧٧) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره - (٧١/١٥) .

وأخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٩٢/٢) من طريق سفيان قال : بلغني عن عمرو يعني ابن دينار عن عبيد بن عمير فذكره بنحوه .

---

[١] - في خ : « يكون » .
[٢] - زيادة من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « المطيعين » .
[٤] - في ز ، خ : « المستحين » .
[٥] - في ز : « وعن » .
[٦] - في ت : « الآية » .

وقال ابن جرير(١٣٢) : والأولىٰ في ذلك قول من قال : هو التائب من الذنب ، الراجع عن المعصية إلىٰ الطاعة ، مما يكره الله إلىٰ ما يحبه ويرضاه وهذا الذي قاله هو الصواب ؛ لأن الأوّاب مشتق من الأوب ، وهو : الرجوع ، يقال : آب فلان . إذا رجع ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إن إلينا إيابهم ﴾ ، وفي الحديث الصحيح(١٣٣) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا رجع من سفر قال : « **آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون** » .

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

لما ذكر تعالىٰ بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلىٰ القرابة وصلة الأرحام ، وكما[١] تقدم في[٢] الحديث(١٣٤) : « **أمك وأباك ، ثم أدناك أدناك** » ، وفي رواية(١٣٥) : « **ثم الأقرب فالأقرب** » .

وفي الحديث(١٣٦) : «**من أحب أن يبسط له رزقه وينسأ[٣] له في أجله فليصل رحمه**» .

---

(١٣٢) - تفسير ابن جرير - (٧٢/١٥) .

(١٣٣) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (٢٨١/٤، ٢٨٩، ٢٩٨) . والترمذي - كتاب الدعوات ، باب : ما يقول إذا قدم من السفر - (٣٤٤٠) . والنسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا أقبل من السفر - (١٠٣٨٤) . والطيالسي في مسنده - (٧١٦) . وأبو يعلى في مسنده - (١٦٦٤) . وابن حبان في صحيحه - (٢٧١١) (٤٢٧/٦) . من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن الربيع بن البراء عن أبيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا رجع من سفرة قال : فذكره . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

(١٣٤) - تقدم .

(١٣٥) - تقدم .

(١٣٦) - **صحيح** ، أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب البيوع ، باب : من أحب البسط في الرزق (٢٠٦٧) . ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب ، باب : صلة الرحم ، وتحريم قطيعتها . (٢٠) (٢٥٥٧) . وأبو داود - كتاب الزكاة ، باب : في صلة الرحم - (١٦٩٣) . من طريق يونس عن الزهري عن أنس ... فذكره .

---

[١] - في ت : كما . [٢] - سقط من : ت .

[٣] - في خ : « ويتسع » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٣٧) : حدثنا عباد بن يعقوب ، حدثنا [أبو يحيىٰ التيمي][١] ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وآت ذا القربىٰ حقه** ﴾ دعا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فاطمة فأعطاها « فَدَكَ » ، ثم قال : لا نعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيىٰ التيمي[٢] ، وحميد بن حماد بن أبي الخُوار[٣] .

وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده ؛ لأن الآية مكية ، و « فَدَكُ » إنما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة ، فكيف يلتئم هذا مع هذا ؟

[فهو إذًا حديث منكر ، والأشبه أنه من وضع الرافضة ، واللَّه أعلم][٤] . وقد تقدم الكلام علىٰ المساكين وابن[٥] السبيل في سورة براءة بما أغنىٰ عن إعادته هلهنا .

وقوله : ﴿ **ولا تبذر تبذيرًا** ﴾ ، لما[٦] أمر بالإنفاق نهىٰ عن الإسراف فيه ؛ بل يكون وسطًا كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا** ﴾ ثم قال منفرًا عن التبذير والسرف : ﴿ **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين** ﴾ أي : أشباههم في ذلك .

وقال ابن مسعود(١٣٨) : التبذير : الإنفاق في غير حق ، وكذا قال ابن عباس(١٣٩) .

---

(١٣٧) - أخرجه البزار « مختصر الزوائد » - (١٤٧٦) (٢/٩٠) . وذكره الهيثمي في المجمع - (٧/٥٢) وقال : « رواه الطبراني وفيه عطية العوفي وهو ضعيف متروك » وغفل الهيثمي عن عزوه إلى البزار . قلت : وأبو يحيى التيمي ، وحميد بن حماد كلاهما ضعيف وله علة أخرى أشار لها المصنف انظر أعلاه .

(١٣٨) - أخرجه البخاري في الأدب المفرد - (٤٤٤) . والطبراني في الكبير - (٩٠٠٦) (٩/٢٣٣) ، وفي الأوسط (١٤٧٢) (٢/١٢٩) . والحاكم في المستدرك - (٢/٣٦١) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي والبيهقي في شعب الإيمان (٦٥٤٦) (٥/٢٥٠) . وابن جرير في تفسيره - (١٥/٧٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٢٥٢) من طريق أبي العبيدين ، قال : قلت لابن مسعود فذكره مطولًا ومختصرًا وقال الهيثمي في المجمع - (٧/٥٣٠٥٢) « رواه الطبراني ورجاله ثقات » . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٢٠) إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٣٩) - أخرجه البخاري في الأدب المفرد - (٤٤٥) . والبيهقي في شعب الإيمان - (٦٥٤٧) (٥/٢٥٠-٢٥١) . وابن جرير في تفسيره - (١٥/٧٣) . من طريق حصين عن عكرمة عن ابن عباس فذكره . وحسن إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد - (٣٤٦) .

---

[١] - في ز ، « أبو يحيىٰ التيمي » ، خ : « أبو نجى التميمى » .
[٢] - في خ : « أبو نجى التميمي » . [٣] - في ز : « الحوار » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٥] - في ت : « أبناء » .
[٦] - في خ : « إنما » .

وقال مجاهد(١٤٠) : لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرًا ، ولو أنفق مدًّا في غير حق[١] كان تبذيرًا .

وقال قتادة(١٤١) : التبذير : النفقة في معصية الله وفي غير الحق وفي الفساد .

وقال الإمام أحمد(١٤٢) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا الليث[٢] ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أنس بن مالك أنه قال : أتىٰ رجل من بني تميم إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني ذو مال كثير ، وذو أهل وولد وحاضرة ، فأخبرني : كيف أنفق؟ وكيف أصنع ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **تخرج الزكاة من مالك ، فإنها طُهْرَة تطهرك ، وتصل أقرباءك ، وتعرف حق السائل والجار والمسكين** » . فقال : يا رسول الله ، أقلل[٣] لي ؟ فقال : « **فآت ذا القربىٰ حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا** » فقال : حسبي يا رسول الله إذا أديت الزكاة إلىٰ رسولك ؛ فقد[٤] برئت منها إلىٰ الله وإلىٰ رسوله[٥] ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **نعم ، إذا أديتها إلىٰ رسولي فقد برئت منها ، فلك أجرها ، وإثمها علىٰ من بدلها** » .

وقوله : ﴿ **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين** ﴾ أي : في التبذير والسفه ، وترك طاعة الله ، وارتكاب[٦] معصيته ، ولهذا قال : ﴿ **وكان الشيطان لربه كفورًا** ﴾ . أي : جحودًا ؛ لأنه أنكر نعمة الله عليه ، ولم يعمل بطاعته ؛ بل أقبل علىٰ معصيته ومخالفته .

وقوله : ﴿**وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولًا ميسورًا**﴾ ، أي : وإذا سألك أقاربك ومن أمرناك بإعطائهم ، وليس عندك شيء ، وأعرضت عنهم لفقد

---

(١٤٠) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧٤/١٥) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال مجاهد : ... فذكره .

(١٤١) - **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٧٤/١٥) حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال ثنا سعيد ، عن قتادة ... فذكره .

(١٤٢) - أخرجه أحمد - (١٣٦/٣) . والطبراني في الأوسط (٨٨٠٢) حدثنا مطلب : نا عبد الله : حدثني الليث به . والحاكم في المستدرك (٣٦١/٢) من طريق أبي الوليد الطيالسي حدثنا الليث به . وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في المجمع - (٦٦/٣) وقال : « رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح » .

---

[١] - في خ : « حقه » .
[٢] - في خ : « لبث » .
[٣] - في خ : « أملك » .
[٤] - في ز : « وقد » .
[٥] - في خ : « رسول الله » .
[٦] - في خ : « وترك » .

النفقة ، ﴿ فقل لهم قولًا ميسورًا ﴾ أي : عدهم وعدًا بسهولة ولين : إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله ، هكذا فسر قوله : ﴿فقل لهم قولًا ميسورًا﴾ بالوعد - مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد .

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

يقول تعالىٰ آمرًا بالاقتصاد في العيش ذامًّا للبخل ناهيًا عن السرف : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلىٰ عنقك ﴾ ، أي : لا تكن بخيلًا منوعًا لا تعطي أحدًا شيئًا ، كما قالت اليهود عليهم لعائن الله : ﴿يد الله مغلولة﴾ ، أي : نسبوه إلىٰ البخل ، تعالىٰ وتقدس الكريم الوهاب .

وقوله : ﴿ ولا تبسطها كل البسط ﴾ ، أي ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملومًا محسورًا .

وهذا من باب اللف والنشر ، أي : فتقعد إن بخلت ملومًا يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك ، كما قال زهير بن أبي سُلمىٰ في المعلقة :

ومن كان ذا مال ويبخل بماله على قومه يُستغنَ عنه ويُذْمَمِ

ومتىٰ بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير ، وهو الدابة التي قد عجزت عن السير فوقفت ضعفًا وعجزًا ، فإنها تسمىٰ الحسير ، وهو مأخوذ من الكلال ، كما قال تعالىٰ : ﴿ فارجع البصر هل ترىٰ من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير ﴾ ، أي : كليل عن أن يرىٰ عيبًا ، هكذا فسر هذه الآية - بأن المراد منها[١] البخل والسرف - ابن عباس والحسنُ وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم .

وقد جاء في الصحيحين(١٤٣) من حديث أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثُدْيَيْهما إلىٰ تراقيهما[٢] فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت - أو وفرت -**

(١٤٣) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : مثل المتصدق والبخيل - (١٤٤٣) . ومسلم في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : مثل المنفق والبخيل - (٧٥) - (١٠٢١) .

[١] - في ت : « هنا » . [٢] - في خ : « تراقهما » .

على[١] **جلده ، حتىٰ تُخفي بنانه وتَعْفُو أثرهم ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت كل حلقة [ ]**[٢] **مكانها ، فهو يوسعها [فلا تتسع]**[٣]» هذا لفظ البخاري في « الزكاة » .

وفي الصحيحين(١٤٤) من طريق هشام بن عروة ، عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أنفقي هكذا وهكذا وهكذا ، ولا توعي فيوعي الله**[٤] **عليك ، ولا توكي فيوكي الله عليك** » ، وفي لفظ : « **ولا تحصي فيحصي الله عليك** » .

وفي صحيح مسلم(١٤٥) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله قال لي : أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك** » وفي الصحيحين(١٤٦) من طريق معاوية بن أبي مُزرّد ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا** » .

ورویٰ مسلم(١٤٧) ، عن قتيبة ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « **ما نقص مال من صدقة ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا ، ومن تواضع لله رفعه الله** » .

---

(١٤٤) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : التحريض على الصدقة والشفاعة فيها - (١٤٣٣) . ومسلم في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : الحث في الإنفاق ، وكراهة الإحصاء - (٨٨) (١٠٢٩) . والنسائي - كتاب الزكاة ، باب : الإحصاء في الصدقة - (٧٣/٥ - ٧٤) .

(١٤٥) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف - (٣٧) (٩٩٣) حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا عبد الرزاق به .

(١٤٦) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : قول الله تعالى : « فأما من أعطى واتقى .....» - (١٤٤٢) - (٣٠٤/٣) .

ومسلم في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : في المنفق والممسك (٥٧) (١٠١٠) .

(١٤٧) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب : باب : استحباب العفو والتواضع (٦٩) (٢٥٨٨) حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا : حدثنا إسماعيل به .

---

[١] - في خ : « إلى » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « منها » .

[٣] - في خ : « مِن لا تتسع » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

وفي حديث أبي كثير عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا(١٤٨) : « **إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا** » .

وروى البيهقي(١٤٩) من طريق سعدان بن نصر عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، [عن أبي بريدة عن أبيه][١] قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما يخرج رجل صدقة حتىٰ يفُكّ لَـحْيَي سبعين شيطانًا** » .

وقال الإمام أحمد(١٥٠) : حدثنا أبو عبيدة الحداد[٢] : حدثنا سُكَين[٣] بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص[٤] : عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما عال من اقتصد** » .

وقوله : ﴿ **إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ إخبار[٥] أنه تعالىٰ هو الرزاق

(١٤٨) - أخرجه أبو داود - كتاب الزكاة ، باب : في الشح - (١٦٩٨) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير - باب : قوله تعالى : ﴿ **ومن يوق شح نفسه** ﴾ - (١١٥٨٣) (٤٨٦/٦) والدارمي - (٢٥١٩) (١٥٧/٢) . وأحمد في مسنده (١٥٩/٢-١٦٠) . والطيالسي - (٢٢٧٢) . وابن حبان في صحيحه - (٥١٧٦) (٥٧٩/١١) وفي الموارد - (١٥٨٠) (١٥٦/٥-١٥٧) والحاكم (١١/١،٤١٥) والبيهقي في الكبرى - (١٨٧/٤) ، (٢٤٣/١٠) كلهم من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن أبي كثير الزبيدي به مطولًا ومختصرًا . وأبو كثير الزبيدي اسمه زهير بن الأقمر وثقه النسائي وابن حبان والعجلي والذهبي وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأبو كثير الزبيدي من كبار التابعين » . وله شاهد من حديث أبي هريرة . أخرجه أحمد - (٤٣١/٢) والبخاري في الأدب المفرد - (٤٧٠) . وابن حبان في صحيحه - (٥١٧٧) (٥٨٠/١١) والحاكم - (١٢/١) . وشاهد آخر من حديث جابر بنحوه . أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب - باب : تحريم الظلم - (٥٦) - (٢٥٧٨) (١٦/ ٢٠٢) .

(١٤٩) - أخرجه البيهقي في الكبرى - (١٨٧/٤) - كتاب الزكاة ، باب : كراهية البخل والشح والإقتار . وأخرجه أحمد - (٣٥٠/٥) . وابن خزيمة في صحيحه - (٢٤٥٧) (١٠٥/٤) . والحاكم في المستدرك (٤١٧/١) ، والطبراني في الأوسط - (١٠٣٤) (٣٠٧/١-٣٠٨) ، من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش به . وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . قلت : والأعمش مدلس وقد عنعن ، وقد تبين أنه لم يسمعه منه : كما قال : أبو معاوية في رواية أحمد . ومع هذا فقد صحح الحديث ، والحديث صححه الألباني في « الصحيحة » (١٢٦٨) (٢٦٤/٣) فالله أعلم .

(١٥٠) - أخرجه أحمد (٤٤٧/١) . وأخرجه الطبراني في الكبير - (١٠١١٨) (١٣٣/١٠) . وفي الأوسط

[١] - في (ز ، خ) : « عن أبيه » ، والمثبت من مصادر التخريج .

[٢] - في ز ، خ : « الجعاد » .

[٣] - في ز ، خ : « مسكين » .

[٤] - في ز : « الأخوص » .

[٥] - في ز ، خ : « إخبارًا » .

القابض الباسط ، المتصرف في خلقه بما يشاء ، فيغني من يشاء ويفقر من يشاء لما[١] له في ذلك من الحكمة ، ولهذا قال : ﴿ **إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا** ﴾ ، أي : خبير بصير بمن يستحق الغنى[٢] ومن يستحق الفقر[٣] ، كما جاء في الحديث(١٥١) : « إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه ، [وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه][٤] » وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجًا والفقرُ عقوبةً عياذًا بالله من هذا وهذا .

انتهى بحمد الله المجلد الثامن

ويليه بمشيئة الله تعالى المجلد التاسع

وأوله تفسير الآية (٣١) من سورة الإسراء

(٥٠٩٤) (٥/٢٠٦) . والبيهقي في الشعب - (٦٥٦٩) (٥/٢٥٥) . وابن أبي شيبة في المصنف كتاب الأدب باب : الإسراف في النفقة وابن عدي في الكامل - (٤/١٣٠١) . من طريق سكين بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم الهجري به . وقال الهيثمي في المجمع - (١٠/٢٥٥) « رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وفي أسانيدهم إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف » . قلت : وسكين ضعفه أبو داود والنسائي وقال ابن خزيمة : أنا بريء من عهدته ومن عهدة أبيه ووثقه ابن معين وابن حبان ، وقال أبو حاتم : ليس به بأس . أقول : والحاصل من كلام الأئمة أنه صدوق في نفسه وضعفه إنما في روايته عن الضعفاء وقد روى هنا عن ضعيف !.

(١٥١) - جزء من حديث طويل . أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء - (٨/٣١٨) . وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول - (١/٤٢٩-٤٣٠) . من طريق الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا صدقة بن عبد الله عن هشام الكناني عن أنس ... ذكره ، وهشام الكناني لا يعرف وصدقة والحسن وهو ابن يحيى الخشني ضعيفان وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٧٠٤) إلى ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء . وابن مردويه وابن عساكر في تاريخه .

[١] - في ز : « بما » .
[٢] - في ز : « الفقر » .
[٣] - في ز : « الغنى » .
[٤] - سقط من : خ .

الفهرست

(تفسير سورة يوسف عليه السلام) ٠٠٥
رؤية يوسف عليه السلام ٠١١
تآمر إخوة يوسف على قتله ٠١٦
مراودتهم لأبيهم على أخذه ٠١٧
التقاط السيارة ليوسف من الجب ٠٢٢
قصة سيدنا يوسف مع امرأة العزيز ٠٢٦
دخول يوسف عليه السلام السجن ٠٣٩
رؤية ملك مصر وتأويل يوسف لها ٠٤٦
تولية يوسف عليه السلام على خزائن الأرض ٠٥١
مجيء إخوة يوسف إلى مصر للميرة ٠٥٣
أخذ يعقوب عليه السلام الميثاق على بنيه ٠٥٦
عفو يوسف عليه السلام عن إخوته ٠٦٨
اجتماع يوسف بأبويه وإخوته ٠٧٢
ثناؤه عليه السلام على ربه عز وجل ٠٧٧
(تفسير سورة الرعد) ١٠١
دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى ١١٠
صفات المؤمنين ١٣٥
وعيد من نقض العهد وأفسد في الأرض ١٣٩
المؤمن يطمئن قلبه لذكر الله ١٤١
صفة الجنة ١٥٥
الكلام على المحو والإثبات ١٦١
إنكار الكفار لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم ١٧١
(تفسير سورة إبراهيم عليه السلام) ١٧٥
ذكر قوم نوح وعاد ومن بعدهم ١٨١
مثل أعمال الكفار ١٨٩
الكلام على قوله تعالى : ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**﴾: الآية .. ١٩٩
دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها ٢٢٥
(تفسير سورة الحجر) ٢٤١
أصل خلقة الإنسان ٢٥٤

تبشير الملائكة إبراهيم عليه السلام بالولد ٢٦٦
إهلاك قوم سيدنا لوط عليه السلام ٢٧٠
(تفسير سورة النحل) ٢٨٩
تعديد منافع البحر ٢٩٩
تعديد منافع الأنعام ٣٢٣
إلهام الله للنحل باتخاذ البيوت ٣٢٤
منافع العسل ٣٢٤
تفضيل بعض الناس على بعض في الرزق ٣٣٠
نعمة الأزواج والبنين ٣٣١
شهادة الرسل على أممهم يوم القيامة ٣٣٩
تفسير قوله تعالى : ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾: الآية ٣٤٣
الحث على الوفاء بالعهد ٣٤٧
الحض على الصدقة ٣٥٠
سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة ٣٦١
الأمر بالأكل من الرزق الحلال الطيب ٣٦٤
ثناء الله على سيدنا إبراهيم عليه السلام ٣٦٥
الأمر بالدعوة إلى الله بالحسنى ٣٦٧
فضيلة الصبر والحض عليه ٣٦٨
فضيلة التقوى والإحسان ٣٦٨
(تفسير سورة سبحان) ٣٧٣
قصة الإسراء والمعراج ٣٧٣
إيتاء سيدنا موسى عليه السلام التلاوة ٤٣٥
كتاب الأعمال ٤٤٠
بعثة الرسل ٤٤٥
المترفين ٤٦٢
القرون الماضية بعد نوح ٤٦٢
هلاك من آثر الدنيا على الآخرة ٤٦٣
الأمر بالتوسط في الإنفاق ٤٦٣
الفهرست ٤٨١